بسم الله الرحمن الرحيم

مع

أنـــوار الشـــريعة ومعـــارج الحقيقـــة

الطبعة الأولى
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

رقم الإيداع : ٩٩/١٨١٨٧
الترقيم الدولى : ٩٧٧/ ٥٦٧٩/٣٥/٤

تطلب جميع مطبوعاتنا من : مكتبة المجلد العربى ١١٦ ش جوهر القائد - أمام جامعة الأزهر - ت : ٥٩١٢٥٢٤ .

توزع جميع كتبنا فى المملكة المغربية عن طريق : دار الأمان للنشر والتوزيع ٤ زنقة المأمونية - الرباط .

هاتف : ٢٧٦ - ٢٧٣ (٧ - ٢١٢) فاكس : ٠٥٥ - ٢٠٠ (٧ - ٢١٢)

مع

أنــوار الشــريعة

ومعــارج الحقيقــة

إعداد

فضيلة الدكتور/ حسن عباس زكي

تحقيق

خديجة النبراوى

النمار للطبع والنشر والتوزيع

مقدمة الكتاب

لفضيلة الدكتور حسن عباس زكى

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبى الهدى، المبعوث رحمة للعالمين، وعلـــى آلـــه الأطهار الطيبين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى كل من اتبع سنته واهتـــدى بهديه إلى يوم الدين.

ونحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً، يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، علـــى ما أنعم به علينا، ببيان معالم ذلك الدين القيم، وترسيخ أنواره فى قلـــوب أوليائـــه، الذين اصطفاهم من عباده.

أمـــا بعـــد

فإنه من منبع حبى لله ولرسوله وللبشرية جمعاء : أقدم هذا الكتاب ليكـــون لبنة فى بناء التصوف، الذى لا يفهم الكثيرون حقيقته. ولو فهم المستنكرون علـــى هذا العلم حقيقته السامية، لسعوا إليه سعياً حثيثاً، ولعضوا عليه بالنواجذ، لأن هـــذا العلم يعيد للإسلام حقيقته الغائبة، ويعيد له جوهره الثمين، وروحه الصافية المحلقة.

فالتصوف هو لب الشريعة وجوهرها وروحها، وهو رجوع بالإسلام إلـــى روحانيته وشفافيته فى العصور الأولى، عصر بزوغ الرسالة وتألقها حتـــى شـــع نورها على الأكـــوان كلها، وشرب الناس من معين النبوة العذب، واشتاقت قلوبهم إلى الملأ الأعلى، فارتقت إنسانيتهم إلى الآفاق العلى، بالأخلاق النبيلـــة والمبـــادئ الراقية.

ولذلك لم يكن مصادفة ولا عبثا، أن يتعرض التصـــوف لـــهذه الـــهجمات الشرسة والادعاءات الباطلة.. لأن المقصود بذلك أن يظل الإسلام شريعة تعبديـــة، تقتصـــر على طقوس ظاهرية، لا تحقق المقصود من تلـــك الرســـالة الســـامية.. فالإسلام شريعة وحقيقة، ومبادؤه تشمل الظاهر والباطن، الروح والجســـد، القشـــر واللب، المظهر والجوهر.. حتى يتحقق للإنسانية حضارتها الحقيقية القائمة علـــى الإمكانيات المادية والمقومات الروحية. فمهما حقق الإنسان من تقدم مادى مذهـــل، فلن يكون رقياً أكيداً، ما لم يصحبه تقدم فى إنسانية الإنسان وروحه ومعنوياته.

ولن يحقق الإنسان مجده الروحى، طالما استسلم لسلطان المـــادة وطغيـــان المنصب، لأن هذا يخرج به عن دائرة الكمال، ويؤدى به إلى انحطاط فـــى القيـــم والأخلاق، حتى يهوى إلى حياة أبشع من حياة الحيوان فى الغابة، لأنها حياة تؤدى إلى ضياع حقيقى للإنسان، الذى هو نقطة دائرة الوجود، حيث تنتشـــر الحـــروب والعداء والكراهية، مما تصبح عوامل هدم ومجزرة للبشرية، ويضيع معها الأمـــن والسلام والطمأنينة، وهى أسمى ما تهفو إليه القلوب، لتعيش حياتها هادئة مطمئنة.

وفى عصرنا الحاضر علينا أن نعى تلك الحقائق جيداً:

إن الإنسان بحاجة إلى تعليم إنسانى جديد، يضـــع الأمـــور فـــى وضعـــها الصحيح فلا ينبذ العلم والعقل، ولا يجعله يطغى على كل شئ فـــى الوجـــود بـــلا حساب، فينقذ الإنسانية ويعيد صلة السماء بالأرض، ويحيى علوم الدين ومعارفها، ويربط الإنسان بربه، ويذكر الإنسان بقيمه العليا، فيستضئ بنور القلب، الذى يشع علـــى العقـــل، فيعمـــل فـــى إطـــار محـــدد، ولا يخـــرج عمـــا خلـــق لـــه ويفرض على الحواس أن تعمل فى طاعة الله، فتعود للإنسان خلافتـــه الحقيقيـــة، ويسود الإنسانية السمو الروحى، والأخوة الحقة والسلام.

ويضع المال وضعه الصحيح فى اليد لا فى القلب، ويخفف من سيادته على النفوس، ويرجعه إلى أصله ووظيفته كخادم لا كسيد، يعين صاحبه علـــى ســلوك الحياة كوسيلة لا كغاية.

ويعيد للعلم رسالته السامية، كوسيلة للكشف عن العلل والقوانيـــن الخفيـــة، والظواهر الطبيعية، ويخلصه من الزيغ والتحيز والانحراف وخدمة الأهواء.

أن نضع العلم موضعه الصحيح، فالعلم إشعاع العقل، والعقل حادث، فليس له أن يتطاول على القديم، ولا أن يتدخل فيمـــا وراء الطبيعـــة أو الـــروح، ولا أن يخرج عن حدوده، فيضل ويضلل، ويفسد الطريق أمام الإنسانية.

ثم علينا بعد كل ذلك أن نعيد صلة الإنسان بربه، فمن للإنسان غير ربـــه؟ ومن للأرض غير السماء تتداركها إبان أزماتها، وترعاها من طور إلى آخر؟ ومن لنا من منقذ سوى مبدعنا، وخالقنا وهادينا؟ ومن لهذا العقل الحـــادث يهديـــه إلـــى الصواب، سوى ذلك الإلهام الروحى والمدد السماوى، والشعاع الهابط إلى الأرض من رب العـــالمين؟ ومن لهذه البشرية المنحدرة من طغام المادة والطيـــن، ســـوى النور الهادى المبين؟ ومن لنا من معين سوى كتاب الله وسنة نبيه الكريـــم، وهـــى واضحة كنور الشمس؟

وما هى الأدوات التى نستعملها فى سلوك هذا الطريق؟ أهى الحواس؟ وهى كثيراً ما تخطئ، وقليلاً ما تصيب، بل إنها عاجزة عن كشف حقائق من الوجود لا يزيد حجمها عن حجم ذرة على ساحل البحر.

أو هو العقل الذى هو أوسع مدى من الحواس؟ ولكنه محدود بمـــا يمكنـــه التسليم به، وهناك عوالم فوق طور العقل وقدرته، لا سبيل له إلى إدراك كنهها. إذاً هنـــاك أداة أخـــرى فـــوق طـــــور العقـــل والحـــواس، وهـــى القلـــب تلك التى يجب أن ننميها ونعطيها حقها فى التطور والنمو والانكشاف.

علينا أن ننمى كل هذه الأدوات من حواس وعقل وقلب، كل فى مجاله، لكى تصبح أداة فعالة تجلب الكمال الوجودى للإنسان.

ولا سبيل لذلك إلا بالتدين، وهو الرضوخ لعقيدة تستمد من معين واحد. لابد من الالتزام بناموس أبدى مطلق، بذوره كامنة فى كل نفس حية مدركة. والتدين لا يقوم فقط على طقوس ورموز، وإنما يقوم أساساً على صفاء الروح، ونقاء السريرة، وتوجيه النية، والإخلاص للمعبود الحق، إخلاصاً كاملاً، وكبح جماح النفس عن الشهوات.

والتدين الحق يقوم على تقويم الأخلاق والمحبة، والتواضع والأمر بالعدل والإحسان، والتسامح مع الناس، والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى.

والدين هو منار الإنسانية ومنقذها وهاديها، وهو الحقيقة المطلقة للإنسان.. وقد كتب الكثيرون فى وسائل إصلاح المجتمع مما ألمّ به، وما علق به من شوائب، خرجت بالإنسان عن التدين، ورسم كثيرون طرقاً مختلفة لإحياء علوم الدين، ولتبصير المسلمين بما يجب عليهم، مستمدين ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهما المنبعان الأساسيان، ولا سبيل غيرهما وهما طريق واحد، متن وشرح إن جاز هذا التعبير.

من هذا المنطلق:

فأننى أقدم هذا الكتاب القيم، داعياً المولى عزَّ وجلَّ أن يكون علامة مضيئة على الطريق، تنير السبيل لمن يريد الله هدايته، وتنتشل الإنسانية من وهدتها. وهو يحمل عنوان **"أنوار الشريعة ومعارج الحقيقة"**

ويشتمل الكتاب فى داخله على ثلاثة كتب:

الأول هو :تنبيه التلميذ المحتاج.

والثانى هو :نور الحياة.

وهما من تأليف ذلك الولي الصالح قطب زمانه وإمام عصره: الشيخ عبد الله بن عزوز المراكشي داراً والقرشي نسباً، حيث كتبهما في القرن الثاني عشر من الهجرة، ووفقني الله في العثور عليهما في خزانة مكتبة ملك المغرب، بعدما سعيت سعياً حثيثاً في البحث عنهما. وكانت تلك المؤلفات بالخط المغربي، فأفاض الله عليّ بكتابتها بخط المشرق، حتى يسهل قراءتها للغالبية العظمى من الناس.. ونسجد لله شكراً قائلين : ﴿**الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله**﴾ (الأعراف: ٤٣).

والكتاب الأول يدور حول:

- التعرف على فضائل العلم بالشريعة والحقيقة والطريقة، وكيفية الجمع بينهم.
- وإيضاح ما بدع في الشريعة مما ليس فيها من أقوال وأفعال وأحوال وكذلك بالنسبة للطريقة والحقيقة، وتخليصهما مما علق بهما من آراء خارجة عن حدود الشرع.
- بيان طريق الإيمان الحق، وتصحيح عقيدة التوحيد، للعوام والخواص، مع إيضاح الذكر وطريقته، والعبادة بأنواعها، سواء العبادة بظاهر الأجسام أو بالباطن، وشروط طريق الولاية، وعلامة الإنسان الكامل.
- بيان تركيب الإنسان بطريقة حكيمة، وتعريف الاسم الأعظم، مع بعض الإشارات إلى حقيقة معنى الحروف، وارتباطها بالعالم الإنساني.

أما الكتاب الثاني فيدور حول:

- ما يجب للخالق على المخلوق، وفي كيفية التدبر والنظر في خلق الأرض والسماوات.

- وفى عبادة الله التى تجب على المخلوقات مع الإشــارة إلــى العلــم الحقيقــي الموصل إلى معرفة الله تعالى، مع بعض أســرار دقيقــة فــى علــم النقطــة وعلاقتــه بالتوحيد الخالص، كتمرين ذهنى يساعد الفــؤاد علــى تدبــر هــذه المعانى، وكيف أن علوم الحساب والأعداد والحروف، تدل على الخــالق جــل شأنه من وجه الحكمة.
- ثم تفســير لطيف لما أشار إليه أرباب الحقائق، من معــانى توحيــد الــذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، مع مقامات التوحيد المختلفة والتدرج فيها.
- ثم تفصيل دقيق لأركان الإسلام ظاهرها وباطنها، وسرها وحكمتها، وتركيــب كل ركن وهيئته، وعلاقة ذلك بالإنسان وتركيبه، مــن جســد ونفــس وروح، وعلاقة كل واحد من هذا بالآخر.
- ولم يفتنى أن أجمع ما أشار إليه هذا الحكيم الربّــانى مــن أســرار الطريــق والتجربة الروحية للمريد، وما له من إدراكه وفهمه، حتى يكون على بينة مــن أمره، وما يعترضــه من خواطر دنيوية، وأقسام هذه الخواطر للتعرف عليها، وكيف يعرف الإنسان حقيقــة نفســه، وعلاقــة ذلــك بــالروح مــن ناحيــة وبالطبائع الأربعة من ناحية ثانية، وبتركيب الإنسان الجسمانى، مــن ناحيــة ثالثة، وأطوار الإنسان فى حياته، وعلاقته بالكون والكواكــب علــى أســاس شرعى.

أما الكتاب الثالث فهو "رشفات من الحقائق"

رأيت أن أوضح فيه بعض الحقائق اللازمة للتعرف على الطريق، ولكشف بعض أسرار الكلمات التى يستخدمها أرباب الطرق، وأصحاب المقامات العاليــة، مما لابد من فهمها، للعمل على مقتضاها الصحيح السليم.

كذلك جمعت ما يلزم المريد من معلومات، ومعارف لإدراك معانى المقامات ومنازل السائر السالك، وكيفية سلوكها، ومفتاح كل منزل، وصفات وأخلاق المريد.

ووجدت إتماماً للفائدة : أن أضيف إليه بعض شروح ومصطلحات، اصطلح عليها بعض السادة الصوفية الإجلاء، لتنفع المريد فى فهم ما يرمزون إليه من معانى وإشارات.

كما وجدت تحقيقاً لرغبة من لا ترد لهم رغبة، إضافة جزء من كتاب نادر اسمه **"الجواهر الخمس"** لمؤلفه القطب محمد الغوث بن خطير الدين بايزيد بن خوجه فريد الدين العطار. وهذا الجزء كتاب قائم بذاته، اشتمل على عبادة العابدين فى اليوم والليلة والأسبوع والشهر، وفى المناسبات الفاضلة المختلفة من صلوات وأذكار وفوائد جليلة. كما أضفت إليه أيضاً ملخصاً لما ورد فى **كتاب "الأذكار"** للنووى **وغيره**، من فضائل الكلمات والأعمال، وما يستحب العمل به، وما يحسن المواظبة عليه من أذكار مأثورة.

كما وجدت إتمام للنفع أن أختم الكتاب بشرح وتفصيل لبعض الأمور التى يحتاج المريد إلى معرفتها من أسرار الطريق، أخذت من صدور المشايخ ومكتوباتهم وارداتهم.

ومجمل القول

أنه ليس لى فى هذا الكتاب إلا الجمع.. فإن كان فيه ما يفيد، وما ينير الطريق، فهو فضل من الله، يعود إلى أهله، ممن عثرنا على مؤلفاتهم ومكتوباتهم.. وإن كان فيه نقص، فإنما يعود إلىّ، حيث قد أسأت فهمه، فأخطأت فى نقله، أو يكون نتيجة تطاول فى التحدث لأمور لا قبل لى بها.. ولكنى أجزم بشئ واحد: أننى لا أقصد سوى وجه الله تعالى، ونفع عباده، حتى يستعيدوا حقيقة دينهم

القيم، ويستعيدوا معها هويتهم وأصالتهم وشفافيتـــهم، التـــى تحقـــق لـــهم الأمـــن والاطمئنان، والحضارة والسلام، وكل معانى الرقى والتقدم التـــى تتشـــوق إليـــها البشرية، كما تتشوق الزهرة الظمأى إلى قطرات الندى.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلـــــه وصحبـــــه أجمعيـــــن..

حسن عباس زكى

الكتاب الأول
تنبيه التلميذ المحتاج

تصنيف المعترف بتقصيره وقصوره

أبي محمد عبد الله بن عزوز

المراكشي داراً ومنشأ.. السوسي أصلاً... القرشي نسباً

وهو تأليف في الجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة

حيث يرد على من ابتدع فيهم

بما ليس بهم بإيضاح البراهين وإقامة الحجج

مخطوط في المكتبة الوطنية في الجزائر

تحت رقم ٢١٤٦

مقدمة الكتاب الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

الحمد لله الذى يفيض العلوم والأسـرار علـى قلـوب أوليائـه الأبـرار، المتمسكين بالشريعة الغراء، فأطلعهم على حكم الطريقة، وأدخلهم بساتين المطالعة والمشاهدة للحقيقة، وأعلى قدرهم وأعز شأنهم، وأهلك عدوهم، وجعل فيهم قطـب دائرة التصريف، وعين ينابيع العلوم والأسـرار والتعريف وحجب الخلق عنـهم، إجلالا بما سترهم بالبشرية المحضة، وأطلعهم على أن الشريعة صورة كاملة، لـها روح وجسم، يتلو سرها ويقرأ، صبحهم فى ميدان المعانى على فرس التدانى، حتى علموا أن الأحكام جسم الشريعة والحقيقة روحها، فما هنا إلا شـرع حـوى نـهياً وأمراً، وأحوزهم على سماء التوحـيد وأطلعهم على كرسـى التمجيـد، وعلقـهم بعرش التفريد، وأسعدهم بالتوفيق، بالقيام بنواميس التكاليف الشرعية، وأغرقهم فى بحر اللطائف وأعلى منارهم، ورفع مرتبتهم، وألذ لهم شرابهم دنيا وآخرة، وأردف عليهم الفتوحـات والمواهب، ورفعهم إلى أعلى المراتب، وأكرمهم بأبدع الكرامات وأسمى المناقب، وطيب لهم الأوقات، وأمطر عليهم العطايا، حتى تحققـوا بـأن الشريعة أصل الحقيقة، خلافاً لمن خالف حيث جهل.

والصلاة والسلام على الذى جاء بظاهر الشريعة وباطنـها، فـاعلاً تـارة وآمراً أخرى وقد أمر بسفك دم من خالف ظاهر الأمر، لأن من أنكره فقـد بـاء بغضب من الله، وأظهر كفره، وعلى آله وأصحابه حماة الديـن الذيـن شـيدوا أركانه، وأسسوا بنيانه جهراً وسراً، ما حفظ مريـد حرمـات الشـرع الشريـف، وأوردت عليه الموارد، وأشرقت شمس العبادة فـى جنانـه وأظـهر فيـه نـور الإحسـان، وسلم تسليما، وعظم تعظيما، ما زاد المنعم شكراً..

وبعد.. فقد اختلج في صدري أن أصنف هذا الكتاب في الجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة، وفي الرد على من أحدث فيها ما ليس منها على مذهب الصوفية رضي الله عنهم ملتمساً وطالباً به الغفران من الحميد الحنان، فإن أعظم العلوم مقاماً وأقواها حجة ودليلاً وأجلاها سبيلاً، هو العلم الجامع بين الشريعة والطريقة والحقيقة الكفيل بأسرار اللاهوت والكاشف عن أستار الجبروت، فيه مشاهدة الملك، ومعرفة الملكوت الكاشف عن أحوال السعداء والأشقياء، في دار الفناء ودار البقاء.

وهذا الكتاب يحتوي على معان كثيرة متشعبة، متدانية القطوف.. وهو محصور في سبعة فصول.

الفصل الأول : في فضائل العلم بالشريعة.

الفصل الثاني : في فضائل العلم بالطريقة.

الفصل الثالث : في فضائل العلم بالحقيقة، وفي معرفة كل، والجمع بينهم.

الفصل الرابع : في الرد على من ابتدع في الشريعة ما ليس فيها من أقوال وأفعال وأحوال.

الفصل الخامس : في الرد على من ابتدع في الطريقة ما ليس فيها من أقوال وأفعال وأحوال.

الفصل السادس : في الرد على من ابتدع في الحقيقة ما ليس فيها من أقوال وأفعال وأحوال.

الفصل السابع : في صفات أخلاق الجامع بين الشريعة والطريقة والحقيقة وأقواله وأفعاله وأحواله.

وبهذا يختم الكتاب بحمد الله وحسن عون.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفصل الأول

فى فضائل العلم بالشريعة

ما هي الشريعة؟

اعلم أيها القارئ أن الشريعة هى الباب واللباب، وبها يكشف الحجاب، ويهدى العبد إلى الصواب.

والشريعة أقسام ثلاثة: **أمر ونهي.. وقصص.. وتوحيد.**

فالأمر بالإسلام والإيمان والإحسان.. والنهى هو: كل ما نهى عنه الشرع الحكيم، أى النهى عن المنكر فى: البيع والشراء، والنكاح والطلاق والميراث والظهار واللعان والسلم والإجارة وغير ذلك، وهو المعبر عنه بالشريعة، ونزلت فى ذلك آيات قرآنية، ووردت فيه أحاديث نبوية.

والقصص هو خبر من اهتدى وبأى شئ اهتدى.. وخبر من ضل وهوى، وبأى شئ ضل وهلك.. ونزلت فى ذلك آيات ووردت فيه أحاديث، وهو المعبر عنه بالطريقة.

أما التوحيد فهو معرفة الله، والعلم به، وبأسمائه وصفاته وأفعاله فى خلقه، وهو المعبر عنه بالحقيقة.. ونزلت فى ذلك آيات **كسورة الإخلاص**، وآية **الكرسى**، وآيات **﴿نور السماوات والأرض﴾**، **﴿قل اللهم مالك الملك﴾**.. وغير ذلك مما لا يحصي. كما وردت فيه أحاديث نبوية كثيرة.

ويجب أن نعلم أن الكل شريعة وطريقة وحقيقة فى الاصطلاح، والكل مشروع جاء به الكتاب والسنة، وكان عليه الصحابة ﷺ.. **وأول واجباتها على كل مؤمن بالغ** معرفة رب الأرباب على طبق ما جاء فى الكتاب والسنة.. وتلك

المعرفة تختلف من شخص لآخر، حسب قدراته الروحية ومجاهدته علـــى طريـــق الحق، ولذلك سنشرح أنواعها فيما يلى.

أقسام المعرفة بالله

المعرفة ثلاثة أقسام هى: معرفة العوام، معرفة الخواص، معرفة خـــواص الخواص.

أولا معرفة العوام

وهى معرفة ما يجب وما يجوز وما يستحيل فى حقه تعالى، وكذلك فـــى حق رســـله.. وهذه واجبة على كل مسلم، لئلا يشتبه عليه الحال، فيقع فى الخيال، وأيضا حتى يسلم من ورطة التقليد فى التوحيد، إذ قال صاحب الجوهرة: "إذ كـــل من قلد فى التوحيد، إيمانه لم يخل عن ترديد."

وكل من طلب الثانية ولم يحكم الأولى كان جاهلا بالله، فإن تلك المعرفـــة أولى، ويجب على صاحب هذه المعرفة أن يطلب العلم الواجب فى حقـــه، ليكـــون ممن يعبد الله على علم، وإلا كان ما يهدمه أكثر مما يبنيه.. ففى الحديث الشريف "*ركعتان من عالم، خير من سبعين ركعة من غير عالم*"، والعالم هو العامل بعلمه، والورع هو المشار إليه بحديث "*ركعتان من رجل ورع أفضل، من ألف ركعة من مخالط*"* وإلا فمع الجهل أين الورع؟

ثانيا معرفة الخواص

وهى معرفة آثار الأسماء والصفات، وظهور أنوار تلك الآثار فى القلـــب ليخلص صاحبه من الآفات.. **وطريق تلك المعرفة هو** تعمير الأوقات بالعبـــادات، وتزكـــية النفس بترك المخالفات، والجلوس على بساط الفقر والانكســـار، وشغـــل القلب بمراقبة العزيز الغفـــار، والاقتداء بأستاذ شـــهد بصحـــة عقيدتـــه وكمالـــه

* رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس.

الكاملون، وأقر بحسن منازلاته ومواجيده الواصلون، ليسلك به إلى التعلق، ويرقيه إلى التخلق، ويوصله إلى التحقق.. وهناك يدرك الأسرار بطريق المنازلة والذوق.

وطريق التصوف عند السادات الصوفية كله تخلق بالأخلاق المصطفية، فمن زاد تخلقه زاد تصوفه.. والتخلق يحتاج إلى السلوك، وهو يفتقر إلى المرشد العارف.. قال الشعراني في الميزان: "أما سلوك بغير شيخ، فلا يسلم من الرياء والجدال والمزاحمة على الدنيا، ولو بالقلب من غير لفظ، فلا يوصلك ذلك إلى المراد، ولو شهد لك جميع أقرانك بالقطبانية، فلا عبرة بها".. وقد أشار إلى ذلك الشيخ محيي الدين الطائي ﷺ في الباب الثالث من الفتوحات فقال: "من سلك طريقا بغير شيخ، ولم يتورع عما حرم الله، فلا وصول له إلى معرفة الله المعرفة المطلوبة عند القوم ولو عبد الله عمر نوح عليه السلام.. ثم إذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى، فليس وراء الله تعالى مرمى ولا مرقى بعد ذلك، وهناك يطلع كشفاً ويقيناً على حضرة الأسماء الإلهية، ويرى اتصال أقوال جميع العلماء بحضرة الأسماء، ويرتفع الخلاف وقتها في جميع مذاهب المجتهدين، لشهود اتصال جميع أقوالهم". انتهى كلام الطائي.

وهذه المعرفة نتيجة التخلي عن الأخلاق الذميمة، والتحلي بالأوصاف الحميدة الكريمة، فثمرة التخلي هي التحلي بالأسرار العظيمة.. وفي الحديث: "**الأخلاق مخزونة عند الله، فإذا أراد الله بعبده خيراً، منحه منها خلقاً**".. وقال ﷺ: "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**". وقال صاحب عوارف المعارف: "فالصوفية راضوا أنفسهم بالمكابدات والمجاهدات، حتى انجابت إلى تحسين الأخلاق".. فنفوس العباد انجابت إلى الأعمال وجمحت عن الأخلاق، ونفوس الزهاد انجابت إلى بعض الأخلاق دون بعض، ونفوس الصوفية انجابت إلى الأخلاق الكريمة.

وكل من طلب المعرفة الثانية ولم يحكم الأولى كان جاهلا بالله.

ثالثا معرفة خواص الخواص

تتعلق بمعرفة كنوز الأسرار أسرار الذات العلية.. وهذه المعرفة خاصة بأكابر المحققين من الأولياء الراسخين وطريقها لا يكون إلا عن محض المنة، وكرامة صاحبها استقامته على نهج الكتاب والسنة.. قال أبو يزيد البسطامى ﷺ: "لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات، حتى يرتفع فى الهواء فلا تقتدوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وآداب الشريعة"، فالاتباع المحمدى نعمة وأى نعمة، والزيغ عنه نقمة، فإن شؤم هلاك الدين لا يعادله شؤم، ونعوذ بالله من ذلك.

أهمية التمسك بآداب الشريعة

اعلم أيها الناظر فى هذا الكتاب- أنار الله بصيرتك- أن طعام الرجال يضر بالأطفال، فصن الأسرار عن أهل الأفكار، وشيد المكانة لمن يحفظ الأمانة، والزم الباب ولا تترك شيئا من أدب الشرع أصلاً، فإن تركت شيئاً من الآداب كانت العقوبة إليك سريعة.. فالزم حلقة الباب، وزن حركاتك بميزان الشرع، فبلزوم الباب وحلقته يقع الإيمان للعبد كما قال الله تعالى: **﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾** (البقرة: ٢٥٦).

فالباب هو الإسلام وحلقته هو الإيمان، وبالباب وحلقته تكون السعادة للعبد.. وإنما قيد الإيمان بالله، والكفر بالطاغوت لأنه يقول فى حق قوم **﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾** (العنكبوت:٥٢)، فلما وقع الاشتراك فى الاسم، لذلك قيد فقال الإيمان بالله والكفر بالطاغوت بياناً لغاية الإطلاق.

فأعلم أن الأدب مع الشرع جماع الخير، والشرع ما شرع الله، ففى الشرع الخير كله لأن الطريق إليه لا يعرف إلا منه سبحانه، وليس لمخلوق أن يحكم فيما

يقرب إلى الله إلا بروائح مكارم الأخلاق، فإن الصورة الإلهية تعطى ذلــك، وبــها يجنى ثمرتها المؤمن صاحب الجنة.

ولما كان الأمر كما قلنا، لذلك أمرناك بالأدب بالشريعة لتكون بها من أهل الدار المسماة جنة.. وأما صورة الوزن بين الحكم المشروع، وبين أفعال المكلفين، فالعلم بذلك موقوف على العلم بالشرع.

والشرع على قسمين:

١-ثابت يناقضه شرع ثابت، وهو ما وقع فيه الاختلاف بين المجتهدين.

٢-شرع جامع: وهو ما اجتمعوا عليه.

فالإنسان لا يزال يصل إلى ما وقع فيه الإجماع، كــالقصر فــى الصــلاة للمسافر والفطر للمسافر فى رمضان وأمثال ذلك.. وهذا مــن طريــق العزائــم، فأمرك ألا تجنح إلى تأويل، مع قدرتك على مثل هذا ولا تكون فى عمل مشــروع، فيعقب عليك شرع آخر، والشارع واحد فاهرب إلى محل الإجماع، فإن لــم تجــد إجماعــاً فكن مع أكثرهم، فإن لم تجد كثرة فكن مع أصحاب الحديــث فــى تلــك المسألة المطلوبة، وقل أن يحتاج أهل الطريق إلى مثل هذا لأنهم زهدوا فى الدنيــا فقل الحكم عليهم.

وأذكر حكاية الشيخ محمد الخليلى ﷺ حيث قال:

قد كنت أعمل على مراعاة المذاهب وأتبع محل الإجماع منها فــأعمل بــه فرأيت رســول الله ﷺ فى المنام وقلت له: يا رسول الله هل العمل بالمتفق عليــه من شريعتك أولى أو المختلف عليه؟ قال: فانتهرنى وقال: لا تسأل.. ففهمت منه أنه لم يرض بذلك السؤال، ثم أُلهمت فقلت له: قد فهمت مرادك يا رسول الله.. المتفــق عليه من شريعتك والمختلف عليه من شريعتك والكل من عند الله.. قال: هكذا.

الجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة

لقد ضل قوم وأضلوا الناس بقولهم أن الشريعة جعلها الله ستارة على الحقيقة لأجل العوام، وليس المراد من الصلاة إلا الوصلة، والصيام يراد به الإمساك عن رؤية السوى، والحج القصد إلى الله، وعرفات يراد به جبل المعرفة.. واستدلوا بذلك بعبارات العارفين والعارفون إنما أرادوا بمثل تلك العبارات المعنى الباطنى، فإن كل شئ له ظاهر وباطن.. والمتمسك بالظاهر من النصوص فرقة يقال لها **"الظاهرية"**، والمتمسك بالباطن فرقة أخرى يقال لها **"الباطنية"**، والجامع بين الظاهر والباطن هم أهل السنة والجماعة، وهم أصحاب رسول الله ﷺ ،وكلهم جامعون بين الظاهر والباطن، يعنى بين الشريعة والحقيقة وهم طائفة الصوفية الأبرار، والسادات الأخيار.. فإذا سمعوا قولاً من أقواله ﷺ مثل قوله: "*إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة*"، فإنهم يخرجون الكلاب من بيوتهم والصور كذلك عملاً بظاهر الحديث، كما أنهم يفهمون من إشارته أن المراد بالبيت القلب، وبالكلب الحقد، وبالصورة مظهر الغير، فيبادرون بطهارة القلب، عملاً بإشارة النص، فالإشارة لا تعارض العبارة.

ومن مواقف الصوفية فى بيان كيفية هذا الجمع:

● سئل سهل بن عبد الله ﷺ عن رجل يقول: "أنا كالباب لا أتحرك إلا إذا حُركت"، قال: "هذا لا يقوله إلا صديق أو زنديق.. لأن الصديق يقول هذا القول إشارة إلى أن قوام الأشياء بالله، مع إحكام الأصول ورعاية العبودية.. والزنديق يقول ذلك إحالة للأشياء على الله، وإسقاط الملامة عن نفسه، وانخلاعاً عن الدين ورسمه.. فأما من كان معتقداً الحلال والحرام والحدود والأحكام، معترفاً بالمعصية إذا صدرت منه، معتقداً وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح. وإن كان تحت القصور، بما يركن إليه من البطالة ويستريح بهوى النفس، ويقصد القول المردود بأن ظواهر الأحكام المشروعة للأنام خاصة بالعوام، وأن طريق

الخواص ليس فيه شئ من أعمال الشرع الظاهرة، وإنما هـو أعمـال باطنـة لا ظاهـرة.. فهذا القول يناقضه حال أكمل الأنام ﷺ، وقيامه حتى تورمت قدمـاه من طول القيام، ومكابدة الأصحاب ومجاهدة الأحباب، بما ليس فى وسعنا الإتيـان ببعض ذلك وإقرارنا بالعجز والقصور، عن الوفاء بحقوق السيد المالك.

● وذكر السيد مصطفى البكرى فى كتابه "السيوف الحداد" حديثا مرفوعـاً وهو: "**الشريعة مقالى، والطريقة أفعالى، والحقيقة حالى**".. وعلى تقدير صحتـه فالشريعة بالبيان وهو المقال ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾ (النجم: ٣)، وبالأفعال وهـو أبلغ ﴿**فاتبعونى يحببكم الله**﴾ (آل عمران: ٣١)، والحال ما ينتجه البيان فعاد الأمـر إليه.

● قال سيدى محيى الدين الطائى ﷺ فى كتابه عن الشريعة والحقيقـة أن الشـريعة عين الحقيقة. وأن الشريعة جسم وروح، فجسـمها الأحكـام، وروحـها الحقيقة فما ثم إلا شرع.

● وقال سهـل بن عبد الله ﷺ: فعين الشـريعة عين الحقيقة والشريعـة حق كلها، ولكل حق حقيقة، فحق الشريعة وجود عينها، وحقيقتها مـا يـنزل مـن الشهود منزلة شهود عينها فى باطن الأمر، فيكون فى ذلك الباطن كما هـى فـى الظـاهر غير مزيد، حتى إذا كشف الغطاء لم يختل الأمر على الباطن.. ثم قـال: فما ثم حقيقة تخالف الشريعة، لأن الشريعة من جملة الحقـائق، والحقـائق أمثـال وأشباه، والشرع ينفى ويثبت، فنقول:﴿**ليس كمثله شئ وهو السـميع البصـير**﴾ (الشورى: ١١)، وهذا قول الحقيقة بعينه والشريعة هى الحقيقة.

● وقال: لما كان الأمر العظيم يجهل قدره، ويغير الوصول إليـه نزلـت الشرائع بأدب التوصل، ليقبلها أولوا الألباب، لأن الشريعة لب العقل والحقيقة لـب الشريعة، فهى كالدهن فى اللب، الذى يحفظه القشر، فاللب يحفظ الدهـن، والقشـر يحفظ اللب.. كذلك العقل يحفظ الشريعة والشريعة تحفظ الحقيقة، فمن أدعى شرعا

بغير عقل، لم تصح دعواه، لأن الله تعالى ما كلف إلا من استحكم عقله، فما كلف مجنوناً ولا صبياً.. ومن أدعى حقيقة من غير شريعة، فدعواه لا تصح، ولذلك قيد الجنيد علمنا هذا (يعنى علم الحقائق) بالكتاب والسنة، ولا تحصل الحقائق إلا لمن عمل بكتاب الله وسنة رسولهﷺ وذلك هو الشريعة وقال "*إن الله أدبني فأحسن أدبي*" ما هو إلا شرع له، فمن تشرع تأدب، ومن تأدب وصل.. انتهى كلام الجنيد.

توافق الشريعة والحقيقة في العلم والعمل

قال اليافعي ﷺ في كتابه "نشر المحاسن": اعلم أن **الشريعة** المطهرة مشتملة على قسمين: علم وعمل. و**العلم** من حيث الجملة يشتمل على قسمين: ظاهر وباطن، والظاهر على قسمين: شرعى وغير شرعى، والشرعى على قسمين: فرض ومندوب، والفرض على قسمين: فرض عين وفرض كفاية، وفرض العين على ثلاثة أقسام: علم قلب وعلم أصل وعلم فرع.

أما **العمل** فهو يشتمل على قسمين: عزائم ورخص.

فإذا علمت هذا، فاعلم أن **الحقيقة** ذات المعانى الرفيعة، والعلوم الدقيقة مشتملة أيضاً على قسمين علم وعمل.. **الأول** منهما وهو **العلم**، ينقسم إلى قسمين: وهبى وكسبى، فالوهبى علم المكاشفة، والكسبى على قسمين: فرض وغيره، والفرض على قسمين: فرض عين وفرض كفاية، وفرض العين على ثلاثة أقسام: علم قلب وعلم أصل وعلم فرع- كما تقدم فى العلم الشرعي.. وهذا العلم الكسبى الذى هو أحد قسمى علم الحقيقة، هو علم الشريعة.. أما القسم **الثانى** وهو **العمل**: فهو يمثل أحد قسمى عمل الشريعة الذى هو العزائم.. وهو مشتمل على سلوك طريقة الحقيقة، والطريقة مشتملة على منازل السالكين، وتسمى مقامات اليقين.

وهكذا: فالحقيقة موافقة للشريعة فى علمها وعملها وأصولها وفروعها، فرضها ومندوبها، ليس بينهما مخالفة أصلاً.

نعم هناك شيئان من العلم والعمل:

أحدهما علم صفات القلب: فأهل الحقيقة لهم به اعتناء واهتمام.. وسلوك طريقتهم موقوف على معرفته، وتبديل صفاته الذميمة.. وأكثر أهل الشريعة مهملون له ومتهاونون فيه مع كونه فرض عين، فى الشريعة والحقيقة بلا خلاف.

وأما القسم الثانى من قسمى عمل الشريعة وهو الرخص: فأهل الحقيقة من حيث الاعتقاد، لا يشكون بأن ذلك حق، والعمل به جائز، لطفاً من الله تعالى بعباده، ورحمة بهم فى التخفيف، ورفع الحرج عنهم.. أما من حيث عملهم: فلهم فى العمل طريق فى شواهد الحق على شامخ جبال عزائم الشريفة الغراء، يسلكون فيها إلى الله تعالى بتوفيقه وعنايته، وجميل لطفه وصيانته طرقاً وعرة العقاب، صعبة الذهاب.. منهم من يبقى فيها سبعين سنة ومنهم من يقطعها بتوفيق الله فى سنة، وبعضهم فى شهر، وبعضهم فى جمعة، وبعضهم فى يوم، وبعضهم فى ساعة، على حسب معرفة الله الكريم وتقدير حكمة العزيز العليم.

الالتزام بالشريعة أساس الطريق إلى الله:

اعلم أيها الناظر: أن الطريق إلى الله يتطلب كمال الشهود، ولزوم الحدود.. ومن ادعى كمال الطريقة، بغير أدب الشريعة، فلا برهان له.. ومن ادعى وجود الحقيقة، بغير كمال الطريقة، فلا برهان له.

وقد قال أحمد بن عطاء الله السكندرى رضي الله عنه فى كتابه تاج العروس فى معنى قوله ﷺ "**العلماء ورثة الأنبياء**" أن المراد بالعلم فى هذا الموطن: العلم النافع القاهر للهوى، القامع للنفس.. والعلم النافع هو الذى يستعان به على طاعة الله ويلزم الخشية من الله تعالى، والوقوف على الحدود، وهو علم المعرفة بالله.. ولذا فكل من استرسل مع إطلاق التوحيد، ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به فى بحر الزندقة.. ولكن الكمال أن تكون بالحقيقة مؤيداً وبالشريعة مقيداً، وكذلك المحقق لا يكون منطلقاً مع الحقيقة ولا واقفاً مع ظاهر الشريعة، بل يكون بين ذلك

قواماً.. فالوقوف مع الظاهر شرك، والانطلاق مع الحقيقة تعطيل، ومقام الهداية ما بين ذلك.

وقال الإمام العارف بالله السيد أحمد زروق فى كتابه "قواعد الطريقة":

فى الجمع بين الشريعة والحقيقة قاعدة، هى أصل كل أصل من علوم الدنيا والآخرة، مأخوذة من الكتاب والسنة، مدحاً للممدوح، وذماً لمذموم، ووصفاً للموصوف به، ثم للناس.. تلك القاعدة فى أخذها ثلاثة مسالك:

الأول: قوم تعلقوا بالظاهر، مع قطع النظر عن المعنى جملة.. وهم أهل الجمود من الظاهرية ولا عبرة بهم.

الثانى: قوم نظروا لنفس المعنى، جمعاً بين الحقائق، فيؤولون ما يتأول به ويعولون ما يعول عليه، وهؤلاء أهل التحقيق، من أصحاب المعانى والفقهاء.

الثالث: قوم أثبتوا المعانى وحققوا المبانى، وأخذوا الإشارة من ظاهر اللفظ وباطن المعنى.. وهم الصوفية المحققون والأئمة المدققون، لا الباطنية الذين حملوا الكل على الإشارة فهم لم يثبتوا معنى ولا عبارة فخرجوا من الملة، ورفضوا الدين كله نسأل الله العافية بمنه..

انتهى كلامه.

وهؤلاء ما ضلوا إلا من عدم اعتنائهم بسلوك طريق الله، وضبطهم لأصوله فإنهم لو سلكوا لوصلوا إلى عين اليقين، وإذا وصلوا ذاقوا، ومن ذاق أدرك الأمر على ما هو عليه ومن أدرك ثبت، وما رجع عما وصل إليه، ومن أخذ كلام أهل الذوق، الذين بذلوا فى تحريره الجهد والطاقة، وفهمه بعقله القاصر، واستعمل فيه فكره الفاتر، فقد ضل عن سواء السبيل فإن كشف سر هذا العلم الباطن أمر وجدانى، ومقدمات الوصول إليه هى: العمل بالكتاب والسنة وأحكام الأصول، حتى يُفاض عليه من عين المنة.

أصول الطريق إلى الله تعالى

اعلم -أرشدنا الله وإياك- أنه لا بد فى هذا الطريق من أصول، ينبنى عليها طريق الله تعالـــى عند أهله، وهى ذرائع ووسائل إلى النجاة من مهالك الطريـــق، وكل من سلك بغير هذه الأصول، ضل وغوى، وهلك هلاكاً إلى الأبد، ما لم تأخذه عناية ربانية، وذلك نادر فى بعض الأشخاص، وفى بعض الأزمنة.

ومن هذه الأصول التى لا بد منها:

- **معرفة الأحكام الاعتقادية** التى ذكرها علماء الرسوم، استنباطاً من كتـــاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.
- **والأحكام العلمية الشرعية** كلها عبادات ومعاملات، يحتاج إليها السالك فى معاملته مع الحق سبحانه وتعالى، ومع خلقه، ثم استعمال ذلك كله فى وقته المشروع عمله فيه، من غير تأخير.
- **والخلوص من الخواطر** بعد معرفتها ومعرفة أنواعها، وهو أصل عظيـــم فى طريق الله تعالى.. وبيان انتقائها إنما يكون بعرضها علـــى القـــانون الشرعى، فما قبله منها فهو مقبول وما رده فهو مردود، فمـــن لا يعـــرف الشرع كله، كيف يعرف الخواطر؟
- **ولا بد من معرفة الأخلاق الحسنـــة** كالتقوى والزهد والورع ونحو ذلك، واستعمالها فى مواضعها.
- **ومعرفة الأخلاق السيئة** كالحقد والحسد. والحرص على الدنيـــا والريـــاء ونحوها واجتنابها ثم الدوام على ذلك، من غير تحول عنه.
- **ومطالعة مواجيد العارفين** من أهل الكمـــال والاقتبـــاس مـــن أنوارهـــم والمشى على طريقتهم، مع محبتهم وحسن الظن بهم وبكلامهم، وإســـاءة الظن بنفسه إذا لم يفهم شيئاً من مواجيدهم الإيمانية، لكمالـــهم ونقصانـــه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

الحقيقة بغير شريعة زندقة

قال الإمام السيد علوان فى كتابه المسمى "مصباح الهداية ومفتاح الولاية":

إنه لا بد من ضبط الشريعة، وإلا فالحقيقة بغير شريعة زندقة شهدنا ذلك وخبرناه، فإن المرشد الصادق أول ما يرشد المريدين، يرشدهم إلى ضبط أحكام الشرع، وتطهير النفس وتصفية القلب وصقله بدوام الذكر والمجاهدة، فإن أنجلت الحقيقة فيه بعد ذلك، كان نوراً على نور، وإن لم يفتح له فى الحقيقة، فهو على ساحل السلامة فى بر الشريعة.. وريادة الطريق قبل معرفة الشرع وضبطه وحفظه، قولاً وفعلاً، هو إلى الزندقة أقرب إلا أن يكون مجذوباً جذبة ربانية فيطرح فى طور لا يعرفه إلا من شهده، وربما برز على ظاهرة ما هو مخالف لظاهر الشريعة، وهو حق من حيث الحقيقة، وشاهد ذلك قصة الخضر مع موسى عليه السلام، كما تضمنها الكتاب العزيز والسنة، لكن هاهنا زلة أقدام، وموطن الدعاوى والغلط.

واعلم -أنار الله بصيرتك- أن بركة عوائد التمسك بالشريعة الغراء أعظم بركة من نخلة مريم، وإياك أن تفرق جمع قلبك على الحق، وتمسك بحبل الله المتين، والزم الفرائض والنوافل، فما بعد هدّى المصطفى وشريعته المستنيرة حيرة، ولا بغير سيرته العالية، وسيرة أصحابه سيرة.. لكن الأمر كما قال تعالى فى كتابه العزيز ﴿**من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا**﴾ (الكهف: ١٧).

ومن زعم أنه وصل إلى مقام أسقط عنه الخطاب بالفرائض، فهو مدّع مبتدع يخاف عليه الكفر، فإن أكمل الكاملين سيد الأولين والآخرين ﷺ لم يزل قائماً بوظائف العبودية فرضاً وسنة، حتى لقى الله ﷻ، وكان فى مرض موته يعان، فينطلق إلى المسجد، ورجلاه يخطان فى الأرض، من شدة الضعف، محافظة على الصلاة فى الجماعة وكذلك أكابر الأنبياء والرسل عليهم السلام.. ولقد سلك هذا

المسلك أكابر العارفين حتى أنه نقل عن الشبلى فى مرض موته، أن خادمه وضأه فنسى أن يخلل لحيته، فأشار إليه يأمره بتخليلها.. فعلى قدر المعرفة يكون الحب وعلى قدر التقرب بالنوافل والفرائض، يكون القرب، فاستعن بالله على قطع ما يقطعك عنه فإنه لا وصول إليه إلا به، وإياك أن تغتر بشئ يكشف لك، فتفتر مجاهدتك بعدما صارت لك خلقاً، لأن مطلبك عالى المقدار، لا يصل إليه إلا كل من كانت همته عالية، ولا يهتدى إليه إلا كل من صحت إرادته.

الحقيقة لا تخالف الشريعة:

قال الشعرانى ﷺ فى كتاب "الجواهر والدرر": ما ثم حقيقة تخالف شريعة أبداً، لأن الشريعة من جملة الحقائق بلا شك، والحقائق أمثال وأشباه.. ولكن لما كانت الحقيقة عالية لا يقدر على التحقق بها كل أحد لذلك فرقوا بينهما، فجعلوا الشريعة لها ظاهر للخاص والعام من أحكام الحقيقة، وجعلوا الحقيقة لها باطن من أحكامها، وإن كان الحق تسمية الباطن المذكور ظاهراً، لأنه لولا ظهوره للخلق ما علموه، فيكون على هذا تسميتهم لما خفى إدراكه على بعض العقول، حقيقة من قبيل الاصطلاح وإلا فالكل شريعة، لأن الله تعالى شرع ذلك لنبيه ﷺ.

ولما سأل جبريل عليه السلام سيدنا محمد ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، أجابه على كل واحد بجواب، ففرق بذلك بينهم، فجعل رتبة الإسلام هى الشريعة ورتبة الإيمان هى الطريقة، ورتبة الإحسان هى الحقيقة.. وقال فى آخر الحديث: "**أتدرون من السائل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذلك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**".. ومعالم الدين هى الدين، فالفرق للتعريف والتبيين.

ولما كانت المراتب ثلاثة: مرتبة عموم، ومرتبة خصوص، ومرتبة خصوص الخصوص، لذا جعلوا للأولى: اسم الشريعة، وللثانية: الطريقة، والثالثة: الحقيقة.. وبعضهم جعل الشريعة أقواله ﷺ، والطريقة أفعاله، والحقيقة أحواله، مع أن أفعاله ﷺ شريعة، لأنها مشروعة من عند الله وحاله الذى هو عليه مشروع

أيضاً فإنه وارد من الحق سبحانه، لكن من طريق الباطن، ومن تدبر قصة موسى والخضر عليه السلام، علم أن كل واحد منهما كان على شريعة من ربه، لكن لما خفي على موسى عليه السلام ما أظهره الخضر سمى علمه حقيقة، وإن كان موسى عليه السلام أرفع منه مقاماً وعلماً وحالاً لكن قد يوجد في المفضل ما ليس في الفاضل.

قال ابن غانم المقدس رضي الله عنه في كتابه "حل الرموز وفتح الكنوز":

اعلم أن العلم علمان: علم الظاهر للشريعة، وعلم الباطن للحقيقة.. قال رسول الله ﷺ: "*العلم علمان: علم باللسان وعلم بالقلب، فأما علم اللسان فهو حجة الله على العباد، وأما علم القلب فهو العلم الأعلى*"، **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** (فاطر: ٢٨). فعلم القلب: هو العلم اللدني، الذي لم يسطر في كتاب ولا قرطاس، وإنما هو تلقين الله تعالى بغير واسطة، مثلما علم الخضر عليه السلام بالعلم اللدني ما لم يعلمه موسى عليه السلام بالوحي، فقتل النفس الزكية بغير نفس.. وهذا على ظاهر الشريعة عدوان محض ولكن ظهر تحقيق فعله، بعلم آخر لدني، لم ينقل من الكتاب والأوراق وإنما جاء وحياً من الملك الخلاق، فوجب على موسى عليه السلام إنكاره واستقباحه، قياماً بالحدود وعملاً بالشريعة، إذ هو مشرع ومقتد به، فلو سكت على ذلك لأنكر عليه.

وكذلك تأدب الخضر معه بقوله **﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾** (الكهف: ٦٧).. وهذا غاية الأدب من الخضر عليه السلام لأنه علم أنه يرى ما لا تقرره الشريعة فقال: "**إنك لن تستطيع معى صبرا**" أي على ما يخالف الشريعة يا معلم الشريعة.

ثم لما أعلمه الخضر بما لم يدخل في علم الشريعة، علم موسى عليه السلام: أن الشريعة جسد، والحقيقة روحه "وإذا لم يكن للطريقة سفينة، غرق نوحها". وقد بين الخضر أصل مأخذه فقال: **﴿وما فعلته عن أمرى﴾** (الكهف: ٨٢) أي بأمر الله تعالى.. وحيث كان فعله بأمر الله كان مشروعاً، وسمى شريعة ولكن بعد البيان،

وهذا علم الحقيقة المخالف لظاهر الشريعة، إذا كشف عنه المكاشف ظهر، ومتى ظهر كان شريعة.

وقد أشرف النبى ﷺ على الشريعة والطريقة والحقيقة.. فشيد أركان الشريعة للعاملين، وأوضح أفعال الطريقة للسالكين، ورمز فى علم الحقيقة للعارفين، وكل من اتبعه فى أحدها، كان اتباعه كاملاً، فوهبهم الحق بحسن الاقتداء نوراً قلبياً، يدركون به ما دق فهمه على غيرهم.. فإنه قد أوحى الله إليه ﷺ ثلاثة علوم:

الأول أمر يبثه وهو علم الأحكام.

الثانى أمر خير فى بثه وهو علم الأسرار.

الثالث أمر يكتمه وهو سر القادر القهار.

ولا يجمع بين الثلاثة: الشريعة والطريقة والحقيقة، إلا الصوفى الكامل

فاعلم -أنار الله بصيرتك- أن علامة محبة الله، اتباع رسوله ﷺ لقول الله العظيم **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾** (آل عمران: ٣١). فعلى قدر الاتباع يكون الارتفاع والانتفاع، وعلى قدر الابتداع يكون الانخفاض والانصياع.. قال أبو الفيض ذو النون المصرى ﷺ: "من علامة المحبة متابعة حبيب الله ﷺ فى أخلاقه وأفعاله وأوامره".

علم الحقيقة وعلم الشريعة:

قال ﷺ: "**أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم**" (رواه الديلمى عن ابن عباس ﷺ).. فعلم من هذا الحديث الشريف أنه ليس كل علم يجوز إفشاؤه.

وورد فى ذلك أيضا: "**لا تحدثوا أمتى من أحاديثى إلا بما تحتمله عقولهم**" (رواه أبو نعيم)، وفى منهاج الأعمال: "**ما أنت محدث الناس حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان على بعضهم فتنة**" (رواه بن عباس).

أما ورد فى كتم العلم النافع، فهو مقيد بما تحتمله العقول لقولـــه ﷺ "من كتم علماً مما ينتفع به الناس فى أمر الدين، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار" (رواه الأربعة).

وبعضهم يعبر عما يصدر من أرباب الأحوال، من كرامات ومشاهدات أنها حقيقة، وما يصدر من أرباب السلوك من التوجهات والمجاهدات بأنها طريقة، وما يظهره علماء الظاهـــر بأنها شريعة، مع أن الكل شريعة.. فمن كـــان مشـــاهداً أن الكل شريعة، وأنه لا مخالفة بين ما يسمونه حقيقة وشريعة فهو الناجى، ومن فرق ليعطل ظاهر الشـــريعة، أو تسبب فى ترك مأموراتها وســـنتها ومندوباتـــها فـــهو زنديق هالك غير سالك.

فالشريعة: أن تعبد الله.. **والحقيقة:** أن تشاهده.. الشريعة قيام بما أمـــر الله والحقيقة شهود لما قضى الله وقدر وأخفى وأظهر.

وقال أبو على الدقاق: ﴿**إياك نعبد**﴾ حفظ للشريعة.. و﴿**إياك نســـتعين**﴾ إقرار بالحقيقة.. فاعلم -أنار الله بصيرتك- أن الشريعة حقيقة، مـــن حيـــث أنـــها وجبت بأمره، والحقيقة أيضاً شريعة، من حيث أنها وجبت علـــى العـــارف بـــالله سبحانه بأمره.

والعلم علمان: علم الشريعة وعلم الحقيقة.. وللعلماء فى ذلك عبارات منها "الشريعة أمره ونهيه، والحقيقة قضاؤه وقدره.."، ومنها: "الشريعة علـــم ظواهـــر الأحوال، والحقيقة علم بواطنها".. فإن قيل: أيهما أفضل علـــم الشريعـــة أم علـــم الحقيقة؟ فيحتمل أن يقال: علم الشريعة لقـــول النبـــى ﷺ: "سيد العلوم الفقه" وقوله: "فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد"، وقوله: "من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين".. ويحتمل أيضاً أن يقال: همـــا ســـواء والاحتمـــال الأول أقرب.. وقال بعضهم: هما يرجعان إلى شئ واحد، فإن علم الشريعـــة هـــو علـــم

ظواهر الأمور، والحقيقة علم بواطنها.. وهذا الأخير هو المعول عليه عند ذوى الجد والتشمير أرباب التمكين.

الأحكام الشرعية ومعرفة النفس:

اعلم -أيها الناظر- أن من ثمرة القيام بالأحكام الشرعية هى معرفة النفس.. فالمعرفة الكاملة المرغوب فيها هى المشار إليها فى الحديث: "**من عرف نفسه فقد عرف ربه**".. وقد تطاولت أعناق من التبس عليهم الأمر، حتى سمى بعضهم أنفسهم بالعارفين..

وسأذكر لك نبذة فى وصف المعرفة وأهلها، لتسعى فى التخلق بها، إن كنت كفئاً لها، فليس كل مدع تسلم له دعواه، ما لم تقم بينة على صدقه فى سره ونجواه، فإن المتكحل ليس كالكاحل، لأن شأن مقام الخاصة عزيز، وطلابه أعز، وطريق معرفة النفس والرب، بكل توجه سرى وقلبى أحق، غير أن الدعوى ظلام، وتركها نور، ومن يمشى فى نور النور رفعت عنه الستور ومن قال أنا، وقع فى العنا، ومن أقر بالعجز وألقى السلاح، سلم من المقاومة واستراح.

والأنانية هى العلة الأصلية.. فقد ورد فى بعض الأخبار أن الله تعالى لما خلق الدنيا أوجدها وقال لها: من أنا؟ قالت له مجيبة: أنت الله الواحد الأحد.. وخلق النفس وقال لها: من أنا؟ قالت: ومن أنا؟ فبدع لها العذاب فلم تذعن، حتى ألقاها فى بحر الجوع، فأقرت له بالوحدانية، واعترفت له بالعبودية، لذا كانت الأنانية اصل العلة النفسانية.

والنفس مشتقة من المنافسة أى المنازعة، لأن التنافس تنازع، فظهرت منها المنازعة للربوبية فوجب فيها الجهاد، ليردها صاحبها إلى مقام العبودية، لذا قال الله ﷻ: ﴿**وجاهدوا فى الله حق جهاده**﴾ (الحج: ٧٨).. وقال عبد الله بن المبارك فى تلك الآية: "هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد، وهو الجهاد

الأكبر"، على ما روى به الخبر أن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر".

وقال الحسن ﷺ في قوله تعالى ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ (البلد: ١١) هي والله عقبة شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه، وعدوه الشيطان.

وعن سهل بن عبد الله ﷺ يقول الله تعالى: "*ماخلقت خلقا ينازعني في ملكي غير النفس فإن أردت رضائي فخالفها*".

وفي الحديث "أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك".

وقال محيي الدين الطائي ﷺ: نفسك أقرب عدو لك، وأعداها عليك، نفسك التي بين جنبيك فيها شغلاً شاغل للعاقل، فكل من لم يجاهد لم يشاهد، ومن لم تكن له في بدايته قوة لم تكن له في نهايته جلوة، وحركات الظاهر تنور حركات السرائر، ومن لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة، فالمجاهدة تعقبها المشاهدة، والمشاهدة تورث الفناء، وتبلغ صاحبها المنى.. فمن جاهد نفسه دام قدسه.

حقيقة المعرفة والعارف

اعلم -أنار الله بصيرتك- أن المعرفة هي إدراك الشئ، على ما هو عليه. ونعرض هنا أقوال العلماء في تعريف حقيقة المعرفة والعارف.. فالمعرفة على لسان العلماء هي العلم، فكل علم معرفة، وكل معرفة علم، وكل عالم بالله عارف بالله، وكل عارف بالله عالم بالله.

● قال القشيري ﷺ:

وعند هؤلاء القوم: المعرفة صفة من عرف الحق تعالى بأسمائه وصفاته، وتنقى من أخلاقه الردية، ثم طال بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتكافه وأنقطع عنه هواجس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر بدعوة إلى غيره، ودام في السير مع

مناجاته، وصار محدثاً من قبل الحق سبحانه، بتصريف أسراره فيه وما يجريه فيه من تصاريف أقداره، فيسمى عند ذلك عارفاً، وتسمو حاله: معرفة بربه ﷻ.

● قال النهرجورى ﷺ: "قلت لأبى يعقوب السوسى: هل يأسف العارف على شئ غير الله ﷻ؟ قال: هل يرى غيره فيتأسف عليه؟ قلت: فبأى عين ينظر الأشياء؟ قال: بعين الفناء والزوال".

● وقال أبو زيد البسطامى ﷺ: العارف الطيار، والزاهد سيار.. وقال أيضاً: العارف تبكى عيناه، ويضحك قلبه.

● وقال الجنيد ﷺ: لا يكون العارف حتى يكون كالأرض، يطأها البار والفاجر وكالمطر يسقى ما يحب وما لا يحب.

● وقال يحيى بن معاذ ﷺ: يخرج العارف من الدنيا، ولم يقض منها وطره من شيئين بكائه على نفسه، وثنائه على ربه.

واعلم -أنار الله بصيرتك- أن من كانت بدايته الخوف فغايته الجمال.. ومن كانت بدايته الرجاء فغايته الجلال.. ومن كانت بدايته المعرفة فغايته الكمال والجمال.. ومن أراد أن يعرف الله فليعرفه منه..

واعلم أيها الناظر أن المعرفة والسرور لا يجتمعان فى واحد فى الدنيا أبدا، والمعرفة والحزن لا يجتمعان فى واحد فى الآخرة أبداً.. وما دام الرجل فى هذه الدنيا فهو على خطر، ولو بلغ ما بلغ، لأنها دار المكر والتبديل، وقد ذم الله الفرح فيها، لعدم تحقيق أسبابه من جميع الوجوه.. فإذا انتقلت إلى دار التمييز والتخليص، وانسبغ من انسبغ فى الفضل والرحمة، فحينئذ يحق الفرح.. وقد يؤتى العبد هناء الرحمة والفضل ويمنعه من الفرح بهما، شغل القلب بأداء الحقوق هنا، وهناك ليس كذلك فكيف يسر العارف بمعرفته هنا، وفى الأمر ما ذكرنا؟

قال أبو الحسن الشاذلى ﷺ:

اعرف الله ثم استرزقه من حيث شئت غير مكب على حرام، ولا راغـــب في الحلال، ودم في عبادته، ولا تخنه في أمانته، واعبد الله باليقين تكن إماماً مـــن أئمة الدين، وارجع إلى علم الخاصة تكن من الوارثين، ولـــك أســـوة فـــي ســـيد المرسلين، ومتحققاً في النبيين. ومن نسب أو أضاف، أو أحب أو أبغض، أو تقرب أو خاف، أو رجا أو سكن، أو أمن لشئ أو بشئ، غير الله تعالـــى، أو تعدى حدود الله، فهو ظالم، والظالم لا يكون إماماً مصداقاً لقول الله العظيم ﴿**إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾ (البقرة: ١٢٤). ومن صدق الله في يقينه فهو إمام.. انتهى كلام الشاذلي.

وخلاصة القول هو:

وكيف عرف بالمعارف من به عرفت المعارف؟ أم كيف يعرف بشئ مـــن سبق وجوده كل شئ؟ وحقيقة المعرفة هي: الغنى بالله عن كل شئ ويكون غنـــاؤك به عن البرهان، ويمحق عنك الغفلة والنسيان.. لأن حقيقة المعرفة: استواء العارف بوصف معرفته على كل شئ سواه، وهو محل الغنى بالله تعالى، عن كل شئ دون مولاه، لأن المعرفة والمحبة والمواجيد الخفية، أذهبت عنه الأعراض والأغـــراض والأمراض..

قال يحيى بن معاذ ﷺ: في الدنيا جنة، من دخلها لم يشتاق إلى الجنة قيل له: وما هي؟ قال: معرفة الله على الوجه الأكمل.

صفات الولي وعلاماته:

اعلم -أنار الله بصيرتك- أن الولي هو العارف بالله تعالى وصفاته علـــى حســـب الإمكان المواظب على الطاعات، المجتنب للمعـــاصي، المعـــرض عـــن الانهماك في اللذات والشهوات المباحات، لأن الله تعالـــى تولى أمره، فلم يكله إلى نفســـه، حتى يكون الولي ولياً في نفس الأمر بحيث يتحقـــق قيامـــه بحقـــوق الله

تعالـــى، ويتحقق دوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء وهـــذا مـــا قالـــه القشيري وغيره.

فالولي له أربع علامات، وهي شرط في طريق الولاية:

أحدها أن يكون عارفاً بأصول الدين، حتى يقرب بيـــن الخلـــق والخـــالق، والمبني والمتبني.

الثانية أن يكون عالماً أحكام الشريعة نقلاً وفهماً، ليكتفي بنظره عن التقليد في الأحكام الشـــرعية، كما اكتفى عن ذلك في أصول التوحيد، حتى يكـــون لـــو أذهب الله تعالى علم أهل الأرض لوجد عنده ما كان عندهم، ولأقام قواعد الإســـلام من أولها إلى آخرها.. ولا يفهم من قولنا أن ولي الله هو الناصر لدين الله تعالى لا غير، فذاك ممتنع في حق من لا يحيط علماً بدين الله تعالى، وقواعـــده وأصولـــه وفروعه، وعلم أسرار الله تعالى وفتوحاته، ومواهبه وعلومه اللدنية.

الثالثة أن يتخلق بالأخلاق المحمودة، التي يدل عليها الشرع والعقل.. فمـــا يدل عليه الشرع: كالورع من المحرمات، وامتثال جميع المأمورات.. وأما ما يدل عليه العقل: فهو ما يثمره العلم بأصول الدين.. وهو أنه إذا علم مثلاً حدوث العالم بأســـره، لم يتعلق قلبه بشئ منه، لا خوفاً منه، ولا طمعاً فيه لعلمه بأنه في قبضـــة الله سبحانه.. وإذا علم الوحدانية أخلص لله تعالى في أعماله، إذ الربوبية لا تحتمل الشـــركة في شئ.. وإذ علم أن القدر سابق بما هو كائن، لم يخف فوات شئ ممـــا قـــدر له، ولم يرج نيل شئ مما لم يقدر له، وهذا هـــو المعـــبر عنـــه بالرضـــا بالقضاء.. وبتحققه بذلك يلتزم الرفق بالخلق، والصفح عنهم، عند أذيتهم له، لعلمـــه أنهم لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضر، ولا جلب نفع فضلاً عن غيرهم.

الرابعة أن يلازم الخوف أبداً سرمداً، ولا يجد لطمأنينة النفس سبيلاً فإنه لا يحيطـــه علماً بأنه من فريق السعادة في الأزل، أو من فريق الشقاوة.. فهو ينظـــر إلى أســـباب الشقاوة وإماراتها، فيجدها منحصرة في المخالفات فيجتنبها: وهذا هو المعبر عنه بالورع وما حصـــل له من الموافقات، يخاف من زوالـــها بأضدادهـــا،

حتى يخاف أن يدعوه علمه وفهمه إلى الشك والجهل.. وكذا يخاف أن يطالبه ربــه بالقيام بشكره فيما أنعم به عليه، فلا يطيق.. وكذلك يخاف من توجه الحقوق عليــه للآدميين وغيرهم، فتنقل أعماله إلى صحائفهم.. وهذه أحوالــهم مــع الله ســبحانه وتعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب.. ومع هذا لا يصل الولى، ما دام عــاقلا بالغا إلى رتبة تسقط التكليف عنه بالأوامــر والنواهى، لعمــوم الخطــاب الــوارد بالتكليف وإجماع أئمة الدين على ذلك.. والأولياء ﷺ محظوظون، لأنــهم كلمــا أذنبوا وفقهم الله تعالى للتوبة والاستغفار، لأنهم غير معصومين، ولا يمتنع وقــوع الذنب منهم ولذلك لا يأمنون مكر الله ســبحانه، بل يرجــون رحمتــه، ويخــافون عذابه، جعلنا الله منهم بفضله وحلمه ورحمته.

وتلخيصا لما سبق نقول:

- إن الولــى هو العارف بالله، بإجمــاع الأئمــة والمشــايخ، أى المعرفــة الكاملة المشار إليها من أول الكتــاب إلى آخره.
- والعارف مطلق الباطن، مقيد الظاهر، بحساب بواطن الأحدية والظواهر.
- والعارف بالله تتنزل به، وله ومنه، أحكــام الأزل، فى مــــهابط الإبــدال مستقر الذوات حيث لا تتناهى الصفات.
- والــعارف بالله آثاره أنواره، وأنواره صفاته، وصفاته ذاته.
- فالــعارف نوره ظاهر، وسره باطن، ومصان لا يدرك معنــاه، إلا مــن دخل مغناه.. ولا يفهم معانى لبابه، إلا من تعلق بأبوابـــه، ولا يتخلــق بأطواره إلا من تحقق بأســراره.. فهو لا يكون إلا مجهــــول الحــال، كلامه من عين المنة، لأنه مؤيد بالكتــاب والســنة، ولا يخــالف ظــاهر الشريعة بحال، لأنه عرف الأمر على ما هو عليه، وسير به إلى منزلــــة القرب، حتى وصل إليه، فكشف له عن أسرار الغيوب، وفتق لـــه رتــق الجيوب، فصار بعده نافذ الإدراك، فوقف عند رسوم الشريعة، مع شـــهود الحقيقة الرفيعة وتمسك بكل منهما.

فهذا وصف العارف، الذى من بحر المعرفة غـــارف، وشمســه مشرقــة وإدراكها محرقة، معلوم فى السماء عند أهل السماء، ومجهول فى الأرض عند أهل الغرض جامع بين قرب النوافل وقرب الفرائض، حكيم يعطى كل مريض ما يناسبه من الدواء.. واعلم أن كلام الرجال يضر بالصبيان، ويجب صون الأســرار عــن الأشرار القاصرين، أهل الإنكار، وأن الأدب وجماع الخير والشرع، ما شــرع الله فى كتابه فإن الطريق إلى الله لا يعرف إلا من كتابه.

وهكذا نكون قد وصلنا إلى نهاية المطاف، فى بيان فضائل العلم بالشريعة.. وننتقل إلى الفصل التالى، فى بيان فضائل العلم بالطريقة حتى يسير السائرون فــى طريقهم إلى الله، على بينة من أمرهم، ونور من ربهم، يهدى به من يشـــاء إلــى صراطه المستقيم.

الفصل الثانى

فى فضائل العلم بالطريقة

ما هى الطريقة؟

اعلم أيها الناظر – أنار الله بصيرتك، ورزقنا وإياك الفهم، الموافق لمـــراد الملك القدوس، فإنه لا نجم بعد ظهور الشمس – أن المراد بالطريقـــة هـــو منـــهاج الولاية القويم، والمنتهج فيه لابد له من معرفة علمين وعملين فمن لم يتخلق بهما، فلا يصل إلى ذلك المقام، ولو عاش ألف سنة.

فأما العلمان فهما: علم الشريعة الغراء، وعلم الحقيقة البكر.. والمراد هنـــا بعلم الحقيقة هو العلم بوحدة الله تعالى.

وأما العملان فهما: عمل بظاهر الشريعة، والتزام التكـــاليف المشروعـــة وندب المريدين إلى ذلك.. وعمل يترك صاحبه الوسائط، ويعمى عن السوى، فـــلا يرى إلا الله.

والطريقة تشمل الجمع بين ذلك العلمين والعملين، قلباً وقالباً، روحاً وجسداً، ظاهراً وباطناً حتى يتحقق لك السلوك القويم، الذى يستهدف مدارج المتقين، وهو ما سوف نشرحه فيما يلى

أولاً: علم الشريعة المشروط فى سلوك الطريقة

علم الشريعة هو أن تعلم أن الله تعالى أمرك ونهاك.. أمرك بطاعته ونهاك عن معصيته.. وتعلم أن كل جارحة منك مكلفة.

فالبصر مكلف بالغض عن نظر المحرمات، وقاية للإنسان، بعـــد النظـــرة الأولى المعفو عنها شرعاً، وكذا فى كل عمل يتوجه إليه ببصره.. ومن لم يشـــاهد فى أحواله مثل هذا فدعواه كاذبة.

وأما السمع فإنه مكلف باتباعه لأحسن الأقوال، وإعراضه عن أقوال السوء، تصديقاً لقول الحق ﷻ:﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾ (الزمر:١٨). فعليه بسماع العلم ومواظبة مجالس الذكر، والعمل بما يسمعه فيها.. فلم يزل يحن إلى الأوكار، وصدق حنينه إليها العمل بما يسمع على قدر الاستطاعة، فمن نودى من جهة قد تعشق لها وكلف بها، لأنها منزلة حبيبه، حنّ إلى ذلك النداء، فمن ناداه حبيبه من جهة حن إليها، ولم ير إليها بديلاً.. فمن ناداه الحق من جهة الخلوة استوحش من المخلوقات وآثرها على جميع المقامات.. ومن ناداه من جهة الحكم يباشر الناس ولا يباشرونه، ومن ناداه من جهة التأثيرات الحرفية يباشره الناس حتى يؤذوه.. وكل صاحب مقام فرح بمقامه مسرور به، يدعو نفسه وغيره إليه مصداقاً لقول الحق ﷻ : ﴿**كل حزب بما لديهم فرحون**﴾ (المؤمنون:٥٣). وهذا بخلاف الكامل فى العبودية، فإنه لا يحنّ إلى مقام أصلاً، ولهذا لا يقتصر على مقام، وإنما هو صاحب الوقت وداعية جامع الحكم، لا يدعوه غيره أبداً، إلا من حيث يرى قوته تميل إليه.. فمن هناك يدعوه إليه إما بالموافقة أو بالمخالفة، على حسب ما يرى أنه الأصلح به، ولا يدعوه بقصد، إلا من حيث حكمة الوقت.

وأما اللسان فإنه مكلف بقلة الكلام، إلا ما يعرض عليه من نصح أو رشد، ودوام الذكر واسترساله مع التلاوة، إذا كان من أهل القرآن، وصدقه فى الحديث، وإذا سأل فلا يسأل إلا فيما فيه فائدة سعادته.

وأما اليد، فالإنسان مكلف ألا يبطش بها فى محرم، مثل من لمس امرأة لا تحل له، أو قتل أنسانا أو لطمه أو سرقه، أو لمس ذكره بيمينه عند البول، وألا يدخلها فى الإناء عند الانتباه من النوم، أعنى فى وضوئه.. وكل ما شابه ذلك من عدوان اليدين.

وأما البطن، فهو مكلف بالورع فى الاكتساب، والبحث عن الكسب، وإذا أكل لا يمتلئ من الطعام ولا من الشراب، حذرا من الكسل عن الطاعات فما ملئ وعاء شراً من بطن ملئ بالحلال.

وأما الفرج، فهو مكلف بما يحفظه من التحرك إلى غيره أهله.. وهو أمـر يقع في قلب العبد المعتنى به، على حسب مقامه.. فيسمى ذلك الأمـر فـي حـق شخص **خوف**، و في حق شخص **قبض**، وفي حق شخص **هيبـة**، وفـي حـق شخص **جلال**.. هذا مع الحضور، فإن كان غائباً كان في حقه: أما سكراً أو محـواً أو محقاً أو فناء على الاختلاف المقامات.. وهذه كلها على تفاصيلـها، إذا تحقـق شخص ما بإحداها، منعته قطعاً من أن يتعدى حدود الله، الذي هو سـيده ومـولاه، وألا يراه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، فإذا شاء سبحانـه إنفاذ قوله ﴿**وكـان أمر الله قدراً ومقدوراً**﴾ (الأحزاب:٣٨) على عموم الأفعال في العبد بإيقاع زلة مـا منه، فإنه يقبض عنه المقام، بغفلة تحصل مكـانه، حتى ينفذ فيه الأمر، ويجـري عليه القدر، بما أراده الحكيم ثم يرده إلى مقامه.

قيل لأبي يزيد: أيزني العارف بالله؟ قال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً ثم يرده إلـى مقامه بعد ذلك، إن كان من أهل العناية والوصول فتكون توبته من ذلك على قـدر مقامه، فيرجى أن يكون في قوة تلك التوبة وعلو منصبها، أن تمحو ما جرى عليه وقت الغفـلة حتى تكون له وكأنه ما خسر شيئاً وما أنتقل، كتوبة ماعز التي قـال فيها الرسول ﷺ: "لو قسمت بين أهل السماوات والأرض لوسعتهم".

أما القدمان فهما مكلفان بالسعي بهما في قضاء الحوائج للمسلمين والأخوان في الله، والسـعي على العبادات وإليها، وعلى العيال، وكثرة القـدوم بـها إلـى المسجد، والنزول في الحرب، والثبات يوم الزحف، وغير ذلك.

وأما القلب، فهو مكلف بالانتباه واليقظة، والفكر والهيبة، وتـرك الحسد والغل، إن كان من أهل الأحوال الموقوفة على الخلوة.. ودوام الحزن علـى قـدر مقام المحزون والتوكل والتفويض والتسليم، والفرح بموارد القضـاء، والمراقبـة والتنزه في العالم، وفي فعل الله فيهم وفيه، وما هو أشباه ذلك.

وكل فعل حسن للجوارح، أساسه انتباه القلب.. وهذه الأعمال كلها ما بيـن إرادة وسـلوك ليس لها زوال عن شخص حتى يموت، فإن عدمها السالك المريـد

فى أحواله وطريقه، فهو مخدوع، وأما الواصل فلا يتصور منه ترك لـــها أصــــلاً، وإن ادعـــى الوصول وترك المعاملات، فدعواه كاذبة ولو فتح له فى عالم الكونيين وسر العالم، فيكون ذلك استدراجاً ومكراً نعوذ بالله من ذلـــك.. ولا ســـبيل إلـــى الوصول إلى نهـــاية صحيحـــة، صافية من الثوب الإبليسى، وخالصة من الغرض النفسى، ما لم يتخلص المريد أولاً من رعونة النفس ومكدرات البشرية.. وعلامـــة المفترى المدعى الوصول: رجوعه إلى رعونة النفس وأغراضها، ولهذا قال أبـــو سليمان الدارانى ﷺ وهو من أكابر المشايخ: "لو وصلوا ما رجعوا، وإنما حرموا الوصول لتضـــييعهم الأصول، فمن لم يتخلق بالعلمين والعمليـــن المذكوريـــن لـــم يتحقق بالطريقة، أعنى منهاج الولاية.. وعلامة من صح وصوله: خروجـــه مـــن الطبع، والأدب مع الشرع، واتباعه حيث سلك.

واعلم أيها الناظر أن الشفاء الشافى، والدواء الكافى، للسالك المريـــد هـــو: العلـــم بالطريقة بشرط التوفيق، فإذا اجتمع لك، فلا حائل بينـــك وبيـــن التحقيـــق، ومعرفة الحق من الباطل.

ثانياً: علم الحقيقة المشروط فى سلوك الطريقة

إن الكلام عن هذا العلم مهم، لأن القوم لم يسلكوا هذا الطريق إلا بالشريعة والحقيقة معاً.. والشرط من علم الحقيقة: معرفة الله.. ومعرفته الكاملـــة العاليـــة لا وصول لها إلا من طريق الاسم الأعظم، اسم الجـــلالة الله لأن الوجود لم يتحقـــق إلا به، وتجلياته تعالى كلها داخلة تحته، فكمالاته لا تنتهى، وعليه مدار الطريقـــة.. وقد ذكر الله هذا الاسم فى القرآن العظيم فى ٢٦٩٧ موضعاً، وهو الاسم العظيـــم الأعظم، وهو مركز العظمة والعلم والقوة والحكمة.. فمن طلبه به، صح توحيـــده ووصل ومن طلبه بنفسه، ورأى لها أعمالاً لم يصح توحيده، ولم يصل إلى بغيتـــه فهو الواحد الموحد لنفسه.

فالتوحيد عظم شأنه، على مكانة رفيعة، لا يحيط بحقيقته إلا أهل الكمـــال، ولا يبلغ معناه إلا أفراد الرجال، وهو من أفنـــاه الله، وجرده من أثـــواب الرســـوم

والإحساس، وجعل همته لا تتعلق بدنى ولا فانى، ولا يلتفت إلى حظ جسماني.. فإذا علم الله من قلوبهم أنها معلقة به لا تلتفت إلى شهوة دنياه، ولا لنعيم آخرته، أودع فيها ذرة فلاح لهم بقدرها، من بهاء جماله، فتاهوا بها عن دائرة الرسوم، وغرقوا فى بحر عزه وبهائه، فأخرجهم عن دائرة العقل المخصوص بتحقيق المواهب والفضل، فصاروا للتقرب أهلاً، ولكشف أسراره أحق وأولى، فلاحت لهم أنوار البصائر واتضحت لهم بها خفية الضمائر، واطلعوا بها على الغوامض الغوائر فصاروا من أهل البصائر الصوفية، الذين لا تخفى عليهم خافية.

فإذا أراد علام الغيوب، أن ينقلهم لدائرة القلوب، أفاض عليهم أنوار المعارف الربانية فألقاهم فى بحار اللطائف الفردية، فغابوا عما شاهدوا من الغوامض الخافية، والمراشد السامية، وعما أتحفوا به من العلوم الدينية.. واستقروا فى رياض الأنس، وطعموا من ثمار المشاهدة، وشربوا من شراب الوجد والوجود، وغابوا عن الشهود، واضمحلت الأفعال فى وجود الفعال، فجمعت الأوصاف فى الموصوف، وتلفت البواقى فى وجود الباقى، فصار الطالب مطلوباً، والشاهد مشهوداً، والعارف معروفاً، والواصف موصوفاً، والقاصد مقصوداً، والأسماء مسمى، والنعت منعوتاً.

فمن أدخله الله لهذا الروض الأنيق، وسقاه من الرحيق، وحققه بهذا التحقيق، وسلك به هذا الطريق، وجعله فى بحر الفردانية غريق، وتحقق بوجود الذات الجامعة للأفعال والأسماء والصفات، وأتحفه الله بهذه المعارف الكاملة، وأطلعه على هذه اللطائف الشاملة، وأفاده إلى السر الأعظم المكنون، الخفى المصون، الذى لا يسعه وصف الواصفين، ولا يدخل تحت دائرة الفنون، ولا يطيق إدراكه التائبون ولا العابدون، ولا الحامدون، ولا الآمرون بالمعروف، ولا الناهون عن المنكر، إلا من ظفره الله بإمام واصل كامل، قد فنى عن الفناء، وبقى بالبقاء، جامع لجمع الجمع، فارق لفرق الفرق، عليم بعلم واحد، قد اضمحلت الاثنينية، عنه وظهرت له الفردانية، انقطعت عنه الأنانية، وغاب عن غير الله،

وكان عنده بلا علم ولا عمل، ولا حال ولا مقام، ولا نفس ولا عقل، ولا قلـب ولا روح ولا سر، قد غاب عن العيون، وكمن فى السر المصون، تصرفاتـه ربانيـة، وعلومه لدنية، وحكمته وهبية، لبيب فائق، مهذب لائق، يقول كما قال الحق المبين، على لسان الصادق الأمين: ﴿**قل هذه سبيلى ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومـن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾ (يوسف: ١٠٨)، وقـال ﷻ: ﴿**ومـن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال أننى من المسـلمين**﴾ (فصلـت: ٣٣).

وهذا العبد معناه بالله، وجسمه فان فى الله، إن تكلم فبالله، وإن صمت فمـع الله، وإن تحرك فبإذن الله، راضياً بقضـاء الله، صبوراً على البلاء، شكوراً لنعـم الله، مسلماً لأحكام الله، قد قطعت مطالبـه وتمت مآربه، وجمعـت حوائجـه، ولا يملك من الدنيا مثقال ذرة فتشغله، مؤيد العلوم، غائب عن دائرة الرسوم.

واعلم -أنار الله بصيرتك- أن القلب يبرأ من الأمـراض بسـلامته مـن الاعتراض، ولا تصح الطهارة الجسمانية إلا بكمال الطهارة القلبية، ولا تبلغ غايـة الارتفاع إلا بقدر الانخفاض ولا تسـتريح الأرواح إلا بقدر قـهر الأشبـاح، ولا تتضح الأحكام والعلوم إلا بقدر غيبة الرسـوم، ولا تشرق فى القلـب الأنـوار إلا بقدر صفـاء الأفكار، ولا تنال الفطنة إلا بترك النوم والبطنة، ولا تصفو الضمائر والأفكار إلا بقدر ملازمة القلب للأذكار، ولا يبلغ العبد القرب إلا بقدر صفاء اللب.

فبالله يا أهل الإفهام العالية والقلوب الذاكرة تفهموا هذه الإشـارة المعنويـة والعلوم الدينية المغترفة من الحضرة القدسية!

ثالثا: سلوك الطريقة يتطلب الجمع بين العلمين والعملين:

اعلم أيها الناظر أن هذين العلمين والعمليـن، اللذيـن ذكرناهمـا، أنـهما مشروطان فى طريق الولاية، وأنهما حجة عظيمة على من ادعى الولايـة وهـو جاهل بهما، ولم يتخلق بأخلاقهما وهما علم الشريعة وعلم الحقيقة والجمع بينـهما،

والعمل بهما.. أما العلم بلا عمل: فلا فائدة فيه، وإنما يكون حجة على صاحبه، وسبباً لشقاوته.

قال القشيرى ﷺ: "العلم بلا عمل سقيم والعمل بلا علم عقيم".

وقال بن عربى فى كتابه الفصوص: "العلم بلا عمل كشجرة بلا ورق.. والعمل بلا علم كشجرة بلا ثمار"، وقال ذو النون المصرى ﷺ: "زيادة ألفاظ العلم فى رجال السوء، كزيادة الماء فى أصول الحنظل، كلما أزداد رياً ازداد مرارة"، وقيل له: "من رجال السوء؟"، قال: "الذين تعلموا بألفاظ العلوم، وتركوا الأعمال يأمرون الناس بالخير ولا يأتونه، وينهون الناس عن الشر ويأتونه، ويزهدون الناس فى الدنيا ويرغبون فيها، ويرغبون الناس فى عمل الآخرة ويزهدون فيها.. وذلك ليس من سنة النبى ﷺ وأصحابه، فكلهم عالمون عاملون، زاهدون فى الدنيا، راغبون فى الآخرة.. ومن خرج عن سنة النبى ﷺ وجماعته فخروجه حجة عليه وسبب لشقاوته".

ومما يزيد هذه الطائفة -الحافظة ألفاظ العلوم التاركة للعمل- خبالاً وتحملهم من الأوزار جبالاً، كونهم يتهجمون على تفسير القرآن والأحاديث النبوية، وبما هو خارج عن دائرة الصواب.. والسبب الذى أدى إلى وقوعهم فى هذه المهالك هو: عدم وقوفهم عند حدود السيد المالك، وجهلهم بما هو الأمر عليه من خطر المسالك، واشتغالهم بسفاسف المقال دون الحال المنير للحوالك، نسأل الله أن يعصمنا وإخواننا من ذلك.. إذ تفسير الكتاب والسنة يحتاج إلى علوم كثيرة، وفيض من عين المنة.

ومما استزلهم به الشيطان، حتى أوقعهم فى شبكة الخسران، ادعاؤهم أن الشيطان ليس له عليهم من سبيل إذ قلوبهم محروسة بشهود الجميل.. ولو كان الإدعاء صحيحا كما قالوا ما زلَّ قدمهم عن الشرع الحنيف، وما غرهم الشيطان بزخارفه، حتى لم يبقى عندهم ميل عن ذلك، فهنا يتصرف فيهم كما يريد، لأنهم

صاروا له كالأرقاء والعبيد.. عن أبى هريرة أن الشيطان يلتقم القلـــب، إذا غفـل صاحبه عن ذكر الله.

ففى الحديث: "**إن الشيطان واضع خطمه على قلب بن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وأن نسى الله التقم قلبه**" (رواه بن أبى الدنيا البيهقى عن أنس بـن مـالك ﷺ)، وأيضاً: "**إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يـأخذ القاصية والناحية فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمساجد**" (رواه أحمد عن معاذ ﷺ).. أما مـن فارقوا الجماعة، واستزلهم الشيطان فهؤلاء لعنة الله عليهم: مشاركة فـى الأمـوال والأولاد، كما قال تعالى: ﴿**وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فـى الأمـوال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غـروراً**﴾ (الإسراء: ٦٤). فكيـف بمـن يكون بهذه العداوة أن يركن إلى زخـارفه، أو يؤمن شره، وهو ساع على هـلاك دين العبد وإماتة قلبه، فإن العارف بالله لو بلغ ما بلغ فى درجات الولايـة وبلـغ أقصاها، لا يأمن مكر الله، من أن يسلط عليه الشيطان، فيضله ويغويه عن سـواء السبيل، والله يعصمنا من ذلك بمنه وفضله.. ولكن الله تعالى يحفظ الأكـابر مـن العمل بما يوسوس به لهم فهو يوسوس لهم، وهم لا يعلمون بذلك، إما عصمة وإما حفظاً.. قال الله العظيم: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبـى إلا إذا تمنـى القى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم**﴾ (الحج: ٥٢).

وقال العارف بالله الخواص ﷺ: كلما تقرب العبد من حضرة الله تعـالى كان إبليس اشد ملازمة له، لعلمه بكثرة ضلال الناس وغفلتهم ونسيانهم، فلا يـزال بهم حتى يخرجوا من حضرة الله، فإذا خرجوا من حضـرة الله تعـالى، انتصـر عليهم، ومن خرج منهم يركبه كما يركب أحدكم حمارته، ويتصـرف فيـه، فـإن حصل للعبد حضور مع الله تعالـى نزل إبليس لوقته، أسرع من لمح البصر، خوفاً

من أن يحتـــرق، لأن الجالس فى حضرة الله تعالى، ليس له عليه من سبيل، فـــهو واقف على باب الحضرة ينتظر من يخرج منهم فيركبه.

طريق شهود العبد حضرة الرب

اعلم أيها الناظر – أنار الله بصيرتك– أن حضرة الله تعالى، حيث أطلقـت فى لسان القـــوم فالمراد بها شهود العبد أنه واقف بين يدى الله، وأنه ناظر إليه، فما دام العبد مستصحباً لهذا الشهود، فإنه فى الحضرة، فإذا احتجب عنه هذا الشـــــهود خرج من الحضرة فى أسرع من لمح البصر.. والناس فى ذلك متفاوتون بحســـــب القســـمة الأزلية، فمنهم من لا يدخلها إلا فى صـــلاته، ومنهم مـــن يدخلـــها فـــى النهار درجتين، ومنهم من يمن الله عليه بهذا الشهود ليلاً ونهاراً، ومنـــــهم مـــن لا يدخلها، ومنهم من لا يخرج منها أصلاً، إلا فى أوقات يسيرة يسامح الله العبد فيها.

ومن هنا قال العارفون: إن مراقبة الله تعالى مع الأنفاس، ليس من مقدور البشر.

وكان معروف الكرخى ﷺ يقول: "إنى منذ ثلاثين سنة فى حضرة الله، ما خرجت منها قط"، وكذلك ســـيدى إبراهيم المتولى ﷺ قال: "لى سبع عشرة ســـنة فى حضرة الله تعالى، ما خرجت منها قط"، ومرادها ما عدا الأوقات التى يســـامح الله الخلق فيها.. وإلى هذا أيضاً الإشارة بقوله ﷺ: "**لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى**"، وقد كان سهل بن عبد الله ﷺ يقول: "منذ ثلاثين ســـــنة أكلـــم الله تعـــالى والناس يظنون أنى أكلمهم".

فإذا كان هذا حال بعض أفراد أمته ﷺ فكيف بصاحب المقام الأكبر وسيد أهل حضرة الله تعالـــى على الإطلاق؟ وقد نقـــل الجـــلال الســـيوطى ﷺ فـــى الخصائص أن رسول الله ﷺ كان مأموراً بشهود الحق تعالى مـــع الخلـــق حـــال المخاطبة، فلا يحجبه الحق عن الخلق، ولا الخلق عن الحق، فتأمل ذلك فإنه مـــــن غوامض المعرفة.

واعلم أيها الناظر أنى لم أر فى هذا الزمان من المدعين، من تخلق بالحذر من إبليس لعنه الله، فإن أحدهم بمجرد ما يعرف اسمه عند الناس سيدى الشيخ يظن أن إبليس قد فارقه وما بقى عليه سلطان.. وسمعت بعضهم يقول لتلاميذه: نحن لا نعرف إلا الله، ولا نعرف إبليس، فما ثم إلا الله تعالى.. فيقال لهذا -بتقدير صدقه أنه لا يشهد إلا الله تعالى: "هل زال إبليس من الوجود؟ أم هو باق وأنت حجبت عن أحواله لنقصك من المعرفة؟"، فلا يسعه إلا أن يقول: "هو موجود، وإلا كفر بالقرآن العظيم وكذبه".. فيقال له: "لو حققت النظر لوجدته -لعنه الله- يرقى مع أصحاب المقامات، ولا ينقطع عنهم، فبعد أن كان يوسوس لهم بالمعاصى الظاهرة صار يوسوس المعاصى الخافية".. قال سيدى محيى الدين *: "اجتمعت روحى بسيدى هارون عليه السلام فى بعض الوقائع، فقلت له: يا نبى الله كيف قلت ﴿**فلا تشمت بى الأعداء**﴾ (الأعراف: ١٥٠)؟ ومن الأعداء حتى تشهدهم؟ فالواحد منا يصل إلى مقام، لا يشاهد فيه إلا الله تعالى.. فقال لى السيد هارون عليه السلام: ما قلت فى مشهدكم ولكن إذا لم يشاهد أحدكم إلا الله تعالى، فهل زال العالم فى نفس الأمر، كما هو مشهدكم؟ أم العالم باق وحجبتم أنتم عن شهوده العظيم، بما يتحلى لقلوبكم؟ فقلت له: بل العالم باق فى نفس الأمر لم يزل، وإنما حجبنا عن شهوده.. فقال: قد نقص علمكم بالله فى هذا المشهد بقدر ما نقص فى شهودكم العالم، فإنه كله آية الله تعالى، فأفدنى عليه السلام بعلم لم يكن عندى."

فاعلم أيها الناظر أن الذى يظهر من حال الأستاذ المتقدم، أن هذا صدر منه حينما كان فى مبادئ عثوره على سر التوحيد، فإن هذا المقام له أخذ عن الإحساس، وربما وقع صاحبه فى الالتباس، ويعبر عنه بـ"**وحلة الطريق الناشئة عن الجمع دون التفريق**" وفيه يحصل الشطح، ويعده أهل الكمال نقصاً فى الطريق، فإن لم يكن إمام يأخذ بيد السائر فى هذا المكان الموحش كان خطراً عليه،

* فى كتاب الفتوحات " الباب التاسع والستين وثلاثمائة".

وأما من وجد الإمام خلصه بإذن الله تعالى من هذه الأوهام، لأنها بلاد اللصوص، هذا الطريق هم الشياطين، وكبيرهم إبليس لعنه الله.

قال الجيلى فى كتابه "الإنسان الكامل": اعلم أن لإبليس فى الوجود تسعة وتسعين مظهراً، على عدد أسماء الله تعالى الحسنى، وله تنوعات فى تلك المظاهر لا يحصى عددها ويطول علينا استيفاؤها.. فلنكتف منها على سبعة مظاهر، هى أمهات جميع المظاهر، كما أن السبعة النفسانيين من أسماء الله تعالى، أمهات جميع الأسماء.. ثم ذكر المظاهر الستة منها وقال المظهر السابع هو: مظهر المعارف الإلهية، يظهر فيها إبليس على الصديقين والأولياء والعارفين، إلا من حفظه الله تعالى منه، أما المقربون فما له عليهم من سبيل.. وأول ما يظهر به إبليس عليهم فى الحقيقة الإلهية حيث يقول لهم: إن الله تعالى حقيقة الوجود جميعه، وأنتم من جملة الوجود، والحق حقيقتكم، فيقولون: نعم.. فيقول لم تتعبون أنفسكم بهذه الأعمال التى يعملها المقلدون؟ فيتركونها.. فإذا تركوا الأعمال الصالحات، قال لهم: افعلوا ما شئتم، فإن الله حقيقتكم، وأنتم هو، وهو لا يُسأل عما يفعل.. فيزنون ويسرقون ويشربون الخمر، إلى أن يخلعوا ربقة الإسلام والإيمان من أعناقهم بالتزندق والإلحاد، فمنهم من يقول بالاتحاد، ومنهم من يدعى فى ذلك الإفراد.. ثم إذا طلبوا بالقصاص، وسئلوا عن منكراتهم التى فعلوها، فيقول لهم: أنكروا ولا تمكنوا من أنفسكم فإنكم ما فعلتم شيئاً، وما الفاعل إلا الله تعالى، وأنتم ما أنتم فى اعتقاد الناس،واليمين على نية المستحلف، فيحلفون أنهم ما صنعوا شيئاً.

وقد يناجيهم إبليس فى لباس الحق، فيقول لهم: "إننى أنا الله، وقد أبحت لكم المحرمات فافعلوا ما شئتم من المحرمات، فافعلوا ما شئتم من المحذورات، فلا إثم عليكم" فيفعلون.. وكل هذا لأن إبليس هو الظاهر عليهم، وإلا فالحق سبحانه وتعالى بينه وبين عباده من الخصوصيات والأسرار ما هو أعظم من ذلك.. ولمواجيد الحق علامات عند أهله غير مذكورة، وإنما تلتبس الأشياء على من لا

معرفة عنده بها، مع عدم العلم بالأصول.. ألا ترى إلى حكاية سيدى عبد القادر الجيلانى ﷺ لما قيل له وهو فى البادية:" يا عبد القادر إننى أنا الله، وقد أبحت لك المحرمات، فافعل ما شئت"، قال: "كذبت إنك شيطان.."، ولما سئل عن ذلك، وقيل له: بماذا عرفت أنه شيطان؟ قال: بقول الله تعالى ﴿**إن الله لا يأمر بالفحشاء**﴾ (الأعراف: ٢٨)، فلما أمرنى اللعين بذلك، علمت أنه الشيطان يريد أن يغويني. ومثل هذا قد يجرى لعباد الله تعالى مع الحق، كما جرى لأهل بدر وغيرهم، وهذا مقام لا ينكره أحد من العارفين، والفقهاء العاملين، الذين نوروا قلوبهم بالأعمال الصالحات.

وحدة الوجود ليس مقام كمال العرفان

اعلم أيها الناظر أن مقام وحدة الوجود، وإن كان صاحبه محققاً، وكانت مواجيد الحق عنده معلومة، وخصوصية الحق له فى التعريف مفهومة، لم يكن هذا المقام مقام كمال، يقف السائر عليه، ويعول السائر فى سلوكه عليه، فكيف بمن لم يدر اليمين من الشمال، ولا الفرق بين مظهر الجلال ومظهر الجمال، ووقع فى هذه الورطة، وسقط فى هذه الغلطة وصار شيخه إبليس اللعين، وهو يظن أنه يرشد السالكين، فكيف يرشد الغير من ضل فى السير؟ حتى نفى الحقيقة الثابتة بالكتاب والسنة وادعى معرفة وحدة الوجود، وسرها المستطاب، وهو لا ينظر إلا بعين واحدة.. ومرتبة الكاملين ينظرون بعينين، لا بعين واحدة.

إن من يحقق بعدم وجوده مع الله تعالى، فهو ناقص المعرفة، ومن تحقق بوجوده مع الله تعالى، فهو أنقص منه.. والكامل فى المعرفة، من جمع المقامين، واقفاً فى الحقيقة البرزخية، لأنه لابد من حق وخلق، فلولا الحق ما عرف الخلق، ولولا الخلق ما عرف الحق، ومن أنكر واحداً منها فهو جاهل أعمى.. والكامل فى المعرفة يكون متحققاً بعدم وجوده مع الله تعالى، إعطاء للربوبية حقها، ومتحققاً

بوجوده مع الله تعالى إعطاء للعبودية حقها، فيعد وجوده ذنباً فـــى تحققــه الأول، ويستغفر منه فى تحققه الثانى، ويلزم الاستغفار منه عوده إليه.

كـن عارفـاً بوحـدة الوجـــود		وقاطعـاً بكــثرة الموجـــود
وميــز الحــادث من قديـــم		وخـلـص الشـاهد من مـفقود

وقال الشعرانى ﷺ فى كتابه "لواقح الأنوار" **من كمال العرفان شهود عبد ورب**، وكل عارف نفى شهود العبد فى وقت ما، فليس بعارف وإنما هو فى ذلـــك الوقت صاحب حال وصاحب الحال سكران، لا تحقق عنده.. وهـــذا المقــام فـــى الاصطــلاح يسمى **"الفرق الثانى"**، فإنه شهود حق وخلق، عبوديـــة وربوبيـــة، فيعطى العبودية حقها من الخضوع والخشوع والافتقار والانكسار.. كما قيل أوحى الله تعالى إلى شعيب ؑ: "هب لى من عنقك الخضوع، ومن قلبـــك الخشـــوع، ومن عينك الدموع، وأعط الربوبية حقها فى شهود عزها وغناها، وقوتها وقدرتها"، وهذا هو حال أهل الكمال.. ودونه مقام **"جمع الجمع"** وهو الاســـتهلاك فـــى الله بالكلية، عن ذوق ووجدان، لا عن دعوى وشقشقة اللسان.. ودونه مقام **"الجمـــع"**، وهو شهود حق من غير خلق، وصاحبه سكران لا يقتدى به من أجـــل عـــدم أدب الشريعة.

ولهذا إذا رأينا من يدعى فى هذه الأمة مقام الدعاء إلى الله على بصـــيرة، ويخلى بأدب من آداب الشرع، ولو ظهر عليه من خرق العوائد ما يبهر العقـــول، ويقول أن ذلك أدب يخصه، فهذا الرجل لا يلتفت إليه وليس بشيخ، فإنه لا يؤتمـــن على أسرار الله تعالى إلا من يحفظ عليه بأدب الشريعة ويبقى معه عقل التكليـــف، فإن طـــرأ عليه ما يخرجه من عقل التكليف، كالمجاذيب وأرباب الأحوال، فيســـلم إليه أحـــواله، ولا يقتدى به مع أنه سعيد **(يعنى من أهل الجنة)**، وهو فى الوقـــت الذى سلب منه عقـــل التكليف بمنزلة الشبح عندما يموت، فكما تقبض روحه على

ما كان عليه، كذلك يدخل عقله على ما كان عليه، فتبقى سعادته سعادة الميت، ولا تدبير لنفسه الناطقة في هيكله، فيبقى مثل سائر الحيوان، يدبر روحه الحيواني..

وهذه الحالة جهلها أكثر أهل الطريق، فكيف لا يجهلها عامة الفقهاء، فإذا عرفوا ما قلناه لم يقدروا على إنكاره، وإنما يحجبهم عن ذلك، ما يرون منه من حركاته الطبيعية من أكل وشرب ونكاح وشبه ذلك، فيقولون: كما أنه ينكح ويأكل ويشرب فليصل، وتحجبهم الصورة الظاهرة الإنسانية، وما يعلمون أنه حيوان في صورة إنسان، وأن نفسه الناطقة انقلبت إلى البرزخ انقلاب الموتى.. فلا تقتد بمجانين أهل الله.

باتباع الشرع تصح محبة الله للعبد

من أراد أن يحفظه الله من غوائل المكر، فلا يدع ميزان الشرع من يده.. فمتى وضعه من يده، مكر الله به.. ومن أراد أن يحفظه الله من التزيين (ممن زين لهم الشيطان أعمالهم) فليقف عند ظاهر الكتاب والسنة، ولا يزيد على الظاهر شيئاً إلا بدليل، فإن التأويل قد يكون من التزيين، فما أعطاه الظاهر جرى عليه بشرطه المذكور، وما تشابه منه وكّل علمه إلى الله وآمن به، ومثل هذا يكون متبعاً للشريعة، وليس للتزيين عليه من سبيل، وهو صاحب علم صحيح.

فالإنسان لا يخلو أن يكون واحداً من ثلاثة:

- **إما أن يكون باطنياً محضاً**، وهذا هو القائل بتجريد التوحيد، حالاً وفعلاً، وهذا يؤدي تعطيل أحكام الشريعة، وقلب أعيانها، وكل ما يؤدي إلى هدم قاعدة من قواعد الدين، فهو مذموم باطل.. عصمنا الله منه.
- **وإما أن يكون ظاهرياً محضاً**، بحيث يؤديه ذلك إلى التجسيم والتشبيه فهو مثل سابقة.
- **وإما أن يكون جارياً مع الشريعة على فهم اللسان**، حيثما مشى الشارع مشى معه وحيثما وقف وقف معه، قدماً بقدم، وهذا هو الوسط وخير

الأمور أوسطها وبهذا تصح محبة الله له: ﴿**فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم**﴾ (آل عمران: ٣١)، فاتباع الشرع واقتفاء أثره، تصح محبة الله تعالى للعبد، وتغفر له الذنوب، وتحصل له السعادة الدائمة.

فاعلم أيها الناظر أن هذا الكتاب فيه إشارة القرب للخواص لائحة، وفيه طريقة النصح للعوام واضحة.. وهو لباب التصوف، وسبيل التعرف، يلمح به الواصل والسالك، ويأخذ حظه منه المالك والملوك، ومن دخل عبارته البديعة التى تدعو للقيام بنواميس الشريعة، وفهم إشارته الفائقة التى تدعو للقيام بغوامض الحقيقة، وترك ما خلفها من القطيعة الموجبة للطرد والعبد، فقد فاز بنصرة الشريعة والحقيقة، لكونه تضمن نظرة الشريعة المحمدية والحقيقة الإلهية.

ولا يخلو فى زماننا هذا من قادح ومادح لعزة مرمى كلامه، ودقة أذواق منطقه وإفهامه، ونشر أعلام إعلامه على نحارير وقته.. فمن كشف عما كشف، ورشف مما رشف، سلم لذوقه ووجدانه.. والبعض استسلم لوجود ادعائه، وأنكر الجم الغفير لعدم وجود التحقيق وفقدانه.. وبعضهم يقصد زيغ العوام والجاهلين بالاصطلاح، خوف افتتانهم، فإن رموزه يعسر حلها عن عرفاء الأسرار، وشرفاء الأخيار، من أهل زماننا.. وهذا حال الأتقياء الأخفياء، الأصفياء الأبرياء، عرائس المملكة الإلهية، ونتائج ثمرة الكون والسعادة.. فإن أكابر الحكماء ونحارير العلماء يقرون بالعجز عن درك ألغازه، وفتح أقفال كنوزه.

سلوك الطريقة يتطلب الجمع بين الشرعية والحقيقة

نرجع إلى ما قصدناه، ووعدنا به فى هذا الكتاب، من الجمع بين الحقيقة والشريعة والطريقة.

والمراد بالحقيقة معرفة الله تعالى وهى **ثلاثة أقسام**: معرفة عوام، ومعرفة خواص، ومعرفة خواص الخواص، يعنى عقائدهم.

والمراد بالشريعة معرفة أحكام الله تعالى، يعنى الأوامر والنواهى والتكليف بالعبارة والعبودية.

والمراد بالطريقة الاشتغال بما اقتضته الشريعة والحقيقة بقية العمر، من غير التفات لغير ذلك.. والانحياز عن الطريقة هو ادعاء العبد ما ليس له، فالعبد عاجز عن وصف ما به على ما هو عليه، فكيف وصف الحق تعالى؟ أنّى له أن يصل إليه، وقد اقر بالعجز عنه سيد الأنام فى قوله ﷺ: "**سبحانك ما عرفناك حق معرفتك، عجز الواصفون عن صفاتك**".

وقال الصديق الأكبر ﷺ: "العجز عن درك الإدراك إدراك.."

وهذا النعت "نعت كلمة الحضرة" هى التى كان بها عطف الخليقة على الحقيقة، فيقال حق وخلق فالمعطوف حادث، والمعطوف عليه قديم، فلما ظهرت للعيان الحوادث، بإظهار أعيانها بعدما لم تكن فى مرتبة الشهادة، وإنما كانت أعيانها ثابتة فى العلم، فيرى بها صورة ما فى العلم مفصلاً.. وأصل كن كلمة كون، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، فهى برزخ بين الكاف والنون: كاف الكنزية، ونون النشأة الكونية.. وحقيقة هذا البرزخ هو النور المحمدى ﷺ، فإنه البرزخ الكامل، والسر الجامع الشامل، فهو واو برزخ وجه الظهور، والرافع للبراقع والستور، ويؤيد هذا قوله ﷺ: "**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**".

شرف مقام العبودية

اعلم أيها الناظر أن سبب إظهار هذا المنهاج لهؤلاء الدجاج، حتى قامت عليهم فيه الحجج، غيبتهم عن شهود مقام العبودية الذى هو اشرف المقامات، ومن خرج عن العبودية وأعمالها إلى منازعة صفة الربوبية، فقد سوى بين رتبة المحبة والمحبوبية.

قال الإمام إسماعيل بن سودكين ﷺ فى كتابه "لوائح الأنوار":

أوصيك بوصية، وأحب منك أن تحافظ عليها، وهى ألا تفـارق عبوديتـك أبداً، ولا يكون منك وقوف مع نفسك، على شئ من الموجودات، فإن الله الرحيـم إنما يقوم عندك لوصف قهره، فإذا قام بك، فمحال ألا يقهر نفسك الحق، فلا بد لـه من محل يظهر أثره فيه وهو الكون، فتقتضيك صفة القهر الخروج من الحضـرة الإلهية إلى الكـون، فتغيب بذلك عن عبوديتك التى هى حقيقتك التـى خلقـها الله لتعبده بها، ويستتر عنك وجه الحق.. فانظر إلى قوله تعالى: **﴿وما خلقـت الجـن والأنس إلا ليعبدون﴾** (الذاريات: ٥٦)، وتأمل كيف أتى بوصف العبودية، الذى هـو التذلل والافتقار.. فأى نفس تتنفسه، ولم تكن متصفاً فيه بحقيقة العبودية، فأنت فـى ذلك النفس مع غير ما خلقت له، وأمرت به، فيفوتك من زمـن التحصيـل مـا لا تستدركه أبداً فى الدنيا ولا فى الآخرة، لكون الدنيا نتائج، فمتى حصـل الاشتغـال فيها بأمر غير منتج للكمال، أنتج النقص والخسران، والخروج عن شـهود الحـق عاجلاً وآجلاً.. فالعاقل هاهنا يشتغل بتحصيل النتائج، ثم يداوم عليـها فـى ذلـك الموطن.. وإذا خرج العبد من وصف القهر، وهو وصف يكثر تجليه على الكـون، فإنه بهذا الخروج يناقـض العبودية.. ولو كان محققاً بشهود الوجه الإلهى الكريـم لكان الخضوع وصفـه ولابد، فتحقق بذلك واعمل عليه، وما أحسن قوله تعـالى: **﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾** (الشورى: ٤٠).

وأوصيك بوصية: متى رأيت أحداً ينازعك، أو يرد عليك قولاً، من فتح فُتح عليك، أو نقلته عن غيرك، أو كتبته فى كتابك، فلا تجيبه بعد ذلك أصلاً ولا ترده، بل تقف وتسـكت وتنظر فى نفس الأمر، لكى تتحقق أن الحق مـا أورده عليـك، على لسان هذا المنازع، إلا لحكمة أو غفلة طرأت عليك، فتقف وتثبت، وتتعـرف ذلك عن الحق سبحانه وتعالى، بافتقار وأدب، لأن الغفلة عن الله تستوجب المنازع والمعارض، لأن الله تعالى مطلع على القلوب وأى قلب رأى فيه حاجة إلى سـواه، سلط عليه إبليس وابتلاه، وحجب قلبه عن ذكره، ونزع الرحمة من قلـوب الخلـق عليه، فلا يصل إلى الفتح الربانى الوهبى، من فى باطنه ذرة من إحساس الغيرية.

وقد رأيت فى بعض الحكايات، أن فى بعض الكتب المنزلة: وعزتى وجلالى، وارتفاعى فى علو مكانى، لأقطعن أصل كل موصول بغيرى بالإياس، ولكسوته ثوب المذلة عند الناس، ولحرمته من قربى، ولقطعته عن وصلى.. فكيف يوصل غيرى وأنا الكريم؟ ويطرق أبواب غيرى وبيدى مفاتيحها؟ وهى مغلوقة وبابى مفتوح لمن دعانى؟ من ذا الذى أملنى لحاجة فقطعته دونها؟ ومن ذا الذى رجانى فى مسألة فقطعت رجاءه منها؟

وفى الآثار: خلقت لنفسى فلا تلعب، وخلقت كل شئ لك فلا تتعب.

الاسم الأعظم وطريق الوصول إلى الذات العلية

إذا ركب القلب الصالح فى سفينة الاسم، وسار فى بحر التوحيد، وهب ريح الرحمة ووصل إلى الذات العلية.. ولا وصول إلى الذات العلية، إلا عن طريق الاسم الأعظم، لأن الوجود لم يتحقق إلا به، وتجلياته كلها داخلة تحته، فكمالاته لا تتناهى، وهو اسم الجلالة الله، وفيه الطباع الأربعة، لاشتماله على: العظمة وهى النار، وعلى العلم وهو الماء، وعلى القدرة وهى الهواء، وعلى الحكمة وهى التراب.

قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون**﴾ (الأنعام: ٩١)، فجعل تعالى ما سوى النطق بهذا الاسم الأعظم خوضاً ولعباً، بالنسبة إلى النطق به.

وقال ﷻ: ﴿**ولذكر الله اكبر**﴾ (العنكبوت: ٤٥)، فجعل سبحانه ذكر هذا الاسم اكبر من سائر الأذكار والعبادات.

وقال ﷺ: **لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: الله.. الله** فالكون محفوظ باقى ما دام يذكر فيه هذا الاسم الأعظم، لأنه جامع لمعانى الذات والصفات والأفعال، وجميع العقائد الإيمانية.

واعلم أيها الناظر أن السبب الأعظم للمغفرة هو التوحيد، فمن فقـــده فقـــد المغفرة، ومن أتى به فقد أتى بأعظم أسباب السعادة، ولم يكن لابن آدم عمل خـــير منه.. وفى الخبر الصحيح عن سيد الخلق: "**لا إله إلا الله لا تترك ذنباً ولا يسبقها عمل**"، وعنه ﷺ: "**لا اله إلا الله لا يزنها شئ**"، وعنه ﷺ: "**أفضل ما قلت أنـا والنبيون من قبلى لا اله إلا الله**".

والعبد يجازى على ما عمل.. فكيف بمن يخرج من فم قلبه كلمة الجلالـــة، وهى "**الله. الله**" فإنه لو وضع هذا الاسم فى كفة، والسماوات والأرض والعـــرش والكرسى فى كفة، لرجح بذلك اسم الجلالة، لأن المسمى به لا تقيده الأكوان، ولـــه الوجود المطلق التام.. وباستحضار هذا المعنى تحصل الفائدة إن لم تر ســـواه ولا كائناً غيره.. وقد أجراه الله على ألســـنة الأنام، من زمن آدم عليه السلام، ولـــم تنكـره أمـــة.. قال قوم نوح: ﴿**ولو شاء الله لأنزل ملائكة**﴾ (المؤمنون: ٢٤)، وقال قـــوم هود بعد الطوفان: ﴿**أجئتنا لنعبد الله وحده**﴾ (الأعراف: ٥٠)، وقال ﷻ: ﴿**ولئـــن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله**﴾ (لقمان: ٢٥).

فإن أراد الله زوال الدنيا، قبض أرواح المؤمنين، ونزع هذا الاسم الأعظـــم من ألسنة الجاهلين.. فمن اعترض على من يقول "الله. الله" بقلبه فهو عند الله مـــن الممقوتين المطرودين.. فقد صح فى الآثار: أن النبى ﷺ كان يمر بسكك مكة وهو يقول: "الله. الله. الله."، فيقول أهل مكة: "اشتغل محمد بربه"، ولا ينكرون عليـــه، والإنكار على أهل الله سبب الهلاك فى الدارين.

شروط الذكر لتحقيق القرب

إن اسم الجلالة الأعظم "**الله**" متصرف فى جميع الحضـــرات والمراتـــب والمظاهر وحروفه أربعة يتصرف كل حرف منها فى: قطـــر وطبيعـــة وعنصـــر وركن من أركان الدنيا.. ومن اكثر من ذكره بقلبه ظهر له فـــى العوالـــم العلويـــة والسفلية شأن عظيم، **بشرط** استصغار ما سوى الله حالا، وسقوط الأكوان شـــهوداً،

والتعظيم لأوامر الله ونواهيـــه كشفاً، والفناء فى الجمع استغراقاً، وتعلق الهمة بالله أدباً ودأباً، ومراقبة الأنفاس سراً، وذكر اسم الله الأعظم ظاهراً وباطنـــاً، إلـــى أن يستغرق سره فى وجـــوده، ووجوده فى حقيقة شهوده، فلا يرى غيره، ولا يحـــن لسواه من رجاء أو خوف أو تقرب أو فتح أو تحبب أو بغض، حتى يخـــرج مـــن ظلمات العوائد والمـــألوفات والشواغل، حتى ينال الحالة التى كان عليها قبل نفـــخ الروح فيه، لأن جميع ما حصل لك بعد نفخ الروح، هو حجاب لك عن ربك، فـــإذا جمعك الحق به رفعك عنده، وإذا لم يجمعك به فرقك عنه، وأقامك مقام العبودية فى العجز والضعف.

فاعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- أن العزم الشديد كاف عند أربـــاب القلوب فى التصريف، فإذا نوى العبد أمراً، وصمم عليه بقلبـــه، لا يتخلـــف أثـــره بإرادة الله تعالى، على لسان الحكمة الربانية من السرعة والبطء.

واعلم أيضاً أن **مدار الطريقة**، يعنى طريق الولاية والقرب مـــن الله ﷻ، راجع لهاذ الاسم الأعظم، فإذا سكن فى قلب الرجل المؤمن سواء أكـــان عالمـــاً أو جاهلاً، وامتزج بدمه ولحمه، يقال له ولى، وإذا اتخذ الله ولياً جاهلاً علمه.. ففـــى الحديث: "**ما اتخذ الله ولياً جاهلاً إلا وعلمه**". وقال تعالى: ﴿**وعلمناه مـــن لدنـــا علماً**﴾ (الكهف: ٦٥).

وهذا الاسم الأعظم شرط فى الخصوصية، فإذا تحول العبد من ذكره بلسانه إلى ذكـــره بقلبه يقال فيه أنه من خواص خلق الله تعالى، فاعلم ذلـــك ومـــيز مـــا هـــنالك.. وإذا فتح الله لك باب التعرف إليه، فلا تبال وإن قلَّ عملك، لأن التعرف هو مورده عليك، ومعرفة الله تعالى عزيزة، يقتبس أصولها من الشـــرع، وتكـــون على قدر القرب.. فمن عرفه حتى لا يرى إلا هو، ولا يجد فى الوجود غيره، رأى من المعارف والأسرار، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علـــى قلـــب بشر، وهذه هى جنة المعارف، من حل بها فى الدنيا لم يشتق إلى الجنة، فهى جنة المعارف والأسرار والأرواح، الحاصلة لأهل الله فى هذه الدار، وهـــى مواجهـــة

القرب في دار القرار ورفع الحجب.. ووسم بالسعادة عبد عرف الحق، وتواضع لأهله، وإن عمل ما عمل.. ووسم بالشقاوة عبد عرف الحق، وتكبر على أهله، وإن عمل ما عمل.. فمن فتح على نفسه باب نية حسنة، فتح الله له سبعين بابا من التوفيق، من حيث لا يشعر، ومن فتح على نفسه باب نية سيئة، فتح الله له سبعين بابا من الخذلان، من حيث لا يشعر.. فالعارف بالله لا يخطر في باطنه غير خاطر الحق، فلا يجوز لمن يرى غير الله أو يذكر غيره، أن يقول عرفت الله، لأن العارف بالله لا يرى شيئا إلا رأى الله معه، ولا يتعجب من شئ بوجه من الوجوه، ويقول في جميع ما يرى: حكمة بالغة..

قال رسول الله ﷺ: **ألا أخبركم بخير أعمالكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها لدرجاتكم وخير لكم من أنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذكر الله.**

اللهم اجعلنا ممن يداوم على ذكر هذا الاسم الأعظم في جميع الحالات.

من خصائص الاسم الأعظم "الله"

في هذا الاسم من الخصال مالا يوجد في غيره من الأسماء ومن تلك الخصال

- أنه لا تخلو منه عبادة كالآذان وإقامة الصلاة والتلاوة وغير ذلك.
- أنه يعرف المعارف ويقوى العلوم والأسرار المكنونات المكتومات للملازم له والمرافق لذكره.
- هو عين الذات، وسائر الأسماء الإلهية تنعت به، ولا ينعت بها، وكلها تشير إليه.

•وســر هذا الاسم العظيم يدرك بالتعلق والتخلق بذكــره، والتحقــق أنــه موجود مع كل مخلوق.. وهذا ذكر الأكابر من المتولهين وأرباب المقامات العاليات الكاملات التامات.

•ومن ذكر هذا الاسم العظيم الأعظم (اسم الجلالة) سبعين ألف مرة، فــي موضع خال من الأصوات، ثم يسأل الله تعالى ما يشاء من أمــور الدنيــا والآخرة، فإنه ينال ذلك عن قربى، إلا أن يكون ضعيف اليقيــن، فيمنعــه ضعف يقينه.

قيل لمعاذ بن جبل ﷺ عنه: ما رأيك فى رجلين أحدهما قليل الذنوب كثير الأعمــال ضعيف اليقين، قال: ليحبطن ضعف يقينه عملــه.. قيــل لــه: والآخر قليل العمل كثير الذنوب قوى اليقين؟ قال: ليحبطن يقين هذا ذنوبه.

•ومن داوم على ذكر هذا الاسم الأعظم، كان مجاب الدعوة ومن دعا بــه على ظالم أخذ لوقته.

•ويكتب عدده فى مثلث، لسائر الأمراض الحسية والمعنوية، ثم يمحى بماء، ويشرب منه المريد أو يحمله، فيعافى بإذن الله تعالى.

•وبالجملة من دعا ولم يكن فى دعائه هذا الاسم، فلا إجابة له.. ومــا مــن عبادة لم يكن فيها هذا الاسم، إلا كانت غير مقبولة.

طريقة الذكر بالاسم "الله"

● من أراد أن يتولى الله تعليمه (شهودا) كما تولى تعليم أهل الله، كسيدنا الخضر عليه السلام، فليترك جميع العــوالم والمعلومات من خاطره، ويجلــس مــع الله فارغا بحضور ومراقبة وسكينة، ويذكر الله. الله. الله بالقلب لا باللســان، ويكــون اللسان صامتا..

● فإذا الزم ذلك الباب، وأدام القرع بالذكر، هبت عليه رياح الرحمة، وبلغ بغيته القصوى، وذلك بشرط الحضور، لأن حضور القلب فى الذكر ســبب قطــع

الخواطر الشيطانية، لأنه يصير شبه الميت، والميت لا تقصده الشياطين، فيقوى سلطان القلب على حركة لسانه فينفرد القلب بالذكر.

● وكلما تقوى الباطن ضعف الظاهر، حتى لا يستطيع الذاكر التلفظ بالذكر باللسان، إلا فى أوقات غفلة القلب، لأن الذكر باللسان ظاهرا وظيفة العوام الغائبين، وذكر القلب وظيفة الخواص الحاضرين ﷺ، فيستقر القلب فى الأنوار الإلهية، واللطائف الرحمانية والواردات الغيبية، والكرامات التابعة للصورة المحمدية، ثم يغرق فى بحر التوحيد، فيعمر وجوده فى لحظة ما لا يعمر بالرياضة والمجاهدة سبعين مرة.

● لكن لا بد من تلقين الذكر من شيخ ماهر مرشد، متصلة صحبته وطريقته بالحضرة النبوية، لأن قلب شيخه مستمد من قلب شيخه وهكذا إلى الحضرة النبوية.. قال رسول الله ﷺ: "*إن الذكر سيف الله*"، وقال ﷺ: "*اذكر الله تعالى، فإنه عون لك على ما تطلب*"، وروى الشيخان مرفوعا عن رسول الله ﷺ يقول الله ﷻ: "*أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى*"، فعليك أيها المريد بالصدق والإخلاص، فبهما يصل الذاكر إلى درجة الصديقية، وهى الولاية القصوى لأن من أخلص لله نيته وعمله تولاه الله بملائكته ومن صدقت سريرته فتحت بصيرته ومن صدق مقاله استقام حاله ومن ذكر الله واكثر من ذكره فتح الله له أبوابا لا تحصى قال تعالى: **﴿يا أيها الذين أمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾** (الأحزاب: ٤١).

● فإذا كان ذكر اسم الله هو حالك، نور الله قلبك، ومحا ذنوبك، لأن ملازمة ذكر الله تقطعك عما سواه، وإقبال القلب على الله خير مما على الأرض، مع الإعراض عما سواه، لأن إقبال القلب على ذكر الله حسنة، لا تضر معها سيئة، وإدباره عنه سيئة، لا تنفع معها حسنة.

● تدبر قول الحق ﷻ: ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ (هود: ١١٤)، وقول الرسول ﷺ: "*اتبع السيئة الحسنة تمحها*"، واعلم أنه لا توجد حسنة مثل إقبال القلب على ذكر الله تعالى، ولذلك فإن أعلى مراتب العارفين المعرفة بذات الله، لأنها مقام الرسل والأنبياء والأولياء الكاملين وسيدهم فى ذلك محمد ﷺ الذى قال له الله العظيم: ﴿**فاعلم أنه لا أله إلا الله واستغفر لذنبك**﴾ (محمد: ١٩)، ولهذا قال رسول الله ﷺ: "*أنا أعلمكم بالله*".

اسم الجلالة الله يبلغك جميع المراتب

اعلم أيها الناظر أن كل اسم تستدعى به نعمة، فهو حجاب لك عن ربك، ولا رأيت عملا تستدعى به عرضا، إلا سقطت به من عين الله وحرمت ملاحظته، قال ﷺ: "*من اصبح وهمه غير الله، فليس من الله فى شئ*"، أى لا حظ فى قربه ومحبته ورضاه.. ومن جملة ذلك: طلب الوصول إليه بشئ، لأنه أن أراد وصلك، فجليس الملك لا يحتاج إلى استخدام أو تعب.

فإن صح منك الافتقار إليه فتحت لك العناية منه، فإذا نظرت لا تنظر إلا إليه، وإذا نطقت لا تنطق إلا به وإذا دخلت لا تدخل إلا له وبه، ولا تتوكل إلا عليه، لأنه حقيقة كل شئ وعينه وصفاته، بمعنى أنه لا وجود لشئ إلا به، فهو ظاهر بخلقه وباطن بذاته.. فإذا أوقفك الله على ذلك، أطلعك على كل شئ وحدك، وبلغت أقصى العطايا.

إن أفردت الله تعالى افردك، وأن رأيت نفسك قريبا من حضرة الله تعالى، وحضرة رسوله ﷺ فلا تحتاج إلى أحد من الخلق، لأن الحضرة هى دائرة الولاية، والحضرة مشتقة من الحضور، وحضورك مع ربك بقلبك وروحك وسرك يجعلك مطلوبا بها، لا طالبا، فتحظى بها قلبا وروحا وسرا وقالبا، فيظهر اثر ذلك على ظاهرك، كما يتحقق به باطنك.. فيساعدك التوفيق بذكر هذا الاسم

الأعظم، ويمتزج معناه بدمك، وترى من العجائب والأسرار، ما لا يدخـــل تحـت حصر العبارات، ويكفيك المهمات كلها.

عن أبى صالح ﷺ قال: إن اسم الله الأعظم هو الاسم المخزون المكنون، الذى علمه الله تعالى لموسى عليه السلام حين قال: ﴿**أننى أنا الله لا اله إلا أنا فاعبدونى وأقم الصلاة لذكري**﴾ (طه: ١٤).

فاعلم أن كل اسم من أسماء الله تعالى يبلغك إلى مرتبة معينة، أمـــا اسـم الجلالة الله يبلغك جميع المراتب، لأنه اسم الذات الموصوفـــة بالصفـــة المقدســـة، وجميع الأسماء راجعة إليه، ومن اطلع على معناه، فقد اطلع على جميـــع معـــانى الأسماء.. واعلم أن هذا الاسم اسم واحد جامع لصفات الألوهية ومنه أنفتـــق كــل رتق، وأنهمر كل سر، وذلك فى قوله ﷻ: ﴿**إنما إلهكم الله الذى لا الـــه إلا هـــو وسع كل شئ علما**﴾ (طه: ٩٨).

شرط التقرب بالاسم الأعظم

إن التقرب بهذا الاسم إلى الله تعالى لا يصـــح، إلا بعـد التحقـق بجميـــع الأسماء قولا وفعلا وحلا ظاهرا وباطنا..

ومن أراد التقرب به فعليه بسبعة أصول:

استحقار ما سوى الله حالا.. والتعظيم لأوامر الله كشفا.. وسقوط الأكـــوان شهودا.. والفناء فى الجمع استغراقا.. وتعلق الهمة بالله أدبا.. واستغراق السر فى وجوده.. وملازمة شهوده حتى لا ينظر إلى غيره، ولا يجد فى الأكـــوان ســـواه.. فعند ذلك يحرس الله عليه أحواله ويحفظ من الأغيار أسراره.

قيل لبعض العارفين: ما غاية هذا الأمر عندكم؟ قال له: الله.. فمـــن اتخـذ الخلوة بهذا الاسم شهد حقيقة معنى الوجود والمعدوم.. وعلامة تمكن الاســـم مـــن قلبه، وامتزاجه بدمه ولحمه وشعره، أن يسمع كل عضـــو منـــه يقـــول: "الله. الله. الله.". قال الله العظـــيم لنبيه الكريم: ﴿**واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا**﴾ (المزمل:

٨)، وهذا معناه الانقطاع إليه انقطاعاً إليه كلياً عن كل شئ، وتطهير القلب من كل دناءة، والابتهال إليه بالكلية.

قرأت لبعض المحققين، أنه قال لبعض الناس: أتريد أن أعلمك فائدة إن أنت عملتها نلت خيراً عظيماً؟ قال: نعم، فقال له: تداوم على ذكر "الله. الله. الله"، لا تذكر سواه، وتصوم نهارك، وتقوم ليلك، وتداوم على هذا الاسم، لا تفارقه ليلاً ولا نهاراً إلا بغلبة النوم، ولا تكلم أحداً، واعتزل الناس سبعة أيام، تظهر لك عجائب الأرض، ثم دم على ذلك سبعة أيام أخرى، تظهر لك عجائب السماوات، ثم سبعة أخرى، تظهر لك عجائب الملكوت الأعلى.. فأن بلغت أربعين يوماً، اظهر لك الكرامات، وأعطاك التصريف فى الوجود، فلا تقف مع شئ من ذلك، وقل لا أريد إلا أنت.

قال الإمام السيد على بن الحسين ﷺ: دعوت الله دبر كل صلاة، لمدة سنة، أن يعلمنى اسمه الأعظم، فبينما أن جالس وقد صليت الفجر، إذ غلبنى النوم، فإذا بمخاطب يخاطبنى، يقول لى: يا عبد الله قل: اللهم إنى أسألك باسمك "الله. الله. الله." الذى لا إله إلا هو رب العرش العظيم، وأسألك باسمك الأعلى "الله.الله.الله." الذى لا إله إلا هو بديع السماوات والأرض، ذى الجلال والإكرام، فقال لى: أفهمت؟ قلت: نعم.. فما دعوت الله تعالى فى شئ، إلا رأيت الإجابة فى أقرب وقت.

"الله" اسم الذات

واعلم أيها الناظر أن سائر الأسماء إما أن تكون صفة، أو وصفاً لهذا الاسم العظيم الأعظم، وهو لا يكون صفة لها ولا وصفاً.. فدل ذلك على أنه اسم الذات، واسم الذات اعظم من اسم الصفات وهذا ظاهر بين.

والدليل على ما قلناه: أنه بهذا الاسم يقع الإيمان ولا يتم الإيمان إلا به، لقوله ﷺ: "**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**".. ولا يجزى غيره

من الأسماء، وكذلك عند الممات لا يجزى غيره من الأسماء أبدا.. فدل ذلك على أنه أعظم أسماء الله تعالى، وبه النجاة من النار، لقوله ﷺ: "*من مات وهو يقول لا إله إلا الله، ويشهد بذلك مخلصا من قلبه، حرمه الله على النار*".

وبهذا الاسم يدخل العبد الجنتين: جنة المعارف والأسرار فى الدنيا، وجنة الآخرة لقوله ﷺ: "*من مات وهو يقول لا إله إلا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة*".

فهذا الاسم العظيم يدخل العبد به الجنة، وبه يحرم على النار، وبه يتم الإيمان، وبه عصمت الدماء، وهو مفتاح الصلاة، ومفتاح الآذان وخاتمه، وهو مفتاح الإقامة للصلاة وخاتمها، كما جاءت الأدلة والأدعية والرقايا الشافية.. فإن كل ذلك مبنى على هذه الاسم العظيم الأعظم، وفى كل دعاء على اختلاف أطواره وأنواعه وخصائص أسمائه، ثم لا تجد فى الأعمال الصالحات، المفروضة وغير المفروضة كالنوافل وغيرها، شيئاً إلا وهو داخل تحت ضمنه.

واعلم أن سائر أسماء الله تعالى منها ما ينتفع به علماً وعملاً.. فإذا اقترن اسم باسم آخر صار له فعل، وإذا ركب مع ثالث، صار له فعل ثالث، وهكذا هى القاعدة فى سائر أسماء الله الحسنى.. فإذا تركبت وأضيفت إلى اسم الجلالة، انحرفت لصاحبها العوائد، وكملت له الفوائد، وصار له كل خير زائد، ومنع بالكلية من الشيطان المارد.. ورد فى الحديث عن سيد الرسل ﷺ أنه قال: "*إن لله تعالى فى أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها*"، وقيل: إن النفحات مصادفة الوقت اللائق بالمطلوب والاسم اللائق للقصد، وقد كشف الله تعالى ذلك لأهل العناية.

واعلم أيها الناظر أن هذا الاسم اختلف فيه أرباب البصائر: هل هو مشتق أم لا؟ واجمع علماء هذا الفن على أنه ليس بمشتق، وهو مذهب أهل التحقيق، لأن الأسماء ليست مشتقة من سواها، بل سواها مشتق منها، وهذا الاسم تفرد به البارى جلّت قدرته، ومعناه السيد، وهو الاسم المخزون المكنون، وعليه مدار

الطريقة الجامعة للشريعة والحقيقة، ولذلك بدأ به كتابه وختمه به، وأشار إليه بقوله **﴿هو الله أحد﴾**.

وقد ذكر بن عبد الله ﷺ: إن من أخلــص المجــاهدة والرياضـــة، وهـــو متخلص من الشهوات، والأخلاق الرديئة والأعمال الذميمة، وجلس فى مكان خـــال من الأصوات، واغلق طريق الحواس، وفتح عين الباطن وسمعه، وجعل القلب فى العالم الملكوتى، وقال: "الله. الله. الله." دائماً بالقلب لا باللسان، إلـــى أن يصـــير لا خبر له عن نفسه، وبقى لا يرى شيئاً إلا الله سبحانه، أنفتح له طاق ينظر منه فـــى اليقظة، وتظهر له أرواح الملكوت والأنبياء، وانكشـــف لـــه ملكـــوت الســـماوات والأرض، ورأى ما لا يمكن شرحه من العلوم اللدنية والعجائب الربانية والأسرار الإلهية. **﴿صنع الله الذى أتقن كل شئ﴾** (النمل: ٨٨).

وهذا منتهى كلامنا فى هذا الفصل.. وختمناه بالتنبيه على هذا الاسم العظيم وفيه كفاية لمن وفقه الله تعالى.

الفصل الثالث

فى فضائل علم الحقيقة

أقسام علم الحقيقة

اعلم أيها الناظر، أنار الله بصيرتك: أن علم الحقيقة هـــو علــم التوحيــد الخالص من خفايا الشرك، وشعاب النفاق.. وهو ثلاثة أقسام:

١-توحيد العامة، وعلماء الظاهر.

٢-توحيد الخاصة، وعلماء الباطن.

٣-توحيد خاصة الخاصة، والعلماء المقربين، أرباب المعرفة بالله الكاملـــة التامة.

وسوف نتناول شرح كل قسم من الأقسام الثلاثة بشئ من التفصيل.

أولا: توحيد العامة وعلماء الظاهر

فأما عقائد العامة وأهل الظاهر، وتوحيدهم وأدبهم، فى كلمة الشهادة التـــى هى إحدى مبانى الإســـلام وهى: أن تعتقد أن الله وحده لا شريك له، فرد لا ثـــانى له، صـــمد لا مثل له، ولا ضد له، منفرد لا ند له، قديم لا أول له، أزلى لا بدايـــة له، دائم الوجود لا أخر له، أبدى لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، باق لا انعدام له، لم يزل ولا يزال منعوتاً بصفة الجـــلال، لا يقضى عليه بالانقضاء، وأنـــه ليـــس بجسم مصور، ولا جوهر محدود، وأنه لا يماثل الأجسام فى التقدير، ولا فى قبول الانقسام، وأنه ليس بعرض، ولا تحله الأعراض، ﴿**ليس كمثله شـــئ**﴾ (الشـــورى: ١١)، ولا شئ يماثله، وأنه لا يحده المقدار، ولا تحيط به الجهات والأفكار، وأنـــه مستو على العرش على الوجه الذى قاله، وبالمعنى الذى أراده، وهو مـــنزه عـــن المساحة والاستقرار، والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش وحملتـــه، بـــل

العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون فى قبضته، بـــل هـــو رفيـــع الدرجات، على العرش مستو وعن الشريك مستغن، وهو مع ذلك قريب مـــن كـــل شئ، وهو اقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد، وهو فى كمال صفاته مستغن عن كل زيادة الاستكمال..

له القدرة الكاملة والحياة الدائمة، حى قادر، جبَّار قاهر، لا يعتريه قصور أو عجز، ولا تأخذه ســنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا مـــوت، وأنـــه المنفـــرد بالخلق والاخـــتراع، المتوحـــد بالإيجاد والإبداع، خلق الخلق وأعمالـــهم، وقـــدر أعمالـــهم، لا يفوت عن قدرته تصاريف الأمور متصف بـــالعلم، عـــالم بجميـــع المعلومات، علمه محيط بما يجرى فى تخوم الأرض إلى أعلى السمـــاوات، يعلـــم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء، ويطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطـــر وخفية السرائر، قديم أزلى، لم يزل موصوفاً بـــه، وبالإرادة مريد للكائنات، مدبر للحادثات..

فلا يجرى فى المـــلك والمـــلكوت قليل ولا كثير، صغير ولا كبيـــر، شر أو خير، نفـــع أو ضر، إيمـــان أو كفـــر، عرفـــان أو نكران، فوز أو خســـران، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان، إلا **بإرادتـــه وقضائـــه وقدرتـــه**، وحكمتـــه ومشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن..

هو المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، لا مهرب للعبد من معصيته إلا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته إلا بإرادته ومشيئته، لو اجتمـــع الجـــن والإنـــس والملائكة والشياطين، على أن يحركوا فى العـــالم ذرة أو يســـكنوها دون إرادة الله تعالى، لعجزوا عنها ولم يقدروا. وإن إرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته، لم يـــزل كذلك موصوفاً به، مريداً فى أزله بوجود الأشياء التى قدرها، فوجدت فى أوقاتـــها كما أراد فى أزله، غير تقديم ولا تأخير، بل وقعت على وفق علمه وإرادته، مـــن غير تبديل ولا تغيير..

لا يشغله شأن عن شأن، وأنه موصوف بالسمع والبصر، سـميع بصـير يسمع ويرى، لا يعزب عن سمعه مسموع وأخفى، ولا يحجب عن سمعه بعد، ولا يدفع عن رؤيته ظلام ويرى من غير حدقة وأجفان، ويسمع من غير صمـاخ ولا أذان، يعلم بغير قلب، ويبطش بغير جارحة، ويخلق بغير آلات، لا تشبـه صفاتـه صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذات الخلق الموصوف بالكمال، آمر، ناه، واعـد، متوعد بكلام أزلي، قائم بذاته، لا يشبه كلام الخلق ليس بصوت ولا بحـرف، ولا ينقطع بإطباق الشفتين ولا تحريك اللسان.

وإن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وكتبه المنزلة على رسله **كلامـه**، وإنه مع ذلك قديم، قائم بذاته جل جلاله، لا يقبل الانفصام والافتراق، بالانتقال إلى القلوب والأوراق، وإن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بغير حرف ولا صوت، كما يرى المقربون ذات الله بغير جوهر ولا عرض، وإذا كانت له هذه الصفـات، كان حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً.

وأنه سبحانه وتعالى **لا موجود سواه**، ولا يقاس عدله بعدل العباد، إذ العبد يتصور منه الظلم، لأن تصرفه في ملك غيره، ولا يتصور الظلم من الله تعـالى، لأنه لا يكون لغيره ملك، حتى يكون تصرفه فيه ظلم، فكل ما سواه من أنس وجن، وملك وشيطان، وسماء وارض وحيوان، ونبات ومعدن وجوهر، وعرض ومدرك ومحسوس، حادث اخترعه بقدرته بعد العدم، وأنشأه بعد أن لم يكن شيئاً، إذ كـان في الأزل موجـوداً وحده، ولم يكن معه غيره فإحداث الخلق فضل منه وإحسـان، ونعمة وامتنان، فلا يجب عليه فعل، ولا يجب لأحد عليـه حـق، وإن حقـه فـي الطاعات واجب على الخلق، بإجابة ما جاء على ألسنة أنبيائه، لا لمجرد العقل.

وكونه بعث الرسل، وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرات،فبلغـوا أمـره ونهيه، ووعده وعيده، فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به، ووجب عليـهم العمل بمعنى الكلمة الثانية **وهي شهادة الرسول علية الصلاة والسلام**، وأنه بعـث النبي الأمي القرشي محمـداً ﷺ ورسالته إلى كافة الناس من العـرب والعجـم،

والجن والأنس، فنسخ بشريعته الشرائع، وفضله على سائر الخلق وجعله سيد البشر، ومنع الإيمان بشهادة لا اله إلا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول، وهو محمد ﷺ وألزم الخلق بتصديقه، بما اخبر به عنه من أمر الدنيا والآخرة.

وأنه لا يتحقق الإيمان لعبد، حتى يؤمن بما اخبر به عنه بعد الموت وأن يعتقده، ويؤمن **بعذاب القبر، والميزان** ذى كفتين ولسان يوزن به الأعمال بقدرة الله تعالى، وكذلك **الصراط** يجب اعتقاده والإيمان به، وأنه جسر ممدود على متن جهنم، أحدُ من السيف وارق من الشعرة، تزل عليه أقدام الكافرين فيهوى بهم في النار، ويثبت الله أقدام المؤمنين عليه، فيساقون إلى دار القرار.. وأن يؤمن **بالحوض** المورود، حوض سيدنا محمد ﷺ يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة، وبعد جواز الصراط، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر، شديد البياض، اشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فيه ميزابان يصبان فى الكوثر، وله أباريق بعدد النجوم.

ويجب اعتقاد الحساب، وتفاوت الخلق فيه، ومن الناس من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون، ويسأل الله من يشاء من الكفار على تكذيب المرسلين، ويسأل الله المبتدعة عن السنة، ويسأل الله المرسلين عن تبليغ الرسالة..

ويؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى فى جهنم موحد بفضل الله.. ويجب اعتقاد شفاعة الأنبياء ثم العلماء، ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين، ومن بقى من المؤمنين لم يكن له شفيع، اخرج بفضل الله، ولا يخلد فى النار مؤمن، بل يخرج منها من كان فى قلبه ذرة من الإيمان.. وأن يعتقد فضل الصحابة ﷺ أجمعين ورتبتهم، وأن افضل الناس بعد النبى ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ﷺ أجمعين، وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ﷺ ويثنى عليهم كما أثنى الله ورسوله عليهم أجمعين، فكل ذلك وردت به الأخبار، وشهدت له الآثار..

فمن اعتقد جميع ذلك مؤمناً به كان من أهل الحق وعصابة السنة، وفارق أهل الضلال والبدع، ثم ينبغى للإنسان أن يحفظ هذا حفظاً، ثم لا يزال ينكشف له

معناه شيئاً بعد شئ، فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد، ولا يفارق التصديق بـــه.. فمن فضـــل الله على قلب الإنسان أن شرحه فى أول نشأته للإيمان، من غير حاجة إلى حجة أو برهان، وكيف ينكر ذلك، وجميع عقائد العوام مبدؤها التقليد المجـــرد والتعليم المحض، فيكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد، غير خال عن نوع مـــن الضعف فى الابتداء، على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه، فلا بد من تقويته وتثبيته للصبى، حتى يرسخ ولا يتزلزل..وهنا نحتاج إلى الإجابة عن السؤال التالى:

كيف يتحقق للعامة تقوية الاعتقاد؟

ليس الطريق فى تقوية الاعتقاد، أن يتعلم الجدال والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن والأحاديث وتفسيرهما، ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يـــزداد رسوخاً، بما يقرع به ســـمعه من أدلة القرآن والأحاديث وشواهدهما وحججـــهما، وما يرد عليه من فوائدهما، وما يطلع عليه من أنوار العبادات ووظائفـــها، وبمـــا يسرى من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وهيئتهم، فى الخضوع لله ﷻ والخـــوف منه والاستكانة، فتكون هذه الأسباب كالسقى والتربية، حتى ينمـــو ذلـــك الاعتقـــاد ويقوى، وترتفع شـــجرته طيبة راسخة، أصلها ثابت وفرعها فى السماء.. وينبغى أن يحرس سمعه عن الجدال غاية الحراسة، فإن الجدال يشوش اكثر ممـــا يـــهدى، وما يفسده أكثر مما يصلحه.. ولا فرق فى التقليد بين تعليم الدليل وتعليم المدلـــول، فالدليل شئ، وتقليد المدلول شئ، والاستقلال بالنظر شئ آخر بعيد عنه.

ومن أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة وســـعادة التوفيـــق فليشتغـــل بالعلم، ويلازم التقوى، ويبعد النفس عن الهوى، ويشتغل بالرياضـــــة والمجـــاهدة، فيُفتح له أبواب الهـــداية، فيكشف بها عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهى، يقذفـــه الله فى القلب بسبب المجاهدة، بحقيقة الوعد منه جلَّ وعلا، إذ قال: **﴿والذين جـــاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾** (العنكبوت: ٦٩)، وهو الجوهر النفيس الذى هو غاية الصديقين والمقربين، وإليه الإشارة بالشئ الذى وقر فى قلب أبى بكر ﷺ حيث فضـــل بـــه

على الخلق.. وتلك الأسرار لها درجات، بحسب درجات المجاهدة، ودرجات الباطن فى الطهارة والنظافة، واختلاف الفطن فى الدعاء والفطنة.. وكما لا تنحصر تلك الدرجات، فكذلك لا تنحصر هذه الملاحظة.. وهكذا عقائد المتقين من عوام المسلمين وتوحيدهم.

ثانياً: توحيد الخاصة

أما توحيد الخاصة أرباب البواطن، وأدبهم وعقائدهم، فهو تقديم طهارة النفس من رذائل الأخلاق، ومذموم الأوصاف.. إذ علم العقائد هو عبادة القلوب، وقربة الباطن إلى الله ﷻ.. وكما أن عبادة الجوارح الظاهرة لا تصح إلا بطهارة الأحداث والأخباث، فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلوب بالأذكار وعلم العقائد إلا بعد طهارتها من حيث الأخلاق وأنجاس الأوصاف.. وقد قال رسول الله ﷺ: "بنى الدين على النظافة"، ويقتضى النص ظاهراً أو باطناً.. وقال الله العظيم ﴿**إنما المشركون نجس**﴾ (التوبة: ٢٨) تنبيهاً للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورتين على الظواهر المدركة بالحس، فالمشرك قد يكون نظيف الثياب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر، أى باطنه ملطخ بالخبائث.

والنجاسة هى عبارة عما يختبث ويطلب البعد منه.. وخبائث صفة الباطن فإنها مع خبثها فى الحال مهلكة فى المآل.. كذلك قال الرسول ﷺ: "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب"، والقلب بيت، وهو منزل الملائكة، ومهبط آثارهم، ومحل استقرارهم، والصفة الرديئة مثل: الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب، وحب الجاه الذى هو أساس الخطايا.. كل ذلك كلاب نابحة فإن كان بيت الملائكة مشحوناً بالكلاب، فإنها لا تدخله.. ونور العلم لا يقذفه الله فى القلب إلا بواسطة الملائكة: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا**﴾ (الشورى: ٤١). وأنا لست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب، وأن الكلب هو الغضب وأخواته ولكن أقول هو تنبيه عليه، ففرق بين تفسير الظواهر

بالبواطن، وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر، ومع تقرير الظواهـــر تعـــرف الباطنية بهذه الدقة.

واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا، والتكالب والحـــرص على التمزيق بأعراض الناس، كلب فى المعنى وقلب فى الصورة. وذو البصـــيرة يلاحظ المعانى والمعانى الباطنة فيها. وفى الآخرة تتبع الصور المعـــانى، وتقلــب المعانى، فلذلك يحشر كل شخص مع صورته المعنوية، فيحشر الممزق لأعـــراض الناس كلباً ضارياً، وآخذ أموال الناس ذئباً، والمتكبر عليهم نمراً، وطالب الرياســـة أسداً.. وردت بذلك الأخبار، وشهد له أهل الاعتبار من ذوى البصائر والإبصار.

فإن قال قائل: كم من طالب للعلم ردئ الأخلاق وحصل العلوم، فـــالجواب أن العلم الحقيقى النافع فى الآخرة الجالب للسعادة، يظهر لصاحبـــه أن المعـــاصى الظاهرة والباطنة سموم مهلكة، وهل رأيت من يتناول سماً مع علمه بكونه ســـما؟ إنما الذين يسمعون من المتوسمين حديثاً، ويلفقونه ويرددونه بألسنتهم مرة، ويردونه عليهم أخرى، ليس ذلك من العلم. قال ابـــن مســـعود ﷺ: "ليـــس العلـــم بكـــثرة الروايات، وإنما العلم نور يقذفه الله فى القلب". وقال بعضهم أن العلم هو الخشيـــة من الله تعالى إذ قال الله تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ (فاطر: ٢٨)، وكأنه أشار إلى أخص ثمرة العلم.

وبالجملة أبى العلم أن يكون لغير الله، أبى وامتنـــع أن يكشـــف لمـــن أراد هواه، ومـــال به إلى غير مولاه، فلا تتجلى له حقائقه، وإنما يحصـــل لـــه حديثـــه ولفظه.. وأما العلم الحقيقى هو الذى تقل علائق صاحبه فى الاشتغال فـــى الدنيـــا، وينفك من أهل وأخ مال وموطن، فإن العلائق شاغلة وصارفـــة، "**ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه**". ومهما توزعت الفكرة قصرت عـــن إدراك الحقـــائق والحق، ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه، حتى تعطيه كلك، والفكرة الموزعة على أمور متفرقة كجدول يفرق ماؤه، فتتشرب الأرض بعضه، ويخطف الهواء البعض، ولا يبقى ما يبلغ الزرع. والفكرة المجتمعة صاحبها لا يخطئ أبـــداً، وإذا صفـــت

الفكرة وتطهرت من خبائث القلــوب، التى أشرنا إليها، صح اعتقاد صاحبها وعلمه وصار علمه علماً حقيقياً، وصار علم الحقائق عنده مشاهدة.

واعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- أن أرباب البواطن لمـــا تطــهرت بواطنهم من النحاسة تنورت، فلما تنورت ذكرت الله، فلما امتزج نور الذكر بنــور الطهــارة كشف بهما صاحبهما عن معنى الوحدة، وتحقق بسر القرب يعنى وحــدة الله تعالى وقربه، وأمده بالرسالة فعند ذلك فنى عن ذاته بالكلية، ووجد الله تعالى لا شئ معه كما قال رسول الله ﷺ: "**كان الله ولا شئ معه، وهو الآن على ما عليه كان، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شئ عليم**". فــهذا توحيــد الخاصة أرباب البواطن، وعقائدهم وأدبهم رضي الله عنهم أجمعين.

ثالثا: توحيد خاصة الخاصة

أما توحيد خاصة الخاصة: المقربين وعوائدهم وأدبهم رضي الله عنهم فهو المعبر عنه بمعرفة الله تعالى. **ومعرفة الله تعالى تنقسم إلى سبع مراتب:**

المرتبة الأولى: منها اللا تعين والإطلاق والذات البحت.. لا بمعنى أن قيد الإطلاق ومفهوم سلب اليقين ثابتان فى تلك المرتبة، بل بمعنى أن ذلك الوجود فى تلك المرتبة منزه عن إضافته للنعوت والصفات، ومقدس عن كل قيد حتى عن قيد الإطلاق أيضاً.. وهذه المرتبة تسمى **بالمرتبة الأحدية**، وهى كنه الحـــق ســبحانه وتعالى، وليس فوقها مرتبة أخرى، بل كل المراتب تحتها.

والمرتبة الثانية: مرتبة اليقين الأول، وهى عبارة عن علمه بذاته وبصفاته وبجميع الموجودات على وجه الإجمال، من غير امتياز بعضها عن بعض وهـــذه المرتبة **بالوحدة والحقيقة المحمدية**.

المرتبة الثالثــة: مرتبة اليقين الثانى.. وهى عبارة عن علمه بذاته وصفاته وبجميع الموجودات، على طريق التفصيل، وامتياز بعضها عـــن بعــض، وهــذه

المرتبة تسمى **بالواحدية والحقيقة الإنسانية**.. وهذه المراتب الثلاثة كلـــها قديمـــة والتقديم والتأخير عقلى لا زماني.

المرتبة الرابعة: مرتبة الأرواح، وهى إشارة إلى الأشياء الكونية المجـــردة البسيطة التى تظهر على ذواتها وعلى أمثالها.

المرتبة الخامسة: مرتبه عالم المثال.. وهى عبارة عن الأشيـــاء الكونيـــة المركبة اللطيفة، التى لا تقبل التجزؤ ولا التبعيض، ولا الخلق ولا الالتئام.

المرتبة السادسة: مرتبة عالم الأجسام.. وهى عبارة عن الأشياء الكونيـــة المركبة الكثيفة، التى تقبل التجزؤ والالتئام والخلق والتبعيض.

المرتبة السابعة: هى المرتبة الجامعة لجميع المراتب المذكورة، الجسمانية والنورانية والوحدة والواحدية، وهى التجلى الأخر واللباس الأخير، **وهى الإنسان**.

فهذه سبع مراتب، يعنى مراتب معرفة الله، التى عليها المدار، وهى البغية القصوى وثمرات العـــلوم والأعمال، من حيث هى، والمرتبة الأولى منـــها هـــى مرتبة اللاظهور، والستة الباقية منها، هى مراتب الظهور.

كيف تختلف مراتب الكمال والقرب للعارفين؟

الإنسان إذا ظهرت فيه جميع المراتب المذكورة مع انبساطها، يقـــال فيـــه الإنسان الكامل.. والعروج والانبساط على الوجه الأكمل كان فى نبينا محمـــد ﷺ، ولذلك كان خـــاتم النبيين. وإن أسماء مراتب الألوهية لا يجـــوز إطلاقـــها علـــى مراتب الكون والخلق، وكذلك لا يجوز إطلاق أسماء مراتب الكون والخلق علـــى مرتبة الألوهية.

وإن لذلك الوجود كمالين أحدهما كمال ذاتى وثانيهما كمال أسمائي.

أما الكمـــال الذاتى: فهو إشارة على ظهوره تعالى على نفسه بنفســـه فـــى نفسه لنفسه، فلا اعتبار للغير والغيرية، لأن الغناء المطلق لازم لهذا الكمال الذاتى.. ومعنى الغناء المطلق مشاهدته تعالى فى نفسه جميع الشئون والاعتبارات الألوهية

مع أحكـامها ولوازمها ومقتضياتها على وجه كلى إجمالى، لانـدراج الكـل فـى البطون الذاتى ووحدته كاندراج جميع الأعداد فى الواحد العدد. وإنما سميت غنـاء مطلقاً، لأنه تعالى بهذه المشاهدة مستغن عن ظهور العالم على وجه التفصيـل، لا حاجـة له فى حصول المشـاهدة إلى العـالم ومـا فيـه، لأن مشاهدتـه جميـع الموجودات حاصلة له تعالى عند اندراج الكل فى بطونه ووحدته، وهذه المشـاهدة تكون شـهوداً غيبياً علمياً، كشهود المفصل فى المجمل، والكثـير فـى الواحـد، والنخلة مع الأغصان وتوابعها فى النواة الواحدة.

وأما الكمال الأسمائى: فهو إشارة عن ظهوره تعالى لنفسه علـى نفسـه، وشهوده ذاته تعالى فى التعيينات الخارجة والعالم وما فيه.. وهذا الشـهود يكـون مشـهوداً عياناً عينياً وجودياً، كشهود المجمل فى المفصل والواحـد فـى الكثـير والنواة فى النخلة وتوابعها..

وهذا الكمال الأسمائى من حيث التحقق والظهور موقوفا على:

- وجود العالم وما فيه، لأن معناه السابق لا يحصل إلا بظهور العالم على وجـه التفصيل.
- وأن ذلك الوجـود ليس حالاً فى الموجودات ولا متحـداً بـها، لأن الحلـول والاتحاد لا بد لهما من موجودين حتى يحل أحدهما فى الآخر أو يتحد أحدهما بالآخر، والوجود واحد لا تعدد له أصلاً، وإنما التعدد فى الصفات، علـى مـا يشهد به ذوق العارفين ووجدانهم، وإن العبودية والتكاليف والراحـة والعـذاب والألم كلها راجعة إلى التعيينات.
- وأن ذلك الوجود باعتبار مرتبة الإطلاق منزه عن هذه الأشياء كلها، وأن ذلـك الوجود محيط بجميع الموجودات كإحاطة الموصـوف بالصفـة لا كإحاطـة الظرف بالمظروف والكل بالجزء تعالـى الله عن ذلك علواً كبيراً.

- وأن ذلك الوجود كما أنه باعتبار محض الإطلاق سـارى فى ذوات جميع الموجودات، بحيث يكون الوجود فى تلك الذوات قبل ظهورها فى ذلك الوجود عين ذلك الوجود، كذلك الصفات الكاملة لذلك الوجود، باعتبار كليتها وإطلاقها، سارية فى جميع صفات الموجودات، عين صفات الموجـودات، كمـا كـانت صفات الموجودات قبل الظهور فى تلك الصفات الكاملة.
- وأن العالم بجميع أجزائه، غير الصفات الكاملة، أعـراض والمعـروض هـو الوجود. وأن للعالم ثلاثة مواطن: أحدها التعين الأول يسمى شئونـا، وثانيـها التعين الثانى ويسمى أعياناً ثابتة، وثالثها فى الخـارج ويسـمى فيـه أعيانـاً خارجية.
- وأن الأعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود، وبواسطته يدرك ذلك الشئ كالنور بالنسبة إلى سائر الألوان والأشكال، ولأجل دوام الظهور وشدته، لا يعلم هـذا الإدراك إلا خواص الخواص المقربين.

وإن القرب قربان: قرب النوافل وقرب الفرائض.

أما قرب النوافل فهو زوال صفات البشرية، وظهور صفاته تعـالى بـأن يحيى ويميت بإذنه تعالى، ويسمع ويبصر، من جميع جسده، لا من الأذن والعيـن فقط، وكذلك يسـمع جميع المسموعات من بعيد، وكذا يبصر جميع المبصرات من بعيد.. وعلى هذا القياس، وهذا معنى فناء الصفات، يعنى صفات العبد فى صفـات الله تعالى وهو ثمرة النوافل.

وأما قرب الفرائض فهو فناء العبد بالكلية عن شعوره بجميع الموجـودات حتى عن نفسه أيضاً، بحيث لم يبق فى نظره إلا وجود الحق سبحانه. وهذا معنـى فناء العبد فى الله تعالى وهو ثمرة الفرائض.

وحدة الله تعالى

إن من القائلين بوحدة الله تعالى من يعلم أن الله تعالى حقيقة جميع الكائنات وباطنها علماً يقيناً، ولكن لا يشاهد الحق فى الخلق.. ومنهم من يشاهد الحق سبحانه وتعالى فى الخلق شهوداً حالاً بالقلب، وهذه المرتبة أولى وأعلى من الأولى.. ومنهم من يشاهد الحق فى الخلق والخلق فى الحق، بحيث لا يكون أحدهما مانعاً من الآخر، وهذه المرتبة أعلى من المرتبتين السابقتين، وهو مقام الأنبياء عليهم السلام والأقطاب رضي الله عنهم.. ومن المحال أن تحصل المرتبة المتوسطة، من تلك المراتب الثلاث، لمن خالف الشريعة والطريقة، فضلاً عن المرتبة التى هى أعلى مما سواها من المرتبتين.. وإن جميع الموجودات من حيث الحقيقة، فالكل هو الحق سبحانه وتعالى.. ومثال ذلك: السحب والموج وكور الثلج، فإنهن كلهن من حيث الحقيقة الماء ومن حيث التعيين غير الماء.

الدلائل الدالة على وحدة الله تعالى

أما الدلائل الدالة على وحدة الله تعالى، يعنى وحدة الشهود، فهى كثيرة.

فمن القرآن العظيم قوله تعالى:

﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله أن الله سميع عليم﴾ (البقرة: ١١٥).

﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (ق: ١٦).

﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (الحديد: ٤).

﴿ونحن اقرب إليه منكم ولكن لا يبصرون﴾ (الواقعة: ٨٥).

﴿أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ (الفتح: ١٠).

﴿وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم﴾ (الحديد: ٣).

﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات: ٢١).

﴿**وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب**﴾ (البقرة: ١٨٦).

﴿**فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم**﴾ (الأنفال: ١٣).

﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمي**﴾ (الأنفال: ١٧).

﴿**وكان الله بكل شئ محيطاً**﴾ (النساء:١٢٦).

﴿**وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه**﴾ (الجاثية:١٣).

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

ومن الحديث الشريف:

قال ﷺ: "أصدق كلمة قالتها العرب، كلمة لبيد: ألا كل شئ ما خلا الله باطل".

وقوله ﷺ : "إن أحدكم إذا قام إلى الصلاة إنما يناجى ربه، فإن ربه بينه وبين القبلة".

وقوله ﷺ عن الله تعالى: "لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها".

وروى الترمذى فى حديث طويل: "والذى نفس محمد بيده، لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى، لهبط على الله تعالى، ثم قرأ ﷺ: ﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم**﴾ ".

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة الصحيحة.

وأما أقوال العارفين ﷺ الدالة على وحدة الشهود، نظماً وشعراً، فكثيرة ومن جملة أقوالهم:

أيا سـري ويـا جـهري وبعضـى ويا كـل أجزائـى ومكنـون خفيتـى
وجملتـي رجعت فلم أجد سواك فـى رجعتـى
نظرت فلـم أبصـر سـواك محقـق ويـا باطنـاً بـاد فـى كـل خفيتـى
فيا ظاهـراً فى الكائنـات بأسـرها ومنه دواعى القصـد جـهراً تبـدت
أيا كعبة المقصود فـى كـل وجهـه ومنـك بـدا حقـاً لعيـن البصـيرة
ففيـك الـذى نلقـى وفيـك لقيتـه وشـاهد المشـاهـدات عند الشهادة
وأنت بصـير المبصرات بأسـرها

وقال الجيلى:

اخضـع يـا قلبـى لمـن تجـلى عليـك فـى كـل مـا تـراه
ودع البيـن عنـك وتخلـى عنـك وعـن كـل مـا سـواه
تجـدك منـه فرعـاً و أصلا من غـير كـيف إنـك إيـاه

قال سهل بن عبد الله ﷺ: "لا وصول إلى معرفة الذات العليـة، إلا مـن طريق الاسم الأعظم، اسم الجلالة "**الله**"، لأن الوجود لم يتحقق إلا به، وتجلياتـه تعالى كلها تحته بكمالاتها التى لا تتناهى.. وقد ورد الاسم فى القرآن، وهو مركز العظمة والعلم والقوة والحكمة، فمن طلبه به صح توحيده، ومن طلبه بنفسه ورأى لها عملاً، لم يصح توحيده، ولم يصل إلى بغيته."

فهو الواحد الموحد لنفسه بالتوحيد، عظيم شأنه، عليٌ مكانتـه، لا يخـص بحقيقته إلا أهل الكمال، ولا يبلغ معناه إلا أفراد الرجال، من غيبه الله عن الصـور والجسوم، وجرده بالكلية عن خيال الرسوم، ورفع همته عن التعلق بالدنى والفانى.. فإذا علـم الله من قلبه أنه معلق به أودع فيه محبته. فلاح له بقدرهـا مـن بـهاء جماله، ما يتيه به عن دائرة الرسوم، ويغرق فى بحر عزه وبهائه، فيخرجه عـن دائرة العقل المخصوص بتحقيق المواهب، فيصير للقرب أهلاً وبكشـف الأسـرار أحق وأولى، فلاح له ضياء البصائر، وظهرت له خفية الضمـائر، واطلـع علـى

الغوامض الغوائر، فصار من أهل البصائر الصافية الذين لا تخفى عليهم خافيـــة، فاستقر فى بساتين الأنس، وأكل من ثمار الشهود، وشرب شراب الوجــد، وصـــار مطلوباً بالقرب والمعرفة لا طالباً، وطاف بالمنازل والمشاهد، فصار خلقاً آخـــر.. ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ (المؤمنون: ١٤).

نصائح ووصايا لا بد للمريد منها

● قال الشيخ زروق: "ما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح".

● قال الجزولى: ومن فضائل مخالطة الحكماء، اكتساب العلـــوم والأدب، ومعرفة رب الأرباب لقوله تعالى: ﴿**واتبع سبيل من أناب إلىّ**﴾ (لقمان: ١٥).

● وقال الفضيل بن عياض ﷺ: "هذا زمان احفظ فيـــه لســـانك، وأخفــه مكانك وعالج قلبك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر"، وقال أيضاً: "مــــن طلـــب الله صادقاً وصــــل إليه بأول خطوة، فالصدق سيف الله، ما وقع على شئ إلا قطعـــــه، ولا تطيق الموجودات مقابلته".

● وفى الحكم لابن عطاء الله ﷺ: "إذا أردت إن تعرف قدرك عنـــد الله، فانظر فيما يقيمك فيه، هذا ميزان صحيح".

● وقال رسول الله ﷺ: "*من أراد أن يرى منزلته عند الله تعالى، فلينظر كيف منزلة الله من قلبه، فإن الله تعالى ينزل العبد عنده، من حيث أنزله العبد من نفسه*". وهذا الإنزال المذكور المنسوب للعبد، هو معنى الإقامة المذكـــورة، إذ العبد لا فعل له على الحقيقة والتحقيق.

● قال وهب بن منبه ﷺ: قرأت فى بعض الكتب المنزلة "ابن آدم أطعنى فيما أمرت، ولا تُعلمنى بما يصلح لك، إنى عالم بخلقى، وإنى أكرم من أكرمنـــــى، وأهين من هان عليه أمرى".

● وقال معروف الكرخى ﷺ: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب.

● قال رسول الله ﷺ: "**مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره، مثل الحى والميت والذاكرون الله هم جلساء الله تعالى فى الدنيا والآخرة، فلا يشقى جليسهم**". وآداب الذكر ثلاثة: معرفة المذكور، والهيمان فى الذكر، والفكر فى الغيب.

● قال الشاذلى ﷺ: "قف بباب واحد، لا لتفتح لك الأبواب، فتفتح لك أبواب. واخضع لسيد واحد، لا لتخضع لك الرقاب، فتخضع لك الرقاب".

● وقال أيضاً: "اقطع طمعك من الله، أن يعطيك غير ما قسم لك، ومن الخلق أن ينفعك أحد أو يضرك".

● وقال المرسى أبو العباس ﷺ:

ما رأيت العزة إلا فى رفع الهمة عن الخلق، والثقة بالحق، وإياك أن تستولى عليك الغفلة والنسيان، حتى تميل إلى الإخوان، وتطلب من غير الله وحده الإحسان، وايأس مما فى أيدى الناس تعش حراً غنياً.

ومن أراد أن يكون شيخاً من غير أمر الله فهو أحمق. ومن أراد أن يكون شيخاً من غير مواهب الله وإذن شيخه فهو مجنون. ومن أراد أن يكون شيخاً بالجد والأب والنسب، فهو جاهل أعمى، محجوب القلب. ومن أراد أن يكون شيخاً بالتذلل والمسكنة للمخلوقات، فهو منافق.

ومن أقيم فى مقام محمود، فلا يرجع إلى مخالطة أهل اللهو ومجالسة العوام، فإنها تذهب نور القلب وهيبة الوجه. واجتهد فى مخالطة الخصوص، ففيها إدراك العلم، وصفاء القلب، وسلامة القلب من الوساوس، لأن الوسواس لا يكون إلا من مجالسة السوء، فيحجب القلب عن مطالعته للمعانى، ودواؤه ذكر الله والانقطاع له، والعزلة عن جلساء السوء.

● وقال الخواص ﷺ: إن القلب محتاج إلى الذكر، والذكر محتاج إلى القلب، لا يستغنى أحدهما عن الآخر، فإذا اجتمع القلب مع الذكر، قامت فيه

الحكمة، ولا يصفو الذكر إلا بعد صفاء القلب، ولا يصفو القلب إلا بعد صفاء المعرفة، ولا تصفو المعرفة إلا بعد صفاء التوحيد، ولا يصفو التوحيد إلا بعد الخروج من التقليد.

والعارف دون التوحيد لا يقتدى به فى هذه الطريقة والحقيقة، لأنها أرق من الشعرة وأحد من السيف، والمريد لا يكون مريداً، حتى لا يكون فى قلبه إلا المراد، وهو الله وحده، لأنه اسم عظيم، لا يكون إلا فى القلب العظيم، وعلى هذا مدار كلامنا، وإشارتنا كلها راجعة إليه.

والمقصود من هذا الفصل التنبيه على ما يتقرب العبد به إلى الله تعالى، ويبلغ به الرضا منه، وهو البغية، ولا تكون فى غير اسم الجلالة "**الله**" المحتوى على الموجودات بأرهاطها وأنواعها دنيا وأخرى، وغيباً وحضوراً فمن شغل قلبه بذكر اسم الجلالة من غير فتور ليلا أو نهاراً وفكره فى اسم الجلالة كلمة "**الله**" التامة وصلة الله ولا يبقى ما يخفى عليه فلا وصول إلى الله إلا بالله، وهنا ختمت هذا الفصل بحمد الله.

الفصل الرابع

فى الرد على من بدع

فى الشريعة ما ليس فيها

أهل البدعة فتنة للعوام

لقد اختلج صدرى لما نحن بسبيل كشفه، من إظهار البدع، وأرهاط المبتدعة وصفة أقوالهم، وأفعالهم وأحوالهم، مما ظهر وانتشر فى هذا الزمان، وتمكن فى عقول العباد، غيرة على الطريقة المحمدية، ونصرة للملة الأحمدية، وخشية على عوام الأمة المحمدية، من الالتباس والإلحاد، والزندقة والميل عن السداد.

لأن أهل البدعة فتحوا فم الفتنة للعوام، فكانوا كشؤم داحس على أولئك الأقوام فهم أبلغ من اللصوص فى سرقة عقول القاصرين، مع انهم يدعون فى أنفسهم كمال الأوس والخزرج، ولم يكن لهم حظ فيما يدعونه من الدعوى، ولم توصلهم تلك الخرافات إلا لاتباع الابتداع، وما تهوى الأنفس والهوى، ولا صح لهم فى السنة اسم، ولا تخلقوا بآدابها، فكيف يصح لهم أن ينالوا منها، فمرتبة عبادتهم عادة لا عبادة، بل يتظاهرون بها، ولا يقتدون بمن تقدم من السادات الصحابة، فينتهكون حرمة الشرع الشريف، فوقعوا فى الضلال والظلماء، ليس لهم من العلم إلا مجرد الاسم والدعوى، فالمبتدع لا تقبل عادته.

وأما من كان منوراً بظاهر الكتاب والسنة وبباطنهما، لا يبتدع فى الدين ما ليس فيه وما لم يكن فى عهد رسول الله ﷺ ولم تكن عليه جماعة الصحابة رضي الله عنهم، وما دونهم وما بعدهم، كلهم مطلوبون بمتابعتهم، فمن تخلف عنهم فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وهو المبتدع الذى لا يقبل الله منه صوماً ولا صلاة، ولا حجاً ولا عمرة، ويخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين.

قال رسول الله ﷺ: "لا يقبل الله من صاحب بدعة صوماً ولا صلاة، ولا حجاً ولا عمرة، ويخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين". وقال ﷺ: "الناس يطمعون في مغفرة الله، وتنالهم الشفاعة يوم القيامة، إلا من يأتي منهم على بدعة شرعها للناس وحسنها لهم". وقال ﷺ: "رجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة، إمام ضال، وغال في الدين". وقال: "أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته". وقال ﷺ: "من أحدث في أمرنا ما ليس فيه، فهو رد عليه". وقال ﷺ: "كل عمل ليس فيه أمرنا فهو ردّ". وقال ﷺ: "عمل قليل في سنتي خير من عمل كثير في بدعة". وقال ﷺ: "كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار". وقال ﷺ: "إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة".

تعريف البدعة

اعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- **أن البدعة هي لم تكن في عهد ﷺ ولم تكن في عهد الصحابة** ﷺ من أقوال وأفعال وأحوال. فيجب على المؤمن صحيح الإيمان أن يتشبه بأصحاب رسول الله ﷺ في الأقوال والأفعال والأعمال، ومن تشبه بغير الصحابة ﷺ حشر معهم وهو منهم، ومن تشبه بالصحابة ﷺ حشر معهم وهو منهم. قال رسول الله ﷺ: "**من تشبه بقوم حشر معهم وهو منهم**". ومن خرج عن التشبه بالصحابة ﷺ وقع في البدعة التي لا يقبل الله من صاحبها علماً ولا عملاً، ولا ينفع صاحبها حج ولا عمرة ولا صلاة. ولذلك قال رسول الله ﷺ: "**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**"، وقال ﷺ: "**مثل أصحابي كمثل سفينة نوح** عليه السلام **من دخل فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق**". وقال تعالى في وصفهم ﷺ: ﴿**أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ (الفتح: ٢٩)، وقال

ﷻ فى حقهم: ﴿**ونزعنا ما فى صدورهم من غل أخوانا**﴾ (الحجر: ٤٧). وقال ﷺ: "**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**"، وقال ﷺ: "**من فارق الجماعة واستولى الإمارة، لقى الله تعالى ولا وجه له عنده**"، وقال ﷺ: "**من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية**"، وقال ﷺ: "**من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**".

وبالجملة -أرشدك الله- أن **من جعل فى الشريعة ما ليس فيها، وما لم تكن الصحابة** ﷺ **فهو المبتدع الضال**، وهو الكاذب الذى ذكره رسول الله ﷺ أنه يتبوأ مقعده فى النار، وأنه لا تنفعه شفاعة شافع. لأن الابتداع هو سبب تفرق هذه الأمة، حتى صارت ثلاث وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار، إلا فرقة واحدة منهم، وهى العاملة على ما كانت عليه الصحابة ﷺ، وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأحاديث رسول الله ﷺ لا زيادة عليهما. وكل من زاد فى الشريعة والدين ما ليس فيهما، فهو الذى كذب على رسول الله ﷺ الذى أتى بهذا الدين المبارك المطهّر.

وقال ﷺ: "**افترقت بنو إسرائيل على أثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين، كلهم فى النار إلا فرقة واحدة، قيل: من هى يا رسول الله؟ قال: من كان على ما أن عليه وأصحابى**". والذى كان ﷺ عليه وأصحابه ﷺ، هو كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، لم يكن بأيديهم كتاب آخر، لم يكن بينهم فى الدين إشكال ولا تناقض، لأن الإشكال فى الدين غير محمود.

وقال رسول الله ﷺ: "**كل مشكل حرام وليس فى الدين إشكال**". ولقد كان أصحاب ﷺ رضوان الله عليهم أجمعين متطهرين من التناقض بينهم، وكانوا أمة واحدة وطائفة واحدة، وكانوا زاهدين فى الدنيا، مائلين عن زينتها، راغبين فى الآخرة ودرجاتها، ذاكرين الله تعالى بألسنتهم على الدوام، ومتفكرين فى ملكوته بعقولهم، فليس فيهم غافل القلب عن ذكر الله ﷺ أجمعين.

ثم ظهر من بعد ذلك قوم أحدثوا فى الدين والشريعة ما ليس فيهما، ولم تفعله الصحابة ﷺ، وجعلوه على قسمين: قسم مستحسن، وقسم مستقبح، فصارت البدع تظهر. فمن بدع بدعة يقول هذه مستحسنة، فيجد من يستحسنها معه، إلى أن تفرقت الفرق فى البلدان، وانتشر ذلك وعم الأوطان فكمل العدد الذى ذكره رسول الله ﷺ للفرق، وهو ثلاث وسبعون فرقة.

وقد اختلف أرباب البصائر الصوفية ﷺ مع أرباب الظواهر الفقهاء ﷺ باجتهادهم فى معنى النصوص الواردة فى البدع والمبتدعين.

فأما **الصوفية** ﷺ لم يروا فى الأحاديث الواردة فى ذلك ما يقتضى استحسان بعضها واستقباح البعض، وإنما يرون البدع كلها ضالة مضلة داعية إلى النار، وشددوا فى ذلك كثيراً.

وأما **الفقهاء** بلغوا باجتهادهم إلى الرخصة والاستحسان فى بعضها، إن كانت من قبيل الدين وأفعال البر، مثل الذكر بالمداولة بالمساجد برفع الأصوات، ومثل الإجارة على الآذان، والإجارة على الصلاة، وعلى تعليم الدين ومثل ذلك. وكذلك تصنيف الكتب المحدثات مثل كتب المتكلمين وكتب المنطق، وما يشابهه من المعقول والجدال. كل ذلك محدث، لم تكن الصحابة ﷺ ترتضيه، لكن الفقهاء ارتضوه، ووقع إجماعهم عليه بالشهرة والبيان، لأنه مستحسن ومن تقوية الدين.

وخلاصة القول أن ما وقع عليه إجماع المسلمين، إن وافق الكتاب والسنة فلا بأس فيه، وكذلك إن وافق آثار الصحابة ﷺ، وإن كان مخالفاً لهم، فلا يقال فيه إجماع أهل السنة المطهرة، وإنما يقال فيه إجماع أهل البدعة المضلة على رأى المبتدعة. وأهل هذه البدع فرقتان: فرقة المعتزلة وفرقة الفلاسفة.

أهمية التمسك بالقرآن والسنة

قال سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ: "من أراد علم الأولين والآخرين فعليه بنور القرآن وليتدبره". والقرآن لا يصح شرحه بغير السنة، لأن تدبره بالأحاديث،

وتدبر الأحاديث بالقرآن لمن كانت له بصيرة منورة باتباع السنة. ومن لـــم يكـــن عالماً عاملاً زاهداً فى الدنيا، راغباً فى علوم الآخرة على نهج الكتاب والســـنة، لا يصح منه شرحـــه ولا نظره. ولا يتوقف فيه نظر أحد من العلماء الأتقيـــاء علـــى نظر آخر، بـــل هو مجرى عذب، لا حد له، ولا ساحل لـــه، ولا يطيـــق أحـــد أن يطـــلع على حده، من كونه لا يعلم تأويله على النهاية إلا الله، وكـــل واحـــد مـــن الأتقياء من أهل السنة والتدبر، يأخذ منه بقدر وعائه، ويغمر منه آنيته.

وكذلك أحاديث رســـول الله ﷺ كل واحد يأخذ منها مقدار ما بلـــغ فهمـــه ونور بصيرته.. قال رسول الله ﷺ إذا قرأ الرجل القرآن، واحتسى مـــن أحـــاديث رسول الله ﷺ كان خليفة من خلفاء الأنبياء.

ثم إن بعض المؤلفين فى المعقول والجدل، إذا بدع كتابه فى معقوله ذكـــر فيه: أن من لم يعرف كتابه ذلك فلا معرفة له بالله ولا بديـــن الله، ويلـــزم الأمـــة المحمدية ما لم يكن يلزمها فيشتغل فى أيام عمره بما لم يكلف به، ويترك ما هـــو مكلف به من عبادة ربه.

العبادة الشرعية وأنواعها

والعبادة نوعان:

عبادة بظاهر الأجساد وهى الصلاة فرضاً ونافلة، والصوم فرضاً ونافلـــة والزكاة فرضاً ونافلة، وزيارة الأنبياء والأولياء فرضاً ونافلة، وقول لا إلـــه إلا الله باللسان الرطب، وقراءة القرآن، وذكر الأسماء والأدعية، وغير ذلك مـــن أفعـــال البر.

وعبادة الباطن هى المداومة على ذكر الكلمة الشريفة بالقلب لا باللســـان، يعنى الاسم الأعظم الذى قررناه فى هذا الكتاب.

وهذه هى قواعد الإسلام المفروضة علينا، لا زيادة عليها ولا نقصان منها، بدليل قول الرسول ﷺ للعربى الذى سأله: أخبرنى يا رسول الله عما فرضـــه الله

على، فأخبره ﷺ بالشهادتين والصلوات الخمس وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا وإيتاء الزكاة. قال العربى: والله لا أزيد عليها شيئاً ولا انقص منها شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: قد افلح ودخل الجنة إن صدق -والحديث بالمعنى. ولقد شهد له رسول الله ﷺ بالفلاح ودخول الجنة إن صدق فى ترك الزيادة والنقصان، لأن الزيادة والنقصان فى الدين هى البدعة التى نهى الشارع عنها.

اعلم أيها الناظر فى هذا الكتاب -أنار بصيرتك- أن **العبادة بظاهر الأجسام** مقيدة بأوقاتها مثل الصوم فى شهره، والصلاة فى أوقاتها، والحج له وقت فى السنة لا يصح فى غيره، وكذلك الزكاة لا تلزم إلا بكمال الحول وهو وقتها، وكذا كمال النصاب.

وأما العبادة بالباطن التى هى المداومة على الكلمة الشريفة، فليس لها وقت دون آخر، بل سائر الأوقات، وكل ما يشغل صاحب هذه العبادة ويغفله ويلهيه عنها، فهو خسران مبين. قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً**﴾ (الكهف: ٢٨). وقال ﷻ: ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تهلكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**﴾ (المنافقون: ٩). وقال تعالى: ﴿**ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً**﴾ (الجن: ١٧). وقال تعالى: ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين**﴾ (الزخرف: ٣٦).

وبالجملة فإن من كلف نفسه بغير هاتين العبادتين فهو المبتدع الضال، لأن الأعمال لا تصح إلا بعلومها، وأول العمل العلم به. قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون**﴾ (الذاريات: ٥٦)، والعبادة هى التى ذكرناها. قال تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكروا أولوا الألباب**﴾ (ص: ٢٩)، وقال رسول الله ﷺ: "**اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه**". والصحابة ﷺ أمروا بتدبر القرآن وهم أصول العلم.

الجاهل باصطلاحات المتكلمين ليس بكافر

من عجائب ما هو مبدوع فى الشريعة والدين تكفير الجاهل باصطلاحات المتكلمين وهو من أمة سيدنا محمد ﷺ ومن المؤمنين بالله ورسوله، وهو أيضاً منسوب إلى تلك الملة. ولا يلزم من جهل تلك الاصطلاحات كفر ولا معصية، لأن المتكلم المجادل ليس برسول، ولم يكلف بتبليغ الرسالة، وإنما يكفر الجاهل بكلمة التوحيد الخالص من خفايا الشرك، وشعاب النفاق، ومن منع النطق بها.

وأما من هو جاهل بجميع الكتب الموجودات، التى تداولتها الناس فى سائر البلدان، وكان عالماً بكلمة **"لا اله إلا الله محمد رسول الله"** وقائلا لها مؤمناً بالكتاب والسنة، فلا يقول بكفره إلا جاهل أعمى. فلو كان هذا الدين لا يكمل ولا يصح إلا بتصانيف المصنفين، لأخبرنا بذلك رسول الله ﷺ كما أخبرنا بما كان وما يكون.

ومن جملة ما هو مبدوع فى الشريعة فعل ما نهى الله عنه هذه الأمة فى كتابه العزيز، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو التفرق والاختلاف. قال تعالى: ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات**﴾ (آل عمران: ١٠٥). وقال ﷻ: ﴿**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾ (الأنفال: ٤٣). وقال ﷻ: ﴿**وما اختلف الذين أتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم**﴾ (آل عمران: ١٩).

واعلم أيها الناظر أن لفظ الخلاف ولفظ الاختلاف ولفظ المخالفة يرجع إلى شئ واحد، وإنما يتغاير باعتبار المادة. فخلاف مصدر خالف، واختلاف مصدر اختلف، ومخالفة مصدر ميمى، وهو مؤذن بضعف الخلاف، باختلاف اللفظيين السابقين. وفى الخبر أن الخير كله فى الموافقة، والشر كله فى المخالفة. وقال ﷺ: "*الجماعة رحمة والفرقة عذاب*". والعارفون ﷺ لما أطلعوا على السر، ووقفوا مع الخبر،كانوا مشاهدين، والشاهد يرى مالا يراه الغائب. والعارف الكامل

فى المعرفة يرى أن الله تعالى خاطب فى كتابه العزيز جميع الفـــرق والأحــزاب، وأمر فيه جميع المؤمنين بالتقوى، بدون تفرقة.

تطبيق الشريعة يستلزم العلم والعمل

لما كان المؤمنون قسمين خصوص وعوام، لذا فقد أمر الخصوص بقولـــه: ﴿**اتقوا الله حق تقاته**﴾ (آل عمران: ١٠٢)، وأمر العوام بقولـــه: ﴿**اتقــوا الله مــا استطعتم**﴾ (التغابن: ١٦). فكلف كل فريق بما هو فى طوقه: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ (البقرة: ٢٨٦). فالخصوص مكلفون بحق التقوى، والعوام مكلفون بمـــا استطاعوا من التقوى، ونسخ عنهم حق التقوى. وهذا معنى الناسخ والمنسوخ عنـــد العلمـــاء الراسخين فى العلم، فى جميع القرآن العظيم. قال تعالى: ﴿**والراســـخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا**﴾ (آل عمران: ٧)، ونسخ عنهم حكم مـــا استطعتم، وقال ﷻ: ﴿**وما يذكر إلا أولوا الألباب**﴾ (البقرة: ٢٦٩)، فصار القـــرآن كله صحيح الحكم، تام العمل، يعمل به جميعاً.

ثم إن بعض الناس يزعمون أن تلك الآيات المنسوخة لم يبق لها حكـــم ولا يعمل بها البتة، وأن العمل على الناسخة والحكم لها فقط، وأما المنسوخة لا عمـــل بها.. ففى مثل هؤلاء قال تعالى: ﴿**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فمـــا جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى اشـــد العذاب وما الله بغافل عما تعملون**﴾ (البقرة: ٨٥). واعلم -أرشدك الله- أن من زعم واقتضى أن فى القرآن ما لا يعمل به، ولم يبق له حكم، فقد وقـــع فـــى الزندقـــة والبدعة التى لا يقبل الله من صاحبها صلاة ولا صوماً ولا حجـــاً.. قـــال تعـــالى: ﴿**ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون**﴾ (البقرة: ٧٨)، وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعـــد إيمانكم كافرين**﴾ (آل عمران: ١٠٠).

واعلم أيها الناظر أنه لا يعتقد ذلك، إلا من هو معتمد على فهم العلوم والقرآن بالقياس العقلى، وقلبه مظلم بالعلل المهلكة للقلوب، مثل الغضب والحسد والحقد والنميمة والغيبة، والغل والتجسس والكبرياء، وحب الجاه عند الناس، وحب الثناء، وحب الدنيا العاجلة التى هى رأس الخطايا كلها. فصار لسانه ينطق بألفاظ العلوم وألفاظ القرآن، وقلبه مشحون بالخبائث والعلل، لعدم العمل بالعلم، فصار سره مخالفاً لجهره.. ففى مثل هؤلاء قال رسول الله ﷺ: "**رب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل علم إلى من هو أعلم به منه**"، وقال ﷺ: "**مثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة باطنها طيب وطعمها مر**"، وقال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه: "**أنتم فى زمان قليل قراؤه كثير فقهاؤه، تحفظ حدود القرآن، وتضيع فيه حروفه. وسيأتى زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه، تحفظ فيه حروف القرآن، وتضيع فيه حدوده، ومن فارق الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**".

ومن جملة أحوال المبتدعة، الذين يزعمون أنهم من علماء الظاهر وليسوا منهم، أن يكون الكلام أحب إليهم من الاستماع، مع أن فى الكلام تنقيصاً وزيادة، ولا يؤمن على صاحبه من الخطأ، وفى الصمت نجاة وسلامة وعلم، فآثروا الكلام الذى هو موجب للخطأ، عن الصمت والاستماع الذى هو موجب للنجاة والسلامة والعلم، وذلك من فتنة فتنوا بها، من جهلهم بالعلم وحقيقته.

قال القشيرى رضي الله عنه: "كم من عالم أخره علمه، وكم من جاهل قدمه جهله". وقال أيضاً: "ومن علماء السوء من يأمر الناس بالخير ولا يأتيه، وينهاهم عن الشر ويأتيه، فذلك سبب لشقاوته ودخوله النار".. ففى مثل هؤلاء قال تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**﴾ (البقرة: ٤٤)، وقال رسول الله ﷺ: "**يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى على وجهه فى النار ويجتمع عليه أهل النار، فيقولون له: مالك؟ فيقول لهم: كنت آمر الناس بالخير ولا آتيه وأنهاهم عن الشر وآتيه**". قال ﷺ: "**أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم له علم لم ينفعه الله**

بعلمه".. والعالم الذى لم ينفعه الله بعلمه هو التارك للعمل بعلمه، وليس له شهادة ولا معرفة بحقيقة ما رواه، ولا مشاهد لمعنى ما نقله، وإنما هو للعلم راوٍ، وللخبر والآثار ناقل، من غير مخبر يخبره، ولا فقه فيما نقله.

وقد كان الزهرى ﷺ يقول: حدثنى فلان وكان من أوعية العلم، ولم يقل كان عالماً، وكان مالك ابن انس ﷺ عنه يقول: أدركت سبعين شيخاً من التابعين، منهم عباد، ومنهم زهاد ومنهم مجاب الدعاء، ومنهم من يستسقى به، ما حملت عنهم علماً قط، قيل له: ولم ذلك؟ قال لم يكونوا يدرون ما يحدثون به، ولم يكن لهم فقه فيما نقلوه.. وهذا معنى ما روى عن النبى ﷺ: "**رب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل علم إلى من هو اعلم به منه**"، قال سيدنا على ﷺ: "ما قطع ظهرى فى الإسلام إلا رجلان: عالم فاجر ومبتدع ناسك. فالعالم الفاجر يزهد الناس فى علمه، والمبتدع الناسك يرغب الناس فى بدعته لما يرون من نسكه".

حقيقة معنى الأسماء الخمسة المحمودة

واعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- أن من جملة ما هو محدث فى الشريعة إطلاق الأسماء الخمسة المحمودة على غير ما أطلقت عليه فى العصر الأول بين الصحابة ﷺ، وهى: اسم العلم، واسم الفقه، واسم التوحيد، واسم الحكمة، واسم الذكر والتذكير.

فلما كان تحريف الأسماء المحمودة، وتبديلها بالأغراض إلى معانى غير ما أراده السلف الصالح والعصر الأول، وهى أسماء محمودة، والمعتنون بها أرباب المناصب فى الدين والشريعة، ولكنها الآن نقلت إلى معانى أخرى، لزم علينا أن نبين ما أطلقت عليه هذه الأسماء فى العصر الأول بين الصحابة ﷺ.

أولا: اسم العلم

ولفظ العلم كان يطلق على العلم بالله وآياته وأفعاله فى خلقه، حتى أنه لما مات عمر بن الخطاب ﷺ قال ابن مسعود ﷺ: "مات تسعة أعشار العلم"، فقيل له فى ذلك ففسره بالعلم بالله ﷻ. والآن تصرفوا فيه بالتخصيص، حتى شهروه بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم فى المسائل الدنيوية وغيرها، فيقال هو العالم على الحقيقة، ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به، لا يعدونه من زمرة أهل العلم، ولو كان عالماً بالله وبكتاب الله وأحاديث رسول الله ﷺ.

ولقد روى عن رسول الله ﷺ أنه مر برجل والناس مجتمعون عليه فقال: "**ما هذا؟ فقالوا: رجل علامة، فقال: بماذا؟ فقالوا: بالشعر والأنساب وأيام العرب، فقال: هذا علم لا يضر جهله**"، وفى رواية أخرى علم لا ينفع وجهل لا يضر. ويروى عنه ﷺ فى خبر آخر: "**إن من العلم جهلاً، وإن من القول غياً**"، وفى حديث آخر: "**قليل من التوفيق خير من كثير من العلم**"، وفى لفظ آخر كل شئ يحتاج إلى التوفيق. والخبر المشهور عن رسول الله ﷺ: "**اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع**"، فسماه علماً إذ هو له معلوم، وإذ أصحابه علماء عند أصحابهم، ثم رفع المنفعة عنه، واستعاذ بالله منه.

ثانيا: اسم الفقه

و أما لفظ الفقه خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة فى الفتاوى، والوقوف على دقائق عللها، واستكثار الكلام فيها، وحفظ المقالات المتصلة بها. فمن كان أشد تعمقاً فيها، وأكثر اشتغالاً بها يقال هو الفقيه.

ولقد كان اسم الفقيه فى العصر الأول مطلقا على من يتخصص فى معرفة طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس، ومفسدات الأعمال، والإحاطة بحقارة الدنيا، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلوب. ويستدل

على ذلك بقول الله ﷻ: ﴿**ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم**﴾ (التوبة: ١٢٢). وقال ﷻ: ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها**﴾ (الأعراف: ١٧٩)، وأراد به معانى الإيمان دون الفتاوى فى الأحكام. وقال تعالى: ﴿**لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون**﴾ (الحشر: ١٣)، أحال قلة الخوف من الله، واستعاظهم لشقاوة الخلق، إلى قلة الفقه. وسئل سعيد بن إبراهيم: أى أهل المدينة أفقه؟ فقال أتقاهم مكانة، إشارة إلى ثمرة العلم الظاهر والباطن، دون الفتاوى والأقضية. قال رسول الله ﷺ: "*ألا أنبئكم بالفقيه؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: من لم يُقنط الناس من رحمة الله، ولا يؤمنكم مكر الله، ولا يُيئسكم من روح الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى سواه*"، ولم يقل المشتغل بالفتاوى فى الأحكام على الدنيا، ولِما روى عن أنس بن مالك ﷺ قول رسول الله ﷺ: "*لأن أقعد مع قوم يذكرون الله ﷻ من طلوع الشمس إلى الغداة، أحب إلى من عتق أربع رقاب*".

ولست أقول أن الفقه ليس متناولاً للفتاوى فى الأحكام الظاهرة، ولكن بطريق العموم والشمول، بطريقة الاستتباع. وكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فصار من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له، والاعتراض عن علم الآخرة وأحكام القلب. ووجدوا على ذلك معيناً من الطبيعة، فإن علم القلوب الباطن والعمل به عسير، والتوصل به إلى طلب الولاية والجاه والمال متعذر، فوجد الشيطان مجالاً لتحميس ذلك فى القلوب بوساطة التخصيص لاسم الفقه وهو اسم محمود.

ثالثا: اسم التوحيد

وأما التوحيد فقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة، والإحاطة بمناقضة الخصوم، وكثرة التشدق فيها، وإيثار الشبهات، وتأليف الإلزامات، حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد. وسمى المشتغل من أهل العلم بالتوحيد "المتكلمون" مع أن جميع ما هو خاصيته هذه

الصناعة، لم يكن يعرف منه شئ فى العصر الأول، بل كانوا ينكرون فى العصر الأول على من فتح أبواب الجدل.

وأما ما يشتمل عليه القرآن العظيم من الأدلة الظاهرة، التى تسبق الأذهان إلى قبولها من أول السماع، فلقد كان ذلك معلوماً للكل، وكان العلم بالقرآن هو العلم كله. وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر، لا يفهمه أكثر المتكلمين، وهو أن يرى الأمور كلها من الله وإليه. رؤية تقطع التفاته إلى الأسباب والوسائط، فلا يرى الخير والشر إلا منه تعالى، وهذا مقام شريف وله ثمرات. ومن ثمراته قول أبى بكر الصديق ﷺ لما قيل له فى مرضه: أنطلب لك الطبيب؟ فقال: الطبيب أمرضنى.. وقول آخر لما مرض، قيل له: ماذا قال لك الطبيب فى مرضك؟ فقال: إنى فعال لما أريد.

والتوحيد أرشدك الله جوهر نفيس، وله قشر هو اللسان، ولب هو القلب، وأحدهما أبعد من الآخر، فخص الناس الاسم بالقشر، وأهملوا اللب بالكلية. فالقشر هو قولك: **"لا إله إلا الله"** باللسان. وهذا توحيد مناقض للتثليث، الذى يصرح به النصارى، ولكن قد يصدر عن المنافق الذى يخالف سره جهره، بعيداً عن اللب الذى يصن القلب عن المخالفة والإنكار لهذا القول الشريف، بل يشمل ظاهر القلب على اعتقاده ذلك والتصديق. وهذا هو توحيد عوام الخلق وأرباب الظواهر والمتكلمين.

أما توحيد صاحب اللباب فهو يرى الأمور ويشاهدها بعين اليقين كلها منه وإليه ﷻ، رؤية تقطع التفاته إلى الوسائط. وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره، ولا يعتمد على غيره أو يتوكل عليه، ولا يرفع لغيره شكواه، وكل من خرج عن هذا التوحيد، فمعبوده هواه. قال تعالى: ﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه**﴾ (الجاثية: ٢٣)، فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين.

فانظر الآن ما يؤول به التوحيد وبأى قشر قنع؟ وكيف اتخذ هذا معصماً من المدح والتفاخر، بما يكون ظاهر اسمه محمود، مع الإفلاس فى المعنى الحقيقى

الذى يستحق المدح. وذلك كإفلاس من يصبح وفكره فى غير الله ويتوجه بوجهه إلى القبلة ويقول: ﴿**وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا**﴾ (الأنعام: ٧٩)، وهو كاذب فى قوله، إذ لم يكن وجه قلبه متوجهاً إلى الله سبحانه على الخصوص. فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر دون وجه القلب، فما وجهه إلا إلى القبلة، وما صرفه إلا عن الجهات، والكعبة ليست جهة للذى فطر السماوات والأرض، حتى يكون المتوجه إليها متوجهاً لله ﷻ، تعالى الله عن أن تحده الجهات والأفكار. وإن أراد بوجهه القلب فهو المطلوب، ولكن كيف يصدق من قلبه متردد فى أوطاره وحاجاته الدنيوية، ومشغول بجمع المال والجاه، ومتوجه بالكلية إليها، ولم يتوجه بوجهه للذى فطر السماوات والأرض.

وهذه الكلمة خير ما قيل عن حقيقة التوحيد، فالموحد هو الذى لا يرى إلا الواحد، ولا يوجه وجهه إلا إليه، وهو مثال قوله ﷻ: ﴿**قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون**﴾ (الأنعام: ٩١). وليس المراد به القول باللسان لوجهين: فاللسان يصدق مرة ويكذب أخرى، وإنما موضع نظر الله سبحانه المترجم عنه هو القلب، وهو مستقر التوحيد. قال رسول الله ﷺ: "*إن الله لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم*"، وقال ﷻ: ﴿**لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم**﴾ (البقرة: ٢٢٥).

رابعا: اسم الحكمة

وأما اسم الحكمة فقد أطلقوه الآن على الطبيب والشاعر والمنجم والذى يخرج القرعة. والحكمة أرشدك الله هى التى أثنى الله عليها، فقال ﷻ: ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً**﴾ (البقرة: ٢٦٩). وقال ﷺ: "*كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير من الدنيا وما فيها*". والحكمة هى ذات آدم عليه السلام، ومن عرفها عرف ربه، قال رسول الله ﷺ: "*من عرف نفسه فقد عرف ربه*". فانظر الذى كانت الحكمة عنده، وإلى من نقلت إليه، وفسر به بقية الألفاظ واحترز من

الاغترار، واعلم أن كل ما ارتضاه السلف الصالح قد اندرس، وما هو مبدوع محدث قد انتشر، ووقعنا فيما قاله ﷺ: "بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي"، وفي خبر آخر: "المتمسكون بما أنتم عليه اليوم"، وفي حديث آخر: "الغرباء قليلون، صالحون بين الناس كثير من يبغضهم، أكثر ممن يحبهم". وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري ﷺ: "إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء، فاعلم انه ملحد، لأنه إذا نطق بالحق أبغضوه".

خامسا: اسم الذكر والتذكير

أما الذكر فمن جملة الأوامر، قال تعالى: ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾ (الذاريات: ٥٥).. وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله ﷺ: "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها، قيل: وما رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: مجالس الذكر"، وفي حديث آخر: "إن لله ملائكة سياحين في الهواء، يسمون ملائكة الخلق، إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضاً: ألا هلموا إلى بغيتكم، فيأتون ويحفون بهم، ويستمعون". ألا فاذكروا الله ﷻ واذكروه في قلوبكم، فقد ورد في الخبر أن ذكر القلب افضل من ذكر اللسان، وقال رسول الله ﷺ: "خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي"، وقال ﷺ: "يفضل عمل السر على العلانية بسبعين ضعفاً"، وقال تعالى: ﴿**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه**﴾ (الكهف: ٢٨)، فيظهر من هذا النهي أن من لم يكن قلبه ذاكراً إنما هو تابع لهواه.

والتذكير المحمود شرعاً هو الكلام عن علوم الآخرة، والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس، وآفات الأعمال، وخواطر الشيطان، والتعريف بحقارة الدنيا وعيوبها وقله عهدها وخطر الآخرة وأهوالها.. في حديث لأبي ذر ﷺ:

"*حضور مجلس ذكر افضل من صلاة ألف ركعة، وحضور مجلس علم، افضل من شهود ألف جنازة.. قيل يا رسول الله: ومن قراءة القرآن؟ قال: هل ينفع القرآن إلا بالعلم*". وقال عطاء: "مجلس ذكر يكفر سبعين مجلساً من مجالس الهوى".

واعلم أيها الناظر أن بعض فقهاء الوقت قد تركوا هذا المقصود، واشتغلوا بالقصص التى يتطرق إليها الاختلاف، والزيادة والنقصان، ويخرج عن القصص الوارد فى القرآن. فإن فى القصص ما ينفع سماعه، ومنها ما يضر وإن كان صادقاً، ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الحال، والصدق بالكذب، والنفع بالضر.. فمن هذا نهى عنه.

وأما السجع والشعر عد ذلك من التصنع.. قال سعيد بن أبى وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وكان يسمعه يسجع: "هذا الذى يبغضك إلىَّ، لا قضيت حاجتك أبداً"، وقد جاء إليه فى حاجة. وقال رسول الله ﷺ لعبد بن رواحة فى سجع من ثلاث كلمات: "*إياك والسجع يا ابن رواحة*". وأما الأشعار فتكثيرها فى الوعظ مذموم، قال الله العظيم: ﴿**والشعراء يتبعهم الغاوون**﴾ (الشعراء: ٢٢٤)، وقال: ﴿**وما علمناه الشعر وما ينبغى له**﴾ (يس: ٦٩).

وأكثر ما يذكره الواعظ من الشعر ما يتعلق بالتواجد فى العشق وجمال المعشوق ومدح الوصال وذم الفراق. والمجلس ليس فيه إلا أخلاط العوام، وبواطنهم مشحونة بالشهوات، وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور الجميلة، ولا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها، فتشعل فيها نيران الشهوات، فيزعقون ويتواجدون. وأكثر ذلك بل كله يرجع إلى نوع فساد، فلا ينبغى أن يستعمل من الشعر، إلا ما فيه موعظة وحكمة، على سبيل الاستشهاد. قال ﷺ: "*إن من الشعر لحكمة*". فإذا كان المجلس مجلس خواص، من الذين وقع لهم الاطلاع على استغراق قلوبهم فى بحر حب الله سبحانه وتعالى، ولم يكن معهم غيرهم من العوام، فإن أولئك لا يضرهم الشعر الذى يشير ظاهره إلى الخلق، فإن

المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى عليه قلبه. ولذلك كان الجنيد يتكلم على بضعة عشر، فإن كثروا لم يتكلم، وما بلغ مجلسه عشرين أبداً.. وحضرت جماعة بباب عمار بن ســـالم، فقيل له: تكلم قد حضر أصحابك، فقال: ما هؤلاء أصحابى، إنما هم أصحاب المجلس، إن أصحابى هم الخواص.

وأما الشطح فنعنى به نوعاً من الكلام أحدثه الصوفية فى العشق والوصال إلى الله تعالى، الذى يلهى عن بعض الأعمال الظاهرة، حتى ينتهى بقوم إلى دعوة الاتحاد، وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالبصر والمشافهة.. فيقولون: قيل لنـــا كــذا وكذا، وقلنا كذا، ويستشهدون بقــول "أنــا الحــق". ويحكــون عــن أبــى يزيــد البسطامي رضي الله عنه أنه قال: "سبحانى" وهذا يؤثر فى العوام وأرباب الظواهر حتى ترك بعضهم من أهل الفلاحة فلاحتهم، وأظهروا مثل تلك الدعاوى، لأن مثل هذا الكلام يلتذه الطبع، إذ فيه بطالة عن الأعمال المشروعة، مع تزكية النفس بإدراك المقامات والأحوال.. ومن نطق بشئ من هذا، فقتله أفضل فى سبيل إحياء دين الله تعـــالى، وإحياء الشريعة المطهرة.

وأما الطاعات فنعنى بها ألفاظ الشارع. وهى إذا صرفــت عــن مقتضـــى ظواهرها من غير اعتصام فيه، ينقل عن صاحب الشريعة، فــهى بدعـــة وحــرام وضرر عظيم.. فإن الألفاظ إذا حرفت عن مقتضى ظواهرها، من غير اعتصـــام فيـــه، ينقل عن صاحب الشريعة، من غير ضرورة تدعو إليه من دليل، اقتضـــى ذلك بطالة الثقات بالألفاظ، وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رســوله ﷺ. فإن يصل به إلى الفهم لا يثبت به، والباطن لا ضبط له، بل يتعرض للخواطر، ويمكن تنزله على وجوه شتى. فهذا أيضاً من البدع الشائعة، العظيم مضرتها، وإنما قصــد بها أصحابها الأغراب فى النفوس، فان النفوس مائلة إلى الغريب من الأقوال، والى هدم الشريعة، فيتأولونها بهوى النفوس الزائفة، وينزلونها على رأيهم، كما حكينــاه حتى يحرفون القرآن من أوله إلى أخره وجعلوا لذلك تفاسير ومجلدات، وكل ذلـــك بدعـــة وضـــلالة، وفساد فى الدين والشريعة، وتلبيس على الخلق. لم ينقل شئ من

ذلك عن الصحـــابة ولا عن التابعين، ولا عن الحسن البصرى، ولا يحل ذلك لقوله ﷺ: "*من فسر القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار*". ولا ينبغى أن يفهم من ذلـــك أنه يجب ألا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر، فإن من الآيات مـــا نقـــل فيـــه عـــن الصحابة ﷺ خمسة معان وستة وسبعة، ويعلم أن جميعها مستنبطة بحسب الفـــهم وطول الفكر.. ولذلك قال الرســـول ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: "*اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل*".

الفصل الخامس
فى الرد على من ابتدع
فى الطريقة ما ليس فيها

المراد بالطريقة

اعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- أن المراد بالطريقة هو الجمع بين الشريعة والحقيقة، وهو المعبر عنه بـ**"الولاية"**. فالجامع بين علم الشريعة وعملها، وعلم الحقيقة وعملها هو الولى. وهو مقام رفيع، وثمرته القرب من الله ﷻ ومعرفته الكاملة، والاطلاع على أسراره المكنونة المكتومة، ومكارم الأخلاق، ورفض الدنيا بالكلية، والميل عن أبنائها، ونسيان ما سوى الله تعالى، والخوف منه. فهذه أوصاف الأولياء وأفعالهم وأخلاقهم، وكلها محمودة شرعاً وحقيقة.

ثم ظهر فى آخر الزمان قوم يدعون الولاية، بغير علم ولا عمل، فشرعوا للناس وألزموهم شروطاً قواطع، وأنزلوا أنفسهم -لأصحابهم وتلامذتهم- فى منزل الربوبية، واعترف لهم الأصحاب والتلاميذ -من جهلهم- بمحض الخدمة والعبودية.. والشيخ بالوهم وعدم العلم والعمل، يزعم ويعتقد أن ما أصاب المريدين من خير، فمن أجل خدمتهم له، وما أصابهم من شر فمن أجل تفريطهم فى خدمته، وميلهم فى بعض الأحيان عن محبته. والتلاميذ والأصحاب معترفون للشيخ بما فى وهمه، وواقفون عند ما فى زعمه، وخالفوا ما ذكر الله العظيم فى كتابه العزيز **﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾** (النساء: ٧٩). فوقفوا جميعاً بمخالفتهم الكتاب والسنة فى الشرك والبدع، ونصبوا جميعاً أنفسهم على الخداع والخذلان.

ومن عجائب هذا النوع من المدعين الولاية فى هذا الزمان اتفاقهم مع أصحابهم فى المراد والأغراض الدنيوية. فمراد الأصحاب من الشيخ وسع الرزق، وجلب الغناء والمكاسب الدنيوية، وصلاح الأولاد وحفظهم من الآفات، ودفع المكروه عنهم، ويريد كل منهم من شيخه أن يوصله يوم القيامة إلى الجنة، وإن كان مفرطاً فى حقوق الله. قال ﷺ: ﴿**قل لا املك لكم ضراً ولا رشداً قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً**﴾ (الجن: ٢١). وقال ﷺ: ﴿**قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضراً**﴾ (الأعراف: ١٨٨). فهذا أفضل الخلق اعترف بالعجز عن النفع والضر، والشيخ بالوهم وعدم العلم، اعترف لتلاميذه بالقدرة على ذلك، وادعى الدعوة التى ادّعاها الذى حاج إبراهيم عليه السلام. قال إبراهيم عليه السلام ﴿**ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر**﴾ (البقرة: ٢٥٨)، فأطلق على من ادعى لفظ الكفر.

واعلم أيها الناظر أنى لما رأيت أناساً يدعون التعرف والولاية، مع أن غالبهم لم يدر الفرق بين الخوف والتخوف، مرقوا من الطريق مروق السهم من القوس. وهم يزعمون لأنفسهم كمال الخزرج والأوس. فلم يكن لهم حظ مما يدعونه سوى الدعوى التى هى فضيحة، عبادتهم عادة لا عبادة، بل يتظاهرون بها ولا يقتدون بها، ولا يقتدون بمن تقدم من السادات، ينتهكون حرمة الطريقة، ويوقعون ذوى العقول السخيفة والبصائر الضعيفة، فى الزندقة والإلحاد، والميل عن الصواب.

شروط طريق الولاية:

واعلم أيها الناظر أن من عجائب ما يدعيه بعض المدعين فى الولاية، بالوهم وعدم العلم، مخالفتهم لطريق الولاية. فما هو شرط مؤكد فى الطريق رخصوا فيه، وما هو قاطع عن الطريق أكدوا عليه. فالشرط المؤكد فى طريق

الولاية، الذى لا غناء لسالك عنه هو أربعة مسائل: الصمت، والعزلة عن الخلـــق، والسهر، والجوع.

فالصمت موجب النجاة وتقويه الباطن. **والعزلة عن الخلائق** موجبة الأنس بالله والوحشة من خلق الله. **والسهر** موجب الاعتكاف علـــى الأذكـــار بـــالقلب أو باللسان. **والجوع** المفرط لتلطيف الجسم، وتقوية الروح، وضعف البشرية، ومنـــع الشهوات النفسانية.

وهذه الأربعة شروط مشروطة فى الطريقة. فإذا كثرت المداومة على ذكر الله تعالى وقل الكلام وكثر الصمت، ونقص الأكل من الطعام، وخف النوم، ووقـــع الفرار من الخلق، فحينئذ يكمل للإنسان ميله إلى الله تعالى بالصدق والجد.

ثم إن بعض مدعى الولاية فى زماننـــا هـــذا، عكســـوا ذلـــك، وشرعـــوا لأصحابهم تشريعات، وحتموا عليهم شروطاً قواطع.

فمن جملة ما حتموه عليهم الاجتماع وهو عكس العزلة، التى هى ركن من أركان الطريقـــة. ولا يشترط الاجتماع إلا للصلاة، أو لوقت حج بيت الله الحـــرام، أو المذاكرة فيما يوصل العبد إلى الله ﷻ ويوصله إلى رضائه، أو لتعليم العلم فى مجالس العلم والذكر والتذكير، وأما غير ذلك لا يشترط فيه الاجتماع. قال رســـول الله ﷺ: "**من انقطع إلى الله كفاه الله مئونة كل شئ ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله بها**". وقال رسول الله ﷺ: "**من أخلص لله أربعين صباحاً، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**". وقال ﷺ: "**من صمت نجا**". وقال ﷺ: "**من سره أن يسلم فليلزم الصمت**". وقال: "**من كثر كلامه كثر خطؤه**".

والصمت أرشدك الله هو ركن من أركان الطريقة، ووصف من أوصـــاف الخصـــوصية. ثم إنهم حتموا على أصحابهم عكسه وهو الكلام. وحتمـــوا عليـــهم أيضاً كثرة أكل الطعام، الذى هو عكس الجوع المشروط فى الطريـــق، ويقولـــون أكرمـــوا الأخوان، فيكثرون من الأطعمة ويجتمعون عليها. ويقطعون جناح ليلـــهم فى القيل والقال، وفى مدح طريقهم، وكرامات شيخهم، ويعنون بالكرامـــات التـــى

تزيد إقبال الخلق على الشيخ من كل ناحية، وتيسير أسباب زينة الدنيا والجاه عند أهلها.

أصول الطريق

واعلم أيها الناظر أن هؤلاء المدعين لو سلكوا الطريق على أصولها، لوصلوا إلى عين اليقين، وإذا وصلوا لم يرجعوا.. ومقدمات هذا الشأن هى:

العمل بالكتاب والسنة

على سالكى الطريق العمل بالكتاب والسنة حتى يفاض عليهم من عين المنة. وكل من سلك بغير هذه الأصول ضل وغوى، وهلك هلاك الأبد، لأن هذه الطريق الإلهية، لا بد لصاحبها من معرفة الأحكام الأعتقادية، التى ذكرها علماء الرسوم، استنباطا من الكتاب والسنة. والأحكام العلمية والشرعية كلها عبادات ومعاملات، لاحتياج السالك إليها فى معاملته الحق سبحانه وتعالى ومع خلقه. وهذا أصل عظيم فى طريق الله تعالى.

معرفة الأخلاق الحسنة و السيئة

والذى لا بد منه أيضا هو معرفة الأخلاق الحسنة، كالتقوى والزهد فى الدنيا، والورع ونحو ذلك.. وكذلك معرفة الأخلاق السيئة، كالحسد والحرص والرياء، وحب الدنيا وحب الثناء، ونحو ذلك.

قال الشعرانى فى رسالة جعلها ﷺ فى حال مشايخ زمانه وفقرائه:

أحذر من دعواك سلوك طريق الفقراء، وأنت تجد فى نفسك كراهية من لا يعظمك، ولا يناديك بألفاظ السيادة والمشيخة والصلاح، لأن الإسلام فى المسلم العاقل فى هذا الزمان أغرب واعز من الكبريت الأحمر. ولا يكون المسلم ملما كاملا، حتى يسلم لسانه وسمعه وبصره وفرجه ويده وقلبه مما حرم الله تعالى ظاهرا وباطنا. فإن المدعين لهذه المرتبة لا جارحة لهم، إلا وقد عصت مرارا،

فتأمل ذلـــك.. وإن كان هذا فى رتبة الإسلام، فكيف برتبة الولاية؟ فضلاً عن رتبة المحبة، أن يكون داعياً لله محباً فيه.. ولعمرى إن إبليس أكثر تواضعاً لله تعـــالى، من هؤلاء المدعين ما ليس فيهم.

واعلم أيها الناظر أن من جملة ما يدعوا فى الطريقة فى هذا الزمان كـــثرةُ الإشارة إلى الغيب يزعمون ويدعون انهم يعلمون الغيب، فيشيرون للناس بما يقـــع لهم على زعمهم الفاسد، قبل أن يقع.

الفصل السادس
فى الرد على من ابتدع
فى الحقيقة ما ليس فيها

دعامتا الحقيقة

اعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- أن الحقيقة لها دعامتان: علم وعمل.

فعلمها هوالعلم بوحدة الله تعالى، التوحيد الخالص مـــن خفايـــا الشـــرك، وشعاب النفاق.

والعمـــل هو ترك الخيالات والوسائط عن السوى، فلا يـــرى إلا الله، فلـــم يزل يحن إلى الأذكـــار وصدّق حنينه إليها، العمل بما يرى. فمن ناداه الله بجهـــة، مال لها ووكله بها. فالخلق كله منادى فى الحقيقة، وكلهم مجيبون بقول حالهم: لبيك اللهم لبيك، وحدك لا شريك لك لبيك. وهذا الخطاب لكل خلقه.

الحقيقة والإنسان الكامل

ومع هذا فحال الكامل فى الآدمية والمعرفة والعبودية، يخالف ما ذكرنـــاه. فإنه لا يحن إلى مقام أصلاً على الاختصاص، ولهذا صار لا يقتصر علـــى مقـــام دائماً. هو صاحب الوقت ورفيقه، جامع الحكم، لا يدعو غيره لشئ أبـــداً إلا مـــن حيث يرى قوته تميل إليه، فمن هناك يدعوه إليه، إما بالموافقة أو بالمخالفة، علـــى حسب ما يرى أنه الأصلح به. ولا يدعو نفسه إلا من حيث حكم الوقت، من نصح أو رشـــد، أو دوام ذكر أو المواظبة على التلاوة، لمن كان من أهل التلاوة وكـــل ذلك اقتضته الحقيقة على منهاج الشريعة.

وهذا حال الكامل فى الآدمية والمعرفة والعبودية، وله علامات يعرف بها، عند من له بصيرة نافذة، وسريرة طاهرة. وهى أحوال مشوبة به، وممتزجة بدمـــه

ولحمه، وهذه الأحوال تنتشى فيه عن تحقيق الحقيقة بعنوان الشريعة، ولا تكون هذه الأحوال إلا للإنسان الكامل فى الآدمية والمعرفة والعبودية، لأنه نسخة الكون، وعالم بالحقيقة على ميزان الشريعة.

من علامته أيضاً قلة الكلام وبطؤه فى الجواب، ولا يبحث إلا فيما فيه سعادته أو سعادة العباد. ومن علامته أيضاً ألا يتعدى حدود الله المشروعة المشهودة، المشروعة ظاهراً والمشهودة باطناً، وهذا الأمر منه يكون بسبب الحياء من الله، لمعرفته إياه وشهوده فى كل شئ، فهو لا يجد فى ملكه عيباً ولا عبثاً. وقد يكون هذا الحال فى شخص، بسبب الخوف من الله، لشهوده سلطانه على خلقه، وقهره لعباده، لأن الله قاهر فوق عباده. وقد يكون هذا الحال فى شخص، بسبب غيبته فى الله عن نفسه وذاته، حتى لم ير معه غيره، ولم يجد له شريكا فى الملك، قد انمحى اسمه، وفنى رسمه، واضمحل عنه الكيف والأين، وانجمع فى همته الأكدر والأصفى، وجعل (الإظهار) أى الظهور يأتى على الخفاء، ورقد مع حدود الله.

ومن علامة الكامل فى الأمية والمعرفة والعبودية الفرح بموارد القضاء، والتوكل على الله، والتفويض له، والتسليم والمراقبة، والتنعم بمشاهدة فعل الله فى العالم الدنيوى والأخروى، والتنعم بانتباه القلب، وعروج الروح نحو القلب، والوصول للسعادة والمواهب والعطايا. فمن كان هكذا فأيام عمره كلها أعياد.

واعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- أن هذه الأعمال كلها هى مفاتح الرحمة والقرب، وليس لها زوال من الشخص الكامل فى الآدمية والمعرفة والعبودية حتى يموت، وعلى حاله يبعث. ما عاش المرء عليه يموت، وما مات عليه يبعث عليه. فهكذا أخلاق العارفين بالله، المطلعين على علم الحقيقة، ومنهاج الشريعة.

كيف انحرف من انحرف عن طريق الحقيقة؟

لقد ظهر زمر من الأوباش يدعون علم الحقيقة، ودعواهم كلابس ثوب زور، وابتدعوا فى الحقيقة ما ليس فيها، وتحولوا بأحوال ليست من أحوال أهلها، فضلوا بذلك وأضلوا الناس على طريق الحقيقة الإلهية. ففى مثلهم قال أبو البناء، فى كتابه المسمى بالمباحث الأصلية:

يا طالبا علم الطريق السالف لا تقتد بهذه الطوائف
فإنهم لم يعرفوا الطريقة فالقوم جهال بالحقيقة
قد انتهجوا مناهج منكوسة وارتكبوا طريقة معكوسة

وقد قال هذا فى وقته، فكيف بهذا الوقت؟ الذى إيمان العبد فيه كالكبريت الأحمر والمؤمن فيه غريب. وانتشر الثناء فيه على قوم، لا يفرقون بين البصر والبصيرة، مرقوا من الدين، مروق السهم من القوس، وهم يزعمون فى أنفسهم الكمال، ولم يكن لهم حظ مما يزعمونه.

ونسجل هنا بعض آراء العلماء فى الرد على المدعين:

● قال الشيخ عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه فى كتابه المسمى "شرح الخلوة" فى أوله من الوصايا:

يا أخى لقد سافرت إلى أقصى البلاد، وعاشرت أصناف الناس، فما رأت عينى، ولا سمعت أذنى، أشر وأقبح وأبعد عن جناب الحق تعالى، من أناس يدعون الولاية، وأنهم من كمل الصوفية، ومع هذا لا يؤمنون بالله ورسوله، ولا باليوم الآخر، ولا يقتدون بالتكاليف الشرعية. ورأينا منهم كثيرين فى بلاد أذربيجان وبلاد جيلان وخراسان، فالله الله يا أخى لا تسكن فى قرية فيها واحد منهم فتفتن. قال تبارك وتعالى : ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾ (الأنفال: ٢٥).

● وقال الجنيد ﷺ لرجل ذكر المعرفة عنده، وكان قد قال: "إن أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات، من باب البر والتقرب إلى الله تعالى"، فقال:

إن هذا القول يقوله قوم تكلموا بإسقاط الأعمال والتكاليف الشرعية، وهو عظيم، فالذى يسرق ويزنى، أحسن حالا من الذى يقول هذا، فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله، واليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام، لم أنقص من أعمال البر ذرة، إلا أن يحال بينى دونها.

وقال ﷺ: "إن الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا على من اقتفى أثر النبى ﷺ". وقال ﷺ: "من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لا يقتدى به فى هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة".

واعلم أن كلام العارفين وأحوالهم كالعرائس، لا تتجلى معانيها إلا على كفء لها، إذ كيف يبصر الشمس خفاش.

● قال محيى الدين بن العربى ﷺ فى كتاب "العبادة":

من أراد أن يعرف ما عنده من الوقوف عند رسوله، وزنا بوزن، فمن استغرقت أنفاسه المعاملة ظاهرا وباطنا، فقد شرب المعرفة بالله شربا، لأن العارف بالله أهون عليه قرض المقراض، والإحراق بالنار، من أن يمر عليه نفس بغير ذكر الله، لأن أعمال العارفين بالله تعالى ما قامت على طلب الأعواض وإنما قامت على ما يقتضيه الأمر فى نفسه. فشتان ما بين عبادة الأعواض، وعبادة العارفين بالله.. "**ركعتان من ورع، خير من ألف ركعة من غير الورع**".

فإذا قال العارف "الله"، يموت فى نفسه كل ما سواه، ولكن فى حاله لا فى مقامه ومقاله.

وقال ﷺ: "ما ثم إلا موافقة ومخالفة، فبالموافقة ينال القرب الإلهى وترفع الحجب، إذ هو القريب، وبالمخالفة يكون البعد الإلهى وإرسال الحجب".

طريق الحقيقة يتطلب محاسبة النفس

قال محيى الدين بن العربى ﷺ: "السعيد من حاسب نفسه عند كل مساء، والسعيد من إذا صلى العشاء الآخرة، جعل صحيفة أعماله فى ذلك اليوم بين يديه، ونظر فيها، فإذا رأى ما يطلب الشكر شكر، وما يطلب الاستغفار استغفر، وما يطلب التوبة تاب، إلى أن يفرغ ثم يطوى الصحيفة وينام، على شكر واستغفار وتوبة.. يفعل ذلك كل ليلة، فإنه لا يدرى متى يفاجئه الموت هكذا فعل أكابر الأولياء ﷺ".

وكان أبو عمر بن موسى بن عمران من أكابر الأولياء، العارفين بالله تعالى، يقيد حركاته فى نهاره فى كتاب، فإذا أمسى جعل صحيفته بين يديه، وحاسب نفسه. أما أنا فإنى زدت على ذلك أيضا بتقييد خواطرى علاوة على أعمالى، فرأيت فى ذلك بركة عظيمة.

وينبغى لكل من يدعى المعرفة بالله، أن يطالع كتاب "تنبيه التلميذ المحتاج" أو يطالع كتاب "روح القدس فى مناصحة النفس" للإمام ابن العربى الطائى ﷺ، فإنه نصح فيه، وبالغ فى النصيحة، جعل الله موازينه راجحة. ومن أراد أن يستكشف عن أسرار زوايا الآداب المحمدية، وما فيها من الخفايا، فليدأب على مطالعة آخر أبواب كتاب "الفتوحات المكية"، وهو باب "الوصايا". ومن أراد شرب الرحيق المختوم، فليتحقق بكتاب ابن العربى المسمى "مواقع النجوم" وكتبه ﷺ كلها نافعة، وللحجوب رافعة، غير أن طعام الرجال يضر بالأطفال.

الباطنية محاولة لإسقاط التكاليف الشرعية:

واعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- أن من جملة ما ابتدع هؤلاء الزنادقة قولهم: "إن الشريعة جعلها الله ستارة على الحقيقة لأجل العوام، وأن المراد بالصلاة الواصلة، ويراد بالصيام الإمساك عن رؤية السوى، والحج هو

القصد إلى الله، وعرفات يراد به جبل المعرفة".. واستدلوا لذلك بعبارات العــارفين وإشاراتهم. والعارفون إنما ذكروا إشاراتهم لذكر المعنى الباطنى، فإن كل شئ لـــه ظاهر وباطن. فالمتمسك بمجرد الظاهر من النصوص دون الباطن، فرقة يقال لها **"الظاهرية"**، والمتمســك بمجرد الباطن يقال لها **"الباطنية"**. والجامع بين الظاهر والباطــن فرقة أخرى، يقال لهم **"أهل السنة والجماعـــة"**، علـــى قــدم النبييــن والمرسلين والأولياء الكاملين، وهذه الفرقة جامعة لكل خـــير،وأكملـــهم الصوفيـــة الأبرار، على قدم الرسل الأخيار.

وليس مراد هؤلاء الأنذال بهذه الخزعبلات، إلا مجرد الاحتيال على إسقاط التكاليف الشرعية، وإبطال شعائر الله.. أولئك القوم يغربون عن بحــــر التوحيــد، ويسترسلون فى المعاصى، وكل ما تهواه النفس، ويركنـــون إلـــى البطالـــة، ودوام الغفلة، والاغترار بالله، والخروج عن الله، وتـــرك الحــدود والأحكـــام والحـــلال والحرام. وهذا كله بدعة وضلالة والضلالة أهلها فى النار، ولـــم يكــن الرســـول وأصحابه على ذلك. وإنما يقول ذلك الزنديق، بإحالة الأشياء علـــى الله، وإســـقاط الملامة عن نفسه. لأن القول بأن ظواهر الأحكام المشروعة للأنام، خاصة بالعوام، منابذة وخروج عن الشرع المتين، ويلزم عليه أن طريق الخواص ليس فيه شئ من أعمال البر الظـــاهرة، وإنما هو على زعمهم أعمال باطنة، وهذا القـــول ينـــاقض حال أكمل الأنام، وقيامه حتى تورمت قدماه من طول القيام. فما يقول بـــه هـــؤلاء الأنذال، أهل الحضيض الأسفل، وهذا القول المجاهر، بتمييز الشريعة عن الحقيقة، ودعوى انفصـــالهما، قول باطل.. وقد رأيت حديثا مرفوعا وهو: "**الشريعة مقالى والطريقة أفعالى، والحقيقة حالى**". وعلى تقدير صحته، فالشريعة البيـــان، وهـــو بالمقال وما ينطق عن الهوى، وبالأفعال هو أبلغ **﴿فـــاتبعونى يحببكـــم الله﴾** (آل عمران: ٣١)، والحـــال ما ينتجه البيان، فعاد الأمر إليه.. ولهذا قال الجنيد: علمنـــا هذا -يعنـــى علم الحقـــائـــق- الذى يجئ به أهل الله، مقيد بالكتاب والســـنة، أى لأنه لا يحصل إلا عن عمـــل على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكل مـــن ســـلكه

بغير هذه الأصول، ضل وغوى وكفر وزاغ، ووقع في العبد والطرد، عن جناب الحق وتعالى، وهلك هلاك الأبد.

وقال السيد على ابن علوان: من زعم أنه وصل إلى مقام أسقط عنه الخطاب بالفرائض، فهو مدع مبتدع، يخاف عليه الكفر، لأن أكمل الكاملين، سيد الأولين والآخرين، ﷺ لم يزل قائما بوظائف الدين والعبودية، فرضا ونقلا وسنة، حتى لقى الله ﷻ. وكان ﷺ فى مرض موته، ينطلق إلى المسجد ورجلاه يخطان فى الأرض من شدة الضعف، محافظا على الصلاة فى الجماعة. وكذلك أكابر العارفين ﷺ.

البدع كلها من وساوس الشيطان

واعلم أيها الناظر أن هذه البدع كلها من وساوس الشيطان ومن مظاهره. إذ يظهر الشيطان على العارفين والأولياء والصديقين، إلا من حفظه الله وهم المقربون، فما له إليهم من سبيل، فأول ما يظهر عليهم به فى الحقيقة الإلهية فيقول لهم: أليس الله تعالى حقيقة الوجود جميعه، وأنتم من جملة الوجود والحق حقيقتكم؟ فيقولون: نعم، فيقول لهم: لم تتعبون أنفسكم بهذه الأعمال التى يعملها هؤلاء المقلدون؟ فيتركونها. فإذا تركوا الأعمال الصالحات، قال لهم، افعلوا ما شئتم، فإن الله تعالى حقيقتكم وأنتم هو، وهو لا يسأل عما يفعل.. فيزنون ويسرقون ويشربون الخمر، إلى أن يخلعوا ربقة الإيمان من أعناقهم بالإلحاد. فمنهم من يقول بالاتحاد، ومنهم من يدعى فى ذلك الإفراد. ثم إذا طولبوا بالقصاص، وسئلوا عن منكراتهم التى فعلوها، يقول لهم الشيطان أنكروا ولا تمكنوا العوام من أنفسكم، فإنكم ما فعلتم شيئا، والفاعل هو الله، وأنتم ما أنتم هو فى اعتقاد الناس، واليمين على نية المستحلف، فيحلفون أنهم ما صنعوا شيئا. وقد يناجيهم الشيطان فى لباس الحق، فيقول لأحدهم: أننى أنا الله، فقد أبحت لك المحرمات، فاصنع ما شئت فلا إثم عليك. فيفعله.. وهذا كله لا يكون غلطا، إلا إذا كان إبليس هو الظاهر

عليه، وإلا فالحق سبحانه بينه وبين عباده من الخصوصيات والأسرار، مـــا هـــو أعظم من ذلك، ولمواجيد الحق عند أهله علامات غير منكورات.

قيل لسيدى عبد القادر الجيلانى وهو فى البادية: "يا عبد القادر إننى أنا الله، فقد أبحت لك المحرمات فاصنع ما شئت".. قال: "كذبت، إنك الشيطان". فلما سـئلُ عن ذلك، وقيل له: "بماذا علمت أنه الشيطان؟" قال: يقـول ﷻ ﴿**إن الله لا يأمر بالفحشاء**﴾ (الأعراف: ٢٨)، فلما أمرنى هذا اللعين، علمت أنه شيطـــان يريـــد أن يغوينى.

وذكر السيد عبد الكريم الجيلى فى كتابه المسمى "الإنسان الكامل" حكايـــة قال:

سألت بعض هؤلاء الزنادقة المبتدعين، فقلت له: كيف جاز على مشـــهدكم الذى تنفون به وجود الأغيار، والمظاهر الثابتة مواردهـــا فـــى أعيـــن الأخيـــار، وادعـــاؤكم أن الظاهر الحق، ولا سواه فى سائر الأطوار، ونفيكم الحقيقة بالكلية؟ فلم يرد جـــوابا.. فقلت: هذا من عدم المعرفة بما هو الأمر عليه، وعدم الســـلوك على مـــن يوصل إليه، فمن وقع فى هذه الورطة، وسقط فى هذه الغلطـــة، ســـار شيخه إبليس اللعين، وهو يظن أنه ممن يرشد السالك ويقيه شر المـــهالك، وكيـــف يرشد الغير من ضل فى السير، حتى نفى الخليقة الثابتة بالكتاب والسنة، وادعـــاء معرفة وحده الوجود.

الأولياء اختصوا بعلم الأسماء

واعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- أن الأولياء ﷺ تكلموا فـــى علـــم الحـــروف والأسماء الإلهية، عن فيض عظيم من حصول اليقين. فأثر ذلـــك فـــى قلوبهم الإخلاص، فاختصوا بعلم الأسماء دون سواهم، بثلاثة أشياء:

إحداهـــا أنهم فهموا من معانـــى الأســـماء التســـعة والتســـعين، بالتـــأييد والإلهام، ما لم يعلمه غيرهم بالنظر والبرهان.

الثانى أنهم علموا أسماء باطنة من التسعة والتسعين اسما.

الثالث أنهم اختصوا بالاطلاع على اسم الله الأعظم.

أما الأنبياء عليهم السلام فإنهم علموا من معانى الأسماء التسعة والتسعين بنور الوحى، ما لم يعلمه الأولياء بالإلهام..

قال بعض العارفين ﷺ: أول ما يخص الله به العبد، إذا أراد أن يتولاه ويعلمه العلم اللدنى فيكون وليا عالما، يخصه بعلم التسعة والتسعين اسم. فيفتح له منها من العلم، ما لم ينفتح للعالم بطريق النظر. ثم يرقيه إلى معرفة علم الأسماء الباطنة الربانية والأسرار الفردانية، فيجمع بين الأوعية النورانية، وينظم فوائد قلائد اللطائف العرفانية، فى سلك غوائر وأوامر الوظائف الجسمانية. ذلك من فضل الله، الذى قال وقوله الحق: ﴿**والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾ (البقرة: ١٠٥).

الفصل السابع
فى أوصاف الجامع بين
الشريعة والطريقة والحقيقة

صفات تركيب الإنسان

إن الإنسان من حيث هو ذو ذات وقلب وفؤاد و سر.. وهم أربع مقامـــات: مقام الذات، ومقام القلب، ومقام الفؤاد، ومقام السر.

فاثنان علويان وهما السر والفؤاد. **واثنان سفليان** وهما الـــذات والقلـــب. والعلويان سعيدان ، والسفليان نحيسان.. فصار الإنســــان جامعــا فيـــه الســـعادة والشقاوة. فمن غلبت سعادته شقاوته فهو سعيد. ومن غلبت شقاوته ســـعادته فـــهو شقى.

وكذلك النقاط السبعة المحيطة بالأكوان.. ثلاثة منها سعيدة، وأربعة منـــــها نحيسة شقية.

سعيدة		• الابتداء	مقام السر
سعيدة	• الظـــل	• الضياء	مقام الفؤاد
نحيسة	• السكون	• الحركة	مقام القلب
نحيسة	• مـــــاء	• نـــــار	مقام الذات

فنقاط الســـعادة وسهم الفلاح والنجاح هى: نقطة الابتداء، ونقطـــة الظـــل، ونقطة الضياء.

أما نقاط الشقاوة وسهم الحرمان والمخالفة فهى: نقطـــة الســـكون، نقطـــة الحركة ونقطة الماء ونقطة النار.

وأول صورة تصورت هى صورة آدم عليه السلام.. ويطلق على هذه الصورة أسماء كثيرة: كالنبى والرسول والصوفى والخاص والخليفة والقطب والغوث.. إلى غير ذلك من الأسماء.

وكيفية تركيب هذه الصورة الموصوفة المخصوصة هى: أن مقام السر منها هو نقطة الابتداء، والسر هو باطن الفؤاد، والفؤاد هو باطن القلب، والقلب هو باطن الذات، والذات هى قشر الجملة. ومقام الفؤاد من هذه الصورة هو: نقطة الظل ونقطة الضياء. ومقام القلب منها هو نقطة السكون ونقطة الحركة. ومقام الذات من هذه الصورة: هو نقطة الماء ونقطة النار. فتركبت العوالم فى هذه الصورة، على هذا النحو بحكم الاستقامة.

فنقاط السعادة سكنت عوالمها العلوية، ونقاط الشقاوة سكنت عوالمها السفلية، فصارت عوالمها العلوية تصب السعادة على عوالمها السفلية، حتى ظلماتها وشقاواتها.. فما يصب عليها من سمائها، فتغلب سعادتها على شقاوتها فتسلم شياطينها، وتتقهر ظلماتها.. وهذا معنى قول الرسول ﷺ: "**كل إنسان له شيطان.. قيل له: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا إلا أن الله غلبنى عليه فأسلم**". وكذلك معنى قوله ﷺ: "**اللهم اجعلنى مموه، ولا تجعلنى مغشى**"، والمموه هو الذى يكون باطنه أشرف من ظاهره، والمغشى هو الذى يكون ظاهره أشرف من باطنه. فاعلم ذلك، وميز ما ألقيناه إليك.

كيف تتحقق معرفة الله الكاملة؟

اعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- أن معرفة الله الكاملة، لا تحصل إلا لمن كانت صفة تركيبه من الحكمة الإلهية، كما ذكرنا، على الاستقامة.

والحكمة هى النقاط السبعة المشار إليها، من أدرك معرفتها، أدرك خيرا كثيرا، ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا**﴾ (البقرة: ٢٩٦)، لأن صور الأكوان من حيث هى، تصورت من هذه النقاط السبعة، وكذلك صور الإنسان

الأربعة: صورة الصوفى، وصورة الظاهرى وصورة المعتزلى، وصورة الفيلسوفى.

فالصوفى هو أقربهم إلى الله، وأعلاهم معرفة فى الله، وأقواهم مطالعة لأسرار الله.

والظاهرى يليه فى السعادة، بحسب الاتباع لمن وفقه الله، لأنه صاحب رواية، والذى قبله صاحب دراية. فالأول من المقربين، والثانى صاحب اليمين.

والمعتزلى والفيلسوفى مكذبان ضالان.. قال ﷻ: ﴿**فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم**﴾ (الواقعة: ٨٨-٩٤). وقال رسول الله ﷺ: "***السعيد من بطن أمه والشقى من بطن أمه***".

فاعلم أن معرفة الله تعالى الكاملة، لا تحصل إلا بالوهب دون الاكتساب، وإنما تكتسب عوامل الوهب من رجال المعرفة، إن وجدوا؟؟ ما أقلهم وما أكثر عدوهم..

قال الحسن البصرى ﷺ:

فى القرآن علم كل شئ.. وعلم القرآن فى الحروف التى فى أوائل السور، وعلم الحروف التى فى أوائل السور فى لام الألف، وعلم لام الألف فى الألف، وعلم الألف فى النقطة، وعلم النقطة فى المعرفة الأصلية فى الأزل، وعلم الأزل فى المشيئة، وعلم المشيئة فى ﴿**ليس كمثله شئ**﴾ (الشورى: ١١)، **وقيل فى السر، والسر فى الاسم الأعظم "الله"، ومنه الحروف الكائنة فى أوائل السور، وهى** الحروف النورانية الأربعة عشر من غير المكرر.

روى عن ابن عباس ﷺ أنه كان يقول: أوائل السور مأخوذ من اسم الله الأعظم، اسم الجلالة "**الله**".. وقال أبو العاتية: ليس منها حرف إلا وهو مفتاح

اسم من أسماء الله تعالى. فالألف أول الله، والــــلام أول لطيــف، والميــم: ملــك، والصاد: صادق، والراء: رحمة- رب- رحيم، والكاف: كبير، والهاء: هاد، والياء: يقين، والعين: عليم، والطاء: طيب، والسين: سميع، والحاء: حميد- حى، والقاف: قدير، والنون: نور. وهذه صفاتها كما رتبها "ا ل م ص ر ك هـــ ى ع ط س ح ق ن"، فجعل حروف الوسط حروف إشارة، وهى الهاء والياء.

وقال ابن عباس ﷺ فى معنى آلم "أنا الله"، وقال أيضا فى فواتح الســـور، وهى اسم الله العظيم الأعظم، ومقتض اسم الألوهية، جامع لمعانى سائر الأســـــماء والأسماء كلها شارحة معناه، معبرة عنه، فهو الاسم الأعظم من أسماء الله.

تركيب اسم الله الأعظم

الألف منه قائم ومنه نشأت الحروف، ومنه استمدت، وهو مالكـــها، وهـــو نظير العقل فى الإنسان. **واللام الأول** هو الحرف الواصل بين الأعلـــى والأدنـــى، ونظيره اللوح والكرسى. **واللام الثانى** هو الدال على التمـــام. **والــــهاء** للمخلـــوق، ونظيره الجسد الأسفل.

وباعتبار آخر:

فالألف منه نظير السر من الإنسان. **واللام الأول** نظير الفؤاد. **واللام الثانى** نظير القلب. **والهاء** نظير الجسد.

فإن اختبرت الإنسان تجده اسم الله الأعظم. فافهم معنى الإجمال فى الكلام والتداخل، تلوح لك أسرار روحانية عزيزة، توصلك إلى وجدان علومها.

واعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- أن الأولياء ﷺ تكلموا فـــى علـــم الحروف والأسماء الإلهية عن فيض عظيم من حصول اليقين، فأثر ذلك فى قلوبهم الإخلاص، فاختصوا بعلم الأسماء دون سواهم بثلاثة أشياء:

إحداها أنهم فهموا من معانى الأسماء التسعة والتسعين، بالتأكيد والإلهام ما لم يعلمه غيرهم، بالنظر والبرهان.

والثانى أنهم علموا أسماء باطنة من الأسماء التسعة والتسعين.

والثالث انهم اختصوا بالاطلاع على اسم الله الأعظم.

وأما الأنبياء عليهم السلام، فإنهم علموا من معانى الأسماء التسعة والتسعين، بنور الوحى، ما لم يعلمه الأولياء بالإلهام..

قال بعض العارفين ﷺ: أول ما يخص الله به العبد، إذا أراد أن يتولاه ويعلمه العلم اللدنى فيكون وليا عالما، يخصه بعلم التسعة والتسعين أسما. فيفتح له منها من العلم، ما لم ينفتح للعالم بطريق النظر. ثم يرقيه إلى معرفة علم الأسماء الباطنة الرباعية والأسرار الفردانية، فيجمع بين الأدعية النورانية، وينظم فوائد قلائد اللطائف العرفانية فى سلك، وغواير أوامر الوظائف الجسمانية فى فلك.. وهذه صفة الولى الكامل.

مع أنوار الجامع بين الشريعة والطريقة والحقيقة:

أوصافه الخوف من الله والحياء.

وأفعاله فعل الخيرات والاشتغال بالعبادة الظاهرة والباطنة.

وأخلاقه العبودية والحلم، والشفقة على عباد الله.

فهو متحقق بالبصائر الناظرة، والقلوب الحاضرة، نارا اقتبسها كليم الإرادة، من أعين السعادة اشتعلت فى طور النور، على أغصان شجرة الحضور، لما سلك طريق التحقيق، بمراقبة رفيق التوفيق، بالحد الحديد والجد السعيد، والعزم الشديد **﴿إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾** (ق: ٣٧).

فمن أراد الترقى عن حضيض النفس والهوى، إلى أوج جنة المأوى، فعليه بمطالعة كتابى هذا مرة بعد مرة، فإنه نعم الأنيس للعاشق، ونعم الجليس للصادق، ونعم الرفيق لأهل الطريق ونعم السلاح لأهل المجاهدة، ونعم الرباح لأهل المشاهدة. لو رآه الشبلى لاصطفاه، والغزالى لدرسه ووعاه، والجيلانى لتكلم به، بعد أن صبحه بخير ومساه، والحلاج لباع نفسه واشتراه، ومعروف

الكــرخى لهام بحبه وتولاه، والخواص لقال يا حسرتاه على ما فاتــه مــن لقيــاه، وداود الطائى لاعتنقه وحباه، والسبتى لفرح به وارتضاه. ومن فك رسوم رموزه، وحل طلاسم كنوزه، ظفر بالعلم المكنون، والسر المصون والاسم الأعظم، والذكر الأفخم، لأن معانيه من تحت الحروف.

بنوركم هام فيه قلبى، وجال عقلى فى دره المصون، وســره المخــزون، وشربت كأسه المختوم وترياقه الأكبر، وكبريته الأحمــر، ومغناطيســه الجــذاب، وياقوته الجلاب، وروضه المزهار وظله الظليــل، وعينــه السلســبيل، وميزانــه الزنجبيل، وطيره الناطق، ونوره الساطع، ونجمه الزاهر، وهلاله الباهر، وبحــره الزاخر، وفلكه الدائر.. لا يمسه إلا المطــهرون، العلمــاء العــاملون والأصفيــاء المخلصون، والفضلاء المدققون.. فلمثل هذا فليعمل العاملون، وفى مثله فليتنــافس المتنافسون..

فقم يا بادر الغرام، وانهض قبل أن تندم، وسبح باسمه الأعظم، وقل: يــا ساقى الكؤوس أدر لى كأسك الأقدم. ثم تفكر فى مناهجه الغريبة، ومباهجه العجيبة، وأســراره الخافية، وأنواره الحالية وشمر على ساق اجتــهادك فــى اســتخراج لطــائفه من معادنها، واستنباط رقائق معارفه من أماكنها.. ولم نفســك بنفســك، وغب عن حسك وحرسك، إلى أن يناديك لسان الذوق من وادى الشوق، ويقول لك: قد ارتاحت الروح إلى صلصلة الفتوح.

قال بعض الحكماء من لم تحركه الأوتار، والربيع وقت الأزهار، فهو فاسد المزاج، يحتاج إلى العلاج.. واعلم أيها الناظر أن العارف إذا نطق هلك والمحــب إذا سكت هلك.

قيام الليل وأحوال العارفين والمحبين

مما نقل عن بعض العارفين قال:

بلغنى أن تحت العرش ملك فى صورة ديك، فإذا مضى ثلث الليـــل الأول، يضـــرب بجناحيه وقال بلغته ليقم القانتون.. فإذا مضى نصـــف الليـــل، ضـــرب بأجنحته وقال ليقم المصـــلون.. وإذا طلع الفجر، ضـــرب بأجنحتـــه وقـــال ليقـــم الغافلون، وعليهم أوزارهم.

وقال السهرودى ﷺ: أهل الليل ثلاثة أصناف.

- قوم قطعهم الليل وهم المريدون وأهل الأوراد والخبراء، كابدوا الليل بقلوبهم..
- وقوم قطعهم الليل، وهم العلماء العاملون، الذين صبروا وسهروا الليل فغلبوه.
- وقـــوم قطع بهم الليل وهم المحبون و المحبوبـــون، أهـــل الفكـــر والمكالمـــة والأنس بالمجالسة والذكر والمناجاة، والتملق والملاقاة، يقص الليـــل بســـرعته عليهم حالتهم وقصر النعيم عليهم ليلهم، ورفع الحبيب عنهم نومـــهم، وخفـــف الفهم عليهم قيامهم، وأذهب مزيد الوصل عنهم ما لهم.

وقيل لبعضهم: "كيف الليل عليك؟ قال: ساعة أنا فيها بين حـــالين، أفـــرح بظلماته إذا جاء وأغتم بفجره إذا طلع، ما تم فرحى به قط، ولا شقيت فيه قط."

وقال الفضيل ابن عياض: "إذا غربت الشمس فرحت بدخول الظلام علـــى لخلوتى فيه بربى، وإذا طلع الفجر حزنت لدخول الناس على فيه".

قال ﷻ: ﴿**إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليـــل ونصفـــه وثلثـــه وطائفة من الذين معك**﴾ (المزمل: ٢٠). وقد أخبر الله سبحانه أن قراءة الليل أشـــد وطئا للقلوب، وأقوم قيلا للحفظ والذكر. وقد سمى الله ﷻ أهـــل الليـــل علمـــاء، وجعلهم أهل الخوف والرجاء، وأخفى لهم قرة أعين من الجزاء فقالﷻ: ﴿**أمـــن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ (الزمر:٩). وقال فى وصفهم فى الدنيا، ووصف ما أعد لهم فى الآخرة ﴿**والذين يبيتون لربهم ســـجدا وقيامـــا** ﴾ (الفرقـــان: ٦٤)، ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون**

فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ (السجدة: ١٦-١٧).

قيل: كان عملهم قيام الليل. وقيل: كانوا أهل خوف ورجاء. وهذان من أعمال القلوب عن مشاهدة الغيوب، فلما أخفوا له الإخلاص فى أعمال السرائر، أخفى لهم من الجزاء نفيس الذخائر.. فعليكم بقيام الليل، وإنه مرضاة لربكم، ودأب الصالحين من قبلكم، ومنهاة عن الإثم، ومذهبة لكيد الشيطان، ومطاردة للداء عن الجسد. فيستحب من قيام الليل ثلثيه، وأقل الاستحباب من الليل سدسه، لأنه روى عن رسول الله ﷺ أنه لم يقم ليلة قط حتى أصبح، بل كان ينام منها، ولم ينم ليلة حتى يصبح،بل كان يقوم فيها. ويقال إن الصلاة فى أول الليل للمجتهدين، وقيام وسطه للقانتين، وقيام آخره للمصلين، والقيام من الفجر للغافلين.

قال سهل:

"من علامة الإيمان حب الله، ومن علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبى ﷺ، وعلامة حب النبى اتباعه الزهد فى الدنيا، لأن النبى ﷺ عرضت عليه جبال الأرض ذهبا فأبى، واختار الفقر وهو أكمل خلق الله صورة وفهما وعلما وفعلا وخصالا وقولا، دائم الفكر ﷺ، ليست له راحة ولا يتكلم بغير حاجة، طويل السكوت، يعظم النعمة، ولا يذم طعاما قط، ولا يغضب لنفسه، وأكثر ضحكه التبسم."

وقد أجمع ذوو البصائر النافذة، على أن صورته هى مجامع الخيرات، وأهل البركات، وهو أكمل خلق الله صورة و أعدلهم نشأة، وهو الموجود الأول الذى هو فى غاية الاعتدال كمالا وجلالا، وكل من قارب خلقته الشريفة فى الاعتدال، كان أكمل من غيره.

واعلم -أنار الله بصيرتك- أن الصفات التى نحن بسبيل إظهارها فى هذا الفصل، هى صفات الرجل الجامع بين الشريعة والطريقة والحقيقة، وهى صفات سيد الأنبياء، وإمام الأتقياء ﷺ. فهو أول من جمع بين الشريعة والطريقة

والحقيقية، وخواص بنى آدم على قدمه فى ذلك، لأنه ﷺ، هو الوفق الأول الأعلى المختص بنقطة الابتداء، الجامع لبسائطها. والوفق هو اسم الله من حيث المعنى، والإنسان هو ذلك من حيث الصورة.

الإنسان ووفقه للاسم الأعظم

اعلم أن الوفق إنما سمى وفقا، لحصول الموافقة الكلية فيه، وضعا وعددا، ومناسبة للمطلوب وللوقت وللشرف، وللناظر فى ذلك الأمر.. فإذا اجتمع ذلك كله، سمى وفقا.

فإذا علمنا هذا، فاعلم أن النقطة من حيث الإشارة كما بيناه، عبارة عن الذات الإلهية، وليس لها وفق إلا اسم الله، يعنى اسم الجلالة، إذ هو الاسم الذاتى باتفاق العلماء العاملين.. ثم إن هذا الاسم ليس له وفق إلا الإنسان، وذلك أنك تجد فيه جميع الاعتبارات الموجودة فى ذلك الاسم هوية بهوية، وأنية بأنية، وذات بذات، وحياة بحياة، وعلم بعلم، وإرادة بإرادة، وقدرة بقدرة،وتكلما بتكلم، وسمعا بسمع،وبصرا ببصر، وقدما بقدم، وبطونا ببطون، وظهورا بظهور، وواحدية بأحدية، وواحدية بواحدية.. وقد بينا ذلك وكيفيته، لتصحيح النسخة ووفاقها، وتبيين جميع ما فى الإنسان من مناسبة الحروف لوجهه ويده. وكل جزء من أجزائه وما هو مكتوب فيه من هذا الاسم الأعظم، لتبين أنه اسم الله: فالخد الواحد ألف، والأنف هو اللام والخد الثانى هو اللام الثانى، والأذن هو الهاء.

والخنصر منه ألف، والبنصر لام، والوسطى لام ثانية، والسبابة والإبهام هاء إن فتحتهما.

وكذلك السر منه ألف، والفؤاد لام، والقلب لام ثانى، والجسد هاء.

فكل جزء منه، بكل حركة من حركاته، تجمع هذا الاسم، فهو الوفق الحقيقى لاسمه "الله"، ولهذا قال ﷺ: "خلق الله آدم على صورته". فمضاهاته الحقيقية إنما هى بقواه وما أودع الله فيه من الأسرار العظيمة التى يعرفها أهلها.

فمحصل هذا الكلام أن الإنسان بذاته هو الوفق المناسب للاسم الأعظم، وأنه متى شاء تصرف فى الكون بهمته. ولولا ذلك لما صحت له الخلافة، لأن كل خليفة لا ينفك حكمه فى الملك، ليس بخليفة. ولكن ما العمل فيك؟ فإنك ما عرفت مقدارك، ويكفى هذا القدر من الكشف. فهذا الفصل هو الذى أحجم الكل عن الخوض فيه، لولا أنى أمرت، لما تكلمت فيه بشئ.

حقيقة معنى الحروف وعلاقتها بالوجود

إن الحروف عبارة عن تعينك فى العلم الإلهى، ولهذا سميت "الموجودات" باعتبار تعينها فى علم الله، **"حروفا عاليات"**، لأن الحروف أصل الكلمة، والصورة العلمية أصل التكوين. ومن ثم تسمى الموجودات العينية **"كلمات الله"** فكل موجود كلمة، باعتبار ظهوره، وحرف، باعتبار بطونه. فنسبة العلم الإلهى بالموجودات، كنسبة الكتاب إلى المكتوبات. ونسبة الذات الإلهى إلى العلم، كنسبة الذوات إلى الحروف، ونسبة البحر إلى الأمواج، فكل موجة منفصلة عن الأخرى، باعتبار أنها غيرها، وهى عين الأخرى، باعتبار أن البحر عين الجميع. أعنى الموجة غير البحر باعتبار تعينها وتسميتها باسم مخصوص، ونعت خاص مغاير لصفات البحر من الشمول والإحاطة، التى هى للبحر دون كل موجة، ولا شك أنها أيضا عينه، باعتبار الأصالة والحقيقة.. فهذه الأمواج هى الحروف العالية التى هى عبارة عن تعين الحق بصور معلوماته فى علمه، إذ ليس علمه محلا لغيره، فلا يوجد فى علمه إلا عينه، فبهذا الاعتبار: ليس فى الوجود إلا عينه.

وإذ قد علمت أن نسبة الأعيان الثابتة من الأشخاص الموجودة كنسبة المعانى من الألفاظ، وظهر لك بسببها تسمية تلك الأعيان بالحروف العالية وتسمية الموجودات بالكلمات.. تحققت أن نسبة إيجاد الحق للموجودات على صور أعيانها الثابتة فى علمه، كنسبة إظهار الإنسان الكلمة على حسب ما يريده من المعنى الثابت فى قلبه، بالأمر المقتضى التكلم مثالا، مثال الشأن الإلهى

المقتضى لإيجاد ذلك المخلوق، وتخصيص الكلمة فيحصل ذلك المعنى على وضع مخصوص، من التفصيل والإجمال والتصريح والكتابة، أو غير ذلك من أقسام الكلام.. هو مثال إبرازه لكل موجود من أفراد الموجودات، على ما هو عليه ذلك الموجود من الصورة والحد، والكمال والنقص، والظهور والخفاء، إلى غير ذلك من أحوال الموجودات وهيئاتها.

وأما الإرادة التى هى للمتكلم فى إخراج تلك الكلمة، فهى مثال الإرادة الإلهية، المتوجهة لإبراز ذلك العين الثابت فى العلم الإلهى، إلى العالم الكونى.

وأما الهواء الخارج من الفم، فالحرف من مخارجه هو مثال القدرة المتعلقة بإيجاد ذلك الموجود.

وأما نظم الحرف مع الحرف، حتى تصير الجملة كلمة، فذلك مثال قوله للشئ المعين فى العلم "كن"، فيكون ذلك الشئ بواسطة الإرادة والقدرة.

فبهذه الاعتبارات سميت الموجودات كلمات الله والكلام صفة المتكلم، والصفة ليست عين الذات ولا غيرها.. فالموجودات كلها ليست عين الذات باعتبار، ولا غير الذات باعتبار.. ولما كان الحق متجليا فى موجوداته بالذات، وما هو إلا ظهر، والوحدة المطلقة فى الكثرة الاعتبارية، جعل الألف الإنسانى بارزا فى أعيان بقية الحروف، التى هى عبارة عن سائر المخلوقات، والعوالم كلها علويها وسفليها، كما أن الألف بارز فى أعيان الحروف الرقمية فما ثم حرف إلا والألف عينه، ظاهرا وباطنا عند من يدرى أسرار الحروف.

واعلم -أنار الله بصيرتك- أن الألف عند المحققين له سائر أعداد الحروف، كما أن الإنسان له سائر معانى الموجودات. وإنما اختص الواحدية لأنه أصل العدد، كما ذكره سيدى محى الدين بن العربى وغيره، فقالوا: إن الواحد هو الحافظ لمراتب العدد، وليس هو من جملة العدد، لأن العشرة مثلا إذا نقص منها واحد ذهبت مرتبتها، وجاءت مرتبة التسعة وهكذا. ولأجل ذلك ذهبوا إلى أن الواحد

ليس من جملة العدد، ولا يخرج منه عدد زائد على المضروب فيـه زيـادة علـى الأصل.

واعلم أن الألف كما هو سر وجود الحروف، كذلك عدده هو سـر وجـود الأعـداد، واعلم أن الأولياء العارفين بالله لا يدرون كنه الذات العاليـة، بـل هـم بالنظر إلى الكنه فى حيرة جالية. وأما التجليات الواقعة فى الدنيا لا تخـرج عـن رتبة التقييد. أما التجليات المطلقة، فلاحظ للعبد فيها لأن رتبتـه التقييـد، وإدراك التجليات المطلقة، لا يناله العبد إلا عند فنائه، لا فى حال بقائه مع الحق. وحينئـذ فما رأى إطلاق الحق إلا الحق فافهم، وإياك والغلط، فإنه لا حلول ولا اتحـاد، ولا يلحق العبد رتبة ربه أبدا، ولو صار الحق تعالى سمعه وبصره وجميع قواه، فـإن الحق تعالى قد أثبت عين العبد معه بالضمير فى قوله فى الحديث القدسى: "*كنـت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به*".

فإن قيل: إن كلام الحق قديم، وقد قال ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ (الحديـد: ٤)، يشعر هذا بأننا معه فى الأزل، كما تقول الفلاسفة.. قلنا التحقيق أن العالم قديم فى علم الله، حادث فى الظهور.

فتحقـق فـى الرتبتيـن جميعـاً تدرى سراً يخفـى علـى الأذكيـاء
رتبـة الـرب ليـس يلحقـها العبـد ولـو صـار سـمعه فـى العـلاء
وصـلاة مع السـلام على مـن قـد رآه فى ليـلـة الإسـراء

خاتمة الكتاب الأول

نسأل الله تعالى أن يسلك بنا طريق الصديقيـــن، فـــى الأقـــوال والأفعـــال والأحوال.. وأن يدرجنا فى مدارج أهل الكمال، إنه كبير متعال.

واعلم يا أخى أنى مقر بالتقصير، معترف بالقصور عن هذه المقامات، ولا تغرنك شقشقة اللسان، ولست والله أرى نفسى أهلاً لهذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، ما حملنى على جمع هذه العبارات، وجلب هذه الإشـــارات، إلا الالتمـــاس بذلك التقرب من العليم القريب، و طالبا الغفران من الحميـــد الحنـــان، وأســـأل الله تعالى أن يجعلها مقبولة لديه، والحمد لله ظاهراً وباطناً، وصلى الله علـــــى ســـيدنا محمد وآله وصحبه الأخيار، وأتباعه وأنصاره وأحزابه، ما كر الليل على النـــهار، وما ذكر الله فى سائر الأقطار، والحمد لله رب العالمين.

فرغ من تصنيف هذا الكتاب، مؤلفه القطب الشهير ســـيدى عبـــد الله بـــن عزوز المراكشى دارا القرشى نسباً، يوم الأربعاء العاشر من شهر شـــوال، ســـنة ثمان وثمانين بعد المائة والألف.

الكتاب الثاني

نور الحياة

فيما يجب للخالق على المخلوقات..
وفي كيفية النظر والتدبر في خلق الأرض والسماوات.

تصنيف قطب زمانه
الشيخ أبي محمد عبد الله بن عزوز المراكشي.
وهو نفس المؤلف للكتاب الأول

مخطوط في المكتبة الوطنية في الجزائر
تحت رقم ٢١٤٦

مقدمة الكتاب الثاني

نور الحياة

الحمد لله مفيض أنوار عنايته على أهل محبته وذكره وقربه، الذين سبقت لهم منه الحسنى والسعادة الكبرى، وتفضل عليهم بالعروج برحمته وقربه، وأظهر لعقولهم المعانى اللطيفة فى محيط الإجمال إلى مركز التفصيل، وأجلى لهم الأسرار الخفية، وعمر قلوبهم بحبه ذكره، حتى لم يجدوا فى قلوبهم متسع لغيره، وفرحوا به وتركوا ما سواه.

أحمده بحقيقة الأحدية فى مجلاها، حمداً كحمد من شفاه الله من داء العيوب، وسقاه من دار الغيوب، الذين هم فى جنة معارفهم راتعون.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة قوم أشرف فى قلوبهم حبه، وأسكن فيها ذكره، فهم بذلك فرحون، فرحهم المنزه عن المزاج والاتحاد والحلول، والفصل والوصل، والنوع والجوهر، والعرض والصورة والتركيب والتحليل.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنه ألف الوجود، وأساس الإيمان وباب المعرفة، وسر الإمكان.. الذى من نوره تصورت جميع الصور، ومن فيضه العالم يستمد (البشر والحجر والشجر)، فهو الجد الأول الأصلى، والختم الحقيقى، الداعى إلى الحق بالحق.. به ظهرت الموجودات، ومنه تفرعت الكائنات والممكنات، إذ هو صاحب الشفاعة الكبرى، والرياسة العظمى، وقاب قوس الوجود، وعروة الاستمساك فيه.. بالصدق فى محبته عليه السلام يحصل للعبد سؤله، وهو المخاطب بالنور المبين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأنصاره أجمعين.

وبعد.. فإن أعظم العلوم مقاماً، وأقومها أصلا وفروعاً، وأقواها حجة ودليلاً، وأجلاها سبيلاً، هو العلم بما يجب للخالق البديع على مخلوقاته ومصنوعاته.. وقد اختلج فى صدرى، وخطر فى روعى أن أضع هذا الكتاب المسمى بـ"نور الحياة"، وأجعله ثلاثة أبواب، وفى كل باب سبعة فصول:

الباب الأول فى معرفة الخالق البديع وما يجب للخالق على المخلوق البالغ من معرفة خالقه، والبحث عن ذلك، لأنه أول الواجبات.. وفى هذا الباب سبعة فصول، كل فصل يحتوى على وجه من معرفة الله.

الباب الثانى فى عبادة الله التى تجب للخالق على المخلوقات.. والعبادة هى ما فرض الله علينا وهى قواعد الإسلام الخمسة، والجهاد فرض كفاية والهجرة يفترض لأجل الضرورة، فتكون الجملة سبع عبادات مفروضة ولكل عبادة فصل.

الباب الثالث فى كيفية النظر والتفكر فى مصنوعات الصانع البديع. وهذا الباب لا ينتهى، ولكن ينحصر فى سبعة علوم، ولكل علم فصل، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ (يونس: ١٠).

الباب الأول
فى معرفة الخالق البديع
"التوحيد"

اعلم أيها الناظر أن هذا الباب الأول: فى معرفة الله، أى فى علم **التوحيد**.. والتوحيد أرشدك الله على ثلاثة أقسام: توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة. فتوحيد العامة فيه فصلان: الأول من طريق النقل والإيمان، والفصل الثانى فى طريق العقل والدليل البرهانى. وتوحيد الخاصة فيه فصلان: فصل فى المعرفة من طريق النقل فى مقام الإيمان، وفصل فى مقام الإحسان. وتوحيد خاصة الخاصة فيه ثلاثة فصول : كلها فى مقام الإحسان.. والله على ما نقول وكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الفصل الأول
فى توحيد العامة من طريق النقل والإيمان

اعلم أيها الناظر أن عقائد العامة فى كلمة الشهادة، التى هى إحدى مبانى الإسلام، وهى أن تعتقد أن الله وحده لا شريك له، فرد لا مثل له، صمد لا كفء له، ولا ضد له، منفرد لا ندّ له قديم لا أول له، أزلى لا بداية له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدى لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، لم يزل ولا يزال منعوتا بصفات الكمال، لا يقضى عليه بالانقضاء، وأنه ليس بجسد مصور، ولا جوهر محدود، وأنه لا يماثل الأجسام فى التقدير، ولا فى قبول الانقسام، وأنه ليس بعرض، ولا تحله الأعراض، ليس كمثله شئ ولا شئ مثله، وأنه لا يحده المقدار، ولا تحيط به الجهات والأقطار، وقد أوردنا ذلك فى الفصل الثالث "فى علم الحقيقة وفضائله" من الكتاب الأول تحت عنوان "توحيد العامة وعلماء الظاهر"، فيمكن الرجوع إليه.

الفصل الثانى
فى توحيد العامة
عن طريق العقل والدليل والبرهان

وحدانية الصفات

اعلم أيها الناظر أن من أصول النظر فى الواحـــد ﷻ، أن يعلـــم أن الشـــئ الواحد بالحقيقة، هو الشئ الذى ليس لوجوده نهاية ينتهى إليـــها، لأن النهايـــة غايـــة الوجود، وحد له لا يتعداه، فإذا اتحد بالنهاية أخذته القسمة، لأن وراء تلك النهاية شـــئ آخر، من جنسه أو من غير جنسه، فإن قلت كيف لم تزاحمه الأشياء، وهو لا نهـــاية له، وما لا نهاية له فهو الوجود وحده فقط، ولا وجود لشئ معه البتة، لأنه لو كان شئ لحده، ونحن نجد الأشياء موجودة؟ فالجواب أن البينونة وقعت بين القديم والمحـــدث، فقد باين المخلوقات بقدمه، كما باينوه بحدوثهم، كذلك باينهم بجميع أوصافه، كما باينوه بجميع أوصافهم.

واعلم أرشدك الله أن الأشياء لا وجود لها معه، إلا بالإيجاد فى كل طرفـــة.. والواحد من وجه آخر أيضاً هو الذى لا مثال له، ولا نظير ولا شـــبيه مـــن جميـــع الموجودات، كما يقال فلان واحد عصره، أى لا قرين له. فإذا لم يكن لـــه مثـــل ولا شبيه، فهو واحد فرد لا يشبهه شئ، لا فى وجوده، ولا فى صفاته.

من هذا الفصـــل تفهم وحدانية الصفات، فإن بصره محيط بجميع الموجـودات على كثرتها، ومحيط بذاته، وعلمه مدرك لعلمه، ولجميع الموجودات علـــى كثرتـــها، وهكذا جميع صفاته.

أزلية الوجود وانفراده به

واعلم أن الله ﷻ كان قديماً أزلياً فلا بداية له، ولم يكن معـــه شـــئ مـــن الأشياء، ولم يكن معه فى أزله وجود.. إلا أنها لما كانت موجودة لم تخل أن تكـون إما محدثـــة أو قديمة، فإن كانت محدثة، فقد وجدت بعد أن لم تكن شيئاً، فلم تكـــن

معه فى أزله، وإن كانت قديمة، فلا يجوز أن يقال فيها محدثة، لأن القديم مـــا لـــم يحدثه غيره، وقد وجب بالضرورة حدوثها، لأنها ظـــهرت فيـــها أثـــر الصنعـــة، والحدوث يبطل القدم لها وصح الحدوث. ومن أثبت القدم للموجـــودات، لزمـــه أن يقول: أن الله لم يخلق شيئاً ولا أبدعه، وكانت الأشياء موجودة بذواتها على قولـــه، وهذا هو المحال لأنه قد ظهر وجودها بغيرها.

فإن جعل الموجودات معه كالظل مع الشخص، أو العلة مع المعلول، فقـــد ضـــل، بل جعله على جهله مساوياً له، لأن العلة مساوية للمعلول فى الضـــرورة، لأن المعلول يصدر عن العلة بضرورة فى العلة، ولا تمنع العلة بذلـــك الضـــرورة عن وجود المعلول عنها، فالعلة مضطرة لوجود المعلول عنها، والظل موجود عن الشخص وجوداً غير قديم، لا يمتنع عن ذلك، والإله ليس بمضطر، لأنه إذا كـــان مضطرا فقد اضطره غيره، فإذا لم يبق إلا ثبات الاختيار لله تعالى يوجد متى شاء وكيف شاء، ويترك إيجادها ما شاء ومتى شاء، على ما سبق به علمه وإرادته من التقديم والتأخير، وترك الإيجاد ووجود الإيجاد وهذه صفة الإله، وما ســـوى ذلـــك مضطر فقد كانت الأشياء عدماً محضاً، وكان الله وحده ولا شئ معه فى أحديتـــه، ولا ثانى معه فى أزله، وكان فى أزله مدركا لجميع معلوماته فى حال عدمها، كما يدركها الآن فى حال وجودها، استوى فى حقه الوجود والعدم، فـــلا زيـــادة فـــى إدراكها فى حال وجودها، ولا نقصان فى إدراكه فى حال عدمها، ولا ينبـــع هـــذا الإدراك إلا للإله، لأن المخلوق لا يدرك الشئ وهو عدم محض.

انفراده بإدراك الغيب

وبهذا الإدراك باين جميع خليقته، ولم يكن مثلها، لأن المحدث كما تقدم، لا يدرك الشئ حتى يكون موجوداً معه، وما دام معدوما عنه فلا يدركه. فإن العالم من الخلق لا يكون عالما حتى يتعلم العلم بمعلومة، فيضطر إلى المعلوم أن يكون سابقاً على علمه. ولا يبصر الشئ حتى يحضر بين يديه، بعد أن كان غائبـــاً، ولا يقـــدر

على الشئ حتى يكون فاعلا له، ولا يكلم الشئ حتى يحضر، ولا يسمعه حتى يتكلم بين يديه، لأن صفاته حادثة مع مدركاتها فلا يدرك إلا فى حين حدوثها، وحدوث المذكورات معها، وكذلك إذا زالت عنه مدركاته.

والبارى جل شأنه بخلاف ذلك، كان فى الأزل ولا شئ معه، ومدركا لجميع مخلوقاته قبل وجودها، لأن صفاته لم تحدث له، وهو الآن حين وجدها يدركها، فإن أعدم الموجودات وصيرها كما كانت أول مرة، بقى كما كان مدركا يدركها قبل وجودها، لأن صفاته ليست أعراضا فتزيد أو تنقص باختلاف المحدثات، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فقد استوى عنده وجودها وعدمها، والعدم ضد الوجود، لأنه سبحانه فى الأزل لا شئ معه، وليس بذاته سوى ذاته. لا يجوز أن يقال أن للأشياء فى ذاته أثرا أو تكون منطبعة أو متصورة فى الذات، بل إدراكه غير المدرك والعلم غير المعلوم، والبصير غير المبصر والقدرة غير المقدور. وليست هذه الصفات والإدراك إلا له، ألا تراه يقول: ﴿**إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾ (النحل: ٤٠). فلا يقول كن إلا لمدرك معلوم ولا يقول كن إلا لمعدوم غير كائن.

فلو كان موجودا لكانت كن بلا فائدة، ولو لم يكن مدركا، لم يقل له كن. والله تعالى يقول: ﴿**إن الله لغنى عن العالمين**﴾ (العنكبوت: ٦)، لا يشغله وجودهم، كالعلة مع المعلول.. ويقول: ﴿**وأن الله علام الغيوب**﴾ (التوبة: ٧٨)، فهو المنفرد بإدراك الغيب، لأن الغيب ضد الحضور، وما كان ليطلعهم الله على الغيب، لأنه ليس فى طاقة المخلوق ذلك الإدراك، فإذا أطلعه على ما غاب عنه، أوجده له فلم يكن غائبا. وكذلك قوله ﷻ: ﴿**ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء**﴾ (آل عمران: ١٧٩)، وما دام لم يدرك فهو غيب عنه، والله تعالى بخلاف ذلك، ليس عنده غيب بوجه، لا فى حال عدم الأشياء، ولا فى حال وجودها. قال ﷻ ﴿**وكان الله بكل**

شئ عليماً﴾ (الفتح: ٢٦)، أى كان فى أزله عالماً بكل شئ. وكذلك قال جل شأنـــه: **﴿إنه بكل شئ بصير﴾** (الملك: ١٩)، **﴿وكان الله على كل شئ قديرا ﴾** (الأحـــزاب: ٢٧)، **﴿ألا إنه بكل شئ محيط﴾** (فصلت: ٥٤)، إلى غير ذلك من الآيات الواردة فى هذا المعنى.

وهذا كله يؤكد انفراد المولى ﷻ بإدراك الغيب. وهو من العقائد الأساسية فى توحـــيد العامة، عن طريق العقل والدليل والبرهان، حيث لا يعتريهم أى شـــك فى تلك الحقيقة، التى لا يأتيها الباطل من بين يديها أو من خلفها.

الفصل الثالث

فى توحيد الخاصة فى مقام الإيمان

اعلم أيها الناظر أن العقائد والاعتقادات من أفعال القلوب، من حيث هى من عمل الباطن لذلك اختلف ذوو البصائر مع أرباب الظواهر فى كيفية ترتيب العقائد.

طريق الخصوص الأصفياء الأتقياء فى حكم العقائد

فأما طريق الخصوص الأصفياء الأتقياء فى حكم العقائد فهو تقديم طـــهارة النفس، من رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف، إذ علم العقائد عبادة القلب وصـــلاة السر، وقربة الباطن إلى الله ﷻ. وكما أن عبادة الجوارح الظـــاهرة لا تصـــح إلا بطهارة الأحداث والأخباث، فكذلك لا تصح عبادة الباطن، وعمـــارة القلـــب بعلـــم العقـــائد، إلا بعد طهارته من خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف. فقد قال رســـول الله ﷺ: " بنى الدين على النظافة"، وكذلك هو ظـــاهرا وباطنـــا. وقـــال ﷻ: **﴿إنما المشركون نجس﴾** (التوبة: ٢٨)، تنبيه للعقول على أن الطـــهارة والنجاســـة غير مقصورتين على الظواهر المدركة للحواس، فالمشرك قد يكون نظيف الثيـــاب مغسول البدن، ولكنه نجس الجوهر، أى باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة.

والخبث عبارة عما يختبث ويطلب البعد منه، وخبائث صفة الباطن، فإنها مع خبثها فى الحال، فهى من المهلكات فى المآل. وكذلك قال رسول الله ﷺ: "*لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب*". والقلب بيت وهو منزل الملائكة ومهبط آثارهم، ومحل استقرارهم. والصفة الرديئة مثل الغضب والشهوة،والحقد، والحسد، والكبر، والعجب، وحب العاجلة، وأخواتها كلاب نابحة فإن صار بيت الملائكة مشحوناً بالكلاب، لا يقذف فيه النور، لأن نور العلم لا يقذفه الله فى قلب، إلا بواسطة الملائكة، ولا تدخل الملائكة قلبا مشغولاً بغيره. قال ﷻ: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا**﴾ (الشورى: ٥١). ولست أقول: أن المراد البيت هو القلب، وبالكلب هو الغضب، ولكن أقول هو تنبيه عليه، ففرق بين تفسير الظواهر إلى البواطن، وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر، مع تقرير الظواهر.. تعرف الباطنية بهذه الدقيقة.

واعلم أن صاحب القلب المشحون بالغضب، وحب الدنيا، والتكالب عليها، والحرص على ملذاتها، وعلى التمزيق لأعراض الناس، كلب فى المعنى، وفى الآخرة تتبع الصور المعانى، و لذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية، فيحشر الممزق للأعراض كلباً ضارياً، وآخذ أموال الناس ذئباً، والمتكبر عليهم نمراً، وطالب الرئاسة أسداً.. وردت بذلك الأخبار، وشهد له الاعتبار عند ذوى البصائر.

إذا صفت الفكرة صار التوحيد مشاهدة

واعلم أن العالم الحقيقى هو الذى تقل علائقه فى الإشتغال بالدنيا، وينفك من الإخوان، فإن العلائق شاغلة وصارفة للعبد عن مولاه، ﴿**ما جعل الله لعبد من قلبين فى جوفه**﴾ (الأحزاب: ٤). ومهما توزعت الفكرة قصرت عن إدراك الحق، ولذلك قيل "العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك". والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة، كجدول يفرق مائه، فتبتلع الأرض بعضه، ويختطف الهواء بعضه، ويفسد

فـى المجـارى بعضه، فلا يبقى منه ما يبلغ الزرع. والفكرة المجتمعة، صاحبها لا يخطئ أبداً، وإذا صفت الفكرة وتطهرت من خبائث القلوب، التى ذكرناها من قبل صح اعتقاد صاحبها، وصار علم التوحيد عنده مشاهدة.

واعلم أن أرباب القلوب والبصائر، لما تطهرت بواطنهم من النجاسة تنورت، فلما تنورت، اشتغلت بذكر الله، فلما امتزج نور الطهارة بنور ذكر الله، كشف بها صاحبها عن معنى الوحدة، وتحقق بسر القربة، وصدّق بالرسالة، ففنى عن ذاته بالكلية، فوجد الله لا شئ معه، وكما قال رسول الله ﷺ: "**كان الله ولا شئ معه، وهو الآن بما عليه كان**"، وقال ﷻ: ﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم**﴾ (الحديد: ٣).

الفصل الرابع
فى توحيد الخاصة فى مقام الإحسان
وهم الأتقياء الأصفياء ﷺ

علم كلمة التوحيد على مذهب أصحاب اليقين

اعلم -أرشدنى الله وإياك- أن خاصة الله من عباده، يرون أن أفضل الأعمال المداومة على ذكر الله، وأفضل العلوم هو العلم بـ**"لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله"**. وهو أفضل العلوم مقاماً، لأن هذه الكلمة الشريفة هى كلمة **"الله"** فى مصنوعاته وتوحيده وغاياته، فلما حفظوا ذلك صار ذكر الله عملهم، وعلم "لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله" توحيدهم. وها أنا أذكر لك علم "لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله"، على مذهب أرباب القلوب والبصائر وفتح الغيوب وفضلها.

قال ﷻ: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله**﴾ (محمد: ١٩)، وهى اثنا عشر حرفاً، وهى مسافة الليل يعنى ساعاته، فصار مجموع الكلمة أربعاً وعشرين حرفاً، وهى

أربع وعشرون ساعة، وكذلك الشهور العجمية اثنا عشر شهراً، والعربية اثنا عشر شهراً، والجملة أربع وعشرون، فافهم ذلك.

وأما إذا أزلت الحروف المكررة من حروف الكلمة الشريفة، تجد تسعة أحرف أولها اللام ثم الألف ثم الهاء ثم الميم ثم الحاء ثم الدال ثم الراء ثم السين ثم الواو، وهى تسع. **وهذه الحروف هى الأفلاك التسعة**.. سماء الدنيا هى اللام وفيه كوكب القمر، والثانى من السماوت هو الألف وفيه كوكب الزهرة، والثالث من السماوات هو الهاء وفيه كوكب عطارد، والرابع من السماوات هو الميم وفيه كوكب الشمس، والخامس هو الحاء وفيه كوكب المريخ، والسادس هو الدال وفيه كوكب المشترى، والسابع هو الراء وفيه كوكب زحل، والثامن من فلك الكرسى وهو السين وفيه رأس الجوهر، والتاسع هو الأعظم وهو العرش، وهو حرف الواو وفيه كوكب الذنب.

وإن اختبرت طبائع هذه الكلمة الشريفة تجدها ثلاث طبائع، فأربعة أحرف منها **نارية** وهى الألف والهاء والميم والسين، وأربعة أحرف منها **مائية** وهى اللام والحاء والدال والراء، ومنها حرف الواو **ترابى**. وهى ثلاثة دوائر: دائرة النار، ودائرة الماء، ودائرة التراب، وبهذه الدوائر الثلاث قامت دوائر الوجود بأسره. ودوائر الوجود هى: الحيوان، والنبات، والمعدن. فدائرة الحيوان نارية، ودائرة النبات مائية، ودائرة المعدن جمادية ترابية. وهذه الدوائر هى مجموع الأكوان، لم يخرج عنها مخلوق.. فافهم ذلك وتدبره.

من أسرار حروف الكلمة الشريفة

واعلم أيها الناظر أن حروف الكلمة الشريفة المشرفة، تسعة من غير تكرار، وهى المقامات التسعة التى هى مراتب الأعداد، وهى مراتب الحروف الثمانية والعشرون. منها تسعة أحرف يقال لها الآحاد وهى الألف والباء والجيم والدال والهاء والواو والزين والحاء والطاء، ومنها تسعة أحرف يقال لها العشرات

وهى الياء والكاف واللام والميم والنون والسين والعين والفاء والصاد، ومنها تسعة أحرف أخرى يقال لها المئات وهى القاف والراء والشين والتاء والثاء والخاء والذال والضاد والغين، أما مرتبة الآلاف منها هى حرف شين.

وهذه هى مراتب الأعداد، ومراتب الحروف التى هى البسائط والمركبات، والفاعلتان والمنفعلتان، وجوهر الاعتدال، فمجموع الحروف ثمانية وعشرون حرفاً، وهى المقدرة فى نفوس بنى آدم، وهى الأوعية اللازمة فى إظهار الأديان، وإظهار الكتب السماوية المنزلة على الرسل عليهم السلام، وهى سبب إظهار المعجزات والكرامات، وبها تنخرق العادات، وبها ينطق كل ناطق، وبها يتصرف كل متصرف، وهى خزائن الله، وهى أسماء الله كليات، وتحتها أسماء جزيئات لا يعلم عددها إلا الله.

وهذه الحروف التى نحن بسبيل كشفها هى منازل القمر، والمسافات عرض الفلك، فإذا بات القمر فى مسافة يصرفها، فبحروفها تستخدم عوالم من الملائكة، وعوالم روحانية، وعوالم من الجن، وعوالم من الشياطين، وتفوز بالحظ الوافر والسعادة القصوى إن تأملت ذلك.

آدم هو محل الاسم الأعظم

قال بعض العارفين رضي الله عنه: "آدم هو اسم الله الأعظم، لأنه فى نفسه حروف الهجاء ومطبوعة فى لسانه، وبها استحق الخلافة، وهى مطبوعة فى لسانه على كمالها، خلاف غيره من المخلوقات، كالجن والروحانى والملك والشياطين، والبهائم والوحوش والطير، فكل من ينطق سواء كان نطقه حسياً أو معنوياً، لا ينطق إلا بحرف أو حرفين أو ثلاثة أو أربعة، وآدم عليه السلام جعل الله فى لسانه مخارج الحروف الثمانية والعشرين، فصار لسانه محل الاسم الأعظم، وكذلك لسان قلبه، وهو محل مخارج الحروف، وهو الاسم الأعظم بعينه، فاستحق الخلافة من أجل ذلك. والاسم الأعظم هو كلمة الله التامة، كلمة التوحيد الخالص من خفايا

الشـــرك وشعاب النفاق، وهذه الكلمة الشريفة هى ذات الإنسان ولســـانه، فلســـانه محل مخارجها، وذاته هى الكلمة بعينها.. سأل المرسى عن الاسم الأعظـــم فقـــال للسائل: "أنت الأسم الأعظم".

حروف كلمة التوحيد وعلاقتها بجسم الإنسان

واعلم -أنار الله بصيرتك- أن أول حرف من هذه الكلمة هو الـــلام وهـــو دائرة المخ فى الإنس، ثم الألف وهو دائرة العظم، ثم الهاء وهو دائرة العضـــل و العصب، ثم حرف الميم وهو دائرة العروق، ثم حرف الحاء وهو دائرة الدم، ثـــم حـــرف الـــدال وهو دائرة اللحم فى الإنسان، ثم الراء وهـــو دائـــرة الجلـــد فـــى الإنســـان، ثـــم حرف السين وهو دائرة الشعر فى الإنس، ثم حرف الـــواو وهـــو دائرة الأظافر فى الإنسان.

فهذه الأنواع الموجودات فى الإنس هى تسعة لا زيادة عليها، ومجموعـــها هو المسمى "**الإنـــس**".. وكذلك هذه الحروف هى تسعة أنواع لا زيـــادة عليـــها، وهى الموجودة فى الكلمة الشريفة، ومجموعها هو "**الكلمة الشريفـــة**"، والكلمـــة الشريفة هو الإنسان، فاستحق الخلافة دون غيره من المخلوقات، لأن غيره بعـــض من الكلمة الشريفة، والإنسان جميع الكلمة فى ذاته ولســـانه، فاســـتوجب الخلافـــة المذكورة فى كتـــاب الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿**إنى جاعل فى الأرض خليفة**﴾ (البقـــرة: ٣٠). وقال رسول الله ﷺ: "**إن الله خلق آدم على صورته**"، وقال أيضاً: "**إن الله خلق آدم على صورة الرحمن**". وقـــال ﷻ: ﴿**وإذ قلنـــا للملائكـــة اســـجدوا لآدم فسجدوا**﴾ (البقرة: ٣٤)، فالملائكـــة بعض من الكلمة، وآدم هو الكلمة على كمالها، فسجد البعض للكل، والكل هو الخليفة، فاعلم ذلك وميز ما هناك. وهذه الحـــروف التسعة والمذكـــورة، هى نفس الكلمة، وهى أصول الأنوار فى عالم التركيب، وهى الكواكب التسعة أرباب الأنوار، وكل واحد منهم أسكنه الله فلكه، فالفلك حرف مـــن الكلمة، والكوكب حرف من الكلمة، فحرف الفلك محل، وحـــرف الكوكـــب حـــال.

ومجموع الأفلاك التسعة وصورها، المحيطون بالدنيا والآخرة، والجنة والنار.

ومجموع الكواكب التسعة وأنوارها، المؤثرة الآثار البديعة، والعجائب الغريبة، هو الإنسان وهو نسخة الكون،لأنه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهو مجموع ما كان وما يكون.. ولمثل هذا قال أبو العباس المرسى ﷺ: "وهذه أسرار عليكُم بكتمها".

دوائر الكواكب والأفلاك

اعلم أن الدوائر اثنتان: دائرة الكواكب ودائرة الأفلاك. والأفلاك تسعة، والكواكب تسعة، ومراتب الأعداد تسعة: الأحادية والثنائية والثلاثية وهكذا إلى التساعية.

فالأحادية للألوهية، والثمانية الباقية من المراتب المذكورة للعبودية، فاختصت الأحادية بالروبوبية، واختصت الثمانية الباقية بالعبودية. وفى هذا المعنى قال الشيخ المليانى ﷺ: "فى حقائق التوحيد غب عن الأكوان، وجل فى سرك، وتأمل بأى شئ قامت الأكوان، وما كيفية ظهورها؟ لعلك تشاهده فى كل شئ، وتغتسل من جنابة غفلتك، حتى لا ترى فى الأكوان سواه"، ﴿**هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم**﴾ (الحديد: ٣).

واعلم أيها الناظر أن هذه البلاد هى بلاد الذاكرين الله بقلوبهم ﷺ خصهم الله بها، ولا يرون فى الوجود سواه، فعند ذلك محوا تأثير أنفسهم، ووجودهم إلا به وإليه، وقد انطوى شفعهم فى وترهم، وغابوا ثم حضروا، ولا غيبة هناك ولا حضور، وكان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان. هم به وإليه، ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ (يونس: ٦٢).

ولهذا قال رسول الله ﷺ: "**لا إله إلا الله لا يزنها شئ**"، فأشار إلى أنها كل شئ. وقال ﷻ: ﴿**قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض**﴾ (يونس: ١٠١)، قال ﷻ: ﴿**وفى أنفسكم أفلا تبصرون**﴾ (الذاريات:٢١)، وقال أيضا فى حق

الشهادتين: ﴿**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفذ البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً**﴾ (الكهف: ١٠٩).

كلمة التوحيد هى مخزن العلوم الرفيعة

قال بعض العارفين : "قول لا إله إلا الله يؤخذ منه كل ما قلناه".

فاعلم أيها الناظر أن حروف هذه الكلمة، كان آدم عليه السلام يستخرج منها الأسرار الكونية والآثار البديعية، ويتصرف بها فى أحواله الظاهرة والباطنة، لأن كل حرف منها له معان ظاهرة وباطنة، وكل حرف منها يحتوى على علوم عظيمة الشأن، وأسرار عظيمة البرهان، والحروف والمقامات، يعنى مقامات الأعداد، راجعة إليه أحوال العالم العلوى والعالم السفلى، على اختلاف أطوارهما، مقرونة بظاهر أشكالهما، وباطن أسرارهما، فلا تخرج عن ذلك دقيقة من الدقائق، ولا رقيقة من الرقائق، عن حظها من الأعداد والحروف، لأن كل شئ له حظ من الحروف.. قد جرى القلم بهذه الأسرار، أمنها الله من حسود الإسلام..

وهذا العلم هو علم الكلمة الشريفة، وهو أفضل العلوم، لأنه علم الأنبياء والرسل والأولياء والأقطاب، وهو المعبر عنه بعلم الأذواق والذوق، كناية عن مكث الفهم فى أذهان الرجال. لذلك قال النبى ﷺ: "***القلوب أوعية، وخيرها أوعاها***". وفى مثل هذا قال ﷻ: ﴿**وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب**﴾ (ص: ٢٠)، والحكمة التى بها وجدت الموجودات هى "لا إله إلا الله" فإذا سكنت لب الإنسان، أصاب فى أقواله وأفعاله. والعلم بـ"لاإله إلا الله"، هو العلم الجامع لعلم الظاهر والباطن وإلى ذلك أشار أبو طالب المكى فى كتابه "قوت القلوب".

قال ذو النون المصرى رضي الله عنه:

أعرف للمتقين سبعين علماً كانوا يتعارفونها، لم يبق اليوم منها علم واحد يعرف، وأعرف من زماننا هذا علوماً من الغرور، قد ظهرت وسميت علوماً، لم

تكن فيما مضى تعرف. قلت هذا كالسراب الذى وصفه ﷻ بقوله: ﴿**يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً**﴾ (النور: ٣٩).

علم اليقين مقصور على المقربين

واعلم أيها الطالب أن هذه العلوم مخصوصة مقصورة محبوسة على أرباب القلوب ﷺ أهل العلم بالله والذكر والتوحيد. والفهم عن الله لا يدرك من دراسة الكتب، إنما هم أهل عمل بالقلوب، وحسن معاملة بالإفهام، فانقطعوا إلى الله، وأخلصوا إليه أيام أعمارهم، واشتغلوا به عما سواه، لا يشتغلون بغيره، فإذا ظهروا للناس، فسألوهم عن السر، ألهمهم الله، ووفقهم وآتاهم الحكمة، ميراثاً لأعمالهم الباطنة الخفية فى قلوبهم.

قال الجنيد: سألنى رجل وعليه وسمة الصلاح فقال ما أقرب ما يتقرب به التمقربون إلى الله؟ قلت له: بعمل خفى، بميزان وفى. فقال: كلام موفق والله.

وذلك عن عقولهم الذاكية، وهممهم العالية، فآثرهم الله وألهمهم بحقيقة العلم، وأطلعهم على مكنون السر، حين آثروه بالخدمة، وانقطعوا إليه بحسن المعاملة، فصاروا يجيبون حينما يسألون، ويظهرون وصف الحكمة والعلم المصون، وينطقون بعلوم الإيمان ويظهرون بواطن القرآن. قال رسول الله ﷺ: "**من انقطع إلى الله كفاه الله مؤنة كل شئ**"، وقال ﷺ: "**من أخلص لله أربعين صباحاً، انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه**".

وذكر المؤرخون أن سيدنا إدريس ﷺ، عاش تسعمائة سنة وخمسين سنة، وكان مدة عمره يصف الرب بثلاثة أوصاف: الوجود والحكمة والحياة، إلى أن رفعه الله حياً، وذلك حصل له بالعلم النافع والعمل النافع.. فالعلم النافع هو: العلم بـ"لا إله إلا الله"، والعمل النافع: الاشتغال بذكرها وذكر أوصافها. وهذه الأوصاف التى كان يذكرها إدريس ﷺ، كلها راجعة إلى الكلمة الطيبة، والكلمة هى الوجود، وهى الحكمة وهى الحياة. وهذا هو العلم النافع والعمل

النافع، الذى بين العبد وربه، وهو الذى يلقاه به ويسأله عنه، وهو ميزان العلوم والأعمال، وعلى قدر معرفة العبد بربه، ترجح أعماله وتتضاعف حسناته، وبه يكون العبد عند ربه من المقربين، لأنه لديه من الموقنين، قال ﷻ: **﴿وفى الأرض آيات للموقنين﴾** (الذاريات: ٢٠).

ومما يدلك على أن علم اليقين والتقوى والمعرفة والهدى، هو العلم المذكور المقصود عند السلف الصالح، أن الصحابة ﷺ والتابعين كانوا يشفقون من فقد ذلك، ويخافون عدمه، وإنما يعنون بذلك علم القلوب والتقوى. فإذا فقد المتقون، وقل الذاكرون والخائفون، ذهبت هذه العلوم لأنها قائمة بهم، وموجودة فيهم، فهم أربابها والناطقون بها، وهى أحوالهم، وهم سلاكها بلا دراسة ولا مجاهدة، وهى علامتهم بين الخلائق. أولئك الأقلون عدداً، الأعظمين قدراً صحبوا الدنيا بالأبدان، وأرواحهم متعلقة بالمحل الأعلى، أولئك أولياء الله من خلقه، وعلماء الآخرة، وأرباب الأذكار بالقلوب، الذين سكن الله فى قلوبهم.

كيف تكون حيَّ القلب

اعلم أيها الناظر أن المراد من كلام هذا الفصل، هو أن تعلم أنك إذا أردت أن تكون حيَّ القلب، مثل السلف الصالح، عليك بطريق رسول ﷺ وهى مداومة ذكر "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ﷺ بالقلب، كما هى سنة النبيين والمرسلين، وذكرها لا يفارق تدبرها، وهذا يكون على رأى أرباب البصائر، فإذا استقامت سريرتك وتنورت بصيرتك، لم تجد فى الوجود سواها، لأنها موجودة فى جميع الأشياء كلها، على أرهاطها وأنواعها، وهى آيات الله الكبرى.. قال ﷻ: **﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم﴾** (فصلت: ٥٣)، وقال ﷻ: **﴿وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾** (الذاريات: ٢٠،٢١)، وقال ﷻ: **﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾** (البقرة: ٢٦١). فمن وقع على ما ذكرناه، وتحقق معنى ما نبهنا عنه، دخل فى الولاية.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

الفصل الخامس
عقائد خاصة الخاصة و معارجهم
التى يتقربون بها إلى المشاهدة

علم النقطة

إن هذه المعارج هى النقاط، والنقاط لها علم شريف، ومعنى لطيف. واعلم أن النقطة هى حقيقة الوجود، فنسبة النقطة إلى الحروف، كنسبة الذات العالية إلـــى الصفات، فكما أن الذات تتجلـــى فى الصفات والأسماء، بمـــا تقتضيـــه حقائقـــها، فتظهر فى صفة المنعم بالنعمة، وفى صفة المنتقم بالنقمة.. كذلك النقطة تظهر فـــى كل حـــرف، بما يقتضيه حكم الحرف، ولا تعلم ذلـــك إلا إذا علمـــت أن الحـــرف جميعه إنما هو نقطة، وهو مركب من النقطة. والمراد بالحرف حرف الألف، وأما باقى الحروف فهى مركبة من مجموعة نقط.. وبهذا القياس: نجد نسبة الحرف من النقطة، كنسبة الجسم من الجوهر الفرد، فلولا الجوهر الفرد ما ظهر الجسم، ولولا النقطة ما ظهر الحرف، ولولا الذات ما ظهرت الصفات، ولولا الإنسان ما ظهرت الحقائق الكلية والجزئية، العلوية والسفلية الخفية، والخليقية.

قال الإمام الجيلى فى كتابه المسمى بـــ"حقيقة الحقـــائق" وهـــو يخـــاطب الإنسان: يا هذا أنت النقطة، فأظهرت بذاتك حقائق حروف الموجودات، وتصورت تصورها بما تجدها، فما تلك الكمالات إلا عبارة عما حوته، ولولا ذلك لما وجـــدت إلى نفسها طريقاً فى علمك فافهم، وانظر إلى حقيقة علمك بمعلوماتك، ثـــم حقـــق النظر وتفرس وميّز: من هو المعلوم؟ وما هى النسبة العلمية؟ وما تلـــك الصـــور المشهودة فى خزانة خيالك؟ تفرساً لم يطلع عليه إلا الكمل من عباد الله تعالى.

واعلم أن النقطة بكمالها ووسعها، لا تتقرب ولا تعرف ولا تنضبط، فعلـــى أى صورة حرفية تصورتها، ظهر من حقيقتها معنى خلاف تلك الصورة، لحـــرف غير ذلك الحرف. وهبك أنك تعقلت فى النقطة جميع ما تعلمه من الحروف، فـــأين

أنت من الحروف التى لا تعلمها من اللغات الأخرى؟ فهؤلاء الفرس لهم فى الحروف ثلاثة أحرف زائدة على ما عندنا، والهنود لهم فى الحروف أربعة وثمانون حرفاً زائدة على حروفنا، لأن جملة حروفهم مائة حرف واثنا عشر حرفاً متغيرة، من حيث المخرج والخط. وهبك أنك تعقلت هذا وهذا، فأين أنت من المعانى التى تفيدها الحروف، حتى تعقلها مع الحروف، عند تعقلك الحروف فى شهود النقطة. وهبك أنك قدرت على ذلك، فأين أنت من تعقل الكلمة الصادرة من الحروف.. كأن الشئ لا يتم إلا بجزئه، والأصل لا تكمل معرفتك له إلا بفرعه، فمعرفة الحرف فرع على معرفة الكلمة، ومعرفة معانى الكلام فرع على معرفة الكلمة. فهل تتعقل معنى جميع الكلمات المقولة التى قيلت أو ستقال؟ وهل يمكن ذلك؟ ومتى تدرك ما تحت كل كلمة من الأسرار والفوائد والخصائص التى هى من وراء فائدة المعنى؟ ومتى تجمع إلى ذلك معرفة الحروف بهذه المثابة، حتى تتعقل جميع المعانى فى شهودك للنقطة، فتلحقها بتلك الكمالات كلها؟ ولما كان ذلك غير ممكن قال ﷻ: ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ (الأنعام: ٩١).

فانظر أيها الطالب هذه المناسبات فيك. واعلم أن النقطة مع صغرها عظيمة القدر، كبيرة الجرم، لأن كل الحروف والكلمات صادرة عنها، وهى لم تنقص ولا تتغير، فما نسبة ما ظهر أو سيظهر فى الوجود، من الحروف والكلمات إلى النقطة، إلا كنسبة ما ينقص المحيط إذا غمس فى البحر. ولهذا قال الخضر لموسى عليه السلام، لما فارقه وكان بساحل البحر، فجاء طائر ونقر بمنقاره البحر، فقال له الخضر: "إنما مثل علمى وعلمك إلى علم الله كمثل ما أخذ هذا الطائر بمنقاره من هذا البحر".

مراتب النقطة

وأما مراتب النقطة، وما لها من علو المكانة، فاعلم أن النقطة لها مرتبة كمرتبة الوجود. قال ﷻ: ﴿**وما منا إلا له مقام معلوم**﴾ (الصافات: ١٦٤). وكما

أن الألوهية من خصائص الذات، كذلك المرتبة العليا فى الحروف من خصائص النقطة، فالنقطة ينسب إليها كل مرتبة للحروف، كما أنه ينسب إلى الله كل كمال إلهى، وكما ينسب إلى سيدنا محمد ﷺ كل المحاسن الإنسانية. ألا تراه يقول: "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**"، فكل خلق حسن أو صفة حسنة، من أوصاف المخلوقات، وشمائلها الحسنة، إنما هى فيهم بحكم النيابة عن سيدنا محمد ﷺ، وحقيقتها له من دونهم، كما أن الكمالات الإلهية الظاهرة فى جميع أفراد الوجود إنما ذلك لله وحده، من دون كل موجود سواه، فالموجودات للكمال الإلهى مظاهر، وأوصافه هى الظاهرة فيهم، كما أن الحروف مظاهر النقطة، فالفعل فى تأثير الحروف للنقطة، كما أن أفعال العباد كلها له تعالى، وفى هذا التجلى الفعلى مظاهر كثيرة، فمن شاء أن ينظر إلى عجائب هذا التجلى، فليراقب فى خياله ما تقدم من الكلام على النقطة.

التصرف بالنقطة

اعلم أن للنقطة سراً عجيباً فى الانفعالات، ليس لشئ من الأسرار سريانها، وذلك أنك إذا تعقلت سراً من الأسرار، أو وفقاً أو اسماً أو رصداً أو طلسماً، ثم وضعت النقطة، وأنت تصور ذلك السر فى خيالك، فإن تلك النقطة تفعل فعل ذلك الطلسم أو السر. وعلى قدر ما تفعلت ذلك الطلسم أو الوفق أو غيره من قوة الفعل، وسريان الحكم وصفة الغلبة، فإن النقطة سوف تظهر لك بذلك ويكون الفعل أقوى وأسرع.

ثم إن ذلك الوفق إذا كان مقيداً برصد من أرصاد الكواكب فى الوقت، لم يحصل فيه ذلك الرصد، فضع النقطة لهذا التعقل عوضاً عن ذلك الوقت، وتخيل حصول ذلك الرصد للوفق، فى تعقلك الوفق عند كتابة النقطة، فإن الأمر يحصل على ما تريد، والسر فى ذلك أن النقطة لها كل الأوفاق. فنسبة الوفق الذى تريد أن تكتب إلى النقطة، هى نسبة اسم التواب، أو غيره من الأسماء إلى الاسم

الأعظم، اســم الجلالة "الله". فإن المذنب إذا قال "يا الله تُب علىّ" فإن الإجابة إنما تحصل له بواسطة الاسم التواب، وكذلك المريض إذا قال "يــا الله عــافنى" فإنمــا يجيبــه اسمه المعافى. فاسم الله جامع للكمالات الإلهية كلـــها، فــإذا وضعــت أو قصدت حصلت منه الإجابة بواسطة الاسم الذى يناسب المطلوب. وكذلك النقطة لها جميع ما فى سائر الأســرار الفعالة من الفعل، فإذا وضعت بحسب تعقل شئ مــن الأرصاد الفعالة، ظهر آثارها على الأنموذج الذى هو لذلك الرصد.

وتحت هذا من الأسرار ما لو عرفته، لتصرفت فى الأجســام وأدرت بــه الأجرام والفضل فى جميع ما ذكرنا، حسن الظن بالله، وقوة الهمــة، مــع صحــة التعقل، والله المستعان وعليه التكلان.

بطون النقطة

وأما بطون النقطة، وما لها من الشئون فى ذلك البطون، ما لا تحيــط بــه العقول. واعلم أيها الناظر أن النقطة لها فى البطون مقتضيات، وتلك المقتضيــات هى حقائق الحروف والكلمات، والمعانى الموجودة فى جميع ذلــك، فالنقطــة فــى ضرب المثــل لتلك الحقائق، كالذوات للحروف الرقمية، وذلك عبارة عــن شــأن الذات الإلهية، فإن جميع الموجودات خاضعة فيما اقتضته الشئون الذاتية.

ولأجل هذا كان الوجود كله لله بتجلّيات فى تجلّيات.. فنسبة الحــرف مــن النقطة كنسبة الصفات من الــذات، ونســبة الكمــالات مــن الحــروف، كنســبة الموجــودات.. ونسبة المعانى من الكلمات، كنسبة التجليات الإلهية فى مخلوقاتــه من غير حلول.. فكما أن المعنى لا يحل فى الكلمة، كذلك تجلى الحق فى مخلوقاته، ما لم يكن ذا حلول فيها.

الحروف العالية

واعلم أن الأعيان الثابتة فى العلم الإلهى، عبارة عن صــور المعلومــات الإلهية، تسمى فى علوم القوم بالحروف العالية.. فنسبة الأعيان الثابتة مــن صفــة

العلم، كنسبة الحروف الوضعية من النقطة، أو نسبة الحروف الرقمية من الذوات، أو نسبة الثمرة من النخلة.. كما قلنا إن المعنى يرجع إلى الألفاظ، والألفاظ ترجع إلى الحروف، والحروف ترجع إلى النقطة فكل من الكلمات والحروف والمعانى لها تمييز فى نفسها، وليس للنقطة تمييز ولا معنى يفهم.

فتأمل فيك أيها العارف، تجد حقيقة ما أشرت إليه من ذكر المعارف، فليس إلا أنت لعلك تقع منك فيك، على ما هو لك، ذاتاً وصفات. وانظر إلى وسع عالم معانيك، وكم يقبل علمك من نسبة ما لا يتناهى، حتى إنك نسبت لله جميع كمالاته كما هى له، واستحضر ذلك المعنى فى علمك، على ما يعلم بحكم الوسع، وعدم الحد والحصر، كما يستحقه سبحانه، وتأمل ما علمك بذاتك تقر بالسعادة.

فإن فهمت ما ذكرته لك فالزم، وإلا فارجع به إلى الحق تعالى، فإنه يعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيماً.. فمن عرف هذه المعرفة، فقد عرف الله بالله حق المعرفة وإذا فهمت هذا.. عرفت أن النقطة مع ما يبرز منها من معانيها على الحروف والكلمات، باقية على شأن البطون، فهى كالهيولى لصور الحروف والكلمات والمعانى، فلا يمكن ظهور جميع ما فى النقطة، كما لا يمكن ظهور ما للهيولى من الصور، والله على ما نقول وكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

الفصل السادس
فى عقائد خاصة الخاصة وأدبهم
ومعارفهم التى يتعرفون بها إلى التوحيد الخاص
من طريق الحروف والعدد

من أسرار العدد واحد

اعلم أيها الناظر: أن أول العدد هو واحد، وهو واقع على حرف الألف، ومن الألف تألفت الحروف كلها، وصار لكل حرف عدد معلوم، قال الجنيدى ﷺ: "التوحيد إفراد القول من الحدث، وعلمك وإقرارك بأن الله تعالى فرد فى أزله، لا ثانى معه"، وقال الشبلى ﷺ: "جل الواحد المعروف قبل الحدوث، وقبل الحروف وقبل العدد والحساب". ولو تتبعنا كلام أهل العلم فى ذلك لطال الكلام، وقد أخرج الله علم العدد والحساب، وجعله أعظم آية على وحدانيته، فالعدد كله ينشأ من الواحد، وليس الواحد عددا فى نفسه. فإذا أردت أن تعد عددا ما قلت واحد، فتبتدئ بالواحد، فإذا ذكرت الواحد، لم يكن لأثنين مع الواحد وجود ولا ذكر، وكان الواحد موجودا فقط. ولا يجوز أن يقال فيه عدد، أى لا يسمى باسم الاثنين ولا الثلاثة ولا الأربعة، ولا باسم شئ من العدد الذى بعد ذلك، وإنما يقال فيه واحد فقط، ولا يشاركه فى الاسم أيضا ما جاء بعده من العدد، حتى ينتهى إلى العشرة، فإذا زدت عددا آخر، وقلت إحدى عشر، فإنما تبتدئ تسمية أخرى للواحد مع العشرة، فيكون الحادى عشر مثل الواحد من العشرة، لأنه هو. وهكذا واحد وعشرين، وواحد وثلاثين، وواحد وأربعين وهكذا، إنما هو تكثير للعشرات. فليس يشارك الواحد شئ من العدد فى الاسم ولا فى المعنى، فهو فى نفسه ليس بعدد، فإذا قلت واحد وسكت، لم يكن معه شئ معه من العدد. فهو فى منزلة قول الرسول ﷺ: "*كان الله ولا شئ معه*"، فرد فى أزليته قبل وجود جميع

الأشياء، كما هو الواحد فرد إذا ذكرته قبل ذكر الأعداد. فإذا أردت ذكر عدد قلت: اثنين ثلاثة أربعة خمسة إلى مائة.. إلى ألف.. إلى ما لا نهاية، ولا آخر، لأن العدد لا آخر له ولا نهاية.

كذلك أمر البارى ﷻ كان واحداً قبل وجود الأشياء، ثم خلق القلم واللــوُح والمخلــوقات، وأخرج الأشياء شيئاً بعد شئ، بالإيجاد والإبداع، إلى مالا نهاية لــه ولا آخر، أبد الأبد. فإن مقدروات البارى لا نهاية لها ولا غاية، لأن كـل موجـود أوجــده يطرأ عليه من الأعراض ما لا نهاية له، كما لا نهايـة للعـدد. وكمـا أن الواحد أول العشرة، فتزيد واحداً بعد واحد إلى تسعة فيكمل العدد فى التسعة، لأنـه وتر من ثلاثة وثلاثة، وكل واحد من الثلاثة وتر، وتَر كل واحد منهم صاحبه مــن حيث هو كل واحد وتر فى نفسه.. فافهم ما ذكرت لك.

وكذلك البارى ﷻ يوجد الشفع وهو الوتر بوترها بنفسه. فإذا عددت ثلاثة، وزدت العدد إلى تسعة، صارت ثلاثة وثلاثة وثلاثة. كل ثلاثة وتـر فـى نفسـها للاثـنين. فأوتر كل واحد من "عدد ثلاثة" العددين، كما أوتـر كـل واحـد مـن الـ"ثلاثة" لغيره من الاثنين. فإذا زدت عشراً على التسعة أيضاً، رجع العدد كلـه واحـد، فقلت: عشرة، وصارت العشرة بالإضافة إلى العشرين، ثم إلـى الثلاثيـن وإلى الأربعين، ثم إلى التسعين، بمنزلة الواحد من العشرة، فـالعشرة واحـد فـى نفسها، والعشرين بمنزلة الاثنين من العشرة، والثلاثين بمثابة الثلاثة وهكذا. فـإذا وصلت إلى التسعين صارت بمنزلة التسعة، ثلاثون وثلاثـون وثلاثـون. فكـانت التسعون ثلاثة وثلاثة وثلاثة، تسعا، وأُوتر كل واحد من الثلاثيـن الاثنيـن مـن الثلاثين. فإذا زدت عشـرة، فأكملت عدد المائة شيئاً واحـداً.. فـإن زدت مائـة أخرى، كانت بمنزلة الاثنين للواحد من العشرة، وبمنزلة العشرين للعشرات، حتـى ينتهى إلى التسعمائة وهكذا.

والواحد أبداً مع الجملة. منه ينشأ العدد، وإليه يرجع حقيقة ومعنى. وكذلك البـارى ﷻ منه ابتدأت الأشياء، وبه ينشأ الخلق، وإليه يرجع. فكما أنـه لـولا

الواحد الذى يزاد أبداً فينشأ منه العدد شيئاً بعد شئ لم يوجد عدد، فكذلك لـولا الله ﷻ الذى هو أول الأشياء، وهو ينشئ الأشياء شيئاً بعد شئ، وإليه يرجع كل شئ، لـولاه لم يوجد شئ من الأشياء. هو الأول والآخر والظاهر والبـاطن، كمـا أن الواحد أول العدد وآخره ووسطه الذى هو ظاهره ومعناه والذى هو باطنه. فافـهم أيدنا الله وإياك بروح منه.

استخدام علم العدد فى إثبات وجوب الحق

واعلم أيها الناظر أنك إذا أسقطت العدد من آخره، ورجعت إلـى أوليتـه وأسـقطت ألفاً ألفاً، ومائة مائة، وعشرة عشرة، وواحداً واحداً، فيفنى العـدد كلـه حتى ينتهى إلى الواحد، فلا يبقى عدد ولا معدود، فيبقى الواحد، فلا تقدر أن تجزئه فى نفسه فتسقطه، لأنه واحد ليس اثنين ولا ثلاثة، إنما هو واحد لا يتجـزأ ليـس بعدد، فلا يبقى إلا الواحد، فلو قدرت إسقاط الواحد بعينه، حين تقدر على تجزئتـه وتبعيضه، لم يوجد عدد ولا معدود بوجه ولا على حال.

فكذلك لو قدرت إعدام الموجودات من الكثرة، شيئاً بعد شئ حتى تنتهى إلى الواحـد جلّ جلاله، لانعدمت الأشياء كلها كما انعدم العدد، حتـى انتـهيت إلـى الواحد، فلا يبقى إلا الله، فلا تقدر تسميته باسم الاثنين ولا غيره، ولا أن تجزئـه، فإنه قد جـاز أن يسقط العدد كله بالتحليل بعد التركيب، حتى ينتهى إلى الواحـد، ولا يكون معه شئ من العدد. ولم يجُز، أن تسقط الواحد، لأنه لا ينحل مـا ليـس بمركب وكذلك البارى تعالى كان وحده، ولابد من وجوده، فهو واجب وجـوده لا محـالة، كما أن وجود الواحد شرط واجب فى وجود الأعداد، وليسـت الأعـداد شرطاً فى وجود الواحد، فقد ثبتت الألوهية لواحد العدد، وثبتت التبعية للعدد بعـده، كما ثبتت الأولية للبارى جل جلاله، وثبت الحدوث بعد أوليته لجميع المخلوقـات، والحمد الله على المنة والهداية.

واعلم أيها الناظر أنك إذا اعترضتك قلة الفهم، وقلت لا أفهم القسمة التـــى ذكــرت فى العدد، وكل واحد فى نفسه من العدد لا يتجزأ، فـــاعلم أنــك إذا أردت قســمة المائة، قلت نصفها خمسين، وربعها خمســـة وعشــرون، وثلثــها ثلاثــة وثلاثون، ويبقـــى واحد من المائة، زائد على ثلاثة أثلاث. وكذلك العشرة نصفـــها خمسة، وثلثها ثلاثة، ويبقى واحد، فلا تقدر على قسمته لأنه واحـــد فـــى نفســـه لا يتجزأ.

فالأعداد تنقسم إلا الواحد، فإنه لا ينقسم أبداً، وكذلك المخلوقات كلها تألفت من الأفــراد التى هى الجواهر، فضم جوهر إلى جوهر فكانت أعداد لا تتنـــاهى، فكما ضم أفراد العدد بعضها إلى بعض، فكان العدد لا يتناهى فأفراد العدد بمنزلـــة الجواهر، التى تألفت منها المخلوقات، وكل جوهر فى نفسه فرد لا يتجــزأ، دلالـــة على الواحـــد جلّ جلاله. ولو أخذت جنساً واحداً من المخلوقات مثل جسد الإنسان، وجدته تألف من أعداد لا تحصى من الجواهر، فضّم بعضها إلى بعض فصــــارت جسماً، فسمى باسم الواحد، وهو فى نفسه أعداداً كثيرة. كما أن اسم الواحـــد واقـــع علـــى الألف، والألف فى نفسه أعداد كثيرة. فكما أن الواحد ضـــمّ عـــدد الألـــف بعضها إلى بعض، فصار به واحداً، كذلك الله عّز وجلّ هو أول الأشياء، واحد ليس معه ثان، فأنشأ أجزاء المخلوقات، وضمّ بعضها إلى بعض، وألفها حتـــى صـــارت شـــيئاً واحداً. حتى إن ملكه كله إنما هو شئ واحد، لرب واحد، لا يقال له ملكـــان أو ثلاثة أو أربـــع، إنما ملكه سبحانه ملكاً واحداً، وإن كثرت العوالم إلـــى مـــا لا يحصـــى، فينضم عالم إلى عالم، إلى مائة ألف عالم، أو أكثر أو أنقــص، فـــيرجع الكل واحداً معتمـــداً على ملك واحد للواحد القهار، كما كانت أجـــزاء الجســـد لـــه جواهر لا تحصى، وضمها الجسم فكانت به واحداً.. سبحان الله ما أكثر دلائله، وما أبين وحدانيته، وما أوضح ألوهيته، وذلك معنى قوله ﷻ: ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾ (الأنبياء: ٢٢).

الوحدانية أساس الحفاظ على الوجود

فأنظر بهذا المنظار فى جميع المخلوقات من الذرة إلى ما فوقها، لولا الوحدانية لما وجدت. ومعنى الوحدانية ضمها حتى صارت موجودة. ولو قدرت افتراق جميع العوالم بعضها من بعض، وافتراق جواهرها بعضها من بعض، وزال عنها اسم الوحدانية التى تمسكها، لفسدت ولم توجد. مثال ذلك: إن تقدر طرح أجزاء الجسد فتحلله من تركيبه، وهو واحد فى نفسه، فتسقط اليدين من الذراعين، والأصابع من اليد، والرأس من العنق، والأعضاء بعضها من بعض، فتكثرت وتفصلت بعضها من بعض، ثم تفصل كل عضو بعضه من بعض فتلاشى الجسد. فإن رددت التركيب بالتقدير، كما كان أول مرة، عاد واحداً.

وهكذا أجزاء الأرض، انضمت بعضها إلى بعض فصارت واحدة، ولو قدرت على انفصال أجزائها بعضها من بعض لتلاشت. وهكذا جسم البحر. وهكذا الأفلاك والهواء والسماوات وجميع المخلوقات. كذلك الأرواح كل روح واحد فى نفسه، ويضم بعضها إلى بعض، فصارت عالماً واحداً، واستقام أمرها، وبضمها إلى الأجسام، صارت مع الأجسام كشئ واحد.. ومن هذا يفهم قول النبى ﷺ: "**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**"، وقال عليه السلام: "**ومن فارق الجماعة بشبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**". وقال ﷻ: ﴿**له ما فى السماوات والأرض كل له قانتون**﴾ (البقرة: ١١٦). وتفهم فى هذا جداً، فإنك تفهم منه معنى وجود جهنم فى الوجود، وكيف كان سبب العذاب، ولأى شئ كانت جهنم على صورتها المذكورة فى القرآن والأخبار، والفزع الأكبر، وتفهم منه صورة النعيم ودار النعيم لأهل الحق، وتفهم منه كذلك لأى شئ وقع القتال فى الدنيا، والعذاب فى دار الدنيا وفى دار الآخرة، وتفهم منه فساد العالم عند قيام الساعة، وتفهم قوله ﷻ: ﴿**وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال**﴾ (إبراهيم: ٤٦). وتفهم واستعن بالله يعينك الله، وليس

يمكن أكثر من ذلك، فإذا فهمت ما تقدم، تحققت وحدة الله، وكنت من أهل التوحيد الخاص، والله أعلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الفصل السابع
فى عقائد خاصة الخاصة وأدبهم ومعارفهم
"الذين يتقربون إلى التوحيد الكامل"

مراتب التّوحيد

اعلم أيها الناظر أن التوحيد فى نفسه ثلاثة مراتب: الأولى توحيد الأفعال، والثانية توحيد صفة الفاعل، والثالثة توحيد وجود ذات الفاعل القادر.

المرتبة الأولى: توحيد الأفعال

هو إضافة الأفعال والمفعولات كلها إلى الله سبحانه.. وأنه خالق الذرة وأفعالها، والفيل وأفعاله، والعرش وأفعاله وخالق أعيان الموجودات كلها وأفعالها، على كثرتها واختلافها. فسبحان من لا يشغله شأن عن شأن، لأن الفعل من فاعلين محال فى العقل. والله يقول ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ (الصافات: ٩٦)، وقال ﷻ: ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ (الأنفال: ١٧)، وقال ﷻ: ﴿**قل كل من عند الله**﴾ (النساء: ٧٨)، ولو كانت أفعال العباد وحركاتهم، فى ظاهرهم وباطنهم، مضافة إليهم، لأدّى ذلك إلى أن العاجز قادر، والقادر عاجز، وهذا محال. لأن الحركات لو كانت للعباد، لكانت باختيارهم، والاختيار والقدرة ليس للعبد بهما علم، قبل حدوثهما فيه، ولا قبل الفعل، ولا يقدر أيضاً على ردّها، بعد أن حدثت فيه، ولا بعد الفعل. فإذا لم يكن له به علم قبل الفعل، ولا قبل حدوثها فيه، ولا قدرة له على ردّها بعد الفعل، لم يبقى إلا أنها محدثة فيه فى حين الفعل، ثم تزول بزوال الفعل. فإن أريد منه فعل آخر، أحدث له اختيار آخر، وقدرة

أخرى.. وإنما الأشياء كلها كما قال ﷻ: "**كنت سمعه وبصره ويده**"، كمـــا ورد "**فبى يسمع وبى يبصر**"، أى هو يحرك سمعه وبصره ويده، وكل شئ منه ومـــن العـــالم، للولىّ بحكم الولاية، وللعدو بحكم اللعنة. ﴿**وانه هـــو أضحـــك وأبكـــى**﴾ (النجم: ٤٣).

فتوحيد الأفعال رؤية الأشياء وجميع حركاتها من عند الله، وأن الأشياء بيد القـــدرة كالآلات بيد الصانع، ولقد أخرج الله صفة الخيال -خيـــال الظـــل- آيـــة عظيمة على توحيده. فلا تظنن أن الخيال، أو شيئاً من المخلوقات من حيث فعلـــها هو سبحانه أنه لعب ولهو، بل يشاهدها كل واحد من مقامه. وذلك أن الصورة التى يتكلم صاحب الخيال فيها، يظن الظان أن تلك الحركات للخيال، وليســـت هـــى إلا للـــ"متكلم" فى الخيال أى المحرك لصورة الخيال. فكذلك كل جزء من المخلوقـــات ظـــاهراً أو باطناً، فيفعل عن كلام الله تعالى، وعن صفته الغالبة بكل شئ، التـــى هى أقرب إلى كل شئ من كل شئ. ويظن الظان أن الحركـــة مضافـــة للأشيـــاء، والظن أكذب الحديث.

وإن شئت أن أزيدك بياناً، فاعلم أن الإنسان قد يكلم إنساناً بكلام يرضيـــه، فيظهر البشر والرضا على وجه المخاطب ويكلمه بكلام يؤذيـــه، فيتغـــير بجملتـــه ظاهراً وباطناً، ويكلمه بكلام يُغضب فيغضب، ويظـــهر علـــى ظـــاهره وباطنـــه الغضب، وبكلام يُضحـــك فيضحك، وبكلام يُبكيه فيبكى إلى غير ذلك ممـــا يكـــثر تعداده، حتى إن الكلمة الواحدة بين الخلق تخلق بينهم العداوة والبغضاء، حتى يؤدى ذلك إلى الحرب والقتل والشرور العظيمة، والمتكلم بها إنما تكلم بكلمة أو كلمـــات. والله ﷻ يقول: ﴿**إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾ (النحل: ٤٠).

والذات متكلمة بالكلام الذى وسع وجود الذات، وكلامه ذكر كل شئ، كما قال ﷻ: ﴿**إن هو إلا ذكر للعالمين**﴾ (يوسف: ١٠٤).

فالوجود كله قد ذكره بكلامه فهو يتكون من كلامه القائم بنفسه، ويتصرف فى جميع حركاته وسكونه **﴿إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكــــون﴾** والذى حدث عن كلامه فى باطن الموجودات هى الروحانية، لأن الروح نفخة فـــى الجسد، والجسد متحرك وساكن بالروح، وليس له حركة بنفسه، إنما هـــو جــامد، والمنفوخ الذى هو الروح، ليس له حركة بنفسه، والوجود ليس له وجود إلا بـــدوام النفخ من النافخ، والجسد يتحرك بالنفخة، والنفخة صادرة من النـــافخ بـــالضرورة. فالمخلوقات كلها على هذا، لا تملك من ظواهرها ولا بواطنـــها قليـــلاً ولا كثـــيراً والنفخ من البارى على ما يليق به سبحانه. فالذرة والبعوضة إذا رفعت رجلـــها أو جناحها ووضعته، فالله يرفعه ويضعه، والعين إذا فتحها الناظر أو غمّضها، فـــالله يفتحـــها ويغمضها، والرجل هو محرّكها ومســـكّنها، والله يقبـــض الوجـــود كلـــه ويبسطه، وإليه يرجع الأمر كله، لا إله إلا هو..

فإذا فهمت ما تقدم، أن الوجود كله يتكون عن سماع الكلام، فسأضرب لك مثـــالاً لعل الله يفتح بصيرتك لفهم الفائدة منه -وذلك أن تقدر نفســـك مـــن حملـــة القرآن العظيم، وقد حصل القرآن دفعة واحدة، محفوظاً عندك، وقائماً بقلبـــك، ثـــم تريد أن تقرأه، فلو قدرت أن تقرأه جملة واحدة فى حال واحـــدة، وتخـــرج كلمـــة القرآن، من أوله إلى آخره، خروجاً واحداً، فى حالة واحدة، ولا يمكنك ذلـــك، إلا بأن تقرأ، وأن تجعل ذاتك كلها ووجودك متكلمـــاً بجميـــع أعضـــائك ومفـــاصلك وعـــروقك، ويكون كل عضو متكلماً بآية، فيقول الحمد لله رب العـــالمين، والـــذى يليه الرحمن الرحيم، وهكذا.. حتى تكون فى قراءتك وتلاوتك مثل إبراهيـــم بـــن أدهـــم، لما قال للجبل تحرك فتحرك الجبل بقوله تحرك- وهذا المثل وإن لم يكـــن فى حقك حقيقة، لعجزك عن الكلام بالقرآن كله جملة واحدة، فإنه فى حق البـــارى حقيقة، لأن الله تعالى ليس كلامه حرف بعد حرف، ولا كلمة بعد كلمـــة بـــترتيب، وإنما البارى جل جلاله متكلم بالكلام الذى وسّع وجود الذات، وهو المعنى القـــائم بالقول الذى فى النفس، فيصدر عن المعانى القائمة بذات البارى تعالى، ما شـــاكل

تلك المعانى جملة واحدة، فى جميع العالمين، ما حضر منها وما فات. قال ﷻ: **﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾** (النحل: ٨)، فصدر عن هذه الآية من العوالم، ما لم يُعلم، وهى موجودة فى ملك الله، والكلمة قائمة به ومكونات لوجودها. وكذلك كل مذكور فى القرآن كما قال ﷻ: **﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾** (يوسف: ١٠٤)، ومن هذا المعنى يفهم معنى سبق المقادير، وقول النبى ﷺ كتب فى الذكر: **﴿وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين﴾** (يس: ١٢). فبقوله: **﴿تبت يد أبى لهب وتب﴾** (المسد: ١)، فى الأزل كان أبو لهب وصفته فى كتاب المقادير، لأن الكلام قديم، وفى أصلاب الآفاق، فى وجود الدنيا والآخرة وفى أبد الآباد، لأن الكلمة قائمة به، ومكونة له ولصفاته، ولا محيص له عنها لا فى الأزل ولا فى وجود الدنيا، ولا فى أبد الآباد. وكذلك لو لم يتكلم بقوله **﴿يأيها الذين آمنوا بالله ورسوله﴾** (النساء: ١٣٦)، لم يكن مؤمن ولا إيمان، ولو لم يذكر الزانى والزانية لم يكن زنا، ولا زان ولا زانية، ولو لم يذكر المصلين والخاشعين لم يكن شئ من ذلك، وكذلك استقر كل مذكور. ولعلك تشرف على معنى قول النبى ﷺ: "*وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك*"، فإن الكلام قديم، لم يزل قائماً بذات البارى تعالى ولا يزال، لا تبديل لكلمات الله.. والكلام الأزلى هو الكلام الأبدى لم يتغير، ولا يتغير ولا يتجدد عليه كلام فيتكلم بما لم يتكلم به.. وهكذا جميع صفات البارى تعالى.

فإن قلت: "قد نجد كافراً ذكره بالكفر، فكان كافراً أو عاصياً، ثم يكون بعد ذلك مؤمناً وطائعاً، وتائباً بعد العصيان"، فاعلم أن هذا لا يتناقض. فارجع نظرك إلى القرآن، تجده قد ذكره بالكفر والمعصية، ثم بالإيمان، ثم بالتوبة، فقوله تعالى: **﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾** (آل عمران: ٨٩)، وقوله: **﴿ يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾** (التحريم: ٨). فلم يكن له محيص عن المعنيين جميعاً، أو عن ألف معنى، إن ذكره بها لم يكن شيئاً غير مذكور.. ومن هذا يفهم أن علم القرآن هو البحر الذى لا ساحل له، فإنه وصف الله له على ما هو به،

ووصف أفعاله على ما هى عليه، ولمثل هذا قال على ﷺ: "لـو شئـت أوسـقت سبعين بعيراً من تفسير الفاتحة". فانظر إلى قوله ﷻ: ﴿ **وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمـر والنجوم مسخرات بأمره** ﴾ (الأعراف: ٥٤)، هـل رأيـت هـذه الموجودات مستمرة فى تسخيرها لم تقف طرفة عين، هذا لأن الآية قائمـة بـها، وهكذا كل مذكور، فلو أمسك عن التكلم، لم ير لهذه المذكورات وجـوداً، وقـامت القيـامة، وانتشرت النجوم، وزال حكم الليـل والنـهار. وبقولـه: ﴿ **إذا السـماء انشقت** ﴾ (الانشقاق: ١)، فإذا انشقت فى المستقبل، لا بد لها ولا محالة مـن ذلـك. وبقـوله: ﴿ **رفع السماوات بغير عمد ترونها** ﴾ (الرعد: ٢)، ارتفعت بغير عمد لا بد ولا محالة، إلى أجل مسمى كما قال أيضاً: ﴿ **إلى أجل مسمى** ﴾ (هود: ٣).

فافهم أيها الناظر أن البلادة وعدم الفهم من أوصاف من لا يبالى الله بـه. ولولا قول الله ﷻ لنبيّه ﷺ: ﴿ **لتبين للناس ما نّزل إليهم** ﴾ (النحل: ٤٤)، ما بيّـن لهم حرفاً واحداً، ولا قدر على ذلك. ولولا قول الله ﷻ للعلماء فى بواطن ذواتـهم ﴿ **لتبيننّه للناس ولا تكتمونه** ﴾ (آل عمران: ١٨٧)، لم يكن عالم يبين حرفاً ولا يقدر على ذلك. ولولا قوله تعالى ﴿ **إن الذين يكتمون..** ﴾ (البقرة: ١٥٩)، لم يكن كاتم ولا مكتوم، لأن القرآن قائم بباطن جميع المخلوقات كما تقدم، فيسمعه من قامت به هذه الآية ﴿ **واسمعوا وأطيعوا** ﴾ (التغـابن: ١٦)، ولا يسمع من كان له فى أذنه وقر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

واعلم أيها الناظر أن الأجساد كلها لا حركة لها إلا بالأرواح ولا سكون ولا قوام للأرواح، ولا وجود إلا بدوام المتكلم، لأن الروح من المتكلم بمنزلة المُصـدَر للصـادر على التكلم، ما دام متكلماً، ظهرت الكلمة عنه، فلو أمسك عـن التكلـم طرفة عين، لم يكن للأرواح وجود، وكانت تنعدم بلا زمان، كما ينعـدم مُصـدَر الكلام الصادر عن المتكلم إذا لم يرد المتكلم. ويبقى المتكلم قائماً بكلامه القائم فـى نفسه، الدائر فى خلده، الذى لم يزل قائماً به ولا يزال وهذا هو توحيد الأفعال.

المرتبة الثانية: توحيد الصفات

أما توحيد الصفات: فاعلم -أرشدنا الله وإياك- أن هذا المقام من التوحيد قلَّما تبّينه العبارة لأنه من علم القلوب. ومن ظنّ أن حقيقة علمه مستوفية فى هـذا المقام، فليس له من مقام المعرفة مقام، وكيف يكون ذلك، وسيد المرسـلين وإمـام جميع العالمين، قد أظهر العجز فيه، وقال: "**لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**". ولقد ألقى العلماء تنبيهات للعقول لكى تفطن إلى ذلك.

وقد أوجد الله لعباده كليات، تعبر كل منها عن معنى أسمائه وصفاته، خلَّقهم بها، وأمرهم بالتخلق بها، وهى صفات الخالق. فأوجد البصر والكـلام، والسـمع والحياة، والقدرة والإرادة، والرحمة والكرم، والجود والسـيادة، والملـك والعفـو، والإحسان والطهارة والقدس.. وبالجملة جميع الصفات، أوجد على معانيـها فـى الوجـود، معانى ليستدل بها عليه، إلا اسم الجلالـة "**الله**" تعـالى وحـده صفـة للألوهية. فإنه لم يوجد فى الوجود كله من تسمى "الله"، لأنه لم يخلق فى الوجـود صفة الألوهية، وغاية ما وصل إليه فرعون أن قال: ﴿**ما علمت لكـم مـن إلـه غيرى**﴾ (القصص: ٣٨)، على لفظ النكرة، ولم يقل "أنا الله". وقال أيضاً: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ (النازعات: ٢٤)، هذا من أجل أنَّ معانى الأسماء كلها قـد ظـهرت فـى الوجـود كله، فما أوجد البصر المحدث فمن بصره تعالى، والعلم المحـدث فمـن علمه تعالى، والحياة المحدثة فمن حياته، والقدرة المحدثة فمـن قدرتـه، والإرادة المحدثة فمن إرادته، والسمع فمن سمعه، والكرم فمن جوده، والرحمة والقوة فمـن رحمته وقوته.. وهكذا إلى جميع ما اتصف به.

ومع هذا كله، وإن أوجد تلك المعانى ليستدل بها على صفاته، فإنها كلـها مرتبطة بأضدادها، فلذلك كانت صفات الله إيجاداً لا يشبهها شئ.. ومثـل ذلـك أن المخلوق يكون عالماً، فيسمى بذلك لاتّصافه بصفة العلم، ولكن قـد ارتبـط علمـه بضده من الجهل، فإنه من حيث أدرك علمه ما أدركه من العلوم، فقد غـاب عـن

علمـــه أكثر ممـــا علم. فمن حيث عجز علمه عما غاب عنه، فقـــد جـــاهلا مـــن وجهه. وكذلك بصره من حيث أدرك مبصراته، فما غاب عن بصره أكـــثر ممـــا أدرك. وكذلك قدرته وحياته وكرمه وجميع صفات العباد، كلها مقرونـــة مرتبطـــة بضدها أبد الآبدين ودهر الداهرين..

وصفات الباري تعالى ليست كذلك، لأن صفة من الله مدركة لذات البـــاري تعالـــى، ولجميع المعلومات، ولم يخف عنه، من علمـــه بذاتـــه، ولا مـــن علمـــه بمخلوقـــاته ما أوجده وما لم يوجد، شئ. فليس له ضد ترتبط به. وكذلك قدرتـــــه، فهو يقدر على ما علم وهو بكل شئ عليم، وكذلك لا يريد إلا ما علم. وكذلك جلاله وكبرياؤه غير مرتبط بضد. ولا يكبر المخلوق، الكبر المحمود والمذمـــوم، وعـــزه المحمـــود والمذموم مرتبط بضده، فإنه وإن كان عزيزا أو كبير القدر أو جليـــــلا، فإنه ذليل لله ذل العبودية، وصغير وحقير بين يديه. وهكذا جميع الصفـــات، وقـــد نبهتك لبعضها، لتفطن لسائرها إن شاء الله.

فإنما يشرح هذا العلم في الصدور، لأنه من علم الصدور لا في الســـطور، ألا تـــرى إلى قول الخضر لموسى عليه السلام: "ما علمي وعلمك وجميع الخلائق مـــن علم الله، إلا كما أخذ منقار العصفور من البحر". وأضرب لك في هذا مثـــالا ممـــا ورد في الشرائع، ليكون دليلا في جميع الصفات. فقد ورد عـــن النبـــي ﷺ: "**أنـه قال له جبريل حين سأله عن زوال الشمس، فقال إن الشمس جرت مسـيرة خمسمائة عام**"، فكـــم تمشي الشمس من أول النهار إلى الليل، ومن أول الليـــل إلـــى آخـــر الليل، فقدر في نفسك عظمة وجود السماء، والتي فوقها أعظم منها، والتـــي فـــوق فوقها أعظم وهكذا إلى الكرسي والأرضيين كذلك.

واعلم أن هذه الأرض هي أصغر الأرضين، كما أن السماء الدنيا أصغـــر من الســـماوات. وانظر إلى قوله عليه السلام في الكرسي الذي وسع السماوات والأرض "**فما السماوات السبع والأرضيين السبع من الكرسي، إلا كحلقة ملقاة في فلاة من**

الأرض"، فانظر نسبة السماوات والأرض على عظمتها من الكرسي، ثم نبه العقول، فقد نبه النبي ﷺ العقول على صفة العظمة، ليتذكر أولو الألباب. وقال ﷻ: ﴿**الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم**﴾ (النمل: ٢٦)، فوصف العرش بالعظمة، وليس شئ أعظم من عظمة الله تعالى، وإذا فهمت حديث الحلقة، وجدت الكرسي محيطاً بالسماوات والأرض علواً وسفلاً، والعرش قد أحاط بالكل من جميع الجهات.

والمراد من هذا كله في توحيد الصفات أن العرش على عظمته، بما حوى من جميع المخلوقات والعوالم، ما علم منها وما لم يعلم، بالنسبة إلى عظمة وجود البارى تعالى، أقل من الجزء الذى لا يتجزأ بل لا مثل له فى وجوده، وكما أن من فى أسفل سافلين، يقول ويُقِّر أن البارى تعالى أقرب للخلق من نفسه لنفسه، ويُقّر أنّ البارى أقرب إلى العرش من نفس العرش، كذلك يقول العرش ويُقَر أن قرب البارى منه، كقربه من الذى فى تخوم أسفل سافلين، ومَنْ فى المشرق يقول كذلك، ومن فى المغرب يقول كذلك، وأهل كل عالم يقول كذلك، وإدراك البارى بجريان الغذاء فى عروق النملة الصغيرة، وإدراكه لِسَمعها وصورتها، ومعرفتها كإدراكه لجميع عوالم العرش، وبعده عن أوصافه على عظمته، كبعده من أوصاف النملة على صغرها وحقارتها. ولولا أن الله تبارك وتعالى تجلى للعرش بصفات الرحمة كما قال: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ (طه: ٥)، لما ثبت العرش، ولما ثبت وجوده. وبلطفه ورحمته صح منه وجود الخلق سبحانه، ولم يُظهر أيضاً للعرش من صفة الرحمة إلا ما يليق به، فإن الرحمة صفة الذات، وخلق من أخلاق الذات، فالرحمة على سعة العظمة، والجلال على سعة الكبرياء، كما أن الحياة وسعت ما وسع العلم، والعلم على سعة البصر وبالجملة كل صفة قد وسعت ما وسعت العظمة وما وسعت كل صفة، لا يجوز أن يترجح وصف من أوصاف الذات على وصف، تعالى وَصفُه عن الزيادة والنقصان، فتفهَّم فى هذا تجده إشارة من أقوال العارفين بالله، قلَّ من يحكيها. ولو أنّه تبارك وتعالى أظهر من صفة جماله وجلاله، للعرش وجميع المخلوقات، أكثر مما تجلى لها

وظهر، لتلاشت شوقاً وكمداً، وتلفت الأرواح، وانعدمت الأشباح، لكن أظهر للكل مقدار ما يتحمله وجودهم، وتستقيم به شئونهم وإيجادهم، فإذا ألف العرش وجميع المخلوقات ذلك المعنى، ونشئوا عليه إلى حد يتحملون معه أكثر مما تجلى له، أعطاهم أيضاً من التجلى زيادة على ما تقدم، مقدار ما يتحملون، والتجلى دائم بدوام وجوده أبد الآباد.

ومن مظاهر هذا التجلى أنه كوّن فى النَفَس الواحد، ما لم يدركوه فى النَفَس الذى قبله، ويسمعون من الكلام ما لم يسمعوه. **﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً﴾** (الكهف: ١٠٩)، **﴿ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحره ما نفذت كلمات الله﴾** (لقمان: ٢٧). ولو أن جهنم كلها عذاب أو حجاب صرف، لما كان لها ثبات ولتلاشت، ولو أن الدنيا كلها غفلة لتلاشى وجودها فى لحظة، مع أن الله لم ينظر إليها منذ خلقها. ولولا أن الجنة كلها رحمة لانعدم وجودها من نظره. فافهم أيها الناظر، إذ أنت تائه فى بحر الأوهام واسلك طريق أهل الفتح والإلهام. فبحق أقول: ليس فى الوجود من يستحق الوصف بالعظمة إلا الله، ولا من يستحق الوصف بالعلم ولا بالقدرة ولا بالحياة ولا بالحكمة، ولا بجميع الصفات حقيقة ومعنى إلا الله، فهو الواحد فى الصفات، لا إله إلا هو رب الأرض والسماوات.

واعلم أن توحيد الصفات لا يوجد إلا عند العارفين بالله، فإن أهل الحديث إنما نقلوا الأحاديث كما جاءت، ولم يبسطوا فى معانيها، ولكنهم على الطريقة الحسنى، حتى يظهر لهم فى الآخرة المعنى الذى اعتقدوه. وكذلك كل من سلك هذه الطريقة من الفقهاء والعوام، هى تأويل الطريقة والسنة المستقيمة. ومن تكلف تأويل ذلك على رأيه وفهمه، فتارة يخطئ، وتارة يصيب، ومن هنا دخل ما دخل على أهل البدع، الناظرين برأيهم وبعقولهم. والعارفون الموقنون الذين اختصهم

الله به، هم الذين شاهدوا الأمر على ما هو عليه، فتجلى سبحانه لقلوبهم فى الدنيـا، كما تجلى لهم فى الآخرة للأبصار، جعلنا الله وإياكم منهم برحمته آمين.

وقد قال ابن مسعود ﷺ لما مات عمر بن الخطاب ﷺ: إنى لأحسب هذا الرجـل إذ ذهب، ذهب بتسعة أعشار العلم. فقيل له أنى تقـول هـذا وأصحـاب الرسول ﷺ كثير؟ فقال لست أعنى العلم الذى تذهبون إليه إنما أعنى العلـم بـالله. وهذا هو توحيد الصفات.

المرتبة الثالثة: توحيد الذات

أما توحيد الذات فإنه مقام قليل وجوده فى التوحيـد، ولا يوجـد إلا عنـد الآحاد، إلا أنه من ترقى من توحيد الأفعال إلى توحيد الصفـات، وجعـل توحيـد الصفـات معراجاً للترقى إلى هذا المقام الأعظم فى التوحيد، يرجى لـه وصـول العلم به إن شاء الله.. وأما من تكلف بطلبه من غير هذا الطريق، وقع فى التشبيـه والإلحاد، ورمته المجانيق، وجعل فى الطرد والإبعاد. ولذلـك قـال النبـى ﷺ: "*تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى ذات الله*".

وإنما الطريق إلى علم هذا المقام فـهو التفكـر فـى أفعـال الله بـالنظر والاستدلال. فإذا أحكموا النظر فى الأفعال، دلتهم الأفعال على صفات الله تعـالى، فتتجلى لهم معانى الصفات القديمة بالذات، لأن الأفعال صادرة من الـذات. وفـى الخبر: "**ما تجلى الله لشئ إلا خضع له**"، كما قال ﷻ: ﴿**لو أنزلنا هذا القـرآن على جبل لرايته خاشعاً متصدعاً من خشية الله**﴾ (الحشر: ٢١)، وقال النبـى ﷺ: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". وقال ﷻ: ﴿**شهد الله أنـه لا إله إلا هو**﴾ (آل عمران: ١٨)، فهذا هو علمه بنفسه، ﴿**والملائكة وأولو العلم قائمـا بالقسط**﴾ (آل عمران: ١٨)، أى شهد الملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط يقصد قيامـه بالملك كله، يعطى كل شئ من الملك قسطه وحظه من كل شئ. فهذا مقام مشـاهدة الصفـات قائمة بالأفعال، وموجدة لها على الدوام. والأفعال حجب الصفات، كمـا

قـــال ابن عباس ﷺ: "حجبت الذات بالصفات، وحجبت الصفات بالأفعال". وكمـــا أنه لا يتجلى لشئ إلا خشع له، كذلك لا يتجلى لقلب عبد مختص، إلا أحبـــه ذلـــك العبد ضرورة، لا يقدر على الامتناع من حبه. فعلى قدر الإحسان إليـــه بـــالتجلى يكون الحـــب، وعلى قدر الحب يكون الاستغراق فى مشاهدة الموصوف بالأسماء الحســـنى، الصادر عنها كل حسن وجمال وكمال.. ما أعظم سعادة ذاكرها الـــذى كان قلبه حاويها، والموصوف بها هو الذات وحقيقة الحقائق.

مقامات التوحيد

واعلم إن الخلق فى التوحيد على سبعة مقامات:

المقام الأول

للعامة وهو أدنى هذه المقامات، والخاصة فى أعلاها، والناس فيما بين ذلك على قـــدر قربهم. وكل واحد من الخلق إذا تفهم هذه المقامات المذكـــورة، مـــيَّز مقامة منها وحيث هو من جملتها. فأصحاب المقام الأول هم الذين عقدوا بقلوبـــهم على التوحيد، ولم يشتغلوا بالبحث، وصدّقوا بما سمعوا، وهم الجمّ الغفير. وحبـــهم فى الله وخوفهم منه، على قدر ما استطاعوا وعيه من أسمائه، وذكره لهم من وعده ووعيده.

المقام الثانى

وأصحابه هم الذين سمعوا مثل ما سمع أهل المقام الأول، وصدَّقـــوا بمـــا صدق به أهله، وزادوا عليهم بالبحث والنظر فى المخلوقات، واستدلوا بـــالمجودات على الموجد. وأكثر أهل علم الكلام فى هذا المقام. ومثلهم مثل قول القـــائل: "مـــا رأيت شيئاً إلا رأيت الله بعده"، أى رأى الشئ، فاستدل به على موجده.

المقام الثالث

وأصحابه ترقوا عن رؤية الموجودات إلى رؤية الإيجاد، وعن مشاهدة المصنوع إلى مشاهدة الصانع. فإن الأشياء كلها لما خلقها البارى، وكملت صور الموجودات لم يكن لها قيام بنفسها، فهى مفتقرة إلى دوام الإيجاد على الدوام، ولو زال الإيجاد عنها طرفة عين لتلاشت. قال ﷻ: ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ**﴾ (النمل: ٨٨)، فنبه على الإيجاد القائم بالموجودات، بقوله ﴿صنع الله﴾ ولم يقل مصنوع الله. وأكثر الناس يدعى فهم الإيجاد وهم عن فهمه بمعزل، فكيف بما فوقه من المقامات، وهؤلاء أهل المراقبة. ومثل أهل هذا المقام، مثل قول القائل: "ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله معه". وهو معكم بالإيجاد والإمداد أينما كنتم لأنه لا يتحرك فى الوجود حركة، إلا وهو محركها.

المقام الرابع

وأصحابه هم الذين ازدادت محبتهم وأذكارهم، وقويت مشاهدتهم، فرأوا الأشياء بالله، ونظروا به إليها. ومثلهم قول القائل: "ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله". وفيهم قال بعض العارفين: "أثبت الله للعامة المخلوقاتَ، فأثبتوا بها الخالق. وأثبت للخاصة نفسه، فأثبتوا به المخلوق". وهم أهل الجمع، جمع الحق بهم كونه، فشهدوا الملك كله ملكاً واحداً، قام بالواحد فرأوا الحادثات كلها بالله.

وهؤلاء كلهم -أعنى أهل المقامات الأربع- وإن اختلفت أحوالهم، فهم مع الأفعال يشاهدها كل واحد منهم، على قدر ما قسم له من العطايا.

المقام الخامس والسادس والسابع

وأما أهل المقام الخامس والسادس والسابع، فغائبون عن الفعل كله، وعندهم يوجد مقام التوحيد، وعليه مدار الكلام فى الجملة فيما تقدم. ولا يكون ذلك إلا بعد إفراط المحبة، والاستغراق فى ذكر المحبوب. والطريق إلى ذلك تصفية القلب من

المحبوبات سواه، واشتغاله بالذكر الدائم والإقبال اللازم، أعنى ذكـــر الله بـــالقلب، حتى يعود القلب كالمرآة الصافية من الصدأ، فعند ذلك يتجلى المحبوب إلـــى قلـــب المحب. قـــال الله ﷻ: "**لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن**"، فيشاهد محبوبه على ما هو عليه. فمنهم من لا يطيقه، فيطلب الرجوع إلىٰ الأفعال، ليسكن عنه عظيم ما ورد عليه.

وهذا التوحيد هو توحيد الرب نفسه بنفسه عن عباده، بإشهاد العبد لذلك، أى أشهده إن الرب ينوب عنه فى توحيده، لأن هذا المقام لا يناله العبـــد إلا بمحـــض الفضل، لكن يبقى من العبد فضلته ولذلك لم يطق حمله.

ومن هذا المقام قوله ﷺ: "*حركينى يا عائشة*".. وقوله ﷻ: ﴿**وما تلـــك بيمينك يا موسى**﴾ (طه: ١٧)، شغله بذكر العصا، لينقطع عن مشاهدة عظيم مـــا ورد عليه.

وقال بعضهم: "دخلت على الشبلى وهو ينتف الشعر واللحم مـــن حاجبيـــه بمنقاش، فسألته عن ذلك فقال: الحقيقة بادية لى ولا أطيقها، فمن هذا أدخلت الألـــم علـــى نفسى، فلعلى أحس فيستتر عنى ما لا أطيقه، ثم أنى لم أجد الألـــم، وليـــس يستتر عنى.. وليس لى به طاقة". وهذه الحالة وإن علت، فإنه مع نفسه، وإنما كان هـــذا القلق من أجل ما بقى عليه من مشاهدة نفسه لأن الحق ســـبحانه وتعـــالى لا يطيقه شئ، فإن سلب الحق هذا العبد من مشاهدة نفسه، زال عنه ثقل ما كان يجـــد فى المقام السادس، ولم ير إلا الحق سبحانه، وزال ثقل ما كان يجـــد فـــى المقـــام الخامس، لأنه فيه محمول.

وقد ذكر النبى ﷺ هذا المقام فى بعض أحاديث الإسراء، حيث قال: "لـــم أر عند رؤية ربى أحداً من خلقه، ووقع بى من الطرب والاستبشار، مـــا جعلنـــى أنتفـــض وأميل كما يميل القنديل، فمكثت عنده مـــا شـــاء الله، فـــى كـــلام كثـــير اختصرته، حتى رده على جبريل عليه السلام". وفى هذا المقام قال الصديق رضي الله عنه: "مـــن

ذاق شيئاً خالصاً من محبة الله، ألهاه ذلك عما سواه". وهذا توحيد الرب نفسه بنفسه عن عبده، لكن البارى حمله فى تلك الحالة حملاً، وغيّبه عن مشاهدة نفسه، فلذلك زال القلق الذى كان فى المقام السابق من مقامات خاصة الخاصة الذى قبل هذا وهو المقام الخامس، ولم يبق إلا لمشاهدة البارى فقط. فإن سلب الرب سبحانه عبده عن مشاهدته لربه وعن مشاهدته لمشاهدته، لم يكن للعبد ولا للمشاهدة أثر ولا خبر، وبقى البارى سبحانه كما لم يزل. وهذا هو توحيد الرب نفسه بنفسه لنفسه ثم يغيِّب العبد عنه وعن نفسه ما شاء، ثم يرده بالأحوال اللسانية إلى المقامات العالية، و يفهمه بعد ذلك توحيد هذا المقام.

و قد أشار الأشياخ من أهل المعرفة بالله، إلى هذا المقام فى إشاراتهم كثيراً، فقال ابن عطاء الله ﷺ: "حقيقة التوحيد نسيان التوحيد"، وهو أن يكون القائم به واحداً.. و قال الشبلى: "ما شم رائحة التوحيد من تصور عنده التوحيد". سئل الجنيد عن التوحيد فقال: "تضمحل فيه الرسوم، و تندرج فيه العلوم، وكون الله لم يزل". وقال أبو سعيد الخرّاز: "المقام الذى لا بعده مقام، إلا الزيادة منه إن شاء الله، نسيان العبد حظه من الله، ونسيان حاجته إليه، اقتطعه بقرب الله عن الله، فلم يجد مدخلاً بينه و بين الله فسقط، ولم يبق إلا الله كما لم يزل". وهذا المعنى فى قوله ﷺ: "***حجابه النور، ولو كشفه لحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه***"، فعلى قدر كشف الحجاب، يكون احتراق المحب بنيران محبة، تجلى المحبوب، الذى ليس كمثله شئ.

وأهل هذه المقامات الثلاثة مختصون ومقربون. ومنهم من تعتريه هذه الأحوال مرة فى العمر ومنهم من تعتريه مرة فى السنة، أو مرة فى الجمعة، أو مرة فى اليوم، أو أقل أو أكثر،على قدر تقريب الله له. وهم الذين لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين. و قال سهل ابن عبد الله التسترى: "لا تعلم نفس من غير نفوسهم المرحومة، ما أخفى لهم من قرة أعين، هذا لهم فى الدنيا، فطوبى لهم فى

الآخرة وحسن مآب، نفعنا الله بذكرهم، ورزقنا مما رزقهم بمنه و فضله إنه علـــى كل شئ قدير".

الصحابة وهذه المقامات

فإن قلت أيها الناظر كيف لم تظهر هذه الأحوال على الصحابة ﷺ؟ فاعلم أنــك غافل أعمى عن أحوال الصحابة ﷺ، بل أحوال الصحابة و مقاماتهم أعظم من غيرهم، و كل ما ذكر عنهم موجود فيهم. و لكنهم ﷺ كانوا أقوياء، أقوى من غيرهم، وأمكن في الأحوال. ألا ترى إلى قول أبي بكرﷺ: "من ذاق شيئـــاً مـــن خالص محبة الله، ألهاه ذلك عما سواه"، فتأمل هذه الكلمـــة مـــن الصديـــق، تجـــد المقـــامات المتقـــدمة كلها مندرجة فيها. وذلك إذا تأملت بذلهم نفوسهم وطربـــــها بين يدي الله في الحروب، وقتالهم القريب والبعيد في الله تعـــالى، دل ذلـــك علـــى امتلاء بواطنهم بحب الله ومشاهدته. وكذلك بذل أموالهم، وخروجهم من ديـــــارهم، وصبرهم على الجهاد الذي لا يقدر غيرهم عليه، ليس ذلك إلا عن أمر عظيم، ملك البواطن وصرفها على حكم محبة الله.

وانظر كيف أخبر الله عن أسرارهم في كتابه العزيز، فإن القرآن إنما نزل بالثناء عليهم. وانظر إلى وصفه لباطن علي بن أبي طالب ﷺ و زوجه فاطمـــــة، وابنيه الحسن و الحسين، عليهم جميعاً أفضل السلام، وإخباره عن ســـرائرهم فـــي قوله ﷻ: **﴿ويطعـــمون الطعام على حبه مسكيناً و يتيماً وأسيراً. إنما نطعمكـــم لوجه الله لا نريد لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾** (الإنســـان: ٩،٨). وإن تفهمت هذه الآية حقيقة التفهم علمت ما ذكرت لك، وأن بواطنهم مملوءة مشحونـــــة بالذخـــائر النفيسة، والهمم العالية الزكية، وأن مرادهم هو النظر الذي هو قرة العين. وكذلـــك انظـــر كيف أخبر عن أبي بكرﷺ في سورة **﴿والليل إذا يغشى﴾**، حيـــث قـــال ﷻ: **﴿وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجـــزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾** (الليل: ١٧-٢٠)، و ارتفاع همته إلى الغاية القصوى.

وكذلك الآيات كلها، إنما نزل جلها فى أوصاف الصحابـــة، فمـــن تفهمـــها حقيقة التفهم، أشرف فى الآيات على ما ذكرنا. وكذلك ألفاظهم كلهم تدل على ذلك، إلا أنهم كانوا أقوى من غيرهم ملكوا الأحوال، ولم تملكـــهم الأحـــوال، وغـــيرهم ملكتهم الأحوال، لضعفهم عن أحوال الصحابة فظهرت عليهم آثار الأحـــوال، لأن قوة الصحـــابة ﷺ من قوة النبى ﷺ الذى هو أقوى الأقوياء، لأن من يصحـــب الإنسان يكون مثله. وكذلك نبينا ﷺ كل ما شاهده ليلة الإسراء من عجائب بـــأمر الله، ومن حقـــائق القرب الذى لا ينبغى إلا له ﷺ إنما كانت فى ابتداء أمره، ثـــم كان فى بقية عمره أعظم مشاهدة وأقوى حالاً من ابتداء عمره، ألا تراه يقول: "***إنه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة***".

ولقد قال سهل بن عبد الله التسترى كلمة أمرها عظيم، قليل مـــن يتفـــهم حقيقتها، يخبر بها عن نفسه، لأنه كان من الأقوياء، ﷺ، فكيف بأحوال الصحابـــة ﷺ، قال سهـــل: "لى أربعون سنه أكلم الله، والناس يظنون أنـــى أكلمـــهم". فـــإن فهمت فأحمد الله، وإلا فسلم كل صنعة لأربابها، ولا تنكر مـــا لا تفـــهم، فتخســـر خسراناً مبيناً، فإن أقل أنصبة المؤمنين التصديق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلـــى العظيم.

وإن قلت أيها الناظر: "كيف الطريق إلى هذه المقامات الشريفة؟" فاعلم أن ذلك لا ينال بالحركات والسعايات وإنما هو من فضل الله، يختص به من يشاء من خصوص عباده. و لكنه مع ذلك قد جعل الله بابين، ودعا الخلق إلى الدخول منها، لينالوا ذلك بفضل الله وجوده. فهذان البابان هما الطريق الموصلة لنيل المرغـــوب إن شـــاء الله، وهما العلم والعمل. يعنى بالعلم العلم بالله، والعمل هـــو عبـــادة الله. وهذا الذى يجب للخالق على المخلوقات كما ذكرنا فـــى أول هـــذا الكتـــاب، والله يعصمنا من الخطايا والأباطيل أنه على كل شئ قدير.

الباب الثاني
فيما يجب للخالق على المخلوقات
وفي كيفية النظر والتفكر
في خلق الأرض والسماوات

مقدمة الباب الثاني

اعلم أيها الناظر أن هذا الباب مؤسس على ثلاثة مقامات: مقـام الإسـلام، ومقام الإيمان، ومقام الإحسان.

فالإسلام أصل وبداية، والإحسان فرع ونهاية، والإيمان واسـطة ورابطـة لهما. و مثل الثلاثة مثل الجسد والنفس والروح: الجسد ظاهره، والنفس باطنـه، و الروح باطن الكل.

فالإسلام و قواعده ظاهر على الجسد، لأنه أعمـال باللسـان والأركـان الظاهرة التي هي الجوارح الظاهرة. **والإيمان** باطن من أفعال القلوب، التـي هـي الغيـب، والنفس غائبة في الجسد، مقبلة على الهوى والشـهوات بكلياتـها، إلا أن يغلبها الإيمان بالغيب، فتزهد في الحاضر وتقبل على الغائب، وهذه صفة الإيمـان بالغيب، والوعد والوعيد. وأما **الإحسان** فهو باطن الإيمان، مخاطب بـه الـروح الكائن من أمر ربي. وفي هذا المقام معادن الأسرار، أسرار المعرفة بالله، لأنه حال من المشاهدة، كما قال ﷺ: "**الإحسان أن تعبد الله كـأنك تـراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**".

وليس يخرج شئ من أمور الدنيا، التي تعبد الخلق بها، من علم أو عمل أو نهي أو أضدادها، عن هذه المقامات الثلاثة. والناس كلهم مأمورون بها وأخذ الكل منها بمقـدار ما قسم له. فمن الناس من غلب عليه مقام الإسلام كمـا قـال ﷺ:

﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسـلمنا﴾ (الحجرات: ١٤)، فوقف مع ظاهر الشرع فى العلوم و الأعمال، وخفى المقامان الآخران، وأكثر الناس على ذلك. ومن الناس من غلب عليه مقام الإيمان، وأنار الله قلبه بالإيمان، فكان الغالب عليه أمـور الآخـرة والبحث عنها، وعن أسباب النجاة فيها وطلب العلم بـها، قـال ﷻ: **﴿مـن أراد الآخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكـوراً﴾** (الإسـراء: ١٩)، ومن هؤلاء علماء وعامة. ومن الناس من غلـب عليـهم أمـور الإحسـان الروحانية، فكان شغله كله بالله، وخواطره كلها متعلقة بذكر الله، ومـراده هـو الله وهؤلاء خصوص جميع عباد الله، وهم المقربون من الله، وأهل محبة الله والشـوق فى الله والأنس به، والرضا عنه، إلى غير ذلك من المقامات.

وقد ذكر الله هذه المقامات الثلاثة فى كتابه فقال: **﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملـوا الصالحـات﴾** (المائدة: ٩٣)، هذا هو المقام الأول، ذكر فيه الأعمال التى هى للجسد. وقـال بعـد ذلك: **﴿ثم اتقوا وآمنوا﴾** (المائدة: ٩٣)، هذا هو المقام الثانى، لم يذكر فيه الأعمال. وأعقبها بقوله **﴿ثم اتقوا واحسنوا﴾** (المائدة: ٩٣)، هذا هو المقام الثالث، ذكر فيـه الإحسان. ثم قال: **﴿والله يحب المحسنين﴾** (المائدة: ٩٣)، وهؤلاء هـم المحبـون أولياء الله المقربون.. **﴿فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليميـن. وأمـا إن كـان مـن المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصليه جحيم. إن هـذا لـهو حـق اليقيـن﴾** (الواقعة: ٨٨-٩٥).

الفصل الأول

فى كلمة الشهادتين، وفضل ذكرها

فضل كلمة الشهادتين

اعلم أيها الناظر أن فضل هذه الكلمة الشريفة، وفضل ذكرها على سائر الأذكار، يتبين من قول الرسول ﷺ: "**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دمائهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**". وفى الخبر الصحيح: "**أفضل ما قلته أنا والنبيين من قبلى لا إله إلا الله**".

وهى أفضل وحدة الذكر   فاشتغل بها العمر تفز بالذكر

وقال أبو العباس ﷺ:

سرّى بها نجا ومعروف قبله   وباح بها الحلاج جهراً فقتلا
وكان بها الشبلى يراقب دائماً   إلى أن رقى فوق المريدين واعتلى
فصف من الأدناس قلبك واجتهد   ولازم لذكرها وصم وتنفلا

وهى كلمات الله التامات، وهى الكلمة العليا، وهى القول السديد، وهى الطيب من القول، وهى الكلمة الأولى، وهى التى قال ﷻ فيها: ﴿**تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم**﴾ (آل عمران: ٦٤)، وهى الصلاح والفلاح الذى ينادى بها المؤذن خمس مرات فى كل يوم وليلة، وهى السر فى إقامة الصلاة، وهى الطريقة إلى الله القريبة، وهى سبيل الله، وهى الصراط المستقيم، وهى الصراط الحميد، وهى حصن الله وأمانه، وهى آية الله الكبرى. وذكرها على الدوام عبادة عظيمة. فإذا ذكرها العامة باللسان محيت ذنوبهم وإذا ذكرها الخاصة بالقلوب والأسرار اطمأنت قلوبهم، ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ (الرعد: ٢٨). وبإجماع

أهل الظاهر والباطن على أنه لا يكفى العبد غيرها عند مماته، ولا يكون غيرها دليل على سعادته.. وهذا القدر فى فضلها كاف.

كيفية العمل بها

وإذا أردت أن تتخذها عبادة موصلة إلى الله، فتطهر من جنابة غفلتك، واستيقظ من نوم جهالتك، وتخلص من شوائب ظلمتك بشهواتك، وأقبِل على ذكر هذه الكلمة الشريفة بجدك واجتهادك، ثم توجه لذكرها بالوصف الواجب اللازم. قال ﷻ: ﴿ **يا أيها الذين أمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**﴾ (المنافقون: ٩)، وقال ﷻ: ﴿**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه**﴾ (الكهف: ٢٨)، وقال ﷻ: ﴿**فاذكرونى أذكركم**﴾ (البقرة: ١٥٢). وللذكر بداية وتوسط ونهاية.. فبدايته التوجه الصادق، وتوسطه النور الطارق، ونهايته الحال الخارق. وللذكر أصل وفرع وشرط وبساط وخاصية.. فأصله الصفا، وفرعه الوفا، وشرطه الحضور، وبساطه العمل الصالح، وخاصيته الفتح المبين. والذكر عند العارفين يكون باللسان، فتمحى به أوزارهم، ويؤجروا عليه فى الآخرة بالثواب الجسيم.. والذكر يكون عند الأولياء بقلوبهم، فيصفى سرائرهم ويفتح بصائرهم.. قال الشيخ الجزولى ﷺ فى كتابه المسمى "النور واليقين": "من كان يذكر الله بلسانه وحلقه، فلا مطمع له فى سبيل المتقين" -يعنى سبيل أولياء الله الصالحين، وقال ﷻ: ﴿**واذكر ربك فى نفسك**﴾ (الأعراف: ٢٢٥)، وقال ﷺ: "*خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الخفى*"، وقال عليه السلام: "*يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفاً*".

والقلوب، رحمك الله، هى التى تثاب على عملها، وتعاقب على اكتسابها لقوله ﷻ: ﴿**لا يؤاخذكم الله باللغو فى إيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم**﴾ (البقرة: ٢٢٥). وإذا كسبت القلوب الإيمان وذكر الله، أوجبت هدايتها، لقوله ﷻ: ﴿**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**﴾ (التغابن: ١١)، فجعل الإيمان شرطاً فى

الهداية، والهداية نتيجة الإيمان. والمراد بالإيمان: الإيمان بالوحدانيـة، والهدايـة: هداية القلب لدوام ذكر المحبوب. فإذا دامت القلوب على الذكر تنورت وبـرزت منها أنواع الفكر. فإذا كان القلب ذاكراً منوراً متفكرا تحققت حياته، لأن ذكـر الله يحي القلوب ويفتح الأبواب، ويقرب من هو بعيد لحضرة الأقطاب. واعلم أن الذاكرَ المتعبد بكلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، المشاهد معناها على الحقيقة يكـون شهيدا من الشهداء.. قال ﷻ: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء علـى الناس ويكـون الرسول عليكم شهيداً**﴾ (البقـرة: ١٤٣)، وقال ﷻ: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم**﴾ (آل عمران: ١٨).

الفصل الثاني
في الصلاة

أهمية الصلاة

هي أكبر العبادات بعد الشهادة، وهي مما يجب للخـالق علـى المخلـوق. والصـلاة، أرشدك الله، منها فرائض كالصلوات الخمس وصلاة الجنازة -إن لـم يكن من يقوم بها، ومنها سنن كصلاة العيدين، والاستسـقاء والكسـوف والوتـر، وركعتي الفجر فيها فضائل كسائر النوافل.

والصلاة لها علمان: علم كيفية استعمالها، وعلم بمعاني أركانها. فأما كيفية الاستعمال فهي موجودة في كتب الفقه، وأما معاني الأركان فسوف نشرحها فيمـا يلي.

معاني أركان الصلاة

أما معاني الأركان، ووجه الحكمة في ذلك:

• فإن أولها، بعد التطهير والنظافـــة، **الدخـــول علـــى الملـــك المعبـــود، والانتهـــاض إلى موضع الصلاة**، وهى البقعة المقدمة من مسجد مبنـــى أو غـــير مبنى. والمراد بالانتهاض هو انتهاض القلب والباطن، وسيره ودخوله إلـــى عـــالم الملكوت، وخروجه من عالم الدنيا، حتى لا يحس ولا يسمع شيئاً من عالم الملـــك، وهو عالم الدنيا، ويدخل إلى متعبد الملائكة الذى وجب الإيمـــان بـــه فـــى العـــالم المقدس، الذى ليس فيه ما يشغل عن الصلاة.

• ثم **القيام إلى الصلاة**. والمراد به ووجه الحكمة فيه: قيام القلب إلى أعلى عليين بين يدى الله تعالى.

• ثم **رفع اليدين**. والمراد بـــه: التخلـــى عـــن جميـــع الأشيـــاء بـــالفقر والفاقة إلى الله.

• **تكبيرة الإحرام**. وتعنى إحضار النية، والمـــراد بـــها التقـــرب إلـــى الله بالصلاة، وإخراج ما فى القلب سوى الله، والإقبال عليه، وذلك إشراف علـــى مـــن توجه إليه، وغيّبه عن غيره. فإذا أشرف على المطلوب، برفع الحجـــب الشاغلـــة للقلوب، وقع له تعظيم المتجلى له، وداخله حرمته واحترامه، فحينئذ يحرم بتكبـــيرة الإحرام، لأنه فى موضع الاحترام والحرمة. فيحرم عليه النظر إلـــى ســـوى الله، واشتغـــال القلب بسواه، فيقول: الله أكبر من أن يقبل على غيره، ويلتفت له، مـــن أجل ما عرف عن جلالة القدر، وعظيم الخطر.

• ثـــم يأخـــذ فى **الثناء على الله بالفاتحة**.. فيقول: الحمد لله الذى هو على ما هو عليه رب العالمين، فتتجلى له صفات السيادة لله، التى استعبد بها العـــالمين على كثرتهم، ويثنى عليه بصفاته، ويناجيه بكلامه، فيفهم من كلامه ومحادثته مـــع الله بفاتحة الكتاب والسورة، ما يوجب عليه الخضوع بين يديه.

• ثم **يركع** لزيادة التعظيم، بشهادة أوصاف المتكلم معه، فيقول: الله أكـــبر منحطاً للركوع أى أكبر مما وقع فى نفسه من تعظيمه. والمراد من ركوع الجسد: خضوع النفس والروح فى مقام الإيمان والإحسان باطناً، بين يدى كبرياء الجليـــل

العظيم. ولذلك أمر أن يقول فى ركوعه "سبحان ربى العظيم" لما شاهد من معانى التعظيم الذى خضـــع له. فيرفعه الله تعالى بكرمه إلى حالته الأولى، التى هــــرب منها إلى الركـــوع، لأن من تواضع لله لأجل عظمته، رفعه الله إليه، فـــإذا رفعـــه شاهــد العبــد نعمة الله تعالى عليه فى ركوعه، فيبتدئ بـــالحمد والثنـــاء فيقــول؛ "**سمع الله لمن حمده،** ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.."

● بعــد ما يجد فى وقوفه وطمأنينته حلاوة المزيد والنعمة التى رفعـــه الله بها، وهى استدعاؤه إلى القيام، **يخر ساجداً شاكراً لمولاه،** فيضــــع وجهـــه علـــى الأرض ظاهراً، ونفسه وروحه تحت الثرى، الذى ليس وراءه فى السفلى منتـــهى، إلا نفوس العارفين والأولياء لأنهم لما هم عليه من الأسماء الحسنى والصفات العلا شهداء، فيضع نفسه تحت كل تحت.. ولذلك ليـــس وراء الســجود منتـــهى فـــى التواضع. ويكون التكبير مستصحبا له، ومعناه: الله أكبر مما شاهدته، ووقـــع فـــى نفسه من تعظيمه.. فإذا وضع نفسه فى السجود، أسفل من كل سفل، بالمعنى الـــذى هو الذل، شاهد من سفله عُلا ربه.. فقال: "**سبحان ربى الأعلى**"، فاستدعاه ربـــــه للرفع والقرب عن البعد والسفل الذى نزّل نفسه فيه فى سجوده.

● ومعنى التسبيح فى الركوع والسجود: تنزيه المركوع له والمسجود لـــه، من حالة الركوع والسجود، أى سبحان من هو بخلاف حالة الركوع والسجود.

● فلما استدعاه للرفع، قعد بالعجز بين يديه، لأنه لم يطق القيام لما شـــاهد فى السجود من الإجلال والإعظام، فقعد بين يديه بالسكينة والعجز، وأقر بالعجز أن يقوم بشئ من حق قدرته، ولذلك أمر أن يقول فى قعوده بين السجدتين: "رب اغفر وارحـــم، وتجاوز عما تعلم، إنك أنت العلى الأكرم"، وما أشبه ذلك مـــن الدعـــاء، فيجد رحمة الله قد غشيته، والمغفرة قد غمرته، لأنه تجلى له بوصف زائـــد علـــى الوصف الأول. من أجل أن الرحمة مقرونة بالضعف، ومسرعة إلـــى الاســتكانة، فزاد السجود وصفاً آخر، فعاد إلى التواضع الذى هو المراد من السجود، حتى لـــو وجد أن يضع نفسه أسفل مما وضعه فيه لوضعها، وقد وجد، والحمد لله مـــع كـــل

رفع وخفض. فإن الواجب على كل عبد أن يضع نفسه من التواضع، فى خلاف ما هو الله عليه من الجلال والعظمة. وذلك لا يمكنه أبـــداً إلا مـــع التجلـــى وزيـــادة التعظيم. فكلما زاد تجلى الصفات، زاد التواضع من العبد، بقدر ذلك أبداً، وكذلـــك كلـــما زاد الإكرام والثناء والتجلى، ودام أبد الآبدين، وكذلك التواضـــع، يجـــب أن يدوم أبد الآبديـــن، والشكر والثناء أبد الآبدين، وجميع ما يليق بتجلـــى أوصـــاف البارى، والحمد لله على ما هو أهله.

● ثم يدعـــوه ربه إلى الاقتراب منه، وهو **معنى القيام إلى الركعة الثانية،** فيجرى له ما جرى فى الأول.. وغير ذلك من الركعات تكرير لما فات، فلا يـــزال ذلك دأبه مع مولاه، من فهم خطابه وشهوده، فى قيامـــه وانحطاطـــه، وركوعـــه وأذكـــاره، وســـجوده وجلوســـه، إلـــى آخـــر صلاتـــه حتى يمتلئ ظاهره وباطنه نوراً وبركة، ورحمة وسروراً، وتواضعاً وحياء، وغير ذلك مما لا يحصى، من أحوال المصلين، العارفين بالله، الخاشعين له.

● فعنـــد ذلك يقعد فى آخر صلاته، فيأخذ فى **الشهادة والتشهد** له بما هو له أهل، والثناء كما يجب للخالق على المخلوق، ويفرد التحية والملك له، والتزكية والتنزيه والمدح لباريه، بقوله التحيات لله، الزكيات الطيبات لله، ويفرد العبودية له بقوله: الصلوات لله، ويسلم على أكرم الوسائط، الذى هداه الله به إلى ما هو فيـــه، سيدنا محمد ﷺ، ثم يقرأ بكل ما جاء به من عند الله ويصلى عليه.

● فإذا فرغ من الإقرار والشهادة، بكل ما جاء به سيدنا محمـــد ﷺ من الإيمان والغيوب والدعاء والسؤال، فعند ذلك تمت له النعم بتمامها، بســـبب تمـــام الصلاة وكمالها، ووجب التحلل منها بكمالها. فأمر بالخروج إلـــى عـــالم الحـــس والملك، فعند ذلك قال: "السلام عليكم"، لأنه كان فى الحضرة العلية، خارجاً عـــن عالم الحس مودعاً له، فإذا قدم على هذا العالم قال: "السلام عليكم"، كما قال رسول الله ﷺ: "صلِّ صلاة مودع"، أى لأنه خارج عن هذا العالم إلى الحضرة العلية.

● فإذا قدم هذا العالم، وشاهد من حوله من الأملاك والإنس، قال: "السلام عليكم"، فسلم على من على يمينه وشماله، وحل له ما حرم عليه قبل ذلك. ولذلك قال ﷺ: "تحريمها التكبير وتحليلها التسليم".

فمن صحت له مثل هذه الصلاة، وجبت له الكرامة عليها. ومن اعترضه الوسواس فليجاهد، فيكتب له أجر المجاهد، إذا فاتته معية الإحسان. ومن اقتطعته الغفلة وعدم النصيب الأوفر، ومشاهدة المذكور الأكبر، كتب له ما عقل منها، وذلك فضل عظيم من الله، لأن صلاته إذا ما كانت فى موجب الأدب، فهى أسرع إلى العقوبة منها إلى أن يكتب له ما عقل منها، إذ لا يدرى بين يد من هو واقف وراكع وساجد وجالس، حتى يعرض عنه إلى غيره بقلبه. فعليه أن يكثر التنفل ليجبر ذلك النقص، فإنه مطالب به، كما ورد أن النوافل جبر للفرائض، لأنه لم يؤدها على الوجه الذى يجب، والمعنى الذى أمر به، ولم يكلف الله الخلق من العبادة إلا بما يطيقون، لأن شغلهم بغير الله حرمهم واقتطعهم عما افترض عليهم.

ونسأل الله الكريم أن يتغمدنا برحمته، ويتجاوز عنا من ذنوبنا وتقصيرنا برحمته، فلو لم تكن لنا ذنوب إلا التقصير فى أداء الفرائض، لكان كافياً، فهذه روح الصلاة من حيث المعنى، وقد اتضح فيما تقدم من الكلام والمقامات مقام الإيمان ومقام الإحسان.

الصلاة من حيث تركيبها وهيئتها

فأما فهم الصلاة من حيث تركيبها وتفاصيل أعضائها وهيئتها، فإنها على صورة عبادة العالم الكلى، وعلى هيئة صلاة العابدين فيه.. **فالقيام** إلى الصلاة ليكون مع الذين يعرجون إلى الله **﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾**، **والوقوف** ليكون مع القائمين المشاهدين، **والذكر** ليكون مع الذاكرين، **والهبوط** ليكون مع المنزلين، **والركوع** ليكون مع الراكعين الخاضعين، **والرفع** ليكون مع الصاعدين، **والسجود** ليكون مع الساجدين، **والفكر والجولان بالفهم والعقل** ليكون مع

السائحين السابحين الدائرين، **والحضور** ليكون مع الروحـانيين ووجـود الراحـة والنعيم وليكـون مع الملائكة المقربين المحببين، **والخشوع** ليكون مع الخـاشعين المكروبين، **والمجاهدات والأذكار** ليكون راجماً للشيطان، **وإلقاء السمع** ليكون مـع المراقبين.

ومع هذا كله، فلا يقوم بشئ من حق الله ﷻ، لعظيم ما هو عليه من جلال القدر، وعظيم الخطر، لكن يجد الراحة في شهود المنة. إذ هو ربه على مـا هـو عليه من أوصافه، ومع ذلك استدعاه إلى أن يكون من عباده المؤمنين، فيسـتشعر في نفسـه ذلك، ويقول كيف ذكرني هذا الملك العظيم في نفسه، حتى تنزل علـى من جلال كبريائه، وصفات حنانه ورحمته، حتى كلمني بكلامه، واسـتدعاني لأن أكون من جملة المصلين من عباده.. فينوي ويتمنى في نفسه أن لـو تقـرب إليـه بعبادة الخلق أجمعـين على غاية الصفا فلم يقدر على ذلك. فبـهذا يفـهم قـول رسول الله ﷺ: "*نية المؤمن خير من عمله*". ثم يشهد عجزه وتقصيره عـن ذلـك، فيرجع إلى رؤية التقصير، والاستغفار من قلة القيام بنقص الواجب.

ولذلك كان رسول الله ﷺ، يستغفر بعد كل صلاة ثلاث مرات، ورد ذلـك في الصحيح، فيتوب من الحسنات، كما يتوب العاصي من السيئات، لأن حسـنات الأبرار سيئات المقربين، ولذلك تقول الملائكة يوم القيامة: "سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"، مع صفاء عبادتها من شوائب الكدرات. وهـذا المعنـى الـذي تقولـه الملائكة، هو الذي قاله النبي ﷺ في قوله: "***لا يدخل أحدكم الجنة بعمله فقالوا ولا أنت يا رسول الله، قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته***"، أي منة وفضلاً مع اجتهاده وصفاء أحواله. وليس معناه أن العمل لا ينفع، فيكون قوله ﷺ محرضاً على ترك الأعمال، بل قوله هذا مرغب في الاجتهاد بجميع مـا يقـرب إلـى الله تعالى، فنبه ﷺ على عظيم حق الله تعالى الموجب لرؤية التقصير.

فالعبادات كلها لها وجهان تُنظر منهما:

مرة تُنظر من مقام العبودية ومشاهدة الربوبية. وهو من هذا الوجه الــذى ذكرنـــاه، فتعرف مقدار المعبود، وما تقع عبادتك فى حقه وجلالة قــدره. وتكــون عبــادة الخلق أجمعين فى ذلك المعنى، أقل من قطرة مطر فى بحر لجى، فيتولــد من النظر الاجتهاد والانكسار، والخضوع والذلة والفقر إلى الله وجميـــع صفــاتُ العبودية، التى ساعة واحدة منها، خير من عبادة ستين سنة..

ومرة تنظر فى مقام المنة، وكيف ذِكْرُ الملك الأكبر الذى استعبد العــرش بما حوى فى نفسه، لهذا العبد الذى لا يدرى من هو فى كثرة عباد الله ومماليكــه. كيف ارتضاه للإيمان، واستدعاه لعبادته، ومناجاته والقرب منه، حتى يجعلــه مــن جلسائه، كما قال ﷻ: "**أنا جليس *من ذكرنى***". فيتولد من هذا النظر أيضاً أحوال كريمة لا يعلم حقيقتها إلا العارفون.. مثل الحياء الكائن عند الحضـــور، والشكــر الحــادث عن رؤية المنة، والمحبة المتولدة من إحسان الله، إلى غــير ذلــك ممــا شرحه الله فى قلوب المختصين بهذا المقام، وهو معنى قـــول ﷻ: ﴿**ولذكــر الله أكبر**﴾ (العنكبوت: ٤٥)، أى ذكر الله للعبد فى نفسه، أكبر من كل ما يتقرب به إليه.

فعلى هذين الوجهين من النظرين، درج العارفون فى علومهم وأعمالـــهم، وبها تركوا الأعمال عند الله. فنسأل الله العظيم أن يمن علينا بما مَنَّ عليـــهم فـــى الدنيا والآخرة، إنه ولىُّ ذلك والقادر عليه.

الوجود كله فى مقام العبودية لله

واعلم أيها الناظر أنّ الوجود كله، ظاهراً وباطناً، بأجزائه، مصلٍ لله علـــى الدوام، لا ينفك عن الصلاة لأنه فى مقام العبودية لله. فمن أدام النظـــر لـــه، رأى الوجــود كله ظاهراً وباطناً مصلياً، ومن ترك الصلاة فقد خالف الخليقـــة كلـــها، وبذلك يحشر مع فرعون وهامان، كما ورد فى بعض الأخبار أن تـــارك الصـــلاة يحشر مع فرعون وهامان، لأنه أبى العبودية والتواضع لله كما فعل فرعون. فـــإن الذى لا يخضع لأحد هو الله. فمن صلى بجسده وفعل أركان الصلاة كمـــا أمـــر

ظاهراً، وأنزل نفسه مع كل ركن من أركانها فى معانيها الباطنة، وفهم عقله تلـــك المعـــانى، وشاهـــد المراد فى كل ركن منها فقد صلى بجســـده وروحـــه، وفعـــل أركان الصلاة كما أمر بظاهره وباطنه وجملته، فى عالم الحس ومقام الإسلام، وفى عالم الغيب ومقـــام الإيمان، وفى غيب الغيب ومقام الإحسان، ووجـــد طعـــم ذوق المعانى، ومنّ الله عليه بالكمال فى كل شئ برحمته، ولا حول ولا قـــوة إلا بـــالله العلى العظيم.

الفصل الثالث

فى الزكاة

أنواع الزكاة

اعلم أيها الناظر أن الزكاة على نوعين: فريضة، ونافلة..

فأما **الفريضة** فعلى أربعة أنواع: زكاة العين، وزكـــاة الماشيـــة، وزكـــاة الحرث، وزكاة الفطر.

وأما **النافلة** فعامة فى كل شئ من وجوه البر.

وتجب الزكاة مع كمال النصاب وتمام الحول، وكيفية ذلك مرسوم فى كتب الفقه. وقد ورد من الوعيد فى الغلول، كما ورد فى الزكاة إذا منعت.

الحكمة من فرض الزكاة

وأما سر الحكمة التى ظهرت للناظرين فى معانى الزكـــاة، ومـــا يتعلـــق بمطالبة عباده بها، فعلى وجوه كثيرة. فمنها: أن الله جعل الزكاة طـــهراً للأمـــوال والأبدان، وتزكية وتنزيهاً للنفوس والأرواح، وصفات الإنسان فى مقـــام الإســـلام والإيمان والإحسان.

الزكاة طهارة للأموال

فأما كونها طهراً للأموال، فقد ورد فى الصحيح عن ابن عمـــر ﷺ: "**من كثرت أمواله ولم يؤد زكاتها فويل له**"، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكـــاة فلمـــا نزلت، جعلها الله طهراً، والتطهر إنما يكون من النجاسة والخبث. وقـــد ورد فـــى الصحيح أيضاً أنها أوساخ الناس. وذلك أن الله خلق الخلق لحكمة، وأفقر بعضـــهم لبعض، وجعل منهم الأغنياء والفقراء، وذوى الحاجة المختلفـــة، ليســتقيم إيجـــاد الخليقة، فلو خلقهم أغنياء لبطل الوجود، وكذلك لو خلقهم فقراء كلـــهم. قـــال ﷻ: ﴿**ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً ســـخرياً**﴾ (الزخـرف: ٣٢). فجعل للفقراء وذوى الحاجة حقوقاً، فى أموال الأغنياء مفروضة لهم، ليـــس لأصحاب الأموال فيها شئ، ولو كانت لهم، لما وقع الوعيد على مانعـــها بـــالويل، الذى وقع بالوعيد به على من لم يصل لله، فى قوله ﷻ: ﴿**فويل للمصلين الذيـــن هم عن صلاتهم ساهون الذين يراءون ويمنعون الماعون**﴾ (الماعون: ٤-٧)، وهى الزكاة. فالزكاة مفروضة لأهلها، هى حق لهم على الأغنيـــاء، كمـــا أن الصـــلاة مفروضة لله، حق له على عباده. وكذلك تجدها حيـــث جـــاءت فـــى كتـــاب الله مفروضة مع الصلاة: ﴿**وأقيـــموا الصلاة وآتوا الزكـــاة**﴾ (البقـرة: ٤٣)، للفقـــراء وأهـــل الحاجة إليها. وكفى بها شرفاً وفخراً للفقراء، حيث قرن حقهم بحقه، فلـــهم فى الأموال حق فرضه الله، لأن المال مال الله، والخلق خلق الله، يعطى من يشـــاء المقدار الذى يشاء. فهذا المقـــدار الذى هو حقوق الغير قد علم الله بلطيف علمـــه، وخفى نظره، أن ربع العشر من الفضة والذهب والعشر من الطعام، وغير ذلك من نصاب الزكاة، أنها قائمة بأهل الحاجة الذين فرض الله لهم ذلك، ويبقى النصاب بيد مالكه إلى وقت حاجة أخرى. وعلم سبحانه أن المال لا يطهر لمالكه، حتى يخـــرج ذلك القدر منه، فمانع الزكاة إنما يأكل أوساخ الفقراء، بل دماءهم وحقوقهم، ولذلـــك رآهم رسول الله ﷺ ليلة الإسراء حيث قـــال: "**رأيت أقواماً على أقبالهم رقاع،**

وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الأنعام، يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم"..
وإذاً فالزكاة أقل درجات الطهارة فى الأموال.

الزكاة طهارة للأبدان والنفوس والأرواح

فأما كونها أيضاً طهارة للأبدان والنفوس والأرواح، فإن الله تعالى يقول: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ (التوبة: ١٠٣). وفى الصحيح: "*على كل سلامى من الناس صدقة*"، وأوجب تلك الصدقة المفروضة، فمتى لم تؤد المفروضة، لم تطهر الأعضاء بالنوافل من الصدقات المذكورة فى الحديث. ولذلك يُنْطح مانع الزكاة من الماشية يوم القيامة، فالماشية تمشى عليه بقوائمها، وتنطحه بقرونها، لأن أعضاء ماشيته جسده الذى يتصرف فى المال. فلما أمر بوصل الحقوق بها إلى أربابها لم تُبسَط أعضاؤه إلى أهلها، بل تقلصت على ذلك، وانضمت بعضها إلى بعض، بالبخل الشديد الذى لا بخل أكبر منه، لأن منع الزكاة أعظم درجات البخل، وأداؤها أقل درجات السخاء والجود الذى هو البسط فى الأيدى والأعضاء، فلم تجد فى المال حركة ولا موضعاً ينبسط فيه بالمشى. إن الحركات والسكنات فى الآخرة، إنما هى على معنى الديانات، لا يجد العبد إلا ما قدم، ولا يتصرف إلا فيما كان فيه.

العلاقة بين المال والقلب

والمال له علاقة بقلب مالكه، فهو يملكه ويشده ويضمه إليه بتلك العلاقة. والمال طائع له، تابع حيثما تصرف بالعلاقة التى يجذبها بها إلى ملكه وبطاعة المال له. فالذى لا يؤدى الزكاة قد أحب المال الحب الكلى، ومال به المال إليه.. وباستغراق الحب فيه عبد المال، وصار ذليلاً له، كما ورد فى الحديث: "*تعس عبد الدينار*".. والتذلل هو التقيد بالميل الذى مال به المال، فالمال، فى مقام

الإيمـــان بالغيب يوم القيامة، وبتذلل استعباده، يصير بين يدى أرجلـــه، وبعلاقتـــه التى ملك المال بها، وجذبه إليه تمشى الماشية على ناصيته، فى يوم كان مقـــداره خمسين ألف سنة.. فافهم ترشد.

ولو أدى زكاة ماله فى الدنيا، بأداء الحق لمن وجب، لانبســطت أعضــاءُ جســده من قبض البخل فوجد هناك متحركاً متصرفاً. ولو انقطعت علاقة الحـــب الذى أخرجه من قلبه، لأمسكت العلاقة المنقطعة الماشية عن المشى إليـــه، لأنـــها حصــلت فى يد الله تعالى، وأيدى أهلها، كالزمام المانع للماشية عن المشى إليـــه. لأن المـــال كله كشخص واحد، وفرض الزكاة فيه عقاله، كما ســـماه أبـــو بكـــر الصديق ﷺ عقالاً فى قوله: "لو منعونى عقالاً"، وإنما سمى عقـــالاً لأنـــه يعقـــل الماشــية عن المشى على مانع الزكاة. ولو أخرجه عن ملكه إلى مستحقه، لـــزال ذله وتعبده بالاســـتغراق فيه، لأن المحبوب هو المعبود، ولم يبطح له يوم القيامة، وبقيت الماشية موقوفة عن المشى ومحبوسة.

الحكمة فى كى الجباه والجنب والظهر

وهكذا أيضاً الحكمة فى كى الجباه والجنوب والظهور بالذهب والفضة التى تكتنز ولا تنفق، والتى يحمى عليها فى نار جهنم، فتكوى بها جباهـــهم وجنوبـــهم وظهورهم –إن حقيقة معنى الكنز الدفين والأخفى، والستر الذى هو ضد الكشـــف والإظهار، كما قال ﷻ: ﴿**وكان تحته كنز لهما**﴾ (الكهف: ٨٢).

فالذهب والفضة لما كانت جميع حوائج هذه الـــدار لا تنقضـــى إلا بـــهما، أحبهما العباد الحب الشديد، فجذبتهما القلوب إليها جذباً فائقاً بالعلاقة التى ذكرناهـــا من قبل هذا، حتى حوت سويداء القلوب. ومن أحب شيئاً حباً كثيراً، أدخلـــه فـــى سويداء قلبه إن أمكنه، وضمه إليه، وألصقه بجلده إن ظفر به. ولذلك ترى الذهـــب والفضة لا يظهر منهما شئ كالأموال والمواشى، إلا ما تصـــرف المـــالكون فيـــه بالمباشرة لهما بالأيـــدى. فمن ملك ديناراً ربطه وأخفاه وحرســـه بـــالنظر إليـــه،

والإشـراف عليه بجبـينه الذى هو جبهته، لأنها موضع الحراسـة التـى فيـها العينان. وحيثما كان المالك له ناظراً إليه، خائفاًعليه، لا تبرح عيناه عنه، ويتكـئ عليه بجنبه وظهره، بمعنى الاستناد والاعتماد عليه والتوكّل، لذلك خصـت هـذه الأعضاء بذكر الكى لأنها أعظم أعضاء الجسد الموافقة لمعـانى الفتنـة بـالذهب والفضة، لأنها متقلب عليها بالاستناد والاعتماد والتوكؤ والإشراف. فإذا لـم تـؤد الزكـاة معه فقد أُخفى الخفاء الكلى عن غير المالك والتصق به بـالحب الشديـد حتى صار كصفة من صفاته أو عضو من أعضائه لأن حقيقة الحب طلب الاتحاد بالمحبوب، فيجازى بالمال وهو ملتصق به صفائح محمية بنار جهنم، لأنه لم يـرد به الله ولم يعط منه حق الله فبعد عـن الله وعن دار كرامته، إلى دار البعد وهـى النار، ﴿**ليميز الله الخبيث من الطيـب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمـه جميعـا فيجعله فى جهنم**﴾ (الأنفال: ٣٧)، فبهذا المعنى يفـهم معنـى كـون تلـك الصفائح ناراً، وكذلك هى محمية بنار جهنم الحرص والحمية فى شدة طلبه وإخفائه وكنزه. ولو أخرج زكاته كما أمر الله لانقطع عن علاقته مـن قلبـه بقـدر ذلـك المخرج، وصار فى أيدى مستحقه وظهر للكل.

وإذا فعـل ذلك فقد ظهر المال كله وانكشف، ولم يكن كثيراً لأنه قد عُلـم قدر المال بإخراج الزكاة منه، وإذا عُلم فقد ظهروانكشف، وزحزح المال عنه بعض التزحزح، كما تقدم أيضاً فى عقال الماشية، وبقى عليه المحاسبة على جملته، هـل قام بحقوقه أم لا ؟ وكذلك زكاة الأقوات أيضاً إذا منعت فعذابها من نوعها، كـأكل الزقوم والضريع، كما ورد فى حديث الإسراء، وثقـل الظـهر والأجسـاد عـن النهوض، كما ورد فـى الحديـث: "*إن بين يديك عقبة كئود، لا يجوزها إلا المخففـون*". وسأله الراوى عن المخففين والمثقلين، فقال له: إن كان لك قوت ثلاثة أيام، فأنت من المثقلين. والثقل الكلى فيمن منع الزكاة كما تقدم. والخفة من جميـع أنواع العذاب فيمن يتم الفرائض، ويتصدق فى جميع وجوه الصدقات بالنوافل، حتى أكمل له بها الفرائض، لأن الفرائض قد دخلها أنواع المخالفات والتقصير، كما ورد

فى الخبر "إن النوافل جبر الفرائض"، لا سيما فى الأموال التــى خالطــها أنــواع الحرام والشبهات، والبارى تعالى لا يقبل إلا الطيب فهذا معنى الزكاة ومشاهدته فى عالم الغيب ومقام الإيمان.

أما مقام الإحسان فهو النظر إلى المزكى سبحانه الذى خلق السخاء والكرم وأفاض عطاءه وفضله، على جميع المخلوقات فى كل الأوقــات.. فيــتزكى بــأن يتصف بوصف من أوصاف المزكى الحق، على قدر ما يطيق، وأقل ذلك الزكــاة، فبها تزكو الأرواح وتطهر الأسرار، فيصلح لمجاورة المزكى الحق، والقرب منــه فى مقام الإحسان.

الزكاة تزكية للأرواح

وأما كونها تزكية للأرواح فموجود ذلك فى قوله: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ (التوبة: ١٠٣). والتزكية من صفة الأرواح، لأنها وصــف من صفة المزكى سبحانه، تنزه المتصف بها عن زيادة البخل ووصفــه بوصــف الجود والسخاء، إلا عن القصور والتقصير للمقتصر على أداء الزكــاة فــى أقــل درجاتها. وإنما التزكية فيمن بذل المال فى وجوه البر، كما قال ﷻ فيمن وصفــه فى ذلك: ﴿**وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى**﴾ (الليل: ١٧)، فنزلت فى أبــو بكر الصديق ﷺ وإنفاقه ماله فى مرضاة الله، وكذلك قولــه: ﴿**إنمــا وليكــم الله ورسوله والذين أمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ (المائدة: ٥٥)، نزلت فى على أبى طالب ﷺ تصدق بخاتمه وهو راكع فى الصلاة، وهــذا المعنى سنذكره فى باب الزهد إن شاء الله.

الوجود كله متعبد لله بالزكاة

واعلم أيها الناظر أن الوجود كله، إذا نظرته، وجدتــه متعبــداً لله تعــالى بالزكاة، كما هو متعبد بجميع شرائع الإسلام، لأن الدين عند الله الإســلام: ﴿**ولــه**

أســلم من فى السماوات والأرض طوعا وكرها﴾ (آل عمران: ٨٣). وإن نظــرت إلى الأرض التى هى أقرب الأشياء إليك، وجدتها تعطى أقرب الخلق إليها، وهــم الذين علــى ظهرها، جميع بركاتها لا تبخل عليهم بشئ مما عندها، فــى فصــول العــام كلها.. وكذلك النبات فيعطى ما عنده وجميــع أنــواع الأشجــار، وكذلــك الحيوان، وكذلك البحر، والسماوات والأفلاك والشمس والقمــر والنجــوم، والكــل متعاون بعضه مع بعــض، لا يدخر شيئا من قوته وما عنده، من أجل طاعــة الله. لأن الوجود كله مفتقر بعضه إلى بعض، قد الزمه الفقر وشملته الحاجــة، فعطــف بعضه على بعض، وتعــاونوا جميعا فى طاعة الله. وإعطاء كل ما عنده للآخر هو زكاة له، دائمة بدوام وجوده.. فمانع الزكاة قد خالف أهــل الســماوات والأرض، وجميع الموجودات ولذلــك وجب قتاله ونهره.. فافهم ما ذكرناه لك، فهكذا شــاهد الموقنون، كما قال ﷻ فــى إبراهيم ﵇: **﴿وكذلــك نــرى إبراهيــم ملكــوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾** (الأنعام: ٧٥).

واعلــم أيها الناظر أن جميع ما دعت إليه الرسل بيّن واضح فى كل شئ، وعــام فى جميع الموجودات ولذلك سمى الله أربــاب البصــائر، وهــم الأنبيــاء والأولياء، **"موقنين"**.

الفصل الرابع

صوم رمضان

معنى الصوم

قد جاء فى الخبر: "*إذا سلم رمضان سلمت السنة كلها*".. والتعبد به فــى **مقام الإسلام:** إمساك الجسد عن أكل الطعام وشرب الماء، وعن ما يضاد الصــوم، من أول الفجر إلى غروب الشمس وفروضه وسننه مشروعة فى كتب الفقه.

وأما وجه التعبد به فى **مقام الإيمان**، ووجه الحكمة فيه فى **مقام الإحسان** اللذين هما مقام النفس والروح: فالنية والحسبة لأجره علـــى الله، والصـــوم عـــن المنهيات الموجبات للعذاب من عالم الإيمان، فيتذكر الآخرة، ويصوم عما يوجـــب العذاب فى الدار التى آمن بها.

وأما **التعبد به فى مقام الإحسان الروحانى العقلى**، فإنه يتذكر أن الصمـــد الحـــق هو الذى يطعم ولا يطعم، فيتصف بشئ من ذلك المعنى على قدر طاقتـــه، لأن الصوم معناه الإمساك عن الاسترسال فيما حظر علـــى العبـــد، وهـــو حفـــظ الجوارح وإمساكها فى أيام الصيام دون لياليها لأن الصوم لا يكون إلا بالنهار، فإذا دخل الليل وغابت الشمس، أرسلت الجوارح فيما حظر عليها من المباح، إلـــى أن يلوح الفجر..

وكذلك يصام لرؤية الهلال، ويفطر لرؤيته فى أول الشـــهر الثـــانى منـــه، **والمـــراد بهذا السر العظيم** أن الليل غيبة والنهار حضور، والنهار آيـــات علـــى وجود البارى ومشاهدته، والليل آيات على وجود الأغيار دونه، كما قال النبى: "**إن الله خلق الخلق فى ظلمة ثم أفاض من نوره عليهم، فمن أصاب ذلك النور اهتدى، وإن أخطئه ضل وغوى..**"، الحديث إلى آخره.

الصوم صفة من صفات الربوبية

والصوم صفة من أوصاف الربوبية، لا يتصف بـــه علـــى الكمـــال إلا الله تعالى، قال ﷻ: ﴿**وهو يطعم ولا يطعم**﴾ (الأنعام: ١٤)، وكما ورد فـــى الحديـــث: "**الصوم لى وأنا أجزى به**" وأضافه إلى نفسه، أى لا يتصف به أحد إلا الله، لأنـــه الغنى عن الأكل أبد الآبدين، ودهر الداهرين، والمـــنزه عـــن جميـــع الأعـــراض والشهوات، ولا يتصف بهذا إلا الله.

أما من سواه فلابد له من الأكل، ومن الأعراض، ملكـــاً كـــان أو غـــيره. فالمـــلائكة ومن شابههم من الإنس ومن جميـــع المخلوقـــات، طعامـــهم التســـبيح

والأذكار، وشرابهم المحبة الخالصة والمعرفة الربانية والعلوم الصافية من الأكدار. ومن سواهم طعامهم وشرابهم مما يليق بهم فى دار الدنيا، وفى كل دار.

وقد دعا البارى جلت قدرته عباده إلى الاتصاف بأوصافه وتعبدهم بها على قدر طاقتهم ووسعهم، والصوم من أوصافه، وهو من أصعب الأشياء على النفوس، لأنه خلاف ما جبلوا عليه، فإن وجودهم لا يقوم إلا بمادة، بخلاف البارى تعالى، العلى عن كل شئ.

الصوم يقطع أسباب التعبد لغير الله

فرض الله الصوم على عباده لكسر شهوات النفوس، وقطع الأسباب الموجبة للاستغراق والتعبد لغير الله. فإنهم لو داوموا على إعراضهم عن التعبد لاسترقتهم الأشياء، واستعبدتهم وقطعتهم عن الله كل القطع. فالصوم يقطع أسباب التعبد لغير الله، ويورث الحرية من رق الشهوات والمشتهيات.

فالمراد من الإنسان أن يكون **مالكاً للأشياء وخليفة فيها**، ولا تكون الأشياء مالكة له، لأنه خليفة الله فى ملكه. فإذا استغرق فى أغراضه وملكته، فقد قلب الحكمة وصير الفاعل مفعولاً، والأعلى أسفل، كما قال ﷻ: ﴿**أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين**﴾ (الأعراف: ١٤٠). والهوى إله معبود، به استعبدت الأشياء الخلائق. والصوم يقطع أسباب التعبد لغير الله، وقد علم الله ﷻ أن رمضان معين فى قطع ذلك، إذا صامه الصائمون كما يجب، ولذلك ورد فى الخبر: "*إذا سلم رمضان سلمت السنة كلها*"، ومن زاد زادت حريته، ما لم يخرج إلى ضرر بالنفس.

والكمال المحض فى حق الإنسان أن يملك الأشياء ولا تملكه، ويسترقها بالخلافة ولا تسترقه، فيتناول الشهوات فى أوقاتها، ويضعها فى أماكنها. وهذا هو وصف الربوبية، يتصرف فى ملكه بالتدبير، ولا يشغله شئ مما يملكه، بل يملك كل شئ كل الملك، ويقهره كل القهر. والمراد بالصوم الاتصاف بذلك

الخلق، على قدر طاقة الإنسان، وهو الوقوف على تناول أغراض النفوس، ليستغنى عنها بنفسه.

الصوم يورث الحرية الكاملة

ورد عن سيد البشر ﷺ: "**ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس**". فلما لم يكن للعبد من الكمال ما هو للبارى جلّت قدرته، لم يكن له بد من تناول ما يحتاج إليه. فشهوده بغيبه عنها واحتجابه فى غيب غيبه ليل، وتناولها فطر، لأنه سكون إليها، كما قال ﷻ: ﴿**هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه**﴾ (يونس: ٦٧). وظهوره للأشياء والأكوان مما يلوح من أنوار تجلياته نهاراً، والوقوف معه والإمساك صوم ما صام النهار، فإذا ردهم إليهم وعليهم، فقد غيبهم عنه رحمة منه بهم، لأنه لا يليق الدوام على تلك الحالة، لأنه سبحانه هو الغنى الصمد الدايم ﴿**لم يلد ولم يولد**﴾ (الإخلاص: ٣). فهكذا دأبهم فى كل سنة، مع ما فى إقامة الصلاة من الخروج عن الأشياء أيضاً إليه، والحج وغيره من المفروضات، إذا أديت على الكمال أورثت الحرية الكاملة، ولم يكن ذلك إلا فيما فرضه الله، لأن التغيير فى الفرائض هو الذى يهلك النفوس وينكس الرءوس.. ألا ترى أن الخصوص قالوا: "إن الصوم الحقيقى هو إمساك الجوارح عن المنهيات"، وقال أبو الرداء: "إن الغيبة والكذب يفسدان الصوم، والنظر بشهوة"، ومما ورد فى الخبر: "**لو أن الفرائض أتى بها على حساب الأمر، لكان فيها رضا الله وغاية الدرجات**". ولذلك استحب كثرة النوافل، لأنها جبر للفرائض من نقصانها..

وإذا فهمت هذا علمت أن فطام النفوس عن الدنيا، وعن المنهيات، هو الصوم الحقيقى المصحوب بالجوع والإمساك عن الرذائل لمن لاحت له أنواع الاستدلال من اليقين بالله وبالدار الآخرة، فصام لرؤيته ذلك فى مدة الحياة الدنيا وأفطر عند الله لرؤيته، وذلك يوم عيد الاستهلال الآخر عند خروجه من الدنيا إلى الآخرة. وهكذا فهم أن فى الجنة جزاء على ما استعبدوه فى الدنيا، إذا كانوا مع

الله بالمشاهدة، ووقفوا على أغراضهم شبيهاً بأيام رمضان، وأداء الفرائض. وإذا أشهدهم الجزاء، كانوا مع الحيوان فى الأكل وغير ذلك، شبيهاً بخروجهم إلى المباحات، وتنقلهم أيضاً من درجة إلى درجة أخرى، فطر فى تلك الدرجة، لأنهم لم يذوقوها.. هكذا يصومون لرؤيته، ويفطرون لرؤيته، منَّ الله علينا بالحرية الكاملة إلى درجة أخرى، فطر فى تلك الدرجة والكرامة الدائمة، بمنّه وفضله آمين.

الصوم شمل الموجودات كلها

واعلم أيها الناظر أن اعتبار الصوم فى الوجود كله عام، قد عم الموجودات كلها وشهد فيها. إذ الصوم هو الإمساك والتقيد عن الخروج من وظيفة ما فقد قيد به كل موجود. ولهذا إذا نظرت الموجودات كلها، وجدت كل واحد قد لزم ما قيد به وأمر به، فترى الثقيل قد أمسك فى مقامه ولا ينتقل، والخفيف لا يزول من مقامه، وكل شئ مزموم بزمام الأمر، ومسك بإمساك الذى ﴿**يمسك السماوات والأرض أن تزولا**﴾ (فاطر: ٤١). وذلك كله صيام فى حق كل موجود، ﴿**وله أسلم من فى السماوات والأرض**﴾ (آل عمران: ٨٣)، ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ (آل عمران: ١٩)، ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**﴾ (آل عمران: ٨٥)، لأنه دين الله الذى افترضه على جميع خلقه. فصوم العالم ضبطه نفسه، وإمساك ذاته على الانحياز إلى باريه وتنقيصه أن يسترقه شئ غير الله. ومتى نظرته بحقيقة النظر، وجدته عاماً فى جميع الجواهر كلها، كوناً وشرعاً وحالاً ومقالاً. إلا أن الثقلين خالفوه شرعاً لا كوناً، ولهذا المعنى ورد فى الأخبار: "*إن لله تعالى فى كل ليلة من ليالى رمضان عتقاء من النار*"، لانقطاع أسباب الهوى التى استرقت الخلق.

آثار الجوع والعطش الروحية

واعلم أيها الناظر أن الصيام اسم للجوع والعطش، والجوع والعطش همـــا سبـــب كل خير وهما العدة لكل بر، وبهما ينقص دم القلب فيبيض نســـبياً، وفـــى بيـــاضه نوره، وبهما يذهب شحم الفؤاد، وفى ذهابه رقته، ورقته مفتاح كل خـــير، كمـــا أن الغشاوة مفتاح كل شر.. فإذا نقص دم القلب أغلقت طرقات العدو منـــــه، لأن دم القلب مكان للعدو، فإذا رق القلب ضعف سلطان العدو منه، لأنه فى غلظة القلب قـــوة الشيطان. وليس للإنسان ما ينجيه من الشيطان، وينقذه منه إلا الجـــوع والعطش، ولأجل ذلك قال ﷺ: "**إن الشيطان يجـرى من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش**"، ومجاريه هى العروق. والجوع أرشدك الله هـــو مفتاح الزهد، وباب الآخرة، وفيه قتل النفوس، وخمود الطبع، وفيه حياة الـــروح، وتنوير العقل، وهذا القدر فى معنى الصيام وفوائده كاف، والله الموفق.

من خصائص الصيام

الصمت

وأذكر بهذه المناسبة من خصائص الصيام، الصمت وأثره فى الإنسان:

ففى الصمت سلامة، والصمت ينور العقل، ويعلم الورع، ويجلب التقـــوى، وبه يظهـــر الله للعبد التأويل الصحيح، والعلم الراجـــح، ويخرجـــه مـــن ظلمـــات فضوله، ويوفقه بأثر الصمت للقول السديد والعمل الرشيد. والقول السديد هو "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، والتوفيق إليه هو التوفيق للقول المندرج تحت حروفـــــه، والعمل الصالح هو مداومة تلاوة هذا القول والجولان فى أســـــراره.

الخلوة

واعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- أن من جملة خصائص الصيام أنـــه يفرغ القلب من الخلق، ويجمع الهمة لذكر الخالق الحق، ويقوى العزم على الثبات،

إذ في مخالطة الناس وهن العزم، وشتات الهمة، وضعف الثبات. والخلوة أعـــزك الله، ركن من أركان الولاية، وسنة الأنبياء والرسل، لأنها تضعــف الأفكــار فـــي عاجل أغراض النفس، لقلة مشاهدتها بالأبصار، لأن العين باب القلب، منها تدخــل عليـــه آفاته، وعندها توجد شهواته ولذاته، والخلـــوة أكرمــك الله تكــثر أفكــار الخيرات، وتقوى الهمم على الزيادة من أسرار الكائنات.

السهر

واعلم أرشدك الله أن من جملة خصائص الصيام وما يؤثر به في الإنســان السهر، والسهر أكرمك الله ينور القلب ويصفيه من غياهب الظلام، ويبرئـــه عــن مخــالطة العوام. وفي استنارته بالسهر على الأذكار القلبية معاينة الغيـــب، وفـــي جــلائه صفاء اليقين فإذا دخلت الاستنارة والجلاء، على البياض والرقـــة، صـــار القلب كأنه شمس في أوجها فيرى الغيب بالغيب..

فهذه الأوصاف الثلاثة تنشأ من الجوع، ولذلك قال عبد الواحد بن زيد: "ما تحول الصديق صديقاً إلا بالجوع".

أرواح الأعمال في البرزخ

لما كانت هذه الأربعة -الجوع والصمت والخلوة والسهر- هي سبب كـــل خيـــر وقرب من الله، كانت أضدادها سبباً لكل شر وبعد مـــن الله. فـــالشبع ضـــد الجـــوع، والكلام ضد الصمت، ومخالطة قرناء السوء ضد الخلوة، والنوم الثقيـــل ضد السهر، فصارت الدنيا نوعين، والآخرة دارين، دار متنعمة فـــي أهلـــها، ودار يتنـــعم فيها أهلها.. فقسمت مقامات الدارين على أقسام النوعين. فإن لكـــل عمـــل حسن ومعرفة خالصة، نعيماً في الجنة وروحاً في البرزخ، ولكل نعيم فـــي الجنـــة مقاماً معلوماً.. ولكل عمل سيئ، وجهل قبيح، عذاب في الآخرة، وكرب في البرزخ ومقام من النار.

قد قسم جزاء ما هنالك لعطاء ما هنا ﴿**لتجزى كل نفس بما تسعى**﴾ (طه: ١٥)، رحمة منه وقدرة ومحنة، ﴿**لا يسأل عما يفعل**﴾ لأنه مالك قهار، ﴿**وهم يسألون**﴾ (الأنبياء: ٢٣)، لأنهم عبيد مقهورون ومجبورون، ولا تضرب به الأمثال، لأنه قد جاوز الاحتجاج، لا يسوى بالعبيد، لأنه قد فات كل تقدير وتحديد، فلهُ الحجة البالغة، والقدرة النافذة، ليس كمثله شئ فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع البصير.

قد حكم الله ما ذكرناه من توحيده بالمشيئة والأفعال، ونهيه عن الشرك وضرب الأمثال، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الخامس

فى الحج

الحج ظاهراً وباطناً

الحج فرضه الله على عباده، قال رسول الله ﷺ: "**من مات ولم يحدث نفسه بالحج، فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً**".. وفرض الحج مرة فى العمر، مع وجود الاستطاعة، وله فرائض وسنن وأسرار كثيرة، لأنه ركن عظيم من أركان الدين. ولا بد من وصف كيفيته، وكيفية العمل فيه، ظاهراً. ولابد أن ننبه على أسراره، فى كل عمل من أعماله، وموقف الإسلام بالباطن الذى هو مقام الإيمان، وبباطن الباطن الذى هو مقام الإحسان والنفس والروح إن شاء الله.

مقابلة بين البيت بمكة وقلب المؤمن

● فأول ما يجب أن نفهم أن البيت بمكة، ومكة أعزها الله، ببطن واد غير ذى زرع، كما وصفه الله، والبطن ما يخفى ولا يظهر، وكذلك الوادى ما انخفض من الأرض، والبلاد محيطة به من جميع النواحى من المشرق والمغرب

والجنوب والشمال. وله أربعة أركان: الركن الأول "اليمانى" من على جهة اليمان والقطب اليمانى، والركن الشمالى يلى جهة الشام، والركن العراقى فى جهة المشرق من طلوع الشمس، والركن الرابع يلى جهة المغرب حيث تغرب الشمس. وأعلاه يلى البيت المعمور فى السماء.

● وكذلك القلب فى باطن الإنسان فى خفية، شبيهاً بمكة التى هى بوادى ببطن مكة. **يمينه** من جهة الملائكة اليمين، التى هى الجنة، ومواطن اليمن والبركة. و**شماله** فى جهة ملائكة الشمال، الغلاظ الشداد الذين هم خاصة قبضة الشمال وهى النار. و**الركن الآخر** يلى جهة الدنيا، شبيهاً بالركن العراقى جهة المشرق كما قال رسول الله ﷺ: "*الفتنة هاهنا*"، وأشار جهة المشرق. وباب الكعبة فى ناحية العراق، وكذلك باب القلب مما يلى الدنيا من جوارحه، لأن من جهته الدنيا تظهر الظواهر كلها، وتطلع بالإيجاد فى عالم الدنيا. و**الركن الرابع** مما يلى الأقدار السابقة، واللوح المحفوظ، والقضايا الواردة عليه من الأزل القديم، لأن ما يرد عليه من هذه الجهة يغرب عنه، تشبيهاً بالمغرب الذى تغرب فيه الشمس، وجميع الحركات. وأعلى القلب فى جهة العرش، وهو موضع نظر الله.

● ومثل الحرم الدائر المحيط بالبيت مثل ما أحاط بالقلب من تجويف الجسد. ومثل تحريم الحرم حول البيت، لا يقطع شجره ولا يقتل صيده، مثل تحريم دم الإنسان وعرضه وماله، من أجل قلبه، الذى هو محل الإيمان، وكذلك حرم مكة، إنما حرم وعظم من أجل بيت الله.

● ومثال ارتفاع الجبال على مكة فى نواحيها كلها، مثال الجبلات والغرائز الحسية التى جبله الله عليها

● وفيه أى فى البيت، بئر زمزم يستخرج ماؤه بالدلاء، وهو ماء مختزن فى محله لا ينال إلا بالاستسقاء والأسباب، وهو مثل علم الشرع الظاهر، لا ينال إلا بأسباب الطلب وفى ظاهره زقاق لصعوبة العلم على النفوس. وماء زمزم لما شرب له، وكذلك العلم لما نوى طالبه به. وذم العلم فى خزانة المحيط عند

حامله والوعى، شبيه بحفظ زمزم وحفظها بأيدى أهل السقاية، الذين يسقون الحـــاج فى جدار البيت.

● والحجر الأسود مبنى فيه، مثاله سويداء القلــب، وفيــه يكــون القصــد والمواجيد التى تظهر بتأثير القدرة الأزلية، والوجد عبارة عن تقبيل اليــد الماســة للحجــر، ومثال مواطن الحج ومواقفه مثل منــــازل ومقامـــات تحلـــها النفــوس، والأرواح والعقول والأسرار والخواطر والإرادات والحواس، والهمم الطائفة فـــى الملكوت المحيط بالقلب.

● والكعبة بيت الله فى الأرض. كذلك القلب بيت الله على الحقيقة، لأن بيت مكـــة لا يسعه وقلب العبد المؤمن الخالص يسعه "*لم تسعنى أرضى ولا سمائى، ووسعنى قلب عبدى المؤمن*".

● ودعا الله الناس إلى الحج، وفرضه عليهم بشرط الاســـتطاعة. ومعنـــى الحج فى اللغة القصد إلى المحجوج له والزيارة له فى مواطنه، كمـــا قيـــل كـــانت العرب تحج إلى النعمان ملكها، أى تقصده لقضاء حوائجها، وهـــو مشتـــق مـــن المحجة التى يقطعها الحاج فى طريق زيارته، وقصده إلى البيت. وكذلـــك جملـــة أسرار الإنسان، نوديت بالقصد إلى الله فى القبول، وفيها يوجد كما ورد: "*أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى*".

● وكما أمر إبراهيم عليه السلام بتطهيره للطائفين والعاكفين، وكذلك فعل نبينـــا عليه السلام حيـــن دخله على المشركين، طهره من الأوثان والأصنام عام الفتح، حيـــن فتح الله عليه مكة، كذلك إذا فتح الله على الإنسان بصيرته وقلبه، بـــالنصر علـــى إبليس وشيعته، وعلى صفة الجهل ودقائق الشرك، طهره الله مـــن التمـــاثيل التـــى تمثلت فى القلوب، وعكفت عليها النفوس، التى توهمت أنها تضر وتنفع.

● وقيل أن الحجر الأسود إسودَّ من أيدى المشركين، وكذلك سويداء القلب أسودتَ بخواطر الشرك والجهل، ونزغ الشياطين.

● ومثل كون الناس فى أمصار البلاد وغيبتهم عن البيت، مثل غيبة أسرار العبد من الدنيا إلى الله وهو الحج الأكبر على الحقيقة، لمن أراده الله إليه وأعطاه.

أسرار الحج والطريق

قطع الطريق إلى البيت

فأول أسرار الحج قطع الطريق إلى البيت، ومثاله قطع منازل السلوك إلى الله. وما يلقى فى الطريق من المعارف السوء، والمخاوف والأهوال والتبشير مثل ما يلقى فى طريق الله من الوسواس الشيطانية والشياطين الآدمية والإنسانية، والبغاة والكذبة والفجرة الحاسدين ومكابدة الحملة. وضد ذلك لمن سهل الله عليه، ولم يصله شئ من جلهم إلا كلامهم، كالكلاب النابحة من وراء الجبل، وهو ذاهب لشغله، وفضل الله يصب عليه حتى يصل إلى بغيته.

الميقات

ومثال وصوله إلى الميقات وتركه الأوطان ومن فيها وراء ظهره مثل وصول أسرار العبد إلى الإشراق على الاستنشاق من روائح الملكوت، فيرمى الدنيا وأبناءها وراء ظهره بترك المبالاة بها.

التجرد من المخيط والشغل للإحرام

وأول ما يعمل الحاج فى الميقات التجرد من ثياب المخيط. وكذلك مثاله للأسرار التجرد من الالتباس، الذى يشغل عن الدخول فى طريق أهل السير إلى الله، فى منازل السلوك.

ثم بعد ذلك الشغل للإحرام ومثاله التطهير من أوساخ العلل فى دار الدنيا، ليتأهب للوصول مطهر السر.

لبس ثياب الإحرام وصلاة ركعتين وعقد الإحرام

أم لبس ثياب الإحرام فهى مثل لبس الأسرار لأسباب الزهد.

ثم صلاة ركعتين مثال التزام الذل والتواضع فى طريق الله، لمن دخلـــها، وترك الكبر لأنه لا يليق بطريق الله.

ثم بعد ذلك عقد الإحرام، والدخول فيه بالنية، ومثاله للأسرار التزام ما يلزم فى الطريق، بأن من دخل طريقاً، التزم أمره بالقيام والحزم.

التلبية

ثم بعد ذلك التلبية، ومعناها أن الله تعالى دعا الخلق إليه، والأعراض عـــن غيره، فإجابته "لبيك الهم لبيك" إجابة لدعوة الله. ومعنى رفع الصوت بها أن العبد فى محـــل الغيبة لم يصل بعد إلى الله، فيرفع الصوت بالتلبية والاستجابة له ﴿**يـــا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول**﴾ (الأنفال: ٢٤)، ومعنى رفع الصوت بـــها إشغال للقواطع الشاغلة كى لا تصده فى طريق الله لا ليسمعه تعالى، فإن الله ليـــس بغائب.

ترك الصيد وترك الطيب والرفاهة

ثم ترك الصيد ومنع قتله، ومثله ترك الحيل فى أخذ الدنيا وصيدها ولذلـــك أمر بالزاد فى الحج: ﴿**وتزودوا فان خير الزاد التقوى**﴾ (البقرة: ١٩٧)

ثم ترك الطيب والرفاهة وهو مثال ترك الإسراف والانحلال والركون إلى خداع النفوس، وركوب المحظور المحرم. وذلك من لوازم الطريق إلى الله. ومـــن وقع فى شئ من ذلك فى الحج، لزمه الفدية والجزاء، ومثاله فى الطريق إلى الله معاقبة النفوس بالتوبة، وردّ المظالم.

دخول مكة

ثم لا يزال كذلك سالكاً فى طريقه حتى يدخل مكة فيشتغل اشتغـــالاً أخـــر لدخول مكة. فإذا دخل مكة دخلها من موضع يقال له كداء، ومعناه الكدّ عند مشاهدة المواطن الملوكتية. فإذا دخل مكة امسك عن التلبية، لأنه استشعر الحضور حيـــن

حل بساحة الملك، إذ ليس من الأدب رفع الصوت فى محل الغيب، ثم بعد ذلك يمشى إلى البيت.

تقبيل الحجر

ويبدأ بالحجر الأسود يقبله. ومثاله أن من دخل على ملك من الملوك أول ما يسرع إلى تقبيل يده، وهذا فى سويداء القلب، لأنه بين إصبعين من أصابع الرحمن.

ثم يطوف الجسد بالبيت. ومثاله فى القلب، جولان الأسرار فى عالم الملكوت حول العرش، ويبدأ الطائف بالحجر ثم يعود إليه أبداً.

استلام الركن

بعض الصحابة وكثير من العلماء بالله، من يستلم الركن اليمانى وغيره، وقد استلم الرسول ﷺ الركن اليمانى أيضاً.. فمن استلم الأركان ولم يقتصر على الحجر أشار إلى أنه يتعلق ويركن إليه فى كل شئ، وينبسط بالإقبال والمشى إليه، ومن اقتصر على الركن، كأن السر أشار إلى التعزيز والتوقير، كما يصنع من يقبل يد الملك إذا دخل عليه.

الطواف

ثم يطوف حوله ولا يقاربه، تعزيزاً وتوقيراً وإجلالاً، حتى يعود علية مرة أخرى، وصفة الطواف: ثلاثة هرولة، وأربعة مشيا. ومثاله فى السر إذا شاهد من صافح بغيته، واستفرغ الجهد بوقار فى اللحاق به لما خالطه من الوله، ثم مضى فيستأنس بتسكين الله، لما يوجده من السكينة والطمأنينة والرحمة، فينتقل فيمن تنزل عليهم الرحمة.. وفى الخبر: "*إن الطائف بالبيت يخوض فى الرحمة*".

مقام إبراهيم

ثم ينتحى إلى مقام إبراهيم فيصلى فيه ركعتين. مثاله أن السر حين صافح سبحات اليد، تُخللت مودته وأسراره بوصوله إلى مقام الخلّة، فتواضع وسجد وذلّ شكرا لله، على إنزاله تلك المنزلة، وتوصيله إليها، ثم يرجع إلى الحجـــر الأســود فيقبله.. وكذلك السر يرجع إلى اليد، فيقبل راية المنة التى أنزلتـــه منزلـــة الخلـــة واليقين، ومَنْ وراء المنة.

الصفا والمروة

ثم يخرج إلى الصفا للدعاء.. وكذلك السر الذى نزل المقام المتقدم، وشاهد المنة بتقبيل اليد، خرج من ذلك إلى ربه، بترك الدعوى، وبالفقر فى جميع الأحوال فيصفى قلبه من دقائق الشرك الخفى، وإضافة الأشياء إلى نفسه.

ثم يسرع فى السير إلى المروة فيقف عليها. مثاله أن الســـر صعـــد عـــن الأشياء بخروجه منها وارتقى.

وبترقيه على الصفا هرب أيضاً من صفاء سره أن يرى لنفســـه مقامـــاً أو يرى أنـــه وصل إليه بصفائه، فيفد إلى المروة إذ ليس من المروة أن يرى شيئا من الأشياء باستحقاق، أو يدعى بحضرة مالكه وواهبه.. ثم يفر أيضاً من المروة إلـــى الصفا فيصفى سره منه ذاهباً وراجعاً، فيفر من نعوت رسومه وصفـــات أحوالـــه، حتى يخرج منها.. فإن كان معتمراً حلق وقصر، وإن كان حاجاً بقى على إحرامه.

تمام طواف القدوم

وعند ذلك تمت وظائف القدوم، ويسمى هذا طواف القدوم، لقـــدوم الخلـــق على البيت، وقدوم السر على القديم، الذى تقوم إليه بنعمته واستنزاله فى جواهره، حتى خرج من الأشياء إليه.

ويسمى أهل مكة جيران الله، لأنهم سكنوا بيته، كذلك الأســـرار إذا قدمـــت عليه وتممت وظائف قدومها، لم تسكن لأحد إلا إلى الله، كما قال القـــائل: "طلبـــت

لنفسى موضعا فى الملكوت فلم أجد، فضربت خيمتى بإزاء العرش"، فـــهذا مثــل النزول بمكة، حتى يخرج منها إلى عرفات.

الخروج إلى عرفات

● ثم يخرجون من مكة إلى عرفات. كذلك الأسرار إذا حلت بجـــوار الله، استودعها للعرض عليه، لتعرف ما لها وعليها، فتذكرت ما سلف لها. فبتذكرها ذلك تخرج عن قرب الجوار إلى مشاهدة ما سلف لها.

● وعرفة أعظم مواقف الحج، لأنه عرض على الله، ووقوف بيــن يديــه، وينزلون فى طريقهم بموضع يقال له "**خيف**" مبنى كنانة فى منى حيث نزل رسول الله ﷺ وهو قبل عرفة. ومثاله أن الأسرار إذا تأهبت للعرض على الله اعترضـــها فى الطريق الخوف منه، فلابد ولا محالة يكون الخيف محلــه فــى منــى. كذلــك الأسرار إذا خافت لم تقنط، وتمنت على الله بحسن الظن، عظيم المغفرة والوســائل إليه ثم يدخلون إلى عرفة. كذلك السر إذا حل بمقام الخوف، وحسن الظن بـــالتمنى عليه والرجاء فيه،لاح له مغفرة الله بما هو له أهل، فلا يزال متوجهاً حتى ينزل بها فينزلون بعرفة. وينتظرون زوال الشمس للوقوف، شبيهاً بانتظار الأســرار حيــن حلت بمعرفة الله.. فالخوف والرجاء لما يرد عليها منه.

● فإذا زالت الشمس أخذ **الإمام فى الخطبة**.. ومثاله فى السر الإنذار بمجئ تجــلى الملك للديار، ليتهيئوا لقدومه عليهم، ويعلمهم الأدب بين يديه، وكيف يقفون له بالإجلال والتعظيم.

● ثم يأخذون فى **الصلاة بعد الخطبة**. وكذلك السر إذا تجلى لـــه ظــهور الملك، خضع وسجد لجلاله.. وهى صلاة تحية التجلية، إلا أنها مفروضة، لأنه لــم يظــهر لهم إلا فى وقت فرضها الواجب له عليهم، لأنه موطن عرض ومحاســبة، فلا يقوم أحد على الهدية التى هى النافلة، لهيبة العرض والحساب. ويقدمون صلاة العصر ويجمعونها مع الظهر، لأن من قدم بين يدى الله للمحاســبة والعــرض، لا

ينسب نفسه فى المحاسبة وطلب الخلاص، ثم تقطّعه بين يدى ملـــك الملـــوك فـــى الجمع، فلم تكن الحكمة إلا فى جمع الصلاتين لهذه الصلاة.

● فإذا تمت الصلاة، أخذوا فى **الوقوف والدعاء والإقرار بـــالذنوب إلـــى غروب الشمس..** كذلك الأسرار إذا عرّفها الله فى مقام مشاهدة، تجلى ما لها ومـــا عليها، وما وقع العبد فيه فى عمره كله، حتى لا يبقى شئ من مخبآتها، إلا تذكـــره السر فى ذلك المقام، فيقِرُّ بها لباريه. فلا يزال يدعو ويتضرع، حتى يجد آثار كرم البارى تعالى، وكنف ستره، حتى آثار ما أوحى الله إلى ملائكته فى يوم عرفـــة.. وبذلك يشرف على أهل عرفة، فيتعرف إليهم فيقول للملائكة: "**انظروا إلى عبادى شعثاً**.."، الحديث إلى آخره.

إلى المزدلفة

فإذا غابت الشمس، نفر الخلق إلى مزدلفة. ولذلك إشارة فى السر، إلى غيبة حرارة المحاسبة، والعرض على هذه الأسرار والأرواح والنفوس، ووجـــد الفـــرح بغيبة ضوء كشف العورات فيه، ومنحة النفوس. فإذا ألبس الله عليهم لبسة الأسرار، بأردية الستر الكثيف للقبائح، وتغفرت بمقام المغفرة، فيتوجـــهون إلـــى مزدلفـــة. ويصلون بها المغرب والعشاء بعد غيب الشفق، لأنه حينئذ يذهب ضـــوء الشمـــس بالكـــلية، ويذهب حرها. وكذلك بكمال التباس الســـتر الكثيـــف، ووجـــود العفـــو **بالزلفى**، يصـــل العبد إلى **منازل الزلفى**: ﴿**وزلفى من الله**﴾. وكذلك يصل الحاج إلى مزدلفة بعد ذهاب الشفق.. فإذا وصلوا مزدلفة، جمعوا بين الصلاتيـــن، لأنـــها حينئـــذ تطهرهم من المخالفة لزوال الحرارة والكد والتعب مـــن ثقـــل المحاســـبة، فكانت السنة تأخير صلاة المغرب وجمعها لهذه اللطيفة لتكون الصلاة بعـــد كمـــال وفراغ الســـرّ، من الكدّ والتعب الذى تقدم ذكره. ولذلك يغتسل الحـــاج بالمزدلفـــة، وهو الاغتسال المســـتحب فى مناسك الحج، وهذا تأهب للنزول منازلـــة الزلفـــى،

والزلفى منزلة رفيعـــة من القرب: ﴿**وما أموالكم ولا أولادكم التى تقربكم عندنـــا زلفى**﴾ (سبأ: ٣٧)، ثم يبيتون بالمزدلفة طول ليلهم.

الوقوف بالمشعر الحرام

فإذا لاح الفجر صلوا الصبح، ثم يقفون بالمشعر الحرام إلى قـــرب طلـــوع الشمس.. كذلك الأسرار إذا تطهرت ونزلت محل القرب، ووجـــدت بـــرد العفـــو، وألبســـت به أردية الستر، نظرت الأسرار إلى محارم الله، وذكرتـــه عنـــد أمـــره ونهيه. وهذا الذكر من أفضل الأذكار أعنى ذكر الله عند أمره ونهيه. فإذا ذكـــرت الأسرار أمره ونهيه، شعرت بالمحارم والنواهى وهو ذكر فى محل شعورها، كـــى لا تتدنس بعد التطهير، فلهذا كان الوقوف بالمشعر الحرام.

إلى منى

ثم يدفع الحاج إلى منى ويسرع ببطن محســـر. ومثالـــه أن الأســـرار إذا تذكرت بالمشعر أمر الله ونهيه فى محل شعورها، نفرت عن ذلك، وهربت عن أن تقع فيهـــا، أعنى المحرمات، شبيهاً ببطن محسر، الذى يسرع فيه الحاج بمشيـــــه، لأن السر يذكر المحارم فيفر منها، ويتحسر على ما وقع منها.

جمرة العقبة

ثم يرمى الحاج جمرة العقبة لأن موضع العقبة الحسرات فى السر. وأمـــا رميـــه جمرة العقبة بعد هروبه من المشعر الحرام، وخروجه من بطـــن محســـر، فمثاله أن السر إذا شعر بذكر المحارم، وهرب منها، وتحسر بذكر الذى أوقعه فـــى المخالفات، فرآه بسره وهو إبليس، لأنه مع المحارم لا يفارقها أى إبليس. وإبليـــس يوســـوس إليه، ويذكره الرجوع إليها، فيرجمه رجماً بالغيب برد وساوسه عليـــــه، التى جمـــاره من جمار جهنم محرقة بردها عليه فـــى الســـتر، ويغضـــب عليـــه، والغضب جمرة تتوقد، ولذلك سميت جمرات.

ذبح الهدى

ثم يذبح الهدى. ومثاله إذا رمى وجه إبليس بجمراته، تذكر من نفسه من يقبل وحى الشيطان، فإذا هى الصفة البهيمية، التى لا تدرى ما يراد بها، فيخدعها الشيطان ببلادتها فيزكيها بالنحر والذبح، كى يحصل لها الزكاة والفطنة بزكاتها.[٢]

حلق الرأس

ثم يحلق رأسه أو يقص منه. ومثاله فى السر أن الدماء البهيمية أهرقت فى الله لتضييق مجارى العروق فيه، ولقطع العلائق عنه التى يتعلق بها، وهى النواصى التى يقعد عليها فى ليل الغفلة، ونوم الحياة والدنيا، "عليك نوم طويل" فأخلد لذلك، وأوقد نار الإعراض، فإذا قطع العلائق من سره، فقد تحرز من إبليس بحلق ناصية الرق له، ولم يبق له من الحج إلا الطواف.

طواف الإفاضة بالبيت العتيق

فيتوجه إلى طواف الإفاضة. كذلك السر إذا تحلل من العلائق، توجه حراً إلى سيده فيطوف.

رمى الجمار

ثم يرجع الحاج إلى منى، فيقيم بها ثلاثة أيام أو يومين، ليتم رمى الجمار والنحر (الذبح) فى أيام التشريق.

كذلك السر إذا طاف طواف الإفاضة بعد حريته، استشعر الرجوع إلى مباحاته، فيرجع إلى التمنى فيستقضى تمام رمى الجمار، لأن النفوس إذا رجعت إلى المباحات من الحج لا بد أن تتمنى الرجوع إلى المحرمات، فيستقضى ذبحها، ويرمى بقية الجمار مرة بعد مرة، تأكيداً لحبس النفس إذا رجعت إلى أركان المباحات. فإذا فاتت أيام التشريق، فقد تم حجه.

طواف الوداع

يطوف طواف الوداع ويرجع إلى بلده. ومثاله: أن السر إذا تمت وظائف حجه، ولم يكن للبشرية بدٌ من الرجوع إلى أغراضه ومباحاته، طاف بربه طواف المحبوب إذا ودع محبوبه، وترك سره عنده. فهذا الطواف تذكرة بالرجوع إليه، وإن كان في ظاهره أنه وداع وفرقة، فإنه أعظم للحرية، وأشد تأكيداً في الصحبة، كما قال ﷺ: "زر غباً، تزدد حباً". لأن كثرة الجلوس عند المحبوب، يوجب كثرة الأمن والإدْلال، ويخاف عليه أن يقع في مخالفة، بكثرة الإدْلال، لأن النفوس تمل ترك أغراضها، فإن لم يرجع، ووقعت في محذور، بحضرة الملك المحبوب، وفي جواره، وجب طردها عن جواره، لأن الذنوب تتضاعف بحضرة الملك العظيم، بقدر حريته، وكذلك ورد في الخبر "*أن الذنوب تتضاعف بمكة، كما تتضاعف الحسنات*" لبديع العلة التي ذكرتك بها فافهم إن فهمك الله وأرشدك للسعادة الكبرى والبغية القصوى. ولذلك ورد في الآثار: "*رب رجل بخراسان، أو ببلاد غير خراسان، أقرب إلى هذا البيت ممن هو ساكن فيه*".

أنواع الحج

واعلم أن **الحج على ثلاثة ضروب:** إفراد بالحج، وقران بالحج والعمرة، وتمتع بالعمرة إلى أيام الحج، ثم يحج.

والحج بالإفراد أقواها وأصعبها، وقد اختلف في الكل أيها أفضل. وقد ذكر الله الثلاثة أنواع، فقال في القران: ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله**﴾ (البقرة: ١٩٦)، وقال في التمتع: ﴿**فمن تمتع بالعمرة**﴾، وقال في الإفراد: ﴿**ولله على الناس حج البيت**﴾ (آل عمران: ٩٧)، لأنه الفرض. فمثال الحج مفرداً في إفراد الحج في الأسرار الخروج من الدنيا الكلية إلى الله، دون تعريج على شئ من الأشياء دونه، والتضييق الكلي على النفس طول الحياة في الدنيا. وهذا لا يطيقه إلا أفراد، لأنه إفراد الإفراد، وهو أشبه شئ بالآخرة، ولما فيه من أمور القيامة والآخرة.

العمـرة

والعمرة مأخوذة من الزيادة، وفي لفظها معنى من العمر، وهي إبقاء من الحياة على النفس، لأنه لولاها ما تعمرت الحياة الدنيا، ولذلك قال ﷻ: ﴿**ومن تمتع بالعمرة**﴾ (البقرة: ١٩٦)، والتمتع هو الاستمتاع بالمباحات الشرعية إلى أيام الحج، كما قال ﷻ: ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾ (الحج: ٧٨)، ثم يعود إلى المباحات. وكذلك القران: الإشارة فيه إلى اقتران الرفق مع الشدة، كما قيل "الإيمان شدة في لين، وسماحه في يقين"، ولذلك ورد في الخبر "**أن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه**". وقد قال رسول الله ﷺ: "**لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لم أسق الهدي، ولجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليتحلل، ويجعلها عمرة، فقيل له: هذا للأبد؟ فشبك الرسول** عليه السلام **أصابعه وقال: دخلت العمرة والحج هكذا، ثم قال: للأبد وأبد الأبد**". وكان عليه السلام قد أفرد الحج هو وعلى بن أبي طالب ﷺ، لأنه هو أقوى الأقوياء، وقد أهلَّ رسول الله ﷺ بالحج والعمرة معاً، وهذا كله على النفوس رحمة وسماحة، والحمد لله رب العالمين.

لكن بشرط ترك الحرام، أو ترك الخروج إلى الإسراف الذي لا يحبه الله، وكذلك استحب الزيارة بعد الحج إلى قبر النبي ﷺ، لأن السر إذا طاف طواف الوداع كما تقدم، رجع إلى أوطان مباحاته، فينبغي أن يكون رجوعه إلى مباحاته بالسنة، لا باتباع الهوى لأن النبي عليه السلام هو رأس السنة، ومنه تفرعت، بل هو السنة كلها، فلهذا استحب زيارته بعد قضاء الحج ليكون رجوعه إلى سنته كما تقدم.

فهذه أسرار الحكمة في الحج، ووجه المعنى المبتغى، بينته ظاهراً وباطناً في المقامات الثلاثة، الإسلام- الإيمان- الإحسان، فنسأل الله الكريم أن يجعلها لنا

حجة، وأن يكتب لنا من كل خير حظا ونصيبا، بمنه وفضله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل السادس

فى الجهاد

أهمية الجهاد

وقد ورد فى الحديث "*من لقى الله من غير أثر جهاد، لقى الله وفى إيمانه ثلمة*" إشارة إلى نقصانه. وهو فى حديث على رضي الله عنه حيث قال: "بنى الإسلام على أربع دعائم. على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد"، فجعله دعامة من دعائمه، وغير ذلك من الشواهد، والإجماع منعقد عليه، أنه فرض من الفروض، إلا أنهم قالوا على الكفاية، وهذا الأصل لا يخرجه عن كونه مخاطبا به الكل، والجهاد نصر الإسلام، وإذا ترك ذل أهل الإسلام بتركه.

أنواع الجهاد

واعلم أيها الناظر أن الجهاد على ضربين، ظاهر وباطن.

والباطن على ضربين: جهاد النفس والعدو والشيطان فى مقام الإيمان، وجهاد الروح والعقل فى مكابدة الطريق، والفكر واقتباس العلم فى مقامات الإحسان.

والظاهر جهاد الكفار، والمنافقين، والفجار فى أقطار الأرض ظاهرا. والباطن جهاد النفس والشيطان القاطعين عن سيد البشر ﷺ وعن الله تبارك وتعالى، وهذا هو الجهاد الأكبر كما ورد فى الخبر: "*رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر*"، وهو فرض عين على كل إنسان، وكل وقت، كما قال ﷻ: **﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾** (فاطر: ٦)، وقال ﷻ: **﴿فقاتل فى سبيل**

الله لا تكلف إلا نفسك﴾ (النساء: ٨٤)، وقال ﷻ: **﴿جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾** (التوبة: ٧٣). ومقام الإحسان فى قوله ﷻ: **﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾** (العنكبوت: ٦٩)، وغير ذلك مما يطول ذكره.. فمن فروض الجهاد: حسن النية فيه، وذلك بأن تكون كلمة الله هى العليا، وأن تكون فيه قوة القتال، قال الله ﷻ: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل﴾** (الأنفال: ٦)، وأخذ العدة هو السلاح والثبات عند اللقاء.

وأول أمور الجهاد، بعد التوجه إلى العدو، أن يدعوهم إلى الإسلام فإن قبلوه، وإلا قوتلوا، إلا أن يكونوا ممن بلغتهم الدعوة إلى الإسلام، ويعجلون بالقتال فيقاتلون.

جهاد الباطن

ومثال ذلك فى جهاد الباطن أن النفس الأمارة بالسوء، تدعى أولاً إلى طاعة الله، فإن أبت وجب قتالها، وصدها عن الهوى. وأما الشيطان فإنه قد بلغته الدعوة من أول الدنيا إلى آخرها، وقد يئس الكل من إيمانه، فلا سبيل إلى دعوته، بل معاجلته بالجهاد حيث وجد.

ولفظ الجهاد مشتق من الجهد وهو المشقة والتعب، فأما احتمال المشقة والتعب فيه، فظاهر لا يخفى فإنه سفر والسّفر قطعة من العذاب، ولقاء العدو والمخاطرة بالنفس فى مقاتلته جهاد، ولذلك عظمت درجة المجاهدين فى سبيل الله.

وروى فى الحديث "أن أعمال البر كلها فى جانب الجهاد فى سبيل الله، كتفله فى بحر لجى" أو كما ورد، لأنه يقاتل عن كل من وراءه من المسلمين، فكأنه ناب مناب الكل.

واعلم أيها الناظر أن الجهاد ما ذكره الله فى قوله: **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾** (البقرة: ١٩٣)، ظاهراً وباطناً، أى حتى لا يبقى تدبير لسواه، فإن الرب رب واحد، والملك كله ملكه، فوجب ألا يكون دين إلا له،

وأن يكون الخلق كلهم على دين واحد، ومذهب واحد. هذا هو الواجب على جميع المخلوقات، فمن خالف هذا ظاهرا أو باطنا، فقد انحاز وافترق. وإذا انحاز فقد ظهر الحدبينه وبين من انحاز عنه من أهل الإسلام، وهذا الحد هو التنافر الذى بين أهل الإسلام وأهل الكفر، فوجب قتالهم حتى يرجعوا كلهم على مذهب واحد، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ويقنع منهم بذلك، لأنهم ليس بقاؤهم على دينهم، إلا خزى بهم، إذ لم يكن فى معبوداتهم من يعزهم فى دينهم، فكأنه لم يعبد فى الوجود إلا الله، فلهذه العلة قنع من الكفار بالجزية، وإن لم يرجعوا إلى الإسلام، ولم يعطوا الجزية، قوتلوا حتى يطهر منهم ملك الله، ولا يبقى لهم أثر، وليس لمعبوداتهم التى ادعوها وجود ولا أثر.

ولما لم يكن للألوهية التى أدعوها حقيقة ولا وجود، حرم الفرار من الزحف، لأنهم ليس فى باطنهم من ينصرهم، والمؤمنون إلههم الحق، حيثما توجهوا وجدوا ربهم معهم، فهو ناصرهم فلا غالب لهم، إلا إذا فعلوا أفعال الكفرة والفجار، ودخلت عليهم صفات العدو فى بواطنهم، فدخلهم الرعب الذى فى بواطن الكفرة من وحشة.. وبقدر فساد المسلمين يجد العدو له إليهم سبيلاً ومدخلاً. ألا ترى إلى يوم حنين، حيث وصف الله تعالى حال العجب منهم بالكثرة فقال: **﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً﴾** (التوبة: ٢٥)، فلولا العجب ما هزموا، ولما كان النبى ﷺ بريئاً منه ومن شاء الله ممن كان حوله ذلك اليوم، أنزل الله سكينته ونصره عليهم، فهزم المشركون، وكذلك يوم أحد، لما عصوا الرسول فيما أمرهم به، وجد العدو مدخلاً بذلك العصيان، فكان ما كان، فما سلط على أهل الإسلام فى كل وقت، إلا لفساد أحوالهم.

واجب المسلمين مع الكفرة

فالذى يجب أن تكون أحوال المسلمين عليه مع الكفرة بين ثلاثة أشياء: قتالهم حتى يرجعوا إلى الدين، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، أو سبيهم

وبيعهم.. وأقوى من ذلك كله أن يكون قائما دائما بيننا وبينهم سد الثغـور وتشييـد الحصون، وإن احتيج إلى صلح، لأجل الخدعة بهم فى المستقبل، فالحرب خدعـة، لأن الكفر والإيمان ضدان مثل الليل والنهار، إذ لا يلتقيـان إلا إذا غـابت أنـوار الإيمان، أو ضعفت، فيظهر سلطان الليل بقدر غيبته وضعفه.. ويقابل ذلـك فـى ظاهر الأمر أنه قبيل بعثة النبى ﷺ كانت الأرض كلها ظلمة، وأنوار الإيمان غائبة عن الأرض، موجـودة عند الملائكة، وأهل الآخرة فى الغيـب. فلمـا أظـهر الله رسوله عليه السلام بمكة، طلعت بنوره شمس الإيمان، واستنار به من قبل الإيمان بـه، فلم يزل الدين يظـهر شيئا بعد شئ، ولكن بحكم الضعف، لأنه طلع فـى سـحاب متراكم، بعضه على بعض، كما قال ﷻ: ﴿**كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض**﴾ (النـور: ٤٠). فظـهور النبى عليه السلام بالإيمان بمكة، ودعواه الناس إليه، بمنزلة نور الشمـس. ورد الكفـار عليه، وامتحانهم له ولأصحابه، بمنزلة السحاب المتراكم المظلم لنور الشمس فـى اليوم الشديد السحاب المظلم، فلم يزل كذلك مرة يظهر ويخفى، حتى هـاجر مـن هاجـر من أصحابه، وهاجر هو عليه السلام، وبعض المستضعفين بمكة إلـى المدينـة. وفتـح الأقطار شيئا بعد شئ، حتى فتح مكة، وصار النور يـزداد، حتـى توفـى رسول الله ﷺ وبقى الفتح ظاهرا غالبا، حتى عم الأقطار من الأرض، بوجود نوره عند خلفائه والقائمين به من بعده. فلما ضعف الإيمان الذى هو النور، بقبضه عـن الخلق لمخالفتهم، ظهر سلطان الليل، حتى يأتى وعد الله. وهذا المثال المضـروب للنبى عليه السلام بالشمس، موجود فى قوله ﷻ: ﴿**يأيها النبى إنا أرسـلناك شـاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا**﴾ (الأحزاب: ٤٦)، والسـراج هو الشمس كما قال ﷻ: ﴿**وجعل الشمس سراجا**﴾ (نوح: ١٦).

العلاقة بين جهاد الجسد والنفس والروح

واعلم أيها الناظر أن جهاد العدو ظاهرا، بالسيف والرمح والرمى، مفهوم وشروطه موجودة فى كتب الفقه، فمن طلبها وجدها، وذلك بالإسلام.. وأما جهاد الشياطين، والنفوس المتصفة بأخلاق الشياطين، والكفرة والمنافقين، هوالذى خفى لبطونه عن الخلق.. والعدو الباطن هو الشياطين والنفوس المتخلقة بأخلاق الشياطين، وصفاتهم الوسواس. وإلى هذا الجهاد الإشارة بقول النبى ﷺ: "**المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله**".

والكلام فى هذا الباب يستدعى بيان أحكام الخواطر والخاطرة على القلب، وقد قال النبى عليه السلام: "***النظرة سهم من سهام إبليس***"، وإنما رمى الباطن حين وسوس له فقال: انظر فرماه أولا بالخطرات فقبلها، فبعدت مقالته حتى وصلت إلى عينيه فنظر، فقتل العفاف من العبد. فأول ما يجب أن يفهم أن جسد الإنسان خلق للنفوس وصفاتها، بمنزلة الوطن والمدينة، وهى باطنة فيه، والدنيا محل الجسد وهى وطنه، والنفس تطلع إلى الدنيا عن طريق الوسواس، والروح باطنها فى غيب النفس مما يلى الآخرة، التى هى محل الملائكة عليهم السلام.

والشياطين غيب فى وجود الدنيا، فقد حصل الإنسان بجمعه بين الدنيا والآخرة والملائكة والشياطين، والله محيط بالجميع، والخواطر تأتيه من جميع جهاته ظاهرا وباطنا، تدعوه إلى الخير والشر، والجنود متصادمة فيه، وتتقاتله، لا تفتر طرفة عين ﴿**والله يؤيد بنصره من يشاء**﴾ (آل عمران: ١٣).

والخواطر هى الكلام الذى يمر على القلب، والدنيا هى تتزين للنفوس بزينتها، وتدعو الخلق إليها، وإلى الرغبة فيها، وعمارتها والشغل بها.. وكذلك الآخرة مقابلتها، تدعو الخلق إليها والإقبال عليها والإعراض عن الدنيا، وتدعو إلى ما هم عليه من الطاعة وصفة الإيمان. والروح الذى صفته العقل ينظر ويدعو إلى ما هو عليه، مما استحسنه واختاره. والنفس تدعو وتأمر بما فيه

غرضها وإرادتها. والبارى تعالى يحرك الكل، ومنه يأتى كل خاطر وقول، وهذه كلها وسائط، وللبارى تعالى خاطر من غير واسطة وهو التوفيق، لكنه يقوى فى حق قوم، ويضعف فى حق آخرين على حسب إرادته تعالى.

أنواع الخواطر

والخواطر سبعة: خاطر الدنيا، الخاطر الإيمانى الأخروى، خاطر العدو إبليس، خاطر الملك، خاطر النفس، خاطر الروح العقلى، خاطر البارى.

خاطر الدنيا

فإنه من نوع لسان الحال، بل هو أنطق من لسان المقال. ويقابله من الخواطر السبعة الخاطر الإيمانى، فإن الإيمان يذكره بالآخرة ويرغب فيها، وينسى الدنيا ويزهّد فيها. وضده الدنياوى، فإنه يذكر بالدنيا ويرغب فيها، وينسى الآخرة ويزهد فيها. وهما ضدان بمنزلة الضرتين، إن رضيت إحداهما انحطت الأخرى، إلا أن يكون ما تأخذ من الدنيا ركاباً للآخرة، فإنه يعود آخره، فإن الركاب ما يوصل إلى المنزل، كما قال ﷻ: ﴿**فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب**﴾ (الحشر: ٦)، وهى الإبل المركوبة، والسفن المركوبة أيضاً ركاب، وكل ما يركب ويوصل إلى غرض الراكب فهو ركاب. والمراد بهذا: أن كل خاطر يخطر من أمور الدنيا يُنظر، فإن كان معيناً للآخرة، قبل وركب ووصل إلى غرض الراكب، وإن كان منسياً للآخرة أو شاغلاً عنها، طرد ولم يقبل.

وهذا الخاطر الدنيوى ينحصر فى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التذكير بما مضى وفات من أمور الدنيا التى لا درك لها، لأنها عرض زائل، والقابل لهذا الخاطر والمشجع له من أحمق الناس، لأنه يولد الحزن على الفائتات، ولأنه يؤسّى على مضى، وهو لن يرجع أبداً.

القسم الثانى: فى التذكير بما يأتى من أمور الدنيا، التى لا يدرى الإنسان هل يصلها أم لا يصلها، والقابل لهذا الخاطر والمشجع له، داخل فى التدبير

للأمور، وباسـط للآمال الكاذبة والغرور، والمستغرق فى ذلك أحمق لأنه طـالب لما لا يدرك، وإن أدرك بعضه فهو تارك لما أدرك.

القسم الثالث: التذكير بأمور الدنيا الحاضرة، وأخذها والدخول فى العمـل لهـا.. ومن هذا الخاطر يتولد الحرص، وهو سبب عمارة الحياة الدنيـا، المنسـى للحياة الآخرة.

وهذه الخواطر الدنياوية والشيطانية والنفسية تحتاج إلـى مدافعـة، وهـذه المدافعة هى الجهاد الأكبر، الذى ذكره رسول الله ﷺ.

ووجه الخلاص من غرور هذه الخواطر: أن تطردهـا وتعـرض عنـها، ويكون إعراضك على معيار العلم النافع الأخروى، فيقبل منها ما يحتاج لله والآخرة وغير ذلك من الأمور النافعة أخروياً.

الخاطر الإيمانى الأخروى

أما الخاطر الثانى الذى هو الخـاطر الإيمـانى الأخـروى: فإنـه يذكـر بالمؤمنات الغائبات على اختلاف أنواعها.. وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: خاطر إيمانى يذكر العبد بما قضى فى الأزل، وما كتب لـه فى الأقدار السابقة، من أمور الدنيا والآخرة، وهو خاطر محمود بما ذكر من أمور الدنيا، وما سبق للعبد فيها، وكذلك العلم بأن العبد لا يقدر أن يزيد فيها ولا ينتقص منها، فيخرج بالرضا بالقضاء، والزهد والتوكل وغير ذلك من الأمور المحمـودة، وبما ذكر بأمور ما سبق له من أمور الآخرة، وحال الخوف ممـا سـبق، وجمـع الهّمة، وغير ذلك، مما ينحصر من أحوال الناظرين للسابقة.

القسم الثانى: يذكر بما يلقى العبد فى المآل وفى المعـاد مـن الخـيرات والأهوال، فيتولد الفكر فيما بعد الموت من أمـور الـبرزخ والحشـر والمـيزان، والصـراط والجنة والنار، والحساب والقبر، والخسـران والفـوز والرجحـان.. ويحصل من هذا الخاطر العلم النافع، واليقين والإخلاص فى العلـوم، والأعمـال

والنّية المحمودة، وغير ذلك من أحوال الصالحين المشتغلين بما يلقون أمامهم من أمور الدار الآخرة.

القسم الثالث من الخواطر الإيمانية: يذكر العبد بما هو ملابس له من أمور الإيمان، وهل هو من صفة المؤمنين أم لا ؟ وهل يرضى أن يفاجئه الموت على ما هو عليه أم لا ؟ فيولد هذا الخاطر التفتيش والبحث، عمّا هو عليه العبد وترك ما لا ينبغي وأخذ ما ينبغي، والاستعداد للموت قبل نزوله، بكل محمود من العلم والعمل والصفات والأحوال.

وهذا الخاطر الإيمانى منقسم إلى ثلاثة أقسام لا رابع لها، والخاطر الدنيوى منقسم إلى ثلاثة أقسام، وكل واحد مضاد لصاحبه، ومقابل له، إذا تأملتما وجدتهما جنديين متقابلين متقاتلين على الدوام، ﴿**والله يؤيد بنصره من يشاء**﴾ (آل عمران: ١٣).

خاطر العدو إبليس- لعنه الله

فإنه على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: إنه ينهى عن فعل الخير كله من جميع جهاته، وهو معنى قوله ﷺ: ﴿**لأقعدن لهم صراطك المستقيم**﴾ (الأعراف: ١٦)، فهو بهذا الوجه ناه عن المعروف فى العقائد، بالتكذيب والتشكيك، وفى الأعمال الصالحة بالصد عنها: ﴿**ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة**﴾ (المائدة: ٩١).

القسم الثانى: فى الأمر بالمنكر والفحشاء، وجميع أنواع الشر.

القسم الثالث: وهو إفساد معانى الخير.. وفتح أبواب الشر، والإعانة على خاطر الدنيا والكسل فى خاطر الإيمان، وغير ذلك من الخواطر الشريرة.

خاطر الملك

وهو ضد خاطر الشيطان، لأن الملك ضد الشيطان.. وهو أيضاً على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كله، فإن قبل فهو مراده.

النوع الثانى: الأخذ فى إبطال معنى الشر، والتثبيت فى حفظ معانى الخير ألا تبطل.

النوع الثالث: الحضّ على تقوية معانى الإيمان والخواطر المحمودة، وغير ذلك من أعمال الخير.

لأن الملك خير محض كله، والشيطان شر كله، وصفته الحـــرارة. وكـل واحد منهما ضد لصاحبه، ما يعمله هذا يتركه هذا، وما يفسد هذا يصلحـــه هـذا، وهكذا دأبهما أبداً إلى الوقت المعلوم، ﴿**صنع الله الذى أتقن كل شئ**﴾ (النمل: ٨٨).

خاطر النفس

وهو على ثلاثة أقسام أيضاً، وذلك أن النفس لها طبيعتان عجنتا فى خلقها، الطبيعة الأولى: طبيعة شهوانية، والأخرى طبيعة ملكية سلطانية.

فالصفة الشهوانية تدعو إلى العلو والظهور والقهر والغلبـــة والأسـتيلاء، وطلب المدح والثناء، وما فى هذا المعنى.

أما خاطرها الثانى: فمحله القوة والملكية السلطانية وقد انتهى هذا الخـــاطر بأقوام إلى أن ادعوا الربوبية، واستعبدوا غيرهم.. وقـد انتـهى الخـاطر الآخـر الشهوانى بأقوام إلى أن عبدوا غيرهم من المستحسنات.

وأما الخاطر الثالث: فإنه متقلب مع جميع الخواطر، التى تأتيها من غـــير هاتين الصفتين، فمرة يكون مع خاطر الدنيا بالتمنى لما يلقى إليها من غرورهـــا، وتارة مع الشيطان بتوسلها لطلب تنفيذ ما يرميها به، وتارة مـــع خـــاطر الإيمـــان بالكراهية، والدعوة إلى التثاقل فى أمور المعاد كلها، وتارة مـــع خـــاطر الملـــك.. وهكـــذا مع ما يرد عليها، جبانة فى الخير، شجاعة فى الشر، فإن حملت على الشر وخوفت، حتى أطاعت وأذعنت، فمن أجل غيرها لا من أجلها. فلذلك قيل: النفس لا تصدق وجعلوا صدقها كذباً، وتبرّيها دعوى، وجميع ما تحمل عليـــه، وإن كـــانت

مطمئنة أو لوامة، وهى محرومة لا ينسب إليها شئ، لأنها محمولة عليه لو تركت لعادتها لعادت إلى طبعها.

خاطر الروح العقلى

وهو خاطر التدبير لأمر هذه المملكة، والنظر فى جميع الخواطر الواردة عليه فى جميع الجهات. وفى الخبر: "**لا عقل كالتدبير**". وفيه توجد الفهوم والعلوم الربانية. وهذا الجوهر هو الملك، وإليه يجب أن ترجع أمور المملكة كلها، فيترك منها ما أمر به الشرع أن يترك، ويستحسن ما أمر به أن يستحسن، ويستقبح ما أمر به أن يستقبح. وصفات خاطر العقل التثبت والنظر فى جميع ما يرد عليه من الخواطر الواردة فينفذ منها ما يجب تنفيذه، ويرد ما يجب ردّه.

وخواطر هذا الجوهر الشريف، وإن كثرت، لا تخلو من ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الأمر بالتنزيه من ردئ الأخلاق والأعمال والأحوال وسفاسفها ظاهراً وباطناً.

النوع الثانى: الأمر بالاتصاف بمحاسن الأخلاق، ومحاسن الأعمال ومحاسن الأحوال وأعاليها، ظاهراً وباطناً.

النوع الثالث: الأمر بإعطاء جميع أهل مملكته حقوقهم، بتنفيذ الأحكام الشرعية فيهم.

خاطر البارى جلت قدرته

وهو الخاطر السابع، به تتم الخواطر، فهو خاطر البارى جلت قدرته وعظمت حكمته، وهو على قريب القرب.

وكل واحد يأتيه بواسطته كل ما تقدم من الخواطر كلها، فإنها مضافة إلى غيره مجازاً وإليه حقيقة. والخاطر يأتى من الله، بواسطة ملك أو روح، أو نفس أو شيطان، أو دنيوى أو أخروى. وبه قامت الحجة على الخلق لأنه جارٍ على الاختيار.

والضرب الثانى من خواطر الحق هو ما ورد على سر العبد بحكم الجبر، فلا يمكن الانفكاك عنه وفيه توجد الفراسة لأهل المعرفـــة، وفيـــه يوجـــد الحيـــاء والانكسار، والكل للبارى تعالى، فإن البارى ما تجلى لشئ إلا خضع لـــه وخشـــع، ويقوى فى حق قوم، ويضعف فى حق قوم آخرين، وهـــذا الخـــاطر مخصـــوص بالخصوص، الذين أنعم الله عليهم من النبيين والأولياء الكاملين.

مواجهة الخواطر والجهاد الأكبر

وجملة هذه الخواطر تقع على قلب الإنسان، مع كل لحظة ولمحة وخطرة، فأى نوع منها تقّوى وغلب، حكم على العبد، وملك القلب بقدر غلبته وقوته، فـــإذا غلب حـــزب الشيطان على حزب الله، فإنه يتطلب جهاد البـــاطن وهـــذا الجـــهاد الأكبر قد عم المقامات كلها -مقام الإسلام، ومقام الإيمان، ومقام الإحسان- وعـــم النفس، والروح، والجسد، وهو فرض واجب على الأعيان، ما دام الإنســـان فـــى الدنيا. إلا أنه إذا غلب حزب الله، وهم الملك والعقل والروح، على حزب الشيطان، انقادت النفس، وانحاز العدو الشيطان عن القلب، ولم يكن فى بنية الإنسان مســـكن ولا مأوى له، وكان خارجاً عن مملكة الروح، ولم يكن له فيها ســـلطان ولا حكـــم **﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾** (الحجر: ٤٢).

وهكذا فإن من غلب فى تركيب ذاته حزب الله على حزب الشيطان، فغاية ما يقدر عليه الشيطان بعد هذه الدالة أن يغير بكتائب وساوسه وتعرضاته، فينبغـــى إذ ذاك سد تلك الثغور وحراستها، وغلقها بالمراقبة متى لاحت غارة للعدو، وكرت عليه جنود الكراهية والمخالفة، وفى مثل هذا العبد ورد فى الخـــبر: "*خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، فيرعى من كل جانب، فإذا أراد أن يخرج من الحد الذى ربطه فيه، جذبه الحبل فرده*". وهكذا المؤمن إذا ركب الـــروح على النفس والجسد، وكانا مركوبين للروح، بمعنى أنه حاكم عليهما، كانا مقيديـــن تحت حكم الروح، فإذا أرسله فى المباحات سرح، فإذا أشرف على الخروج جذبته،

فيرجع إلى حُكمه. وفى مثل هذا الفرس، قال النبى ﷺ: "**من خير معاشر الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله**"، وكذلك فى الأخبار: "**إن الخيل ثلاثة: فرس للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان**"، وورد أيضاً: "**الخيل ثلاثة: لرجل أجر ولرجل ستر، ولرجل وزر**". وهكذا كل ما ورد فى الجهاد من المعانى، وهيأته ظاهراً، فله حقيقة فى الجهاد الأكبر فى مقام الإيمان والإحسان، وإنما نبهتك على هذا لتتفطن لمعانيه الباقية إن شاء الله تعالى، وهى حقائق الجهاد فى مقام الإحسان، وما تحمله الأرواح والعقول من الجهاد وتجلى الحقيقة، ومكابدة الفكر، الذى ساعة منه خير من عبادة سنة، وغير ذلك من الأحوال التى لا يطيقها إلا الأفراد، ويفر منها الجم الغفير، فى مكابدة سلوك طريق الحق فافهم.

كيف يحقق الإنسان فى ذاته غلبة حزب الله؟

إنما يصل الإنسان إلى هذه الدرجة إذا فتح الله عليه، ونور قلبه، كما فتح الله على سيدنا محمد ﷺ بفتح مكة، وقهر جنود الجهل والكفر.. ولا يصل إلى هذه الدرجة إلا من وفقه الله **للهجرة، وهى من الإيمان ومن العبادة**. فإن الإنسان لما خلق، وربى على عادته وجبلته، وأخلاقه مع شياطينه الموكلة به، فكان غرس الجبلات، وأخلاق الجهل والشياطين، فيكون مثل سكنى المشركين بمكة، فإذا ظهر وقت التكليف الشرعى فيه كان بمنزلة ظهور الشارع ﷺ بمكة، فيظهر الإيمان شيئاً بعد شئ، وتظهر عليه صفة الجهل والأخلاق والوساوس الشيطانية، فلا يريحه منها إلا الهجرة، يهجر السوء، ويفر إلى مواطن الديانة، التى بمنزلة المدينة المشرفة، التى هاجر إليها الرسول ﷺ وأصحابه، فيؤيده الله بصفات النصر والقوة، التى هى فى معنى الأنصار وأوس المدينة يثرب، **والتثريب هو التجريح والتعديل والتوبيخ**، فيفر العبد من الركون إلى من هجر عنه من حزب الشيطان، إلى مواطن الدين من جوارحه، ولا يزال يهاجر إليه كل ناظر إليه، ويأوى إليه كل من هاجر إليه، من خاطر أو صفة أو عمل، ويثرب على نفسه وأخلاقه، ويضيق

عليها بالجهاد والغارات مرة بعد أخرى، حتى يهلك الله صفة الجهل، التى هى فى اعتبار أبى جهل، ومن تابع الجهل من صفة الإنسان الذين هم مثل أتباع أبى جهل، فى بواطن مبادرة الجهاد الذى فى اعتبار بدر، ثم لا يزال يقوى بجنود أنصار الله على ما بقى، حتى يدخل الشرع قلبه عنوة أى بالقهر، كما دخل الشرع مكة، وحينئذ تتم الهجرة، ويبقى الجهاد فى نواحى البلاد، كما قال ﷺ: "**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**".

وإن لم يصل الإنسان إلى هذه الدرجة فى الدنيا، بالجهاد والرباط، بقى مستضعفاً، حتى يقاسى شدائد الأحوال فى مواطن الجهاد، وحتى يُصَفَّى منه كل خلق مذموم، ولا يدخل الجنة إلا وهو طاهر نقى من صفات الشيطان والفجار والمنافقين، "**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر**"، أو غير ذلك مما ورد فى الحديث من صفة العجب، وأهل قبضة الشمال التى هى من قرب الشيطان، فلا بد من زوالها وتطهيرها وقلعها، إما بالمجاهدة فى الحال، وإما بالجهد والمشقة فى المآل.

ونسأل الله تعالى العزيز النصر من لدنه، والتيسير لجميع أمورنا بمنه وفضله وكرمه، إنه على ما يشاء قدير.. فاعتبر الجهاد وجميع شرائع الإسلام فى نفسك، وفى جميع العالم، تجد ذلك بيناً واضحاً إن شاء الله، وأقرأ قوله ﷻ: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**﴾ (العنكبوت: ٦٩)، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الفصل السابع
فى الهجرة

ظاهر الهجرة وباطنها

لقد تقدم الكلام عن الهجرة فى الجهاد، لأنها والجهاد مرتبطـــان، لا ينفـك أحدهما عن صاحبه، وإن الإنسان لا يجاهد إلا من هجره، أما إذا أحبه لم يـــهجره ولم يجاهده. واعلم أن الهجرة على ضربين: ظاهر وباطن.

و**الظاهر** منها هو: الفرار بالجسد من مواطن الفتن. وفى البخارى: "الفرار من الفتن فى الإيمان"، فما كان فى الإيمان فهو من شعبه بلا شك. قال ﷻ: ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس مـــن الله فى شئ**﴾ (آل عمران: ٢٨)، وفى آية أخرى ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليـــهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منـــهم**﴾ (المـائدة: ٥١). فالفرار ظاهرياً من بين ظهور المشركين واجب على كل مسلم، وكذلك كـــل موضع يخاف فيه الفتنة فى الدين، من ظهور بدعة أو ما يؤدى إلى كفر، فـــى أى بلد كان من بلاد المسلمين، والهجرة واجبة منه إلى أرض الله الواسعة، والله أعلـــم بحكم من حبسته ضرورة، فهذه هجرة الظاهر، فى مقام الإسلام.

و**الباطن** منها على ضربين: ضرب فى مقام الإيمان، وضرب فـــى مقـام الإحسان.

وأما باطنها فى مقام الإيمان: فقد تقدم الكلام عليه فى الفصل الذى قبل هذا فى آخر الجهاد، ومعنى ذلك الفرار مما تدعـــو إليـــه النفـوس الأمـــارة بالســـوء والشـــيطان، إذا كان الإنسان مستضعفاً، مغلوباً بصفاته وأعدائـــه، وإن لـــم يفـــر ويركن ويرضى، فقد اتخذ الشيطان ولياً، فيخاف عليه التمادى حتى يخرج عن عباد

الله الذين قال الله فيهم: **﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾** (الحجر: ٤٢). وفى هذا المعنى قال ﷺ: "*المهاجر من هجر السوء*".

وحقيقتها فى مقام الإحسان، الذى هو مقام الروح، **الفرار إلى الله** أى من الأرواح ومن رسوم النفوس، وغير ذلك ومن كل شئ، كما قال ﷻ: **﴿ففروا إلى الله﴾** (الذاريات: ٥٠). وروى عن معاوية أن رسول الله قال: "*تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها*"، ذكره أبو داود فى السنن فى الهجرة التى كانت فراراً إلى رسول الله ﷺ.

وهى الآن كذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله: **﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾** (النساء: ١٠٠)، على المعانى الثلاثة. وإذا نظرت إلى الموجودات أيضاً كلها، أعنى العالم الكلى، وجدته نافراً من القبيح كله، وذلك حقيقة الهجرة، لأن من هجر شيئاً فر منه، **﴿ففروا إلى الله إنى لكم منه نذير مبين﴾** (الذاريات: ٥٠)، مَنَّ الله علينا بعصمته، ولم يجعلنا من أهل نقمته والحمد لله رب العالمين.

أهمية الهجرة

واعلم أيها الناظر أن الهجرة **فرض**، فرضه الله على من فتن عن الله ببلاد أو خلق، فيهجر السوء. وهى أيضاً **سنة** رسول الله ﷺ وأصحابه، ودليله قول النبى ﷺ: "*عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة*"، وما كان ضلالة فهو ضد الهدى والهدى من الإسلام، لقوله ﷻ: **﴿ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾** (آل عمران: ١٠١).

والصراط المستقيم على ضربين: ظاهر وباطن.

فالظـــاهر ترك ما خالف السنة، وهى البدع فى الأقوال والأعمال، واستقامة اللسان والجوارح، عن الميل إلى الأعمال القبيـحة، المخالفة للسنة، واتبـــاع الدنيـــا المذمومة.

والباطن على ضربين: **ضرب فى مقام الإيمـــان للنفـــس،** لأن النفـــس إذا استقامت، رجعت عن الميل إلى الأغراض الذميمة، والمذاهـــب المعوجـــة غـــير المستقيمة، وترك الانكباب على الدنيا، ومنعها لما ينكسها ويبعدها عـــن المنجيـــات الأخـــروية، **وضرب فى مقام الإحسان للروح والعقل والقلب**. وبكمـــال اســـتقامة القلب والروح والعقل فى مقام الإحسان، تكمل استقامة الجوارح فى مقام الإســـلام وتكمل استقامة النفس فى مقام الإيمان، فتقبل الجملة على الله، بترك الميل إلى مـــا سواه إلا بأمره، ولا يقدر على هذا إلا الروحانيون المقربون.

الهجرة تحقق استقامة الباطن

فاستقامة الباطن ترك اعتقاد كل بدعة، وهذه المعانى كلها ظاهراً وباطنـــاً موجودة فى قول الله ﷻ: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتـــنزل عليـــهم الملائكة ألا تخافوا**﴾ (فصلت: ٣٠). وقال عمر رضي الله عنه فى تفســـير قولـــه ﷻ: ﴿**ثـــم استقاموا**﴾ أى لم يروغوا روغان الثعالب، فالاستقامة مأخوذة من قولـــك قومـــت الشئ إذا عدلته، وهو زوال الاعوجاج والميل، فمن لم يعوج ولم يمل ظاهراً فـــى مقام الإســـلام على السنة، ولا باطناً على العقيدة، ولا حقيقة مع الميل إلـــى غـــير الاستقامة، فقد استقام.

ومن الاستقامة فريضة وفضيلة.

فأما **الفريضة منها فى الظاهر** فلا يدخل فى مذاهب المبتدعين، و**الفريضة منها فى الباطن** ألا يرجع قلبه فى مذاهب الزائغين.

وأما **فضيلتها** وحقيقتها فى المقامات الثلاثة فهو تقويم الظواهر، وتهذيبـــها بأدب الشـــرع، حتى تستقيم الجوارح واللسان، فتميل عن المخالفـــة والعصيـــان،

وتقويم الباطن برياضة النفوس، وحملها على الاستقامة، بترك الميـــل إلـــى هـــذا الخسيـــس الفانى، والميل عنه إلى الإقبال على الدائم الباقى، وحينئذ يكون الميـــل كما وصف الله ﷻ: ﴿**لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم**﴾ (التيـــن: ٤)، وإنمـــا يكون العبد فى صفات العبودية الإنسانية، التى فارق بها غـــيره، مـــن الحيوانـــات والنبات والمعـــدن، إلى صفات الملائكة، فحينئـــذ ارتفعـــت همتـــه إلـــى العـــالم الرضوانى، واشتاق إلى المـــلأ الروحانى، وقد أثنى الله على نبيـــه ﷺ بحقيقـــة الاستقامة فقال: ﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾ (النجم: ١٧)، أى ما مال إلى النظر إلى سواه، وما طغى فلم يتجاوز حد الأدب فى نظره. فإذا نظرت الموجـــودات كلـــها، وجدتها مســـتقيمة جارية على ما حـــدد لها، غير زائغة، لا تميل إلى الاعوجـــاج إلى غير الله. هذا شامل لجميع أجزاء الموجودات، ليس منها شئ مال إلى غير الله، سوى الثـــقلين الجن والإنس. مَنَّ الله علينـــا وعلـــى أحبابـــه وأصفيائـــه بحقيقـــة الاستقامة، والحمد لله رب العالمين.

الباب الثالث
في كيفية النظر والتفكر
في خلق السماوات والأرض

قال ﷻ: ﴿**قل انظروا مـــاذا فـــى الســـماوات والأرض**﴾ (يونـس: ١٠١)، وقال ﷻ: ﴿**إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولـــى الألباب**﴾ (آل عمران: ١٩٠)، وقـــال ﷻ: ﴿**ويتفكـرون فـــى خلـــق الســـماوات والأرض**﴾ (آل عمران: ١٩١)، وقال ﷻ: ﴿**وكأن من آية والأرض يمرون عليـــها وهم عنها معرضون**﴾ (يوسف: ١٠٥)، وقال: ﴿**وفى أنفســـكم أفـــلا تبصـــرون**﴾ (الذاريات: ٢١).

واعلم أيها الناظر أن هذا الباب يحتوى على سبعة فصـــول وهـــى علـــى الترتيب كما يلى :

الفصل الأول : النظر والتفكر فى معرفة الروح والنفس.

الفصل الثـــانى : النظر والتفكر فى صورة الإنسان وما احتوت عليه من العجائب والغـــرائب.

الفصل الثـــالث : النظر والتفكر فى الوجه الأول من وجوه الحكمـــة فـــى خلـــق السموات والأرض.

الفصل الرابـــع : النظر والتفكر فى الوجه الثانى من وجوه الحكمـــة فـــى خلـــق السموات والأرض.

الفصل الخامس : النظر والتفكر فى الوجه الثالث من وجوه الحكمـــة فـــى خلـــق السموات والأرض.

الفصل السادس : النظر والتفكر فى الوجه الرابع من وجوه الحكمـــة فـــى خلـــق السموات والأرض.

الفصل السابـــع : النظر والتفكر فى الوجه الخامس من وجوه الحكمة فـــى خلـــق السموات والأرض.

الفصل الأول
كيفية النظر والتفكر فى
معرفة الروح والنفس

النفس والروح شيئان مختلفان

اعلم أيها الناظر أن الأجساد والأرواح قد دلت على صانع قديم مدبر حكيم، عالم عظيم، متصف بكل خلق كريم. ثم انظر إلى أعجب من هذا كلـــه وأغــرب، وذلك هذا الترتيب المنظم، والنظم المحكم الجسيم الذى رتبت الأجساد عليه، ثم أمر الروح القائم به المصرف له وفى جملته فى كل نفس، ثم ينخرم نظامه، فلا قـــوام للأجساد إلا بـــالأرواح. وفى معرفة الأرواح الشأن كله، والخير بأجمعـــه، وفيـــها الدلالة الكبرى على الله ﷻ كما قال النبـــى ﷺ: "*من عرف نفسه عرف ربه*". والنفس تسمى روحاً، والروح تسمى نفساً، ولكنهما شيئان مختلفان.

وقد تكلم الناس فى النفس والروح، فقال قوم: "الروح هى النفـــس، وهمـــا النفس الذى يخرج ويدخل فى أنف الحيوان وكل ذى روح"، واحتجوا بقول النبـــى عليه السلام: "*إن الله قبض أرواحنا*"، وبقول بلال للنبى عليه السلام: "أخذ بنفسى الذى أخـــذ بنفســك"، وهذا ليس فيه حجة قاطعة على أنهما شئ واحد، فإن الحديـــث الواحـــد أخبر فيه عن الروح، والحديث الآخر أخبر فيه عن النفـــس لأن النفـــس والـــروح يناما ويقبضان ويتوفيان، فى النوم وفى الموت.

وقالت طائفة: "الروح غير النفس، والنفس غير الروح". وهذا هو الحـــق، فإن أخلاق النفس غير أخلاق الروح. فطبع النفس الهوى والشهوة، والأمر بالسوء والجهـــل، أعنى النفس الجسمانية وليس النفس الروحانية، وطبـــع الـــروح العقـــل والعلم والتدبير والفهم، ومتى امتنعت النفس الروحانية عن طبعها لم ترجع عنــــه،

ولا يرجعهـا إلا الروح، فإن قلت: هل معنى ذلك أن الكفار والفجار لا علم لـهم ولا تدبير؟ فاعلم أن لهم فهماً وعلماً وتدبيراً، فى أمور دنياهم ومعاشهم ومذهبهم.

واعلم أيها الناظر أن معرفة النفس والروح هى أدق المعارف، لأن النفـس نفسان: نفس روحانية ونفس جسمانية، والـروح روحـان: روح روحانيـة وروح جسمانية.

فالروح الروحانى: لا يدخل فى الجسد إلا بعد خروجه من الأرحـام إلـى الدنيا، وعلامة دخوله بكاؤه.

والروح الجسمانى: هى التى لا تفارق جسمه، فبـه ينمـو فـى الأرحـام ويتحرك.

والنفس الجسمانى: وهى التى تدخل وتخرج من المناخر والأفواه، وهى لا بد أن تفارق جسمها.

والنفس الروحاني: نفس كامنة فى الجسم، لا تفارقه فى مواطنه الثلاثة: فى الأرحام، وفى الدنيا، وفى القبر.

أوجه اختلاف الروح عن الجسد

الجوهر الروحاني النفيس الصافى تعرف ذاته من جهة مخالفتها لذرات الأجساد، وتعرف صفاته من جهة مخالفتها لصفات الأجساد.

- فاعلم أن الروح مخالف للجسم فى **التركيب**، لأن الجسم مؤلف من أجزاء كثيرة لا تحصى، فكان أصلها الافتراق والتلاشى.
- الروح ليس بأجزاء مؤلفة بعضها إلى بعض مثل الجسد، بل هو شئ واحد غير مركب بمعنى تركيب الجسد، الذى ركب من أربعة أشياء: تراب وماء وهواء ونار.. فافهم **وحدانية الروح**، فإنه ليس شيئين ولا ثلاثة ولا أكثر، وإنما هو جوهر فرد روحانى فى غاية اللطافة، وهكذا كل روح فى نفسها فرد.
- والروح أيضاً مخالف للجسد **فى التقيد بالحدود**. لأن الجسد محدود بالجهات، إذا أقبل على جهة تنحى عن الأخرى، والروح مطلق غير مقيد بقيود الجسد المحاصرة له عن التصرف فى كل جهة، فإنه ليس جهة أولى به من جهة، وإنما قيوده الجهل والمخالفات والظلمات.
- والروح أيضاً مخالف للجسد فى **الكثافة**. لأن الجسد ثقيل كثيف والروح فى غاية البسط الروحانى واللطافة الروحانية. وإنما يثقله الأوزار الثقال، وكثافته ركونه إلى الأشياء، وشغفه باتباع الهوى، وقصوره عن المدركات.
- والروح أيضاً مخالف للجسم فى **المزاحمة**. لأن الجسم يرد بعضه بعضاً، ويزاحم بعضه بعضاً، والروح ليس كذلك، لو اجتمع مائة ألف روح، لم يزاحم بعضها بعضاً، وإنما مزاحمة الأرواح، بالعداوة والغضب وسوء الأخلاق والتناكر وغير ذلك.

● والروح مخالف أيضا للجسم فى **التمكن**. فاحتياج الجسم إلى المكان ضروري، والروح حامل للجسم ومحركه ومسكنه والقائم به، ويبطل الجسم بزوال الروح عنه، ولا يبطل الروح بزوال الجسد عنه، فبينهما بون كبير فى الاحتياج إلى المكان، فإن الجسم محتاج إلى مكان يعتمد عليه، ويستقر فيه، ولو زال عنه هو لبطل. والروح غير محتاج إلى مكان كحاجة الجسد إليه، بل هو المكان للجسد، والجسد موضوع عليه وله، وإنما مكان الروح أصل المكانة أو ضدها.

● والروح أيضا مخالف للجسد فى **الاتصال والانفصال**. لأن الجسد إذا اتصل بشئ انفصل عن موضعه، ولم يبق فيه منه شئ. والروح ليس كذلك، فليس هو متصلا بالجسد، ولا هو منفصلا عنه انفصالا لا يتركه بالكلية بانفصاله عنه، ولا داخلا فيه دخولا يحصره ويضمه كالوعاء المحتوى على الشئ، فيحجبه عن غيره، ولا خارجا عنه خروجا لا يبقى منه شيئا بالكلية فيه ولا أثرا، وإنما اتصاله الوصال بالمحبة والوصلة. فالألفة التى وقعت بينه وبين الجسد، بالمشاكلة عند النفخ، لأن كل جسد لا يقبل إلا ما شاكله من الأرواح، فالعلاقة وقعت بين الجسد والروح من هذا الباب، ولم تزل تلك تنشأ وتنمو، حتى كثر الوصال والود، فلا يزال الروح يجرى فى مرضاة الجسد، لأنه قد اتحد به من كثرة المحبة، وله يجمع ويدخر، إلى غير ذلك، مما لو ذكرته لطال به الكلام. وإذا فهمت هذا السر، انكشف لك سر الموت، وشدته ولينه فى حق قوم دون قوم، وأشرفت على، بعض دون بعض، بحر عظيم من أمر الموت، وعذاب القبر ونعيمه، وانفصاله عنه أيضا من هذا النوع.. فاستعن بالله على الفهم يعنك وإنما هو تذكير، والله الموفق والمستعان.

● واعلم أن الروح أيضا مخالف للجسد فى **الإدراك**. لأن الجسد لا يدرك الشئ إلا بالممارسة له والحس، والروح ليس كذلك، يدرك الأشياء من غير

ممارسة والقريب والبعيد عنده سواء، وإنما إدراكه المعارف والعلوم والدلائل والبراهين، وإدراك الغائب بالشاهد، إلى غير ذلك.

أعون الأشياء على معرفة الروح

واعلم أيها الناظر أن من أعون الأشياء على معرفة الروح وأقربها أن تعلم أن وجود الشئ كلما علا وارتفع، وقرب من الله، لطف جوهر ذاته، وتروحن وانبسط، ورق وصفا. وكلما بعد الموجود، كثف وأظلم وغلظ وظهرت عليه عوارض الجسم، وقيود الحدود المانعة للبسط فيه.

ومثل ذلك بالمشاهدة، وما شهد العيان لا يحتاج إلى برهان، هو أن الأرض التى نحن مخلوقون منها، لما كانت فى أسفل العالم، كانت أكثف الموجودات وأشدها ظلاماً، حتى إن الليل الأسود إنما هو ظلها. وفلك الماء لما كان فوقها فى علو الرتبة والمكان، كان أصفى منها وألطف وأبسط، فتراه يطلب الانبساط بوجوده أبداً. وفلك الهواء فوقه، فجسمه أرق لطافة وصفاء وانبساطاً. وفلك النار الذى هو فوق الهواء ألطف وأرق وأبسط منه، وهو جسم تحت جسم الفلك، والفلك فوقه بالرتبة، وهو أرق من كل ما تحته وأصفى جوهراً.. وكل فلك وسماء أقرب وأصفى من الذى تحته وأعظم لطافه. وهكذا، كلما علت جواهر الموجودات وذواتها، وقربت من الأمر، كانت ذواتها ألطف جوهراً وأكثر تروحناً.

وإذا فهمت هذا، لم يشكل عليك قول فى معرفة الروح، وبسطه ولطافته وتروحنه، فبسطه يقرب من لطافة الصورة المعلومة المتصورة فى نفس العالم بها فى ذاتك، وما هى عليه من الكثافة فى عالم الدنيا، وتجسمها فى عالم النفس والكرسى، نفسانية ألطف منها فى الجسمانية، وأغرب وجوداً وهى فى عالم الروح والعرش، روحانية ألطف منها فى النفسانية وأقرب. وهى متصورة فى العلم القديم، صورة علمية معلومة نورانية. فكلما سفل الوجود وبعد عن العلوم

كثف، وكلما قرب لطف وتروحن. على هذه الصورة خلقت الأشياء وفطرت، وتمام هذا كله وكماله فى الكثافة واللطافة، ومدى القرب أو البعد من الشريعة.

أثر الشريعة فى لطافة الروح

ومعنى الشريعة أن الله لما خلق الأشياء، وفطرها على ما فطرها عليه، شرع الشريعة، ونهج المنهاج، وأمر بالإقبال عليه، والارتقاء فى الدرجة المقربة إليه، ونهى عن البعد منه والإعراض عنه. فمن ارتقى إلى مولاه العظيم الجميل كما أمره، صفت ذاته باطناً وظاهراً من الأثقال والأوزار الثقال، على حسب ما قسم له من وعد الكبير المتعال.

والإقبال الذى ذكرناه، والارتقاء فى الدرجة المقربة، هو إقبال العبد على ذكر الله بقلبه والارتقاء فى درجة الذاكرين الله كثيراً، وهى الخفة التى أشرنا إليها، والتروحن واللطافة. وبذلك مشى القوم على الماء وطاروا فى الهواء، وخرقت لهم العوائد، ونشرت على قلوبهم الفوائد. فمن سكن ذكر الله فى قلبه، وامتزج بدمه ولحمه وعظمه، كان من الذين يسمعون الوحى والإلهام، وكان من أئمة الأنام، لأن روحه وعقله جذبا عنه النفس والجسم، إلى حضرة الله الكريم الغالب القدوس، فازداد بروح منه.

وبضد هذا الوصف من أنكس أعلاه، ومات قلبه وغفل عن ذكر الله واتبع هواه، وزينت له دنياه، وصار من حزب الشيطان، وأعرض عن حزب الله الرحمن، ومات موت الأبد.. وفى مثل هذا قال سهل بن عبد الله التسترى: "أول من مات من الخلق، موت الأبد إبليس اللعين". وبين هذين الوصفين طبقات الخلق، من القرب والبعد، والخفة الثقل، والغفلة واليقظة.

وأما وحدانية الروح ومخالفته للجسد : فإن الجسد إذا قام العرض والإدراك بجزء منه، مثل سواد العين وإدراكه، ولمس اليد وبياضه، وذوق الفم ولونه، لا يقوم هذا الإحساس بجزء آخر من الجسد، مثل بياض الظفر، الذى لا يكون فى

الوجه، فاعلم هذا جيدا أيها الناظر، فإن فيه كيفية النظر والتفكر فى خلق الأرض والسماوات.

وأما الروح ليس كالجسد فالروح إذا حل به العرض، حل بكلية ذاته وأحاط الذات إحاطة عامة غير خاصة، مثل العلم والحياة، والنور والظلمات والجهل، وغيره من الصفات الحسنى وضدها، وجميع الأعراض الحالة به، لا تقوم ببعض الروح دون بعض، وإنما ذكرنا البعض هنا مجازاً، لأن الروح ليس ببعض، خلقه الله على هذه الصورة آية له ودليلاً عليه.. وفى الحديث الصحيح عن سيد البشر ﷺ: "*الله خلق آدم على صورته*"، وفى حديث آخر: "*إن الله خلق آدم على صورة الرحمن*". ومن هذا القبيل كلف آدم بأمر عظيم، وهو الاتصاف بأوصاف سيده ومولاه، والتعبد له والتخلق بأخلاقه على قدر طاقته، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. ولهذه العلة جعله الله خليفة بدلاً من المستخلف، كما ورد فى أنفس الجواهر وأعلى الخلفاء: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ (القلم: ٤)، قيل فى التفسير على أخلاق الربوبية.. وقالت عائشة رضى الله عنها: "كان خلقه القرآن، وجوهره الصفا والنور والنفاسة والشرف والجلالة".

وأوصاف هذا الجوهر الآدمى، جعلت عليه من وجود الإله الجواد الكريم الكامل، المنزه عن القبول من شئ، وكلف الجوهر الآدمى من الأفعال وضع الأشياء مواضعها، على حسب ما يقتضيه أمر السيد العظيم.. ولذلك قال ﷺ: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ (النساء: ٨)، وقال ﷺ: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾ (الفتح: ١٠)، لأنه جعله بدلاً منه، فكأنه فى مجاز القول هو، "*كنت سمعه وبصره ويده ورجله*"، ومثل هذا كثير.. ومن فهم سر الروح، وكيفية النظر والتفكر فى خلق الأرض والسماوات، فهم حقيقة سر المحبة والمعرفة إن شاء الله.

حقيقة الروح

فأما اصل حقيقة الروح فمن الأمر.. واختلف الناس فى معرفـــة الـــروح، فقالت طائفة: "الروح لا يعلم أصلاً"، واحتجوا بقوله ﷻ: **﴿قل الروح مـــن أمـــر ربـــى﴾** (الإسراء: ٨٥). ومن أطلق هذا القول من العلماء، إنما عنى به: لا يعـــرف ولا يحـــاط بمقداره، لأن الله جعله أثراً من آثاره، وآية من آياتـــه. وأمـــا إنكـــار معرفته أصلاً من كل الوجوه، فذلك جهل عظيم ممن قاله، فإن أول درجة المعرفة بالشـــئ إثبات وجود ذلك الشئ والإقرار بأنه موجود. فإذا عـــرف الـــروح أنـــه موجود، ثبت بالضرورة بالنظرية العقلية، فقد علم وجوده، وإن كان لا يحـــاط بـــه لغرابة وجوده. وقد ورد عن النبى ﷺ: "*من عرف نفسه عـرف ربه*"، و"*أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه*"، فقد أطلق النبى ﷺ القول بمعرفته. والروح لا يقدر واحـــد على إنكاره، لظهور دلائله وآثاره.

واعلم أيها الناظر أن الله ﷻ جعل معرفته أعسر من كل المعارف، لأنه لا مثل له، فكيف يعرف من ليس له مثل، بما هو خلافه وبماله مثل، إلا بتيســـير الله تعالى وعونه وقدره وإرادته. وقد فرض الله على الخلق معرفـــة ذاتـــه وصفاتـــه وأسمائه، ومدح العارفين، وذم الجاهلين به والمنكرين له، فمعرفته سبحانه إثبـــات وجـــوده، وتقديســـه وتنزيهه على ما يليق به، ووصفه على ما هـــو عليـــه ومـــا وصف به نفسه. وأمر بالبحث والنظر والاستدلال عليه، فهو معـــروف، وإن لـــم يكيف أو يحاط به، فكذلك أكسب الروح معنى من هذه المعرفة، ليستدل به عليـــه، لأنه أقرب الموجودات إليه.

وأما من احتج بالآية بقوله: **﴿قل الروح من أمر ربـــى﴾** (الإســـراء: ٨٥)، على أنه لا يعلم، فإن الحجة عليه. فإن الجواب بقوله **﴿قل الروح من أمر ربـــى﴾** على حسب السؤال عن الروح فى قولهم "ما الروح؟".

وذلك أن المطالب العلمية المسئول بها عن المعلومات أربعة وهى: هـــل، وما، وكيف ولم.

- فأما **هل** فيســأل بها عن حقيقة الشئ ووجوده، هل هو موجود أو معدوم ؟ فيقال نعم أو لا. وسؤالهم عن الروح، لم يكن من هذا المطلب، لأنهم كانوا مقرين بوجوده، وعارفين بأنه موجود.
- وأما المطـــلب الثانـــى الذى هو **ما** فهو بحـــث عـــن جوهريـــة الشـــئ وطبيعته، ومم هو، ومن أى جنس هو، وقد تجعل -أى بدلاً من- كيف فى السؤال لأنها بدل منها، وهما بمعنى واحد.
- وأمـــا المطلب الثالث الذى هو **كيـف** فهو بحـــث عـــن أحـــوال الشـــئ وخواصه ولواحقه، اللازمة له صفات وحال منها هو.
- وأمـــا المطلب الرابـــع الذى هو **لم** فإنه بحـــث عن غايـــة علـــة الشـــئ التمامية له، الموجبة لكونه، عما هو عليه، أى لم كان هكذا، ولم يكن على كذا.

وكذا سؤالهم فى الآية عن الروح، إنما كان من طلب ما أى ما هو الـــروح ومن أى شئ هو ؟ فلذلك كان الجواب عن حقيقة السؤال، ومم يدل عليه من الآيـــة حرف الجر فى قوله ﴿**من أمر ربى**﴾.

مصداقاً لذلك ما ثبت فى الصحيح من الحـــديث عن عبد الله بن مسعـــــود قال: بينما أنا أمشى مع الرسول الله ﷺ فى المدينة، وهو يتوكأ على عصاه، فمـــرّ بنفر من اليهـــود، فقال بعضهم لبعض: "اسألوه عن الروح"، فقال رجل: "منهم يـــا أبا القاسم ما الروح؟" فسكت. فقلت إنه يوحى إليـــه. فلمـــا تجلـــى عنـــه قـــال : ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى**﴾ (الإســـراء: ٨٥). فقـــد تبيـــن أن سؤالهم إنما كان بـــ"ما" فأجابهم بـــ"من" فى قوله: ﴿**الروح من أمر ربى**﴾، ولـــم يسألوه عن وجوده فيقول "نعم"، وما سألوه عن أحواله بـــ"كيف"، ولا عن صفاته، أيحاط به أم لا؟ أهو كالأجسام؟ أهو كصفة كذا؟ ولو كان لأجابهم بأنه على صفـــة

كذا وكذا كما أجاب عن ربه حين سئل عنه فنزلت ﴿**قل هو الله أحد**﴾، ولو كـــان سؤالهم أيضا عن علة كونه بـــ"لم"، فلم كان على ما هو عليه؟ دون أن يكون على غيرها؟ لأجابهم بأنه كان على حالة كذا وكذا لأجل كذا وكذا، وحرف الجـــر يـــدل على ذلك.

أقوال العلماء في الروح

تعددت أقوال العلماء عن الروح. ونسجل هنا بعضا من تلك الأقوال.

• قالت طائفة: "إن الروح هو الدم". وتسمية الروح دما مجازاً وإنما الـــدم سبب الحياة في بعض الحيوان، ومن الحيوان ما ليس له دم ويوصـــــف بـــالروح، والملائكة والروحانيون لا دم لهم.

• وقالت طائفة أخرى: "الروح هو النفس الداخل والخارج". وهـــو أيضـــا مجـــاز، وإنما أطلقوه لما رأوه لا يستغنى عنه، وإنما النفس أسباب مـــــن أســـباب الحياة، وقد يوجد من الحيوان ما لا يتنفس، وإذا تنفس مات كالحوت، وما أشبهه.

• وقالت طائفة أخرى: "الروح هو الحياة". وهذا القول أيضا إنمـــا ذكـــر صفة من صفات الروح، لا ذاته، لأن الحياة عرض من الأعراض، وقد صح وثبت أن الأرواح تقبض وتتوفى، وتموت وتعذب وتنعم، وهذه صفة الجواهر والـــذوات، لا صفات الأعراض.

• وقالت طائفة بزعمها: "الروح جسم لطيف". وهذا القول أقرب الأقـــوال إلى الحق، لأن وصفهم له اللطافة، يدل على أنه ليس كالأجسام الكثيفة.

• وقالت طائفة: "إن الأرواح لطائف مودعة في الأشباح". وهـــذا القـــول شارك الذى قبله في اللطافة، وهو قول حسن.

• وقالت طائفة أخرى: "إن الروح جوهر روحاني منبسط". وهذا القـــول أقرب من القولين اللذين قبله، وهو أعدل الأقوال، لأنه قال فيه جوهـــر روحـــاني منبسط، من جوهرية ذاته روحانية منبسطة. والروحاني في اللغة التي نـــزل بـــها

القـرآن بلسانها من خلقه الله روحا بلا جسد، يقال روح الرجل روحـا، بتسـمية الروح من الأجسام وانفرادها.

● وقالت طائفة: "الأرواح نور من نور الله تعالى، وحياة من حياته". وهذا قول صواب حسـن، أراد به قائله أنه نور من أنواره المحدثة عن معنـى اسـمه النور القديم، وحياة محدثة، عن معنى حياته القديمة وهو مثـل قـول ذو النـون المصرى: "الروح شعاع الحقيقة على إضافة الملك".

● وقالت طائفة: "روح القدس من ذات الله". وهذا القول أيضاً عن إضافـة الملك، إلى ذات روح القدس المحدثة من معانى ذات القدوس القديمة.

● وقالت طائفة: "الروح أمر من أمر الله، غير مخلوق". وإنما أراد بـهذا القول قائله روح الوحى والقرآن. وهو أولى باسم الروح لأن بـه حييـت الأرواح والوجود كله، قال ﷻ: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا**﴾ (الشورى: ٥٢).

● وقالت طائفة: "الأمر هو الروح، والروح هو الأمر، وهو على ضربين قديم ومحدث. فالقديم كلام الله وصفاته، والمحدث أرواح الموجودات التى حدثـت عن معـنى أمـره وروح الوحى القديم، كما أوجد عـلى معنى اسـمه "العليـم" العلوم كلها، وعن معنى اسمه "المؤمن" إيمان العالمين أجمعيـن، وكذلـك جميـع الأسماء والصفات". وهذا أصل عظيم يزيل الإشكال كله.

الروح القديم والروح المخلوق

وأما من اعتقد فى صفات الخلق وأرواحهم أنها غير مخلوقة، فقـد ضـل ضلالا بعيداً، وهو من أهل الجهل. قال الله ﷻ: ﴿**إنما المسيح عيسى بن مريـم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريـم وروح منـه**﴾ (النسـاء: ١٧١)، وقـال فيـه: ﴿**ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً**﴾ (مريم: ٢١)، فهو أمر مـن أمر الله، وروح منه، كما قال: ﴿**قل الروح من أمر ربى**﴾ (الإسراء: ٨٥).

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾ (آل عمران: ٥٩). فمن أطلق من العلماء الموثق بهم على الروح، أنه ليس بمخلوق، فإنما أراد القديم، وأمر الله، وروح الوجود بالحقيقة وحياته. ومن أطلق عليه أنه مخلوق، فإنما أراد أرواح الموجودات، وجواهر ذواتهم الباطنة. وكذلك من أطلق منهم على الإيمان أنه ليس بمخلوق، إنما يعنى صفة المؤمن العلى العظيم، جل جلاله، وإيمانه الذى يصدق به نفسه وأفعاله. ومن أطلق على الإيمان الخلق، فإنما يعنى به إيمان الخليقة المدخول فى البواطن والقلوب، والدخول حلول الشئ، وصفة الجليل جل جلاله لا تحل أبداً بشئ.. ومن أجل جهل النصارى وأهل الملل بهذه المعانى وقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال.

وأما الأرواح كلها مخلوقات، أمر من أمر الله، بأن الله منها وبانت منه وهى غير متناسلة ولا متناسخة، ولا تخرج من جسم وتبعث فى غيره تذوق الموت وتنعم بنعيم البدن، وتعذب بعذابه. هذا هو الشرع الذى جاء به الكتاب، ونطقت به الرسل، وما سواه باطل، فالروح أمر من أمر الله كما قال ﷻ: ﴿إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ (النحل: ٤٠)، الأمر هو أيضاً كن عن الإرادة، والقول القائم بالنفس كما قال أن كن على صورة ما أردنا منك أن تكون بلا تأخر، فالروح أراد منه أن يكون على هذه الصورة، فهو كلمة الله تعالى: ﴿وكلمة ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ (النساء: ١٧١).

وإذا فهمت سر الروح وماهية خلقته، أشرفت على سر القدر، القائم بجميع الخلائق، كائناً ما كان. وكيف ينفخ الروح فى المخلوقات، عند استعدادها لقبول الأرواح، بالسعادة أو بالشقاء وما بين ذلك، وأجله ورزقه وصناعته، وجميع ما يكون، من كل ما يمشى على بطنه أو على رجلين أو على أربع، أو ملك أو شيطان، أو من وصف بصفة. كل قد قبل من وجود الله ما يليق به، ولا يجوز أن يقبل أكثر من الذى قبل، لأن ذلك فى حقه هو الكمال، وإن كان أنقص من غيره، لأنه يقوم فى مقامه قياماً، و لايقوم فيه غيره، ممن هو فوقه أو دونه، لتكمل

حكمة الله فى خلقة، والله أحسن كل شئ خلقه. وإذا فهمت سر الروح، أشرفت على معنى قول رسول الله ﷺ: "*من عرف نفسه عرف ربه*"، فقد قال تعالى: ﴿**وفى أنفسكم أفلا تبصرون**﴾ (الذاريات: ١)، فهمنا الله وإياك أيها الناظر الفهم المقرب منه، الموصل إليه.

وتدبر قول الله ﷻ: ﴿**فإذا سويته ونفخت فيه من روحى**﴾ (الحجر: ٢٩)، وقال: ﴿**ثم سواه ونفخ فيه من روحه**﴾ (السجدة: ٩)، فبعد التسوية كان النفخ، وذلك عند اعتدال الجسد واستوائه، تجلت إليه صورة الروح المنفوخ فيه، كما يتجلى شعاع الشمس، من وجود الشمس، على جميع العالم، فتستنير بها ظواهر وجود العالم كله، أعنى العالم الظاهر، وتنتشر الحركة فى جميعه، بتجلى شعاع الشمس فيه، أعنى العالم. فلو قدرت أن تكون الأرض كلها مصقولة فى صفاء المرآة، لظهرت صورة الشمس فى جميع الأرض، كما تظهر فى المرآة، وكما تظهر فى جميع وجود البحر والماء أينما كان، لأنه أصفى من الأرض وجودا وأشد صقالا. وهكذا لو قدرت جميع أجزاء الموجودات فى غاية الصفاء والصقل، لتجلت أشعة الشمس فى كل جزء منها صورة كاملة. ومن هذا المعنى ظهرت جميع الأشياء الظاهرة للأبصار، فالذى يرى على وجود الأشياء، وهو نور الشمس المتجلى منها.

واعلم أنه ليس لهذا الشعاع المذكور، المتجلى على وجود الأشياء، وجود بل أصل وجوده مستمد من وجود الشمس على الدوام، ومع كل نفس وطرفة، وفيوضات التجلى دائمة مستمدة بدوام وجود الشمس.. ومما يدلك عليه أن تفهم أن تجلى الشعاع المذكور ليس هو بمعنى انفصال النور من نور الشمس، كانفصال جزء من جزء، حتى إنه يقال زال من قرص الشمس جزء من نورها، ثم تجلى فى هذا العالم، ليس الأمر كذلك إنما هو بمعنى أنه حدث عن طلوع الشمس فى هذا العالم، ذلك الشعاع المذكور، وقرص الشمس لم يتغير عن حاله، ولم ينفصل منه شئ وإنما وجود الشمس سبب لحدوث الشعاع مع الدوام،

والشعاع مناسب للقوى التى فى قرص الشمس نسبة نورانية، لكنـــه ليـــس مثلـــه، والشعاع ينظر إليه ويبين صورته على الوجود، ووجود الشمس لا يقـــدر أحـــد أن يتبينه، إلا الخطرة واللمحة مع بعدها عن الأبصـــار، وامـــتزاج العـــالم بظلمـــات الأجسام. فتعلق الروح بالأجساد، كتعلق الشعاع بالوجود.

الروح شعاع الحقيقة

قال ذو النون المصرى، وأبن عطاء وغيرهما، من العارفين بالله: الـــروح شعاع الحقيقة، فبالروح استنار الجسد، وظهرت فيه الحياة والحركة، والشعاع قـــد ملأ وجود العالم كله، ووجود الروح أغرب من وجود الشعاع، لكن فى الأمثلة تنبيه للعقول المخصوصة بالمعرفة الكاملة. والروح بينه وبين فاطره مناسبة مـــن جهـــة النورانية المذكورة فليس له حياة إلا بتجلى الحق سبحانه على الدوام.

واعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- أن الله ﷻ متجل ظاهر أبـــداً، لا يوصف بالغيب والأفول، تعالى الله عن ذلك وإنما الأشياء هـــي التـــي حجبـــت، وحجـــب بعضها بعضاً بالغفلات والظلمات. ولو قدرت غيوب الشمس، ولم يكـــن لها ظهور بشعـــاعها على الموجودات والكواكب والأفلاك، لطمست الأشياء ولـــم يظهر وجـــودها، كذلك لو قدرت غيبة الله تعالى، لم يظهر شـــئ دونـــه ولا كـــان للأشياء وجود البتة.

فبالحقيقة ليس الظاهر على الأشياء إلا نور الشمس، الذى هو الشعاع ولولا وجود قرص الشمس لم يكن للشعاع وجود.

وبالحقيقة إنما ظهرت الأشياء بظهور الشمس، فـــالشمس هـــي الظـــاهرة المرئية.

وكذلك فالحقيقة ليس الظاهر إلا الله وحده، هو الظاهر والباطن، وهو بكـــل شئ محيط، وبكل شئ عليم، وهو الأول والآخر. "ألا كل شئ ما خلا الله باطل"..

والشمس فى نفسها واحدة، والأشعة المتجلية متعددة بتعـــدد ذرات العـــالم وجواهره، القابلة لشعاع الشمس. يتجلى فى كل ذرة شمس وفى كل مرآة شمـــس، وفى كل موضع شمس، وفى كل محل من البحر شمس، وفى كـــل موضـــع مـــن الأرض شمس، وفى الهواء شمس.. فلو كانت جواهر الأكوان كلها صافية، كالهواء والبحر، لظهرت فى كل ذرة منها شمس، كما تظهر الصور فى المـــرآة. وكذلـــك تتجلى الأرواح من أمر موجدها فى ذوات كل ذى روح، من جميع الخلق، صورة كاملة، وذواتا روحانية مصورة، ولذلك كان الروح ألطـــف الموجـــودات وأقربـــها وجوداً لقربه من الأمر.

فافهم أيها الناظر ما ذكرنا لك، وتفهم فيما أشرنا به إليك، واعلم أنه لمـــا كان الـــروح بهذه الصـــورة، وتعلق بالجسد، فمن أراد الله به خيراً، أبقـــاه علـــى حالة الصفاء النورية وزاده صفاء، واشتاق إلى منبعه، وتعلق قلبه بـــالوطن الـــذى وجد منه، فيصير يطلب الخروج من هذا العالم الجسمانى، فـــإن أصابتـــه أوســـاخ

الكدورات والمخالفات،تطهر بالتوبة، وأكد فى التطهير والتخليص والتصفية، لعلـــه يلحق بالمحل الأعــلى، لأنه فى هذا العالم الجسمانى غريب عن وطنه. فلما لم يكن له بد من تعلقه بالبدن لتكمل له العبودية الروحانية، والعبادة الجسمانية، صار الجسم له أخاً قريباً وصاحباً، فاحتال الروح عليه، أو على حاجة الجسد إلى وطنه ومعدنه، بالعلوم الروحـــانية والطاعة الرضوانية. فمن أعانه التوفيق يصل بعون الله، إلـــى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وصلى الله على ســـيدنا محمد الذى لا نبى بعده.

الفصل الثانى
فى كيفية النظر والتفكر
فى صورة الإنسان وما احتوت عليه من
العجائب البديعة والغرائب الباهرة

صورة الإنسان والحكمة العظمى

اعلم أيها الناظر -أنار الله بصيرتك- أن صورة الإنســـان هـــى الحكمـــة العظمى، والحكمة شريفة جدا، وطلبها فريضة وفضيلة. والحكمة مراتب، فبعضها أسلم لبعض، والإنسان الكامل هو المحيط بثمار الحكمة. فيجب على الإنســـان أن يعلـــم ويدرى حكمة وجوده، ومن نقص عن هذه الرتبة لا يعد إنســـانا، وإن كـــان إنسانا من جهة الصورة، إذ هو لا يدرى أنه نسخة الكون، وجامع معانيـــه، وهـــو عالم صغير نظير العالم الكبير.

إذ حقيقة الإنسان أنه جرم تام، ذو نفس ناطقة وحيوانية ونباتية ومعادنيـــة، تفرد بالأربعة دون سائر الحيوانات. ومعنى الناطقـــة : الممـــيزة التـــى تكتســـب الصناعة، وتحضـــر الغائبة بالفكر، وتتصور مالم تشاهد وتحضـــر الموجـــودات

والبلدان الغائبة. وبهذه النفس تشرف الإنسان على سائر المخلوقــات، وارتبطــت المسموعات فى قواه وذاته،وبها ويرى فى نومه مالم يره فى يومه.

والإنسان هو العالم الأصغر المحصور فى الأكبر، معانى الأشياء موجودة بأجمعها فيه، فهو مشــارك لجميــع الحيوانــات فــى المــأكولات والمشروبــات والمنكوحات وغيــر ذلك. وهو المخالف لهم بالعلوم والحيل والمفاخر.. وهــو ذو ست جهات وست حركات، يجرى عظم صلبة مع فخذيه على خط مستقيم، متماسك الأصابع والكف، مستدير الرأس، ذو أظافر. هو قابل للعلــوم والكتابــة، مســتنبط للصناعة. يحكــى الحيوانات ولا تحاكيه. ضحاك بكاء، فيه قوة إلهيــة وســيادية، وفى باطنه نور، وجسمه سجنه. مستقيم التخطيط، مميز لما يضره وما ينفعه، يفعل بقصد وإرادة ويهتم بالقصد، فيمتنع امتناعا قهريا فكريا. ويستنبط الصنايع العجيبــة العديدة والكلمات الدقيقة، ويحفظ صور العلوم، وينبئ عن كل محسوس.

قد جعله الله خازن حكمته وعلومه، ومعبر عن نفسه وعن جميع مخلوقاته، وقابل وحيه وإلهامه، وواعى معارفه وأسراره. وهو نتيجة العالم الأكــبر الجــامع لمعانيه فى خلقته وتركيبه والمخلوقــات أشتاتــا. وهــو يجمعــهم ولا يجمعونــه، ويسخرهم ولا يسخرونه. يحكى أصواتهم ويمثل صورهم بيده، ويصفــها بلســانه، وينبئ عن طبايعها.

وهو صاحب الجسم الكثيف، والروح اللطيف. فبعضــه كثيــف، وبعضــه لطيف، وبعضه لطيف حى، وبعضه كثيف ميت. نصفه حركة ونصفــه ســكون. نصفه ليل، ونصفه نهار، نصفه ظلام ظاهر، ونصفه نور باطن، نصفه محســوس ونصفه معقول، نصفه حامل،ونصفه محمول. يستحى من القبيح، ويحتمل ما يريد، ويستحسن المليح، ويفعل ما يشاء ويندم. فهو مركب من لطيف الجوهر وغليظــه، ولذلــك صار معتدلا بالحركة، التى هى روح الحياة، فيعرف حرارة النار بما فيــه من البرودة، ويعرف برودة الماء بما فيه من حرارة، وكذلك سائر الاشتقاقات.

مشابهة الإنسان للفلك

إن رأسه تشابه كرة الفلك واستدارته، وكذلك اجتماع اللطائف فيه والأنوار، من بصر وسمع وشم وذوق ونطق وفهم:

فعيناه كالنيرين "الشمس والقمر"، ومنخراه كالريحين، وأذنـــاه كـــالمشرق والمغرب، وقدامه كالنهار وخلفه كالليل، ومشيه كسير النجـــوم الســيارة وقعــوده كوقوفها، وقهقرته كرجوعها، وموته كاحتراقـــها. وأعضـــاؤه البواطــن الســبعة، كالكواكب السبعة السيارة. وفى رأسه سبعة عظام عدد الأيام السبعة. وفى ظـــهره أربعـــة وعشرون فقرة، بعدد سوايع الليل والنهار. وفيه ثمانية وعشرون مفصـــلا بعدد منازل القمر وحروف الهجاء. وفى بطنه من الأمعاء اثنا عشـــر بعـــدد أيـــام الأهـــلة. وفيه ثلاثمائة وستون عرقا ضوارب، ومثلها سواكن، بعـــدد أيـــام العـــام ولياليه، وبعدد درج الفلك.

وفيه من الطبايع أربعة بعدد فصول السنة. وعيناه حواس القوة العاقلة التى هـــى كالملك. وأذناه أصحاب أخباره. ولسانه ترجمانه. والقلـــب ديـــوان علومـــه، والمعدة بيت ماله. وكبده قسمته. والمرارة صبره، وطحاله جسده حتـــى لا ينتـــن لحمه، وفيـــها دواؤه. والرئة مراوح قلبه. واليدان حجابه وصناعــــه. والرجـــلان مركوبه. لحم جسده كالتراب، وعظامه كالجنـــادل، وشعـــره كالنبـــات، وعروقـــه كالأودية، وأعضاؤه الباطنة كالمعادن. وجسمه مركب من تسعة جواهر، مبنية على تسعة دوايـــر، مركب بعضها فى جوف بعض كالأفلاك. والفلك المحيط بها حاملها جميعها وهى : المخ والعظـــم والمفاصل والأعصاب والعروق،والدم الـــذى فـــى جوف العروق، واللحم والجلد والشعر والأظافر:

- فالمخ حوت العظام، وفعله حفظ القوة وتليين يبس العظام.
- وفعل العظام إمساك اللحم وثباته عليها.
- وفعل المفصل والعصب رباط المفاصل وتحريك الأعضاء.

- وفعل اللحم سد خلال الجملة ومساواة البدن.
- وفعل العروق جمع الدم فيها وسريانه إلى أطراف الجسم.
- وفعل الدم إمساك الحرارة، وضبط الحياة،وتعديل المزاج، وتوليد الحركة.
- وفعل الجلد الإحاطة بجميع الجسم وما فيه، كالستور.
- وفعل الظفر والشعر ضبط الأطراف وإمساكها.

وفى بنية الإنسان اثنى عشر ثقبا، مماثلة للاثنى عشر برجا من أبراج الفلك. ولما كانت الأبراج منها ستة جنوبية، ومنها ستة شمالية.. كذلك فى الإنسان ست ثقوب فى الجانب الأيمن وست ثقوب فى الجانب الأيسر، مماثلة لها فى الطبيعة والكمية والكيفية جميعها.

ولما كانت فى الفلك سبعة كواكب سيارة، يجرى بها أحكام الفلك وأحكام الكائنات، وبها يكون نظام الموجودات.. كذلك فى جسم الإنسان سبع قوات فعالة، منبعثة من النفس الإنسانية، بها يكون صلاح الجسد أو فساده. ولما كانت لهذه الكواكب نفوس وأجسام وأفعال روحانية تفعل فيما يظهر من الموجودات ومن الحيوان والمعادن والنبات.. كذلك وجد فى الإنسان سبع قوات جسمانية، تفعل فى الجسم ما يكون به بقاؤه وصلاحه، بعد سبع قوات أخرى نفسانية وهى: الماسكة والجاذبة والهاضمة والدافعة والقوية والنامية والمصورة، وسبع قوات روحانية مماثلة لروحانية الكواكب السبعة، وهى القوى السبعة المذكورة، والجسمانية وبها كمال الإنسان وزينة أفعاله، كما أن الكواكب السبعة زينة الفلك وقوامه واستواء العالم ونظامه، وهى: القوة الباصرة والسامية والذائقة واللامسة والناطقة والعاقلة. منها قوات خمس تشبه الكواكب الخمس الخنس، وقوتان تشبهان الشمس والقمر، وهى القوة الناطقة والعاقلة. وكما أن القمر يأخذ نوره من الشمس فى منازله الثمانية والعشرين.. كذلك القوة الناطقة التى هى القمر، تأخذ معانى الموجودات من القوة العاقلة، فتميزها بثمانية وعشرين حرفا.

ولما كانت فى الفلك عقدتان وهما: الرأس والذنب، وهما خافيتا الذات ظاهرتا الأفعال والتكاثرات.. كذلك فى جسم الإنسان قوتان متجانستان وهما سوء المزاج وصلاحه. وكذلك النفس إذا تعقلت بمصالحها، صحت أفعالها وتخلصت من كدورات الطبيعة واهتدت، وإذا مالت إلى الطبيعة اضطربت أفعالها، وبعدت عن معانيها. وكما يكون انكساف الشمس والقمر بعقدة الذنب، كذلك يكون من سوء المزاج مايكون من الأمور الصعبة، ويظهر من الهلاك مايظهر. وبصلاح المزاج يكون صلاح القوة العاقلة والناطقة، وهذا يؤدى إلى إن يسلم بقية الجسد من المجرى الطبيعى وتصفو النفس من كدر الطبيعة، ويشرف عليها العقل ويضيئها.

ولما كانت الشمس والقمر هما سراجا الفلك.. كذلك وجد فى الجسم العينان، وهما سراجان وبهما تدرك النفس صور الموجودات والألوان المزينة بمادة إشراق ضوء الشمس والقمر، وكذلك سائر الحيوان.

ولما كان فى دابر الفلك ووجوهه، حدود ووجوه.. كذلك يوجد فى جسد الإنسان مفاصل وأعضاء فى البدن، وعروق مختلفة الأوصاف.

وكما أنه يثبت فى قوى نفس الفلك والكواكب والبروج الاثنى عشر روحانية لها أفعال يختص بها كل كوكب وكل برج، وأنها تنحط إلى هذا العالم الدنياوى مع كل لحظة، وفى كل ساعة ودقيقة، وكل حركة من حركات الزمان.. كذلك لنفس الإنسان فى جسده ومفاصله أعمال وأفعال تظهر منها وتبرز عنها، مع كل لحظة من لحظاته، وكل حركة من حركاته، وكل نفس من أنفاسه، وهو كذلك مادام موجودا بذاته إلى وقت مفارقة روحه جسده، وتلك الروح الكلية متصلة بالأرواح الجزئية، لكونها من تلك المادات المقدرة، والحكمة المدبرة.. صنع الله الذى أتقن كل شئ صنعاً.

الإنسان الكلى والإنسان الجزئى

من عجائب الإنسان انه مدنى بالطبع، يسوس نفسه وأهل بيته وعياله و أهل مملكته. والكلمة ترضيه حتى ينزل عن ملكه، ويجود بكل ما فى يده والكلمة أيضا تسخطه حتى يقاتل صديقه، ويركب الأخطار، ولا يعقل ما يفعله.

ومن عجايبه أنه يلبس الثياب النقية الرفيعة، ويتبختر بها، وأن لبس الأثواب الدنية ينحسر منها. وهو الغائص فى الهواء، والملازم للأرض.

ومن عجايبه أنه يتمرض ويمرض، ويتداوى بتناول الأدوية والعقاقير ليعدل مزاجه ويصلح نفسه. ويظهر المصادقة، وإن كانت فى باطنه العداوة، ويظهر العداوة،وإن كانت فى باطنه المحبة والمصادقة.

تلك بعض صفات الإنسان مجزئة لا بكليته، لأنه إنما صار **إنسانا جزئيا** بما يلحقه من الأعراض والتغيرات، ولذلك يفنى. وأما **الإنسان الكلى** المعقول، فهو باقى عند أصل النظر والتنوير، سواء عقله هذا الجزء أم جهله وكذلك الاستقصات الذى يفنى ويبطل، فبجزئه لا بكله.

ومن تلك الاستقصات: الماء الحسى، فإنه إذا تغير يصير نارا ثم يتغير بعارض إلى هواء، ثم يفسد العارض ويرجع إلى حاله الطبيعى.. فيفسد بعرض ويبقى بطبع، كحال الحجر المكرم عند أهل علم النار، وغيره من التدبير.

كذلك الإنسان الجزئى، يبطل بانحلاله ويرجع الى أصله وكله. ولذلك صار الكلى موجوداً بالعقل والنظر لا بالحس، فالمعقول فيه واحد لايتبدل ولا يتغير فى ذاته، وأن التبدل والتغير اللاحق به، ليجرى نحو الكمال الحسى. وإنما أمثل لك مثالا فى فهم هذا المعنى، فإنه غريب، وذلك لأن الاستقصات الأربع إنما صار كل واحد منهم استقصاتا، لترتيب كل واحد منهم فى مكانه، وأما ما يلحقهم من الأعراض الداخلة عليهم فى أبوابهم، التى تحطهم من هذه الرتبة كالماء إنما صارت

له هذه الطبيعـــة الباردة الرطبة فى المكان، من اللواحق التى تلحقهم فـــى ترتيــب الكون، وأما وجودهم السابق لاستقصاتهم فإنه باقى فى كله.

وهذه الكلية موجودة فى ذاتها، سواء عقلها الإنسان ووجدها أو ما لم يعقلها ولم يجــدها.. فإن تعقلها وإيجادها بحكم التخصيص والتنويــر الإلــهى: **﴿يؤتــى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً﴾** (البقرة :٢٦٩)، **﴿ومــا يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾** (فصلــت: ٣٥). وذو الحــظ العظيم هو الإنسان الكلى "الفانى بجزئه الباقى بكله".. ومن هــذا القبيــل قيــل أن خواص خلق الله من بنى آدم، كالأنبياء والأولياء إنما عدمت إنســانيتهم الجزئيــة، وأما الكلية باقية ما دامت الدنيا فى أماكنها إلى أن يقع الانتظام التالى، والـــتركيب الأخروى، فيبعثون ويحشرون كما جاء فى الكتاب والسنة.

واعلم أيها الناظر أن تعلق الإرادة والمشيئة الإنسانية بـــالإرادة والمشيئـــة الأولى، يتبين ذلك للإنسان الجزئى. وكذلك أن هذا الإنسان وإن لــم تنفــذ إرادتــه ومشــيئته فى جميع أحواله وتصرفه فإنها تنفذ فى البعض، ولا يتبين هو نفوذهـــا فى الكل، إلا أن يكون ممن له درجة فى العلوم والألوهية المنورة للبصائر، فإنـــه يتبين له ذلك.

واعلم أيها الناظر أنه لو أمكن للإنسان الجزئى وجود النار علـــى مثالــها معراة من الأعراض والأحوال، وسائر ما يلحقها عند مشاركتها لأخوتها لوجدهـــا غير محرقة. وكذلك أن هذا فعلها الجزئى المشترك مع الأعراض اللاحقة لها فـــى غير مكانها. ألا ترى إذا فرقت الجسم والحطب أنها ترجع إلى عنصرها ومكانـــها فــوق الهواء؟ وأما فعلها المبسط الكلى فهو أعلى من الوصف، أو أن يدرك بعقــل أو ينطق بها لسان، لأنها قـــوة فائقـــة عظيمـــة، وهـــى فــوق البســيط، وفــوق الكيفية..وكذلك سائر الاستقصات الأربعة.

والإنسان الكلى يجرى فى هذا المجرى.. وهذا الإنسان هو الذى أخذ العهد عليه فى الأزل وعليه يدور الإنسان الجزئى المركــب، وأن اختلاطـــه وامتزاجـــه

بســائر الأشياء اللاحقة به، من طريق العرض فى الأحوال والمواضـــع المختلفــة التى لا ينفــك عنها، وهى التى غيرت صورته وبدلتـــه وشركــت بينـــه وبيــن الحيوانات والنبات والمعادن والاستقصات. وكذلك صار فيه شبهها، وشبـــه جميــع الموجودات، حتى شبه الجنة والنار.. فشبه الجنة فيه: وجهه فيه نعم بلا تفل كالجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة،وهى نعمة البصر والسمع والشم والذوق، وغير ذلك ممـــا هو مفهوم عند ذوى البصائر.. وأما شبه جهنم فيه فهو: معدته السفلى، ففيها النتــن والظلام والحر المفرط والهوام، وغير ذلك مما هو مفهوم عند أرباب البصائر.

كيف يتحقق كمال الإنسان؟

اعلم أيها الناظر أنه متى عرف هذا القدر فى الإنسان، وأن ذاته فيها شبـــه الموجـــودات كلها ومعانيها، وأنه عالم صغير محصور فى عـــالم كبـــير، وســـلك العارف بذلك سبيل التدبير الذى يقـــوده إلـــى القـــرار الأول الـــذى هـــو مكانـــه المخصوص، به الجوهرى الذى هو مبدأه.. كان أكمل إنسانية من غـــيره بمقـــدار تخلصـــه من الآلام البشرية، وارتقى إلى مبدأه.. وذلـــك كلـــه يـــدرك باســـتعمال الفرائض والفضائل بحسب طاقته.

واعلم أن هذا الإنسان الجزئى، الحسى الجسمانى الجرمى الغليظ، المركب من جســـد ونفس وعقل وروح، هو الصورة المشتركة الفانية،التى هى فـــى هـــذا العالم الأسفل وهى صنم وقشر لذلك الإنسان الكلى، العقلـــى الروحـــانى الشريـــف اللطيف البسيط الهيولانى، وهى الصورة المحضة التى فى ذلـــك العـــالم الأعلـــى، وصورة الإنسان الكلى فى صورة الإنسان الجزئى هو تبسيط لها.

والإنسان على الحقيقة الذى عليه مدار كلامنا،هو الصورة المركبة النفسانية المستعملة من الأجزاء الأربعة.. فمن أراد أن يعلم ما ذكرناه على الحقيقة، فليكـــن عاقلا، نقى البال والجسم من الأدناس، فإن ذلك يجعله يشاهد ما ذكرنـــــاه مشـــاهدة حقيقية.

الإنسان جامع للموجودات

اعلم أيها الناظر أنى لم أخرج بهذا الكلام عن غرضنا، إذ هو القاعدة لعلم السيميا وعلم الكيميا، لأن الإنسان وعاء يحمل كل شئ ويظهر فيه آثار ما حمل بما يظهر على بشرته.. ومثال ذلك : العوامل الخمسة التى تعمل فى الإنسان وكل عامل منها له سحنته التى تدل عليه، إذا كان غالبا فى الإنسان.

- فأولهم **طبع النار**، وما يعمل فى الإنسان إذا غلب فيه، تكون فى بدنه سمنة لا تخفى، وهى أن الذات تكون مصغرة ممصوصة، وعروقها غلاظ شداد واسعة ضاربة، ولحمها جاف، ومزاجها فيه جفاف.
- وأما **طبع الماء**، إذا غلب فى ذات الإنسان، تكون سحنته ناعمة سمينة شديدة البيان، وعروقها رقاق ضيقة، لا يظهرون فى وسط اللحم.
- وأما **طبع التراب**، إذا غلب فى ذات الإنسان، تكون ذاته نحيفة ومعها خضورة، وعروقها ضعيفة الضرب، ثقيلة الحركة، ناشفة.
- وأما **طبع الاعتدال**، إذا كان فى ذات الإنسان، تكون ذاته متوسطة بين جميع ما ذكرنا.

فاعلم ذلك، وتفهم فيما ألقينا إليك تفز بالفراسة القصوى. واعلم أن الإنسان جامع للموجودات، وأثرها ومعانيها موجودة فيه بأكملها. وفيه أصول أعضاء الجسد، وهى أربعة، وهى التى تمد سائر أجزائه، وهى: الدماغ (يعنى مخ الرأس)، والقلب، والكبد، والمعدة. اثنان من هذه الأعضاء علويان واثنان سفليان، فالعلويان الدماغ والقلب، والسفليان الكبد والمعدة. وكل واحد من هذه الأربعة له مداده:

- فالدماغ يمد العصب، ويحفظ نار القلب ألا تلتهب، ويمد حركات المفاصل ويقويها على ذلك، ويمد الأنثيين التى هى دالات التناسل.

- والقلب يمد الجميع بالحياة. ويمد الجسم بما تبقى به الحياة، وإذا صلح القلب، صلح جميع الجسد، وإذا فسد، فسد جميع الجسد.
- والكبد يمد الجسم بما يحتاجه من الحرارة الغريزية.
- وأما المعدة فهى أساس الجملة، ومسكن القوة الدافعة، التى تدفع للجسد ما فيه صلاحه من الأطعمة والأشربة، وتدفع عنه ما فيه خبثه وفساده وضرره، من الأطعمة والأشربة.

فافهم ذلك، وهذا كله صنع الله الذى أتقن كل شئ، ومحل النظر والتفكر فى خلق الأرض والسماوات.

عمر الإنسان وفصول السنة

اعلم -أنار الله بصيرتك- أن الإنسان من حيث هو، قد قسم الله بحكمته وبديع صنعه، مدة عمره على أربعة مسافات:

- المسافة **الأولى** يسمى فيها الإنسان **صبيا**. وهى من يوم خروجه من بطن أمه إلى احتلامه، وخروج الشعر الأول فى وجهه.
- المسافة **الثانية** يسمى فيها **شاب**، وهى من احتلامه إلى وقت ظهور الشيب فى لحيته.. وفى هذه المسافة يبلغ أشده -يعنى عقله. وأما عند احتلامه يتكلف، ويعرض عليه مافرض الله على عباده.
- والمسافة **الثالثة** من يوم ظهور الشيب فى لحيته، إلى وقت تمام شيبه وكماله. ويسمى فى هذه المسافة **كهلاً**.
- والمسافة **الرابعة** هى من وقت استكمال شيبه، إلى يوم خروجه من دار الفناء والغرور، إلى دار البقاء والقرار. ويسمى **شيخاً**.

وكل مسافة من هذه المسافات تعتريه فيها أعراض وأحوال، بخلاف المسافة الأخرى. وذلك قد يشابه حال أزمنة السنة وفصولها.

- ففصل **الربيع** هو حار رطب. وكذلك الإنسان أول مسافة من عمـــره الصبـــا، وهو هناك حار رطب.
- والزمان الثانـــى من السنة وهو زمان **الصيف**، وهو حـــــار يـــابس. وكذلـــك الإنسان فى المسافة الثانية من عمره وهى الشباب، وهو هناك حار يابس أيضا.
- والزمان الثـــالث من السنة وهو زمان **الخريف**، وهو بـــــارد يـــابس. وكذلـــك الإنسان فى المسافة الثالثة من عمره وهى الكهولة.
- والزمان الرابـــع من السنة وهو زمان **الشتاء**، وهو بـــــارد رطـــب. وكذلـــك الإنسان فى المسافة الرابعة وهى الشيخوخة.

العلاقة بين القمر وأحوال الإنسان

اعلم أن الحال فى الشهور والأهلة، يشابه حال الإنسان فى مســـافة عمـــره وحال السنة فى فصولها، وذلك بحسب بعد القمر وقربه من الشمس، فـــإن القمـــر تعتريه أحوال من ذلك.

- فأول دلالة بعد انفصاله عن الاجتماع مع الشمس أن يقطع سبعة منـــازل، فـــى سبعة أيام ولياليها الأولى من الشهر، فيكون القمر فى تلك السبعة الأولى حاراً رطبة، محركاً للرطوبة والحرارة، ومقويها فى أبـــــدان الإنســـان والحيـــوان، وأجساد النبات، وضروب المعادن، لكن تحريكه للرطوبة أكثر، والحرارة أقل.
- ومن تمام سبعة أيام الأولى، إلى كمال سبعة أيام الثانية من الشهر، يكون فيـــها بمنزلة الشبوبية فى الإنسان حاراً يابسا، محركا للحرارة واليبس فى أبدان بنى آدم، وأبدان الحيوان، وأجساد النبات، وضروب المعادن. صنع الله الذى أتقـــن كل شئ.

- ومن كمال سبعة أيام الثانية، إلى وقت كمال السبعة أيام الثالثة من الشهر، فيكون القمر باردا يابسا، محركا للبرودة واليبس فى أبدان بنى آدم والحيوان، وأجساد النبات وضروب المعادن.
- ومن كمال سبعة أيام الثالثة، إلى كمال سبعة أيام الرابعة من الشهر، فيكون القمر فيها بمنزلة لشيخوخة فى الإنسان، وبمنزلة الشتاء فى السنة، باردا رطبا، محركا للبرودة والرطوبة فى أبدان بنى آدم والحيوان، وأجساد النبات، وضروب المعادن. فتكون فى مدة افتراقه مع الشمس، إلى وقت استتاره بشعاعها، ثمانية وعشرون يوما.
- فإذا اجتمع فى دقيقة مع الشمس، فهى للعمر حالة خامسة، وهى عند المحققين أفضل أحواله، وأكثرها قوة لفعله، كما أن الإنسان المؤمن أفضل أوقاته يوم لقاء ربه فى دار القرار، وانصرافه وخروجه من دار الغرور، التى لابقاء لها.

ولقد رأيت لليونانيين وللمصريين وحكماء الهند، كلاما فى هذا الشأن. فإنهم كلهم يرون أن اجتماع القمر مع الشمس، أقوى أحوال القمر، ولا يقولون كما ذكرنا، إنه أفضل أحوالها، وأكثرها قوة فى فعلهم، لأن عندهم أفضل أحوال القمر من الشمس هو امتلاؤه من النور، وأما إذا اجتمع مع الشمس، فإنه يقوى أقوى فقط.

وقد أجمع أرباب البصائر من الصوفية كلهم، أن أفضل أحوال القمر، فى شكله وبعده وقربه من الشمس هو إذا أجتمع معها فى دقيقة واحدة. وأن هذه الحالة له من الشمس هى حالة خامسة، وحكمها غير حكم الأربعة، وأنها أجل أحواله وأقواله وأفعاله. وأنه يفرح باجتماعه مع الشمس، كما يفرح المسافر إذا رجع من سفره سالما إلى وطنه، أو كالإنسان المؤمن البصير، الفارح بلقاء ربه وقراره عند سيده، وخروجه من دار الملاهى والمشاغل.

وبهذه الأحوال الخمس التى وصفناها للقمر من الشمس، تشاكلها جميع الحيوان والنبات والمعدن. وكذلك تشاكل حال القمر أحوال الحيوانات فى أسنانها من الصبا والشبوبية والكهولية والشيخوخة. وكذلك قد تشاكله أربع جهات التى

تسمى زوايا العالم وهى : المشرق والمغرب، والجنوب والشمال. وقد تهب من هذه الجهات الأربع رياح أربع، وقد تشاكل هذه الرياح أربعة أخلاط التـــى فـــى بـــدن الإنسان.

فهذه هى المعانى كلها.. وهذه هى الوجوه بأعيانها..

معرفة الإنسان ضرورة على طريق معرفة الله

اعلم أيها الناظر أن الإنسان من حيث هو، جعل الله له خمـــس مواطــن، يعمرها ويسافر من بعضها إلى بعض، حتى يبلغ موطن استقراره، وهو الموطـــن الخامس.

- أول هذه المواطن عالم الغيب وهو الأصلاب، إلى صلب الأب ورحم لأم.
- والثانى من المواطن دار الدنيا.
- والثالث القبر والبرزخ
- والرابع البعث والحشر والحساب والميزان والصراط.
- والخامس الجنة والنار.

واعـــلـــم أيها الناظر المتفكر أن الله تعالى جعـــل نفس كل إنســـان بيـــن أربعة آفاق. أفقان منها نيّران، فاضلان، مهديان، وهما: الهيولى الأولى، والعقـــل. والمراد بلفظ الهيولى هو الروح. وأفقان تحتهما مظلمان وهما: الطبيعة والعنصـــر الجرمى الجسمانى. فالنفس التى يغلب عليها الأعليان، تعتبر نفـــس نـــيرة فاضلـــة سعيدة، ومسيرها ومستقرها الفردوس الأعلى، الذى فيه انبعثت، ومنـــه اســـتمدت. والنفس التى يغلب عليها الأسفلان، تعتبر نفس مظلمة رذيلة، مسيرها ومســـتقرها النار السفلى التى عنها انبعثت، ومنها استمدت.

واعلم أيها الناظر المتفكر أن الله خلق عوالم الملائكة كلها خـــير محـــض، وخلـــق عوالم الجن والشياطين كلها شر محض، وخلق الإنســـان جـــامع للخـــير

والشـــر. فمن غلب خيره على شره اقترب من عالم الملائكة، ومن غلـــب شـــره على خيره، كان شره أقوى من الشر المحض، الذى هو شر الجن والشياطين.

واعلم كذلك أن **القوة التى هى فى الإنسان تسعة،** لازائد عليها. خمسة منها فى ظاهر جسمه، وأربعة فى باطنه. فالخمسة الظاهرة هى: قـــوة البصـــر، وقـــوة السمع، وقوة الذوق، وقوة الشم، وقوة اللمس. وأما الأربعة الباطنـــة فـــهى : قـــوة حركات المفاصل والعضل والعصب، وقوة تحلله الأشياء وتطبعها فيه كما تنطبـــع صورة الشمس فى المرآة، وقوة بها تفكير فى مهماته، وقوة يذكر بـــها مـــولاه أن وفقه. وفيه قوتان يتعاقبان على كل مخلوق: الصحة والسقم، والحب فـــى الأشيـــاء والكراهة لها.

وهذا الفصل مؤيد، وفائدته لا يستغنى عنها لبيب ولا حكيم أو ذو بصـــيرة تامة. واعلم أيها الناظر أنما جلبنا لك هذا الكلام كله على الإنسان، كى أخـــبرك أن لا يكـــون نظرك وبحثك إلا على معرفته، لأنه شئ عجيب لمـــن عرفـــه، لتفـــوز بالحياة الأبدية، إذ الوصول لذلك هو غاية الإدراك. وقد وعدتك فى هذا الكتـــاب أن أذكر كيفية التفكر والنظر فى خلق السماوات والأرض. فلأجل ذلك جلبت إليك مـــا جلبت من هذه العلوم الرقيقة الرفيعة.. فاعلم ذلك.

الفصل الثالث
فى كيفية النظر والتفكر فى الوجه الأول
من وجوه الحكمة فى خلق الأرض والسماوات

التفكر فى النفس والمخلوقات فريضة تعبدية

اعلم أيها الناظر أن أول ما يجب على العاقل أن ينظر فى صفة نفسه، لأنه هـــو أول مخلوق خلقه الله، وما خلق الله خلقاً أحب إليه من العقل. فينبغى للعـــاقل أن ينظـــر فى صفة نفسه وتركيبه، ثم فى جميع المخلوقات والمبتدعـــات فـــيزيده

ذلك يقيناً فى الصنائع، لأن الصنعة المحكمة آيات من الصانع الحكيم فإن الأشيـــاء كلها موجودة به ومنه.

قال ابن عباس ﷺ فى تفسير قوله ﷻ: ﴿**وسخر لكم ما فى الســـماوات وما فى الأرض جميعاً منه**﴾ (الجاثية: ١٣)، فقال: أى الكل منه ففى كل شئ اسم من أسمائه، واسم كل شئ من اسمه. فإنما أنت من أسمائه وصفاته وأفعاله، باطنـــاً بقدرته، وظاهراً بحكمته، ظاهر بصفاته وباطن بذاته، حجـــب الـــذات بالصفـــات، وحجب الصفات بالأفعال، كشف العلم بالقدرة، وأظهر الإرادة بالحركات، وأخفـــى الصنعة فى الصنعة، وأظهر الصنعة بالإرادة. فهو الباطن فـــى غيبـــه، والظـــاهر بقدرته وصنعته وحكمته. ﴿**ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**﴾ (الشورى: ١١).

واعلم أيها الناظر أن ابن عباس ﷺ قال: فإنما ظهر سر المعرفة. وحقيقة العلم بقوله "فى كل شئ اسم من أسمائه، واسم كل شئ من اسمه". ومعنى ذلـــك أن وجـــود جميع الأشياء فائض من وجود العالى، وأن صفة كل شـــئ مبدعـــة مـــن صفاته الحسنى، لأن الله ﷻ ليس هو إلا ذات وصفات، لاغير أحـــد. ذلـــك مـــن طريق النقل من الكتاب والسنة، ومن طريق العقل والتفهم. وكذلـــك المصنوعـــات كلها ليست إلا صفات وذوات، وهـــى المعـــبر عنـــها بـــالجواهر والأعـــراض، وروحانيات أو جسمانيات، لا يوجد غير ذلك، ﴿**صنع الله الذى أتقن كـــل شـــئ**﴾ (النحل: ٨٨)، فأكسبها بفيضه الكريم، وجوده العظيم هذا المعنى، فظهر فيها أثـــره، وتبين للعقول مشاهده. ولما كان الله ﷻ لاحد لـــه، ولا نهايـــة وغايـــة لوصفـــه وعظمته، فيقتضى ذلك أن تكون الأشياء لا نهـــاية لها ولا غاية، أو هى فائضة من معانى أوصافه كما قال ﷻ: ﴿**ويخلق ما لا تعلمون**﴾ (النحل: ٨). لذا صار النظر والتفكر فى مصنوعات الله ذى الجلال والإكرام أعظم عباده وأجلها.

نفس الإنسان وطريق المعرفة

أول ما يجب النظر والتفكر فيه هو نفس الإنسان. فإذا نظر الإنسان نفسه فيجده موجوداً، فلا يشك أنه ليس بموجود، فيطلب إذ ذاك كيف كان سبب وجوده؟ فيعلم أنه قبل وجوده كان عدماً، وأنه لم يكن بنفسه، إذ لم يكن له نفسه علم في حال عدمه، ولا بكيفية وجوده، فيعلم بالضرورة أن **غيره أوجده**. فيطلب ذلك الغير فيجد والديه، فينظر فيهما، فيجدهما مثله فى الخلقة، ومثله فى كيفية الإيجاد، فلا يجد إلا أنهما من أبوين آخرين، إلى أن يصل إلى الأبوين الأوليين، فيقف عندهما لأن التسلسل إلى غير نهاية محال فى العقل.

ثم ينظر إلى السبب الذى خلق الكل منه بعد العلم فيجد: التراب والماء والهواء والنار. ثم ينظر إلى كل مخلوقات من هذه الأربعة، فيجد مخلوقاً محدثاً مثله، ومادة الكل من هذه الأربعة، مثل الحيوانات والنبات والجماد وجواهر الأرض كلها.. فلا يجد الصانع فى شئ من ذلك، فيرجع نظره **إلى العالم الأكبر**، لما وجد الكليات والجزيئات كلها مثله، يلزمها ما يلزمه. فيجد تركيبه وتركيب الحيوان والنبات والمعادن من العالم الأكبر، وهو جزء من أجزائه. فيعلم بالضرورة أنه منه، إذ الجزء بعض من الكل وأن هذه الأربعة، التى هى الأرض والماء والهواء، منها يستمد كل مخلوق. فمن الأرض يأكل، ومن الماء يشرب، ومن الهواء يتنفس، ومن النار يتحرك حركة الطبع الغريزى.

فيجد العقل هذه الكليات الأربع مثله، ومثل جميع الجزيئات المركبة منها فلا يجد موجوده فى شئ منها، لأنها تجتمع وتفترق عند التركيب وعند التحليل، يشتمل بعضها على بعض، كاشتماله الجزيئات، فلا فرق بينها وبين الجزيئات، إذ ما جاز على الجزء جاز على الكل، فيرتقى عنها إلى طلب موجده فى غيرها.

النظر فى عالم السماوات ومعرفة الصنيع البديع

إذا ارتقى الإنسان إلى طلب موجده فى التفكير فى عالم السماوات والأفلاك والنجوم، فإنه يجد أجساماً عظاماً ذات أجزاء وجواهر وجماعات لا تحصى.. كواكب صغار وكبار، حمر وبيض وزرق، مختلفة فى الصغر والكبر، وحركات كثيرة وذوات مختلفة.. ويجد أجسام السماوات بعضها أكبر من بعض، فيجد السماء جملة أجزاء لا تحصى، قد أنضم كل جزء منها إلى صاحبه، واجتماعها كلها، فصارت شيئاً واحد، وجسماً واحداً، غلظها عظيم، واسعة الأطراف والآفاق.

فيعلم العاقل بالضرورة: أن اجتماع أجزائها وجواهرها كان عن افتراق قبل الاجتماع، ثم اجتمعت بعد الافتراق، حتى تماسك بعضها إلى بعض والتأمت، فصارت شيئاً واحداً، لأن الجسم يقسمه العقل إلى جزء لا يتجزأ.

ثم ينظر إلى اجتماع الكواكب، فيجد الكواكب معتمدة على أماكنها التى وضعت فيها، ولولا قوة غيرها ما ثبتت فى تلك الأماكن التى أمسكتها.. فيعلم أن كل كوكب فى السماوات، وأن السماوات والأفلاك جامعة لها، ومحركة لجماعتها، وبها كان اجتماعها، ولولا جمعها لها لافترقت، فهى معتمدة عليها. وكذلك كل جزء من جسم السماوات مؤلف إلى غيره، معتمد بعضه على بعض، قد شمل كل جزء منها الافتقار والاعتماد إلى غيره، ولولا ذلك لانجلت أجزاء السماوات، وتلاشت أعضاؤها.

وبهذا قد شمل الكل الافتقار، افتقار بعضه إلى بعض، وظهر فيها أثر الصنعة، وشهد العقل ضرورة **أن تماسك أجسام السماوات والأفلاك والنجوم بغيرها لا بنفسها**، وهو الجامع لها بعد الافتراق، والماسك لها عن الانحلال والتلاشى، لأن التلاشى والافتراق، ينتهى ضرورة إلى العدم، والعدم لا يكون موجوداً بعد عدمه إلا بغيره، فقد ظهر أن وجود السماوات وجميع الأجساد، بلا شك ولا مرية، أنها لا من شئ، فافتقرت افتقاراً ضرورياً إلى موجد لها، وصانع

صنعها بعد العدم. وحكم العقل على كل جسم من أجسام المخلوقات حيث كان، بهذه القضية وهذا الحكم.

التفكر فى المخلوقات يقود إلى التفكر فى الخالق

وهكذا طلب العقل موجده فى عالم الأجسام فلم يجده لأنه لم ير فى الأجسام شيئاً يليق لذلك، وتصلح به الربوبية. لأنها قد شملت الأجسام كلها صفة التأليف والصفة والأحداث. ولأن كل عضو من أعضاء العالم قد خص، بعد اشتراك الكل فى التأليف، بما لم يخص به غيره من الأعضاء، وألزم عملاً لم يلزم غيره، كالسماوات والأرض والفلاة والهواء والنار والماء والشمس والقمر والنجوم والأنوار والظلمات وغير ذلك.

فكل واحد من المخلوقات على عمل لا يتعداه، قد خص به وقيد له، وعجز العضو الآخر عما خص به غيره. ثم مع اختلاف الكل، واختصاص هذا بما لم يختص به ذاك، فقد ضم بعضه إلى بعض، وزم زماً ضرورياً حتى صار ملكاً واحد، كجسم واحد، لو عجز منه جزء واحد، أو عضو واحد، لانخرم وبطل العالم.

فوجب فى ضرورة العقل أن يكون هناك جامعاً لهؤلاء بالجملة قاهراً لها، ومحركاً ومتصرفاً فى أعمالها، ليس من جنسها ولا واحد منها. فلم يبق إلا النظر والتفكر فى صفات الواجد الصانع لهذه الصنعة الشريفة، صنع الله الذى أتقن كل شئ، وهو الصنيع البديع.

الفصل الرابع
فى كيفية النظر والتفكر فى الوجه الثانى من وجوه الحكمة فى خلق الأرض والسماوات

العقل يعظم الصانع البديع

اعلم أيها الناظر، المتفكر فى خلق الأرض والسماوات، أن العقل لما جـال ونظر، وتفكر فى مصنوعات الصانع البديع، رجع فطلب صانع الجملة فى خـارج الأجسام كلها، إذ شاهد جميع الأجسام لا يليق بها إلا التكاليف والصنعة والعبودية والحدوث.. فصار ينظر إلى الأعـراض والأفعـال، مثـل الحركـات والسـكون والاجتماع والافتراق، والعدم والإيجاد والميل والغروب وغير ذلك مما لا يحصـى من الأعراض والأفعال.. فرآها حادثة مع كل نفس وطرفة، فشاهد شيئاً عظيمـاً، وأمراً مهولاً، واختلافاً كثيراً.

فعلم العاقل أنه لا يقدر على تدبير هذه الأمور العظام، والأفعـال الكثـيرة للأجسـام، إلا ما هو أعظـم منها وأجل منها وأجل قدراً، وأن ذلـك العظيـم لا يكون إلا ذو علم عظيم، وقدرة عظيمة.. فحصل للعقل تعظيم الصانع البديع.

الإرادة والعلم بيد الحى القيوم

بعدما عظم العقل الصانع البديع، طلبه فرأى جميـع الأجسـام لا تنفعـل بنفسها، ولا تتحرك ولا تسكن بذواتها، إذ الأفعال لا تصدر عن الأجسام، بل هـى كالآلات بيد الفاعل المحرك والمسكن لها، فاستحال عنده أن يكون الفاعل جسماً، إذ لو كان جسماً لبطل الفعل منه، لأن الجسم لا يفعل شيئاً.

فارتقى العقل بنظره وتفكره، فطلب موجده عن عالم الأجسام، فنظر إلـى جسـده ونفسه: فوجد نفسه محركة لجسده. ونظر إلى من انقطعت عنه الأنفـاس من أمثاله فوجده لم تبق له حركة، ولم يبق له فعل. فعلم أن نفسه محركة لحسـه،

وأن روحـــه قائم بجسده، فعلم أن الأرواح والأنفاس بهما تتحرك وتسكن الأجسام. فطـــلب معرفة النفس والروح، فوجد جسده آلات مصرفة بيـــد روحـــه، وكذلـــك أعضاء جسد العالم كله، بأيدى أرواح العالم كله، وأرواح الملائكة وأجساده كذلـــك. أى لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بتحريـــك روحـــانى. ولا يســـكن إلا بضبطه وتسكينه، من الذرة والخردلة إلى أعظم المخلوقات. فرأى العقـــل الأفعـــال كلهـــا، والأعـــراض بأجمعها، صادرة عن الأرواح بلا شـــك ولا افـــتراء، إذ لا يكون الفعل إلا عن إرادة، ولا تكون الحيـــاة إلا ومعـــها الإدراك التـــام الكـــامل. والأجسام عن هذا كله بمعزل، والله على ما نقول وكيل.. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفصل الخامس
فى كيفية التفكر فى الوجه الثالث
من وجوه الحكمة فى خلق السماوات والأرض

الصانع الحكيم ليس بجوهر ولا عرض

اعلم أيها الناظر المتفكر فى خلق الأرض والسماوات، أن المخلوقات تنقسم على قسمين: قسم جسمانى وقسم روحانى.

والقسم الجسمانى ينقسم إلى أشخاص، والأشخاص إلى جواهر وأعـــراض، والأعراض كثيرة لا تحصى.

والقسم الروحانى ينقسم قسمين أيضاً: جواهر وأعراض. والجواهر تنقســـم إلى أنواع كثيرة: أرواح الملائكة، وأرواح الأنبيـــاء، وأرواح خاصـــة بنـــى آدم، وأرواح الجن، وأرواح الشياطين، وكل ذى روح فى السماوات والأرض.

ولكن قسمة الأرواح غير قسمة الأجســـام، لأن الجســـم يتجـــزأ بالقســـمة، والأرواح خلقـــت مفرده لا تقبل الانقسام، إلا من حيث أنها تنـــاكرت واختلفـــت،

وادرك روح هذا ما لم يدركه روح هذا، فظهرت القسمة أيضاً، وكثرت إلى مـــا لا يحصى.

والأعراض الروحانية كذلك فى الكثرة والقسمة، مثل العلوم والإدراكـــات كلها من القدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر، والرحمـــة والصـــبر والجـــزع، والخوف والرجـــاء والتذكر، والرضا والود والبغض. وغير ذلك مما لا يتنـــاهى، مثل الخضوع والذلة، والتواضع والكبر، والفكر والذكر، وجميع الأخلاق الحســـن منها والقبيح. وهذا كله قد شمل جميع الروحانيات وعمها.

فوجد العقل أن العرض عام فـــى جميـــع المخلوقـــات كلـــها جســـمانيها وروحانيها. فكل جوهر روحانى أو جسمانى لا يوجد إلا بعـــرض، يعـــرض فيـــه ويحل ذاته بعد ألا يكون حالاً بها. والعرض لا يوجد إلا فى جوهـــر أصـــلاً، ولا يوجد منفرداً بنفسه، ولا يسبق واحد منهما صاحبه فى الحدوث. فالعرض والجوهر مقترنان، لا يوجد كل واحد منهما إلا مع صاحبه. والعرض حادث بالضرورة، وما لايسبق الحوادث فهو حادث. مثال ذلك: حركة جميع الأجسام، وأجسام الســـماوات والأرض وما بينهما وألوانـــها، فلا يوجد حركة ولا سكون ولا لون إلا فى جســـم. فيشهد العقل على جميع الأجسام ما غاب عنه وما حضر، وما آمن بـــه وصـــدق، وعلى جميع الروحانيات ما علم منها وما لم يعلم، أن **الكل حادث موجود مخلـــوق مربوب**، من ملك وإنس وجن وعرش وكرسى وحجاب وسماء، وفلـــك وطبيعـــة، وأرض وبحر وجزء وكل، وما هو غائب أو حاضر، وعلى نفسه مع الكـــل، فـــإن ذلك لا يليق بشئ من الربوبية.

وشهادة العقل هذه شهادة ضرورية لابد منها، حيث علم أن لهذه الصنعـــة صانعاً عليماً، **ليس بجوهر ولا عرض**، ولا يشبه شيئاً من المخلوقات، إذ لو كـــان شـــبيهاً، لحلت به الحادثات مع الأنفاس والخطرات، ويدرك بحدوثها فيه، مـــا لـــم يدرك قبل حدوثها، فيكمل بعد النقصان، أو ينقص بعد الكمال، كما يجرى لجميـــع الحدثان.

عجز العقول عن وصف كمال الله وجلاله

بعد تفكر العقل فى خلق السماوات والأرض، عُرف الله من جهة التنزيه والتقديس، والبراءة من جميع ما يليق بالمخلوقات، من النقائض والعجز والآفات، وأنه قديم بذاته.

فالنظر والتفكر فى القدم من وجه أنه ينظر فى العالم، فيجده محدثاً مفعولاً ضرورة كما تقدم، مفتقراً إلى موجد.. فالله جل جلاله لا يوجده غيره أصلاً، بل هو موجود بنفسه، لم يزل كذلك، ولا يقال أوجده غيره، ولا أوجد نفسه. إذ لو أوجد نفسه، لكان قبل الوجود عدماً والعدم ليس بشئ، فكيف يوجد نفسه؟! فثبت بالضرورة قدمه. ثم وجدت منه الأفعال، فثبت بالضرورة قوته على الإيجاد. وإذ قد ثبت قوته، ثبتت حياته وقدرته، إذ الميت لا قوة له ولا إرادة، والعاجز لا يحدث فعلاً. وثبت علمه بوجود الصنعة منه، إذ القاصر لا يتقن، ولا يحكم ما يحكم البالغ. وثبت بصره بتصرفه فى أفعاله، إذ الأعمى لا يبصر رشده، ولا يتصرف فى ملكه بالإيجاد والتصريف. وثبتت إرادته بالتقدم والتأخير، والرفع والخفض والتخصيص، إذ من لا قصد له فى فعله لا يوجد شيئاً، ولا يرتب الأشياء على حكم اختياره، ولا يترك الإيجاد إذا أراد تركه.. وثبت كلامه بمخاطبته الأفعال بكلامه، أى كن على ما أريد منك، فأطاعت المكونات لكلامه، وانقادت بالإيجاد والتعبد، على حسب ما أمر به. وثبت سمعه وإدراكه الأصوات لأن من به آفات الصمم وعدم الإدراك، دخلت عليه الآفات من حيث لا يدرى فى فعله وفى نفسه. فثبت بالضرورة أن المؤلف الناقص لا توجد منه الأفعال الكاملة، ولا يدفع عن نفسه وعن غيره الآفات.

وهكذا ثبت كمال الله وإدراكه لجميع المدركات، لكن على شرط أن لا يفهم من ذلك ما يفهم من صفة البشر. بل ينبغى أن تعلم أن الله تبارك وتعالى لا يسمع بعد أن سمع أو لم يسمع، ولم يعلم ما لم يعلم. لا يتجدد له سمع ولا بصر ولا قدرة

ولا إراده، بل الإدراك القديم فى الأزل هو إدراكه الآن وفى الآباد. وكذلك ثبت فى العقول عزه، ليذل جميع الأشياء له، على كثرتها وعظمها، إذ لا يُـذل إلا العزيـزُ القاهرُ.. وكذلك ثبت كبرياؤه لخضوع الأشياء لكبريائه ولجلاله. وثبت فى العقـول فيـض جوده وكرمه لعموم فضله وعطائه على جميع عباده. وثبت فـى العقـول حلمه، لإمهاله وقلة معالجته بالعقوبة على العصيان فى عمـوم الأوقـات، بجَعْـل الصاحبة له والولد والشريك، وهو بذلك عليم، فيرحم ويقبل من تاب ورجع وأناب إليه. وثبت للعقول حسن جميع أخلاقه، ما علم منها وما لم يعلـم، يتجـاوز عـن مخالفيه وإحسانه إليهم، وإكرامه من أطاعه، وغير ذلك مما لا يحصيه أحـد مـن حسن أخلاقه وكريم أفضاله، فلم تطق العقول وضعه مما هو عليـه مـن الكمـال والجلال والجمال والعـزة ورفعة القدر، ﴿**ما قدروا الله حق قدره**﴾ (الأنعام: ٩١)، فأقرت العقول بالعجز عن حقيقة كمال وصفه.

ثم أنه ﷻ وصف لهم نفسه فى كتابه، بما هو له أهل من الثناء والمحامد، فعلمهم أسماءه الحسنى الدالة على صفاته العلا. ثم نظرت العقول فـى مخلوقاتـه، فظهرت لهم دلائل صفاته، فعبدته واشتقات إليه، وتسابقت لصـراط القـرب منـه والتقرب إليه، من أجل ما ظهر لهم من محاسن جلاله وجماله وكماله، سبحانه مـا أحسن صنعه، وما أكمل كماله.

الفصل السادس

فى كيفية النظر والتفكر فى الوجه الرابع من وجوه الحكمة فى خلق السماوات والأرض

اعلم أيها الناظر، المتفكر فى خلق السماوات والأرض، على وجه الحكمـة وإتقان الصنعة، أن كل ما تقدم من النظر والتفكر، إنما هو فى إثبات الخالق الفاعل ﷻ.. أما هذا الفصل فنذكر فيه الدليل على صفة الفاعل الحكيم المدبر المحيط.

فاعلم أيها الناظر أن السر فى فهم جسم العالم الأكبر، هو أن تعلمه على ما هو عليه من الوضع والتركيب..

من حكم الله فى خلق الأرض

مثال ذلك أن الأرض خلقت كثيفة، ولم تخلق سيالة مثل الماء، لتستقر عليها الخليـقة، لأن الله تعالى جعلها قراراً للمخلوقات من الذرة إلى الفيل. فمنـهم مـن يستقر على ظهرها، ومنهم من يستقر فى تخومها. ولم يخلقها ﷻ صلبـة شديـدة مثل الحجر الصم، لأنها لو كانت كذلك لم تصح فيها الحراثة والفراسـة، فيبطـل العيش وتخرب الديار.

ولو كانت كالماء أو غير ما هى عليه، ولم تخلق صورتها مستطيلة قائمـة إلى فوق وإلى أسفل، فلا يثبت على ظهرها أحد، ولا يتهنى بصعوبتها عيش.

لقد جعلها الله ﷻ وطية ممدودة، فحسن عيش الخليقة بها وطاب. وجعـل الله "الصانع البديع" فيها بعض التسنيد والتكوير، لتجرى المياه على وجهـها إلـى نواحى الأرض، فى الأودية والسهول، ولا يستقر الماء على وجهها. لأنها لو كانت وطية مسطحة جداً، واستقرت المياه على وجهها، لغرقت الأرض ومـادت، ولـم يصبح فيها عيش ولا ممات.

الحكمة فى خلق الجبال

نصبت الجبال على الأرض وفيها، لتضم أجزاء تراب الأرض كله بعضـه إلى بعض حكمة من الله. لأن الأرض فى الماء كالسفينة فى البحر، والماء محيـط بها من جميع الجهات، ولما كان الماء متحركاً بطبعـه فكـان جديـراً أن يحـرك الأرض فتميد.. لذا قال جل شأنه: **﴿وألقى فى الأرض رواسـى أن تميـد بكـم﴾** (النحل: ١٥). فجعلت الجبال فى غاية الصلابة التى لا تفصلها الحركـة، أجزاؤهـا بعضها إلى بعض. والجبال فى غاية العظمة، ونصبت فـى وسـط الأرض وفـى أطرافها، وفى جميـع نواحيها، وفى باطن الأرض وفى ظاهرها، كالعظم فى جسد

الإنسان، فضمت أجزاء الأرض والتراب، وبها ثبتت الأرض على ما هى عليه، فى مكانها اللائق بها. صنع الله الذى أتقن كل شئ.

وجعلت الجبال أيضاً مرتفعة والرواسى فيها، كى ترد البحار عـــن وجـــه الأرض، فلا تحيط بها من جميع الجهات. وجعل الله بين الجبـــال أوديـــة وطرقـــاً واسعة، لتسيل فيها خلجان البحار والأنهار، ليصل الناس لحوائجهم فيـــها بالســـفن. ونقل الحيتان إلى نواحى الأقطار، لدخولها فى تلك الخلجان. ولولا ذلك لكان البحر منحـــازاً فى ناحية من الأرض، ولم تصل منافعه إلى الخليقـــة. وجعـــل الله ﷻ الجبال للمياه العذبة فتنفجر منها العيون والأنهار إلى البلدان، وكل ذلـــك لتحقيـــق مصالح العباد، ﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾ (الأنعام: ١٨).

من حكمة خلق البحار

جعل الله البحر ملاصقاً للأرض، وممازجاً لها العذب والمـــالح، لتمـــتزج رطوبة الماء بيبوسة الأرض، فيصلح من ذلك الخلـــق، والتصويـــر مـــن النبـــات والحيوان، وسائر المعادن، لأن اليابس لا يتصور منه الصور، والســـائل كذلـــك لا ينطبع فيه التصوير.

وخلق الله البحر متحركاً على الدوام، لئلا يجمد، فيصير أرضاً للســـكون، فتبطل الحكمة من وجوده. لأن البرد طبع الماء، والبرد يجمد وييبـــس، فكســـرت حركات البحر برودته.

وسلط الله عليه رياح وهواء من كل جهة، لئلا يسكن. ألا ترى الماء كيـــف ينعقد حجارة وثلجاً إذ اشتد عليه البرد؟ وكذلك البحر. ولذلك جعلـــه الله متحركـــاً، فيتحرك حيوانه الساكن فى جوفه بحركته.

واعلم أن الله خلق البحر مالحاً، لئلا ينتن ويتغير بطـــول المكـــث، فيـــهلك حيوانه برائحته، وكان الهواء يحمل بحركة الريح عفونته وروائحه. فخلق مالحـــاً لهذه الحكمة، لتكون ملوحته دباغاً لهوية العالم، ولدفع المضرة الكائنة فى العفونات،

فى نواحى الأرض والبلدان. حيث تحمل الرياح أهوية البخار، فتمتزج بأهوية البلدان، فتقلع الأهوية العفينة، وتدبغها ويستقيم العيش.

وخلق الله البحر الصغير حلواً ليصلح بعذوبته العيش لجميع المخلوقات، ولو كان مراً لهلكت الخليقة، وذلك حكمة الله الصانع الحكيم البديع المحيط، الذى قد أحاط بكل شئ علماً، وأحصى كل شئ عدداً ﷻ فله الحمد والثناء.

وجه الحكمة فى خلق الهواء

خلق الله من حيث هو متخللاً جداً، متحركاً فى جميع الجهات، ليسوق السحاب إلى البلدان، فينزل به المطر، وينتفع الناس بإخراج الحبوب من الزراعات، ويروح عنهم شدة الحرارة المفرطة، ويبرد حرارة باطن الأجسام.

ثم خلق لون الهواء على هذه الخلقة، لتنفذ فيه الأبصار، فتقبل الصور والألوان.. فيوصل بذلك إلى جميع المنافع.

ثم جعله الله يتحرك فى وقت دون وقت، لأنه لو كان متحركاً على الدوام، لانتشرت منه الحبوب والثمار بالغبار الدائم، وتطمست به العيون، وكسرت به أغصان الأشجار وتهدمت به المبانى، ولم يصح معه عيش، فجعله الله ساكناً فى وقت، ومتحركاً فى وقت، لتصح بحركاته وسكونه الحكمة، لأن الهواء ريح ساكن، والريح أهوية متحركة، صنع الله الذى أتقن كل شئ.

ثم خلق الله النار ألطف من الكل، لئلا تظهر، ولو ظهرت صورتها وكانت مثل الأرض والماء والهواء، لأضرت بالأبصار، يعنى أبصار الخلائق، مثل البرق الذى لو دام لهلك الناس به.. ثم جعلها تظهر فى الأجساد للمنافع من التسخين، وليستضاء بها فى وقت الحاجة إليها.

وجعلها الله حارة فى غاية الحرارة، للتسخين والنضج، ولتسيل الجمادات، ويختلط بغليانها الماء والأرض والهواء. ولولا ذلك ما صح شئ.

وجوه الحكمة فى خلق السماء

خلق الله السماء **جسماً معتدلاً** فى غاية الاعتدال.

- ليس بكثيف جداً، فيقع إلى أسفل مثل الأرض، ويرد ضياء الأبصار.
- ولا هو سيال مثل الماء، فتسيل أجزاؤه فيبطل.
- ولا هو متخلخل مثل الهــواء، فتخل أركانه، وتنتثر كواكبه، وتنهد أرجاؤه.
- ولا هو شــئ خفى مثل النــار فتفتقر إلى مادة يظــهر وجودهــا، لأن النــار ملتهبة يأكل بعضها بعض، ولو كانت السماء مثل النار، لأكلت بعضها بعضاً.
- ولم تخلق السمــاء ألطف وأخف مما هى عليه، فتصعد مــن مقامــها بخفتــها فتذهب وتزول من مكانها.

بل خلقها الله فى غاية الاعتدال، لا كثيفة جداً، ولا لطيفة، بل معتدلة بيــن ذلك، فوقفت فى مكانها بلا عمد يرى، بل بتقدير خالقها الذى خلقــها فــى غايــة الإتقان.

ثم انظر إلى **حركة الأفلاك**: لا سريعة جداً، ولا بطيئة جداً، ولا واقفة طرفة عين.

- فلو كانت سريعة جداً، أسرع ما هى عليه، لكان الليل فى طول نفس، والنــهار كذلك، والشهر فى ساعة، والسنة فى يوم، فيجئ النهار كمجئ البرق، ويجــئ الليل بعد النهار كذهاب البرق، فلم يكن أحد يبصر رشده، وتبطل فصول السنة: الربيع والصيف والخريف والشتاء، ولم تصح خلقة الأشياء على ما هى عليه.
- ولو كانت بطيئة جداً، لكان النفس الواحد فى شهر، والساعة فى سنة، ويغلــب السكون، فيهلك النبات وكل شئ.
- ولو كانت واقفة أبداً، فتكون الدنيا إما ليلاً دائماً، فلا يبصر أحد، ويهلك بــالبرد الدائم، وإما نهاراً دائماً، فتختل الحياة ويهلك النبات.

بل خلقت الأفلاك بتبدل الحركة فى غاية الحكمة، لا يجوز أن تكون إلا كما هى عليه، صنع الله الذى أتقن كل شئ.

ثم انظر إلى **ألوانها**، كيف جعلها الله أحسن الألوان للأبصار. فلونها إلـــى الزرقة يميل وهو أحسن شئ وأنفعه للأبصار.

- فلو كانت سوداء مظلمة، لأهلكت الخليقة بشدة وحشتها، ولأخذ الخلـــق الـــهول والفزع من منظرها لعظيم جرمها.
- ولو خلقت بيضـــاء أو حمراء: فلو كانت نورانية، لطمست الأبصـــار بـــالنظر إليها من أول مرة ينظر إليها، ألا ترى الشمس لا يقدر أحد أن ينظر إليـــها ولا يتبين جريها مع صغرها. ولو كانت الأفلاك حمراء، مع عظيم جرمها أو فـــى لون غير هذا الذى هى فيه، لأضر ذلك بالخليقة.

فلا يليق بها إلا ما هى عليه، من تدبير الحكيم العليم الصانع البديع.

وجه الحكمة فى تزيين السماء بالكواكب

إن تزيين السماء بالكواكب، جعلها فى غاية الحسن والجمـــال بكواكبـــها. فاهتدى الخلق بها فى ظلمات البر والبحر إلى جميع المآرب، وعلموا منها مقـــدار الزمان والساعات، ولو لم تكن الكواكب، لم يهتدى الخلق إلى شئ.

وأما حكمة الشمس والقمر، والخنس الخمسة، وجميـــع كواكـــب الســـماء، السيارة منها والثابت، فكل واحد منها موضوع على علم وحكمة ليست لغـــيره، ولا تكتمل المملكة إلا بذلك العمل:

- فالقمر لمعرفة الشهور والحساب والترطيب والتبريد فى جميع العوالم.
- والشمس للضياء والحساب والتسخين والتيبيس.
- والبـــروج لفصول السنة الربيع والصيـــف والخريـــف والشتـــاء والحســـاب ولحصول الحوارى فيها صاعدة وهابطة، إذا حلت الشمـــس أو القمـــر أو أى كوكب كان فى أى برج كان.

أحدث الله بأمره فى هذا العالم، ما شكل ذلك البرج والكوكب والوقت والفصل، وكذلك كل كوكب فى السماء، يحدث الله بطلوعها وغروبها على الأرض، فى كل يوم وليلة، وفى كل ساعة ونفس، وفى هذا العالم، جميع ما ينزل من أمور الدنيا، من خير وشر، لأن الله ﷻ ما خلق السماء والأرض وما بينهما باطلاً، بل لا يحدث الله فى هذا العالم موتاً ولا حياة، ولا فقراً ولا غناء، ولا نوماً ولا يقظة ولا ضحكاً ولا بكاء، ولا شيئاً من الأشياء، إلا فى زمان ووقت. والزمان هو حركة الفلك بما فيه، فبحركته التى هى الطلوع، طلعت فى هذا العالم المحدثات كلها بالإيجاد، ومع غروبه غربت عن هذا العالم المحدثات كلها بالعدم. والطلوع والغروب للفلك دائماً مع كل نَفَس، وكذلك المحدثات، طالعة وغاربة فى هذا العالم مع كل نَفَس وإنما تتحرك بالأفلاك بالأمر النازل والصاعد، ألا ترى إلى قوله ﷻ بعد ذكر السماوات: ﴿**يتنزل الأمر بينهن**﴾ (الطلاق: ١٢)، ﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه**﴾ (السجدة: ٥).

فقوله ﴿**يتنزل الأمر**﴾ هو حدوث ما يحدث فى هذا العالم من الأمور السماوية. وقوله ﴿**ثم يعرج**﴾ هو ذهاب فى هذا العالم ورجوعه.

وليس عند السماء والأرض والكواكب، إلا ما جعل بها مع كل حركة المقدورات جارية على العباد، إلى حين وقوف الفلك بأمر ربه عن الدوران، وهو الوقت الموعود بالقيامة لجميع الخلق.

ويدل هذا لاتدبير الحكيم، والتدبير المعظم، والصنعة المتقنة، والحكمة البالغة، علي صانع عظيم حكيم، بديع عالم قدير، ﴿**ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**﴾ (الشورى: ١١).

فاعلم أيها الناظر أن جميع ما ذكرنا فى هذا الكتاب، لكى يتنبه قلبك لتعظيم الصانع عند فهم الحكمة الدالة عليه. واعلم أن انتباه القلب لتعظيم الصانع

الحكيم، لا يكون إلا عن تجلى صفات الصانع للقلب. فاعلم ذلك، وميز ما ألقينا إليك، ولا تفكر فيما هنالك.

الفصل السابع
فى كيفية النظر والتفكير فى الوجه الخامس من وجوه الحكمة فى خلق السماوات والأرض

الأجساد الجزئية المركبة من العوالم الكلية

اعلم أيها الناظر أن كل ما فى هذا العالم من الأجساد الجزئية، التى هى الحيوان والنبات والمعادن، إنما تركبت كلها من أربعة أشياء وهى: الأرض والماء والهواء والنار، وكلها مخلوقة للمنافع، وما خلقت باطلاً.

فأما **المعادن** كلها: خلقها الله للمنافع والزينة والبيع والشراء، ولدفع المضار من القتال والاحتراز وغيره، ولجلب المنافع العامة، مثل الذهب والفضة والجواهر والحديد والنحاس والرصاص، وغير ذلك من المعادن التى تنفع الناس، لأنه لا قوام للعالم إلا بها، ومنافعها كثيرة لا تحصى ولا تخفى. حتى لو عجز الملح، الذى هو أحد المعادن، لفسد العالم بعدمه لأنه إذا عدم، تفسد الأمزجة، وتتعطل الفوائد التى خلق لها، وفى ذلك فساد للعالم. فكيف بسائر المعادن مثل الحديد الذى فيه بأس شديد ومنافع للناس؟ وغيره من المعادن.

واعلم أن الله خلق المعادن على صفات مختلفة، من الشدة واللين، والكثرة والقلة، وما بين ذلك ليتخذ منها الآلات والزينة محبوبة، التى هى سبب عمارة الدنيا، لأن زينة الدنيا سبب المحبة فيها، ومحبتها سبب عمارتها. ومنافع المعادن أكثر من أن تحصى، لكن نبهناك أيها الناظر المتفكر إلى نبذة منها، لعل الله يمن عليك بالفتح المبين، فيكون هذا معراجاً لك، لمشاهدة عظمته وعزه وكبريائه.

وأما فوائد **النبات**: فإن الله خلقه غذاء للحيوان كلـــه، ولمنافعــه مـــن آلات الحرث، وتصنيع السفن الجارية فى البحر، وحمل الأرزاق فيها من بلاد إلى بلاد.

وأما فوائد **الحيوان**: فهى لا تحصى، فقد خلقه الله، وسخر بعضه لبعــض، وسلط بعضه على بعض، وجعل بعضه طعاماً لبعض، وذلك لقوام العـــالم وكمالـــه ولتمام الحكمة.

وأما كيفية ترتيب خلقه لهذه الأشياء، ووجه الحكمة فيها، وفى خلقها علـــى هيئتها، التى هى عليه.. فذلك بحر واسع الإطراف لا ينتهى أبداً.

وسنذكر من ذلك نذراً يسيراً فى كيفية خلق الإنسان، ليكون تنبيهاً للعقـــول على غيره إن شاء الله. ونذكر منه هنا وجها مختصراً على وجه الإجمال، وذلـــك بأن نعلم أن كل جزء من أجزاء الكون، بمنزلة عضو من أعضاء جسد الإنســـان، فلو نقص من جسد الإنسان عضو واحد، أو كان على غير هيئته التى ركبت ذاتها عليها، مثل الفرج أو اليد أو القلب لفسد نظام الجسد كله. كذلك لو أن الحديد كـــان على غيـــر هيئته، لبطل الحرث والغراسة التى بها سبب العيـــش ولبطـــل الحفـــر والبنـــاء، وبطل القتال، ومدافعة بأس الناس بعضهم عن بعـــض، وفســـد العـــالم. وكذلك سائر المعادن والنبات والحيوان والأرض والماء والهواء والنار، والسماوات والأفلاك وغير ذلك.. فلو نقص خلق من هذه المخلوقات لبطل الكون.

ويكفيك فى هذا المعنى النظر والتفكير فى تركيب جسدك، لتســـتدل بذلـــك على ترتيب الحكمة فى الحيوان والنبات والمعادن وجميع المخلوقات.

معرفة الله متوقفة على معرفة حكمته

واعلم أيها الناظر أن معرفة الله الكاملة، وعبادته الموصلـــة إلـــى رضـــاه وعبـــادته، متوقفة على معرفة حكمته. والحكمة لها علوم وفنون، والحكيـــم هـــو الجامع لفنون الحكمة وعلومها، المطلع على أسرارها الإلهية، فيتدلى من الواحد إلى مالا نهاية له، ويترقى مما لانهاية له إلى الواحد.

فعند ذلك تتجلى له خبايا أكوان الله، ومعانى عوالمه، وصور مخترعاتـــه، وآثار عزائمه ويشاهد جمعه أحاط بكل شئ. وهنا يستنشق قلبـــه رائحـــة حانيتـــه، وخمر قربه وحضرته، ويطيش القلب إلى السكر بمشاهدة سنائه، ويسقى بكـــؤوس صفائه، فيفنـــى بكأس الهناء عن منائه ويصير بكأس العمل إلى بقائه. وذلك عيـــن ما طلب الله من عباده، فى أرضه وسمائه، وهو ما يجب للخالق علـــى مخلوقاتـــه. فإذا اتصف القلـــب بهذه الأوصاف، رفع الله عنه بذلـــك الحجـــاب، وأزال عنـــه السراب، فأقبل القلب على بارئه، ورجع فى الحين إليه بحضوره لديه، وتنعم فـــى غيبته بحضوره، وفى حزنه بسروره، وشهد حضرته، وعين سطوته. سبحانه مـــا أكمله، وهو المتفضل علـــى أحبابه، المنزه عن هذه العبارات، المتعالى الآن وفـــى أزله عما هو يقتضيه كل لفظة وإشارة.

واعلم أن المعرفة بالله من حيث الشهود والعيان، ومن طريـــق الملاحقـــة والبيان، لا تدرك إلا بمطالعة الحكمة. ومعرفة الحكمة أفضل ما تباع به النفوس، وأجل ما تتحمل فيه البئوس وتقصر فيه المطالب، وتترك من أجلـــه الخصـــوص، وتفارق الأغراض فى القيام والقعود. ولا دليل لهذه المعرفة إلا عارف قد خـــاض فى بحرها، وغاص فى الحكمة بأنوارها. ولا يكون هذا العـــارف إلا مـــن أهـــل الأذكار القلبية، فبها يدخل لهذه البحور الزاخرة، التى من دخلها يكون كله فوائـــد: يفيد بنظرته،ويفيد بكلامه، ويفيد باهتمامه، ويفيد بمباشرته، ويفيـــد بقلمـــه، ويفيـــد بدعائه. لأن الأذكار القلبية مشروطة فى صحة الأفكار، وفى صحة النظر.

فمن لم يمتزج قلبه بذكر الاسم الأعظم، وهو الاسم الجامع اســـم الجلالـــة "الله. الله" لا يحل له التفكير والاستنباط فى الأمور الدينية، لعدم القطع بفكرته، وقلة يقينها وشهودها، وإنما يقلد ويتبع غيره، ولا يجتهد فى فهم الأحاديث النبويـــة والآيـــات القرآنية. ولذلك قال ﷻ: **﴿فسألوا أهل الذكـــر أن كنتـــم لا تعلمـــون﴾** (النحل: ٤٣)، أى الذكر الممتزج بقلوبهم، فإن نظرهم وفكرتهم صحيحـــة، لكونـــها واقعة بشرطها، الحاجب لها من الخطأ وهو "امتزاج الذكر". وقوله **﴿إن كنتـــم لا**

تعلمون﴾ أى كنتم غير عالمين، لكونكم لستم من أهل الذكر الممتزج، لأن فكرتكم فاسدة لفقد شرطها المؤمن لها من الخطأ.

وقد يكون الإنسان ذاكراً بالنسبة إلى شخص، وليس بذاكر بالنسبة إلى آخر، لكون ذلك الآخر أكمل منه فى الذكر، فيجب عليه سؤاله، ويحرم عليه سؤال من تحته، لكونه بالنسبة إليه ذاكراً.

فافهم ذلك وأعلم أنه على هذا يمشى قول من قال: "لا يجوز التدبر فى القرآن والأحاديث، وإنما يكتفى الناس بالسماع المنقول من أولى العلم"، لفقد هذا الشرط من قلوب الناس وقلته، إلا القليل وقليل ما هم. ولقلته أطلقوا القول بالتحريم، تنزيلاً للنادر منزلة العدم. وكذلك قوله ﷻ: **﴿لايمسه إلا المطهرون﴾** (الواقعة: ٧٩)، تنبيهاً على أنه لا يتفكر فى معناه إلا المطهرون، الذين تطهرت قلوبهم من علاتها ونجاساتها، وهى حب العاجلة، وهى رأس الخطايا، فإن الدنيا وزينتها وحب رئاستها، والجاه عند أهلها وحب إقبالهم مهلك، فلا يُهلك العبد ويُظلم قلبه سوى ذلك إذا سكن هنالك.

وجوه الذكر والعلم بالله

واعلم أيها الناظر المتفكر أن الأذكار لها وجوه كثيرة لا تحصى، وهى المعبر عنها عند الصوفية أرباب البصائر ﷺ بالمقامات، وعندهم لكل مقام مقال. فالمقال عندهم هو الذكر والمقام هو ما يوصل إليه ذلك الذكر، الذى هو المقال. والأذكار عندهم عوامل، فكل ذكر وفائدته، والذاكرون على قسمين: الذاكرون باللسان والذاكرون الله بالقلوب. فالذاكرون باللسان حظهم من ذكرهم أن تمحى به ذنوبهم، ويرزقون الثواب الجزيل. والذاكرون الله بالقلوب حظهم أن تمحى به ذنوبهم، ويعطون الثواب العظيم، وتصفى سرائرهم، وتنور بصائرهم. وهم الذين سماهم الله فى كتابه العزيز بأولى الألباب، فقال ﷻ: **﴿إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً**

وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض﴾ (آل عمران: ١٩١). فذكرهم الله بتصحيح الفكر، لأن فكرتهم صحيحة، بشرطها المؤمن عليها من الخطأ، وهو الذكر كما ذكرنا.

ووجوه الذكر ستة لا زائد عليها. فخمسة منها لها أوقات معلومة، فكل ذكر مقيد بوقته. والوجه السادس ليس له وقت معين، بل فى سائر الأوقات وسائر الأحوال، فى حالة وقوفك وأنت ماشى أو واقف، وفى حالة قعودك وفى حالة رقودك على جنبك. وهذه الأحوال الثلاثة التى ذكرها الله تقتضى عدم الفتور، وهو الذكر الممتزج الذى لا ينقطع العبد عنه، إلا فى حالة غلبة النوم، أو غفلة ثقيلة، فيجب الاستغفار منها والتوبة.

فإذا كان العبد على هذه الحالة، التى ذكرها الله تعالى فى كتابه، يكون تفكره مؤمن من الخطأ لأن كل قلب ذكر الله يكون ساكناً، لا يحتاج إلى من يلقنه. فإن وجد الشيخ الماهر، فعلى بركات الله، وإن لم يوجد، فالذكر الساكن فى القلب الممتزج بدمه ولحمه، يقوم مقام الشيخ الماهر المذكر. قال ﷻ: **﴿وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾** (العلق: ٣-٥).

وبذلك أرشدك الله أن ثمرة القرآن هى العلم، فسمّى تعالى القراءة، التى هى الفكرة فى الحقائق، والنظر بدلائلها المستعان عليها بممارسة ذكره وممازجته وسكناه فى قلبه وممازجته بدمه ولحمه. إذ المطلوب من كل عبد تقواه لمولاه، وبحثه وتفكره فيما يوصل إليه ويعرفه إياه وهى المخلوقات. وأسند التعليم الحاصل بعد القراءة والبحث إلى نفسه، كما قال: **﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾** (البقرة: ٢٨٢)، إذ التقوى أسندها إلى العبد، وأسند ثمرتها إلى نفسه، وهذه الثمرة هى العلم.

فيجب على العبد التوجه إلى مولاه بذكره وبالصدق والإخلاص إليه، كما قال ﷻ: **﴿فادعوه مخلصين له الدين﴾** (غافر: ٨٥)، وحق على الله أن يعلمه مع ذلك التوجه الصادق، كما قال ﷻ: **﴿أجيب دعوى الداع إذا دعان﴾** (البقرة: ١٨٦).

فافهم الضمير فى ﴿**إذا دعان**﴾ إن كنت عالماً عاقلاً. وذلك لما اتقى نبيه عليه السلام إياه، ودعاه دعوة خالصة صادقة، وبحث عن مولاه من مصنوعاته وآياته، بالدلائل القاطعة، والحقائق الساطعة، وجد مولاه أقرب إليه من حبل الوريد، فأجابه وعلّمه، ولذلك وصف نفسه بقوله تعالى: ﴿**وربك الأكرم**﴾ (العلق: ٣)، إذ صيغة التفضيل تقتضى كريماً، والرب أكرم منه وهو كذلك، وذلك أنه ليس إلا اثنان: الرب تعالى وعبده، فالعبد كريم، وربه أكرم منه. وبيان ذلك أن العبد إذا تكرم على نفسه، بتوجهه إلى الله بذكره، وبإخلاصه لسيده، ويتقى مولاه، فهو بذلك كريم، والرب عز وجل تكرم عليه بالإعانة على ذلك، وبالتعليم والإلهام فهو أكرم منه. فإذا علمت ذلك فاعلم أن ما اقتضاه أوصاف العبد من العبودية، لا تنفك عمّا اقتضته أوصاف الرب من الربوبية، فافهم ذلك وميّز ما ألقيناه إليك.

واعلم أيها الناظر المتفكر أنه لا يقدر العبد أن يتوجه إلى الله بذكره، ويتقيه ويخلص له عمله إلا إن كان محبوباً عند الله فى الأزل، ووعده أن يعمّر قلبه بذكره الخاص، فيسهر القلب على ذكر الله، عند غفلات الخلائق، فيصبح روض إيمانه زاهياً زاهراً، فالسعيد من بات فى ليله ساهراً ذاكراً، وأشغله الله بحبّه، ولذّذ لقلبه محبة ذكره ليلاً ونهاراً، ولا يلهيه عن ذكره تجارة ولا بيع، ولا أموال ولا أولاد، فيفوز فوزاً عظيماً، فيكون من الرجال الذين مدحهم الله فى كتابه العزيز بقوله: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾ (النور: ٣٧)، ويخرج عن النهى الذى نهى الله عنه المؤمنين بقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**﴾ (المنافقون: ٩).

من لجأ إلى الله بذلّه وفقره، كان لذلّه راحماً، ولكسره جابراً، ومن ذكره فى داخل نفسه وقلبه كان له بين ملائكة قدسه ذاكراً، ومن تقرب منه شبراً، تقرب منه ذراعاً، ومن طلبه ودعاه عند شدته وكربته، وجده كاشفاً لضره، وناصراً لخذلانه. احمده أولاً وآخراً، فإنّ سره وقربه مودع فى ذكره، وذكره لا يدرك إلا بحبه، والحب معنى يدق عن الأفكار ويخفى عن الأسرار، فهو للخواص نور،

وللعوام نار. ما علق الحب بقلب إلا تلاشى واضمحل بالحب، فهو فى الحقيقة داء، يستخرج لذائقه من صفو رائقه دواء وشفاء، فأوله فناء وآخره بقاء، ظاهره تعب وعناء، وباطنه سرور وهناء، هو لمن جهله شقاء، ولمن عرفه شفاء. **﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى﴾** (فصلت: ٤٤).

الذكر ومحبة الله

واعلم أيها الناظر المتفكر أن الناس فى حب الله تعالى على أنواع وأجناس كثيرة، قال الله ﷻ: **﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾** (البقرة: ١٦٥)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أى أثبت وأدوم"، وذلك أن المشركين كانوا يعبدون صنماً، فإذا رأوا بزعمهم أحسن منه، تركوا ذلك الصنم وأقبلوا على عبادة الأحسن. وقال عكرمة: أشدّ حباً لله فى الآخرة. وقال قتادة: إن الكافر يفر من معبودة فى وقت البلاء، ويقبل على الله تعالى، وذلك نحو قوله ﷻ: **﴿فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾** (العنكبوت: ٦٥)، ونحو قوله ﷻ: **﴿وإذا مسّكم الضرّ فى البحر ضلّ من تدعون إلا إياه﴾** (الإسراء: ٦٧). والمؤمن لا يعرض عن الله وعن ذكره فى السراء والضراء، والرخاء والبلاء، ولا يختار عليه سواه. وقال الحسن رضي الله عنه: "إن الكفار عبدوا الله بالوسائط"، وذلك مثل قولهم على الأصنام: **﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾** (الزمر: ٣)، ومثل قولهم: **﴿شفعاؤنا عند الله﴾** (يونس: ١٨). والمؤمنون عبدوا الله وحده بلا واسطة، وذلك مثل قول الله ﷻ: **﴿والذين آمنوا أشدّ حباً لله﴾**. وقيل: إن المشركين يحبون أنداداً كثيرة فحبهم مشترك غير مجموع، والمؤمنون حبهم غير مشترك، لا يحبون إلا إلهاً واحداً صانع كل مصنوع، وخالق كل مخلوق، **﴿يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون﴾** (البقرة: ٣).

واعلم أن الذاكرين الله كثيراً، هم أشد حباً لله، لأن من أحبَّ شيئاً أكثرَ من ذكره. وقيل: إنما قال ﷻ: ﴿والذين آمنوا أشدّ حباً لله﴾ (البقرة: ١٦٥) لأن الله تعالى أحبهم في الأزل ثم أحبوه، ومن شهد له المحبوب بالمحبة، كانت محبته أتم وأصح.

قال الله ﷻ: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ (المائدة: ٥٤). قال سفيان الثورى رضي الله عنه في قوله ﷻ: ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ (البقرة: ٢٨٦)، قال: هو الحب. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: "كان داود عليه السلام يقول: اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني إلى حبك، اللهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي ومالي وأهلي ومن الماء البارد". وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أحب الله تعالى فليحبني، ومن أحبني فليحب أصحابي، ومن أحب أصحابي فليحب القرآن، ومن أحب القرآن فليحب المساجد، فإنها أبنية الله، وأبنية أذن الله تعالى برفعها وتطهيرها، وبارك فيها، فهي مأمونة، مأمون أهلها، محبوبة محبوب أهلها، فهم في صلاتهم ذاكرون الله، والله ﷻ في حوائجهم، ما داموا في مساجدهم ذاكرين الله، والله ينجح مقاصدهم".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى إذا أحب عبداً، قال لجبريل عليه السلام ناد في أهل السماء والأرض، إن الله ﷻ يحب فلاناً فأحبوه، فعند ذلك يلقي حبه في الأرض". وكان أبو يزيد البسطامي رحمه الله يقول في مناجاته: "إلهي لست أعجب من حبي لك، وأنا عبد حقير، وإنما أعجب من حبك لي، وأنت مالك قدير". وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قال الله تعالى: المتحابون لأجلي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء".

خاتمة الكتاب الثانى

رغم أن الإمام بن عزوز المراكشى رضي الله عنه وأرضاه، لم يسجل خاتمة لكتابه ذلك، إلا أننا نسجلها تحية منا وتقديراً لذلك الإمام الذى فتح له الله مغـاليق العلـوم الاصطفائية، وأفاض عليه الكثير من الأنوار المحمدية، مما يكون خاصاً بـالصفوة من النفوس البشرية، التى جاهدت فى الله حق جهاده، فارتوت من ينابيع الأنـوار الإلهيـة، ما جعلها تفيض علماً وحباً ورغبة فى هدايـة الإنسـانية، لأن هـؤلاء الأولياء هم دياجير الهدى، الذين تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء، وكل جهالة وضلالـة عمياء.

ونحن إذ نسجل تلك الخاتمة، نسجل معها انبهارنا بما يفيض به الله علـى قلوب عباده المتقين. فالكتاب يتفق مع اسمه "نور الحياة" حقاً وصدقاً، فـهو نـور للحياة السرمدية، ونور للحياة القلبية والعقلية والنفسية والروحية. وهو نور يفصـل بين الحـق والباطل، حيث يجمع فى تمازج رائع بيـن علـوم الشريعـة وعلـوم الحقيقة، بدون شطط يجهد العقل، أو جنوح عن الحق.

ولذلك فهذا الكتاب يعتبر بحق أبلغ دفاع عن علـوم التصـوف السـامية، وينابيعـها العذبة الصافية، التى تستمد أصولها من حقائق الإيمان الغاليـة، ومـن يقرأه بتعمق، وببصيرة مستنيرة، بعيدة عن الهوى والتعصب سيعرف لمـاذا هـذا الهجوم الشرس على التصوف؟

فالتصوف يهدف إلى النفاذ من القشر إلى اللب، لمعرفة الحقيقـة الناصعـة التى تجمع بين الجسم والروح، بين العلم والعمل، بين عالم الملك والملكوت، تلـك الحقيقـة التى تهدف إلى الوصل بين الأرض والسماء فى رباط نورانـى معنـوى بديع، يجمع بين الظاهر والباطن ويحقق للإنسان أروع معانى الخير والاطمئنان.

ونحن فى مقامنا هذا لا نملك إلا أن ندعو الله من أعماق قلوبنـا أن ينتفـع بهذا الكتاب كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وأن يجمعنـا الله مـع

الأحبة "محمد وصحبه" في مقعد صدق عند مليك مقتدر. فهو على كل شئ قديـــر، وبالإجابة جدير، والصلاة والسلام على المبعوث رحمـــة للعـــالمين، وعلـــى آلـــه وصحبه أجمعين، وكل من اتبع سنته واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

آميـــــــن يـــــــا رب العـــــــــالمين..

الكتاب الثالث
رشفات من الحقائق

لأستاذنا العالم الولى التقى

د. حسن عباس زكى

جازاه الله عنا خير الجزاء

وهى عبارة عن مقتطفات
من جواهر التصوف التى جمعها سيادته
نتيجة جهده الدءوب فى خوض بحار المعرفة
التى لا يقدر على خوض عبابها إلا ربّان
ماهر مثله تعود على الغوص
فى
أعماق الحقيقة العالية واقتطاف اللآلىء النادرة

الفصل الأول

بعض حقائق لازمة فى سلوك الطريق

صورة الفلك

اعلم أن صورة الفلك عند المحققين واقعة مثل صورة آدم، وكذلك كل مـــا فى وسط الفلك واقع أيضاً. ومن جملة ما فى وسط الفلك "كرة الأرض" فإنها مثـــل بنى آدم، فكما أن الآدمى أعلى ما فيه قلقولة رأسه، كذلك الأرض، أعلى ما فيـــها جبل عرفة. والناس يدبون إلى عرفة من كل ناحية، مثل الآدمى، إن دب عليه نمل، فبعض النمل يصعد من رجله ثم يمر على بطنه، حتى يصل إلى رأسه، وبعضـــه على جنبه الأيمن، وبعضه على جنبه الأيسر، وهكذا.

وأما حجة اليونانيين الذين يحتجون بصورة الفلك التى صورها أرسطو فإنه صورة كرة. وكذلك بطليموس، فإنه صورها على هيئة الآدمى، حين يكـــون فـــى بطنه أمه، فإنه يكون كرة مثلها، لأنه يكون رأسه بين رجليه.

حقيقة الذكر

الخصوصية ليست متفرقة على أمور شتى، وإنما هى محصورة فى أمـــر واحد وهو متى ملك ذكـــر الله قلب عبد من العبيد، كان خاصاً. ولكن هناك فـــرق بين ملك القلـــب للذكر وبين ملك الذكـــر للقلب، فالذى يملك قلبه الذكر هو بمعنى أن يكون طالبا للذكـــر ومتوجها له ومريده، والذى يملك الذكـــر قلبه هـــو الـــذى يكون قلبه مطلوبا للذكر ومرادا له.

فالأول حال أهل البدايات، الذين يتوجهون بقلوبهم للذكر، فإن عرضت عليه غفلة انقطع عن الذكر.

والثانى حال أهل النهايات، الذين امتزج الذكر بقلوبهم، فإن كـــان القلـــب متوجها للذكر، فالذكر جارى عليه، وإن عرضت عليه غفلة، أو توجه القلب لأمـــر

آخـــر، فالذكر جارى أيضاً عليه كما كان أولاً. وليس فيه هذا اعـــتراض بالآيـــة وقوله تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه﴾ (الأحزاب: ٤)، فإن الآيـــة أشارت إلى القلب المتوجه أو الطالب أو المالك للذكر، أما من نتكلم عنه فهو الـــذى يملك الذكـــر لقلبه، والطالب له، والمريد له، والمستولى عليه، سواء كـــان القلـــب متوجهاً له، أو متوجهاً لغيره.

وهذه الحالة إنما تنال بالوهب من الله، ولكن بعضها ينال بالكسب، وهو أنك تربط لسانك حتى لا يتحرك قليلاً ولا كثيراً، و تعلم قلبك التلفـــظ باســـم الجلالـــة، وتداوم على ذلك، لعل الله ينعم عليك بهذا الامتزاج، ولقد كان بعض العارفين يضع حصاة على لسانه، ويربطها حتى لا يتحرك لسانه، لأن عندهـــم مـــا دام اللســـان يتحرك مع القلب فى تلفظه بالذكر، فلا يعتبر ذاكراً بالقلب.

ويشترط فى ذكر اسم الجلالة تبين الهاء، حتى قال بعضهم: من لـــم يبيـــن الهاء فليس بذاكر. وتبينها لا يكون على الكمال إلا إذا ذكر اســـم الجلالة بـــالرفع وهى هكذا "اللهُ" بخلاف الخفض والنصب والجزم. ولذلك صـــار ذكـــره بـــالرفع أفضـــل. وهذا إذا ذكره مفردا، وإن كان مؤلفاً مع غيره فإنه يتغير بالعوامل. أمـــا إن كان مفرداً فإنه مبتدأ، و المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعة الضم الظاهر فى آخـــره، هكذا عند أهل العربية.

ذكر الحروف والأسماء

إن كل شئ ينطق بالحروف، والحروف هى أسماء الله الكليات، وهى ثمانية وعشرين حرفاً، وتحت كل اسم كلى، أسماء جزئية مركبـــة مـــن ذلـــك الاســـم لا تنحصر، وكل ما خلق الله ينطق بتلك الأســـماء الكليات التى هى الحروف، فمنـــهم من ينطق بحرف، ومنهم باثنين، ومنهم بثلاثة إلى أربعة.. إلا آدم وذريته أفضـــل المخلوقات، وأطلعهم الله على الأسرار الخافيات والعلوم والمعارف.

فالذى يذكر الأسماء الكليات، فهو ذاكر للأسماء الجزيئات، وقد مضى قوم من بنى آدم لا يذكرون إلا الأسماء الكليات، مثل قولهم هَا هَا هَا أو كقولهم أُلفُ أُلفُ، والحيوانات والجمادات والنباتات، كلهم ذاكرون الله بالأسماء الكليات، وكل من له صوت، فإنه يذكر تلك الأسماء بصوته، ومثل ذلك من الحيوان: الذباب والنحل والناموس وغيرهم، يذكرون الزاى، والزاى تحته من الأسماء الجزيئات، مالا ينحصر، كمثل اسمه: زارع، زكى، زاجر.. إلى غير ذلك.

ومن الحيوانات: الحمار أيضاً، فإنه يذكر الهاء والراء. هذان الحرفان ذكره على الدوام، والهاء تحتها من الأسماء الجزيئات: هادى، هو، هازم.. إلى غير ذلك والراء تحتها: رحيم، رحمن، رب..

ومن الجمادات: الماء، فإن ذكره حرف واحد، وهو حين يكون نازلاً من أعلى إلى أسفل، يقول طًا طًا طًا، وتحت الطاء من الأسماء الجزيئات: طاهر، طيب..

وهكذا لو اختبرت كل شئ، تجد له صوتاً، وذلك الصوت فيه حروف، وهذا كله معنى قوله ﷻ: ﴿**وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ (الإسراء: ٤٤)، وإن التسبيح هو النطق بالحروف، والنطق بالحروف هو فى حركاتهم، فالحيوان والنبات لما كانت حركاتهم ظاهرة، ظهر نطقهم بالحروف، ولكن المعادن لما كانت حركته خفية، كان نطقه بالحروف خفياً، ولذلك قال جل شأنه: ﴿**ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾.

الكواكب وسرعتها

القمر يقطع البرج فى يومين وثلث، وعطارد يقطعه فى سبعه عشر يوماً، والزهرة فى ستة وعشرين يوماً، والشمس فى ثلاثين يوماً، والمريخ فى خمسة وأربعين يوماً، والمشترى فى سنة كاملة، وزحل فى ثلاثين شهراً.

وأما فلك الكرسى فهو أسرع منهم كلهم، ولكن فلك الكرسى يطلع من المشرق إلى المغرب، وهذه الكواكب السبعة السيارة تسير من المغرب إلى المشرق، ولكن مسيرهم إلى ناحية مسير الكرسى غلبة وقهراً، لأنه محتوى عليهم. ومثال ذلك أن أحد يدوِّر رحاء، وكانت نملة دابة على تلك الرحاء تريد أن تدور بها، والنملة تسير إلى ناحية، والرحاء تدور إلى ناحية، فإن الرحاء تدور النملة إلى ناحيتها غلبة، والنملة لم تنتقل عن موضعها، ولا عن سيرها. وهذا هو الوصف إنما فى الكواكب السيارة فقط.

تقسيم البروج

إن عدد البروج مقسم على الكواكب السبعة السيارة. فإن أول البروج وهو الحمل وثامنهم وهو العقرب للمريخ، وثانيهم وهو الثور وسابعهم وهو الميزان للزهرة، وثالثهم وهو الجوزاء وسادسهم وهو السنبلة لعطارد، ورابعهم وهو السرطان للقمر، والخامس وهو الأسد للشمس، والقوس وهو التاسع والثانى عشر الحوت وهما للمشترى، والعاشر وهو الجدى، والحادى عشر وهو الدلو لزحل.

وكل كوكب من هذه السبعة له ثمانية وعشرون منزلة، يعنى هى منازل الفلك يسلكها فصار بذلك لكل كوكب ثمانية وعشرون صورة فى الدوائر الثلاث: يعنى له ثمانية وعشرون صورة فى الحيوان، وثمانية وعشرون صورة فى النبات، وثمانية وعشرون صورة فى المعدن. وذلك لأن كل كوكب حين يحل بمنزلة من المنازل الثمانية والعشرين، تكون له صورة فى عالم الكون والفناء خاصة به. كمثل المريخ فإن له كل من له مخلب ويفترس من الحيوان، ومن النبات: كل شجرة شوكها مسموم، وغير ذلك، ثم أيضاً: إن اقترن كوكبين فى منزلة أو ثلاثة، كانت لهم صورة آخذه منهم كلهم، كمثل القمح، فلونه (أى صفاره) للمشترى، ولبه للزهرة، وقشره للمريخ.

الرضا والتسليم

إذا كان المريد له تدبير واختيار فى أمر دينه ودنياه، فهو محجـوب عنـه وعليه الجبال العظام من الشرك الجلى. وما دام على هذا الحال لم يجئ منه شـئ، ولم يذق من معارف الله شيئاً، ولا يقدر على فعل شئ مما هو مدبر له. وإن كـان على عكس هذا، فإنه يحيا بإذن الله. فالمريد إن قـدَّر الله عليـه ووجهـه لذكـره ومشـاهدته فإنه يعينه على ذلك، حتى لا يلتذ بمأكل ولا مشرب ولا نوم، ويـرى ذلك ليس من طوقه ولا من قوته، وإنما هو من فيض الله وفضله، فإنه عنـد ذلـك يكون شاكراً لربه. وإن قدَّر الله عليه غفلة أو قلة ذكر، فالواجب عليه أن يرضـى بذلك ويشاهد أنه ليس ذلك من حوله وقوته. ويكون حال المعصية يرى أنها من الله له عـدل، وهو مستحق لصدروها منه، ولصدور ما هو أكبر منها، ويرى نفسـه مثل دودة على إبرة، ويكون دائماً راضياً بمولاه، فرحاً بحكمه.

فإنه إن كان هكذا، فإنه يكون عبداً شكورا، وإن كان على خلافـه، فإنـه يكون عبداً كـفوراً لنعم الله. وفى مثله قال تعالى: ﴿**فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول رب أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقـه فيقـول رب أهانن كلا**﴾ (الفجر: ١٥-١٧)، انظر أيها العاقل كيف كذبه الله بقوله كلا. وأما مـن وفقه الله، وأسلم أمره إليه ولم ينازعه فى تدبيره، فإنه يكون عبداً شكورا، ويكـون مقتدياً بإبراهيم عليه السلام لأنه خاطب الله بالاستسـلام فقـال: ﴿**أسـلمت لـرب العالمين ووَصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب**﴾ (البقرة: ١٣١-١٣٢)، وهذا هو المـراد من لفظ الإسلام. ومثل هذا العبد المسلِّم إلى الله، يكون متنعماً دائمـاً فـى الجنـة، ويكون كما أخبر الله عن أهلها بقـوله: ﴿**فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم**﴾ (الواقعة: ٨٩). ولقد جمع بعض العارفين جميع ما فى الكتـب كلـها، وكذلك أحكام الطريق إلى الله كلها، فى لفظتين فقال: "كن مع ربـك بمـا أراد ولا تنازعه فيما أراد".

واعلم أيها الناظر أن الذى يكون بهذا الوصف يكون من أعبد النـــاس، وإن كان قليل العبادة، ويكون أكثر الناس ذكراً، وإن كان قليل الذكر. والذى يكون بهذا الوصـــف أيضاً يكون مثل الحكيم الذى عنده الكيمياء، فإنه إن وضع شيئـــاً منـــها على الحديد أو النحاس يصير ذهباً، ومعناه إن جرت عليه غفلة أو سهوة ثم استيقظ وشاهد ذلك وأيقن به، أنه ليس من حوله وقوته، وسلم ذلك الأمر لمـــولاه، فإنـــها تصير غفلته هذه من أرفع العبادات والأذكار. ولذلك قيل للجنيد "أرأيت إن ابتـــلاك الله بالكفر أترضـــى بذلك؟" فقال "نعم"، فقيل له "أترضى بـــالكفر؟"، فقـــال "مـــا رضيت بالكفر وإنما رضيت بما قدره الله علىّ".

مراتب الذكر

الذكر على ثلاث مراتب.

المرتبة الأولى **ذكر اللسان**، وهى تلفظ الحروف سواء كان القلب حـــاضراً أم لا، وهذا ذكر العوام ومقداره ثوابه الذى يحصل لصاحبه من الواحد إلى العشرة.

والمرتبة الثانية مرتبة **ذكـــر القلوب**، وهو أفضل من الأول، وهـــو أيضـــاً تلفظ الحروف مثل الأول، ولكن مع حضور القلب وهو ذكر الخواص.

وهذان الذكران وهما ذكر اللسان والقلب، قد يقع لصاحبهما امتزاج، حتـــى إنه يكون عقله خائضاً فى أمور الدين أو الدنيا والذكر جار عليه. وهاتان المرتبتان أدنى من التى بعدهما وهى المرتبة الثالثة.

أما المرتبة الثالثة فهى **ذكر الروح**، ويقال له **ذكر الفؤاد**، **وذكـــر الهمـــة**. وهـــى أفضل الأذكار وأعلاها وأعظمها. وهذا الذكر الذى فى هذه المرتبة، ليـــس هـــو تلفظ بالحروف مثل الأولين، بل هو ذكر الشهود، وهو أنـــك حيـــث تلاحـــظ مولاك فى حركتك وسكنتك، حتى تغيب فى المذكور عن كل شئ. وهـــذا أيضـــاً يكون تعلم واكتســـاب، مثل تعلم الصناعات. فإن المريد إن ظفر بشيخ كامل فأول ما يعلمه يقول له: تعلم ذكر مولاك بالقلب أو اللسان وتلفظ بالحروف، ثم بعد ذلـــك

يقول له: تعلم كيف تشاهد ربك فى حركتك وسكنتك، وهذا هو ذكر النهاية، وهو حين يريد الشيخ المربى، أن يقعد المريد على كرسى الخلافة، يعلمه هذه الصيغة، حتى يصير محكماً لها فيصير نساجاً مثلاً أو خرازاً مثلاً. فإن أحكم الصنعة انتهى أمره، وصار شيخاً مربياً.

وهذا الذكر الثالث هو ذكر الروح. وامتزاجه مخالف لامتزاج الذكرين الأولين، إن وقع لصاحبهما امتزاج، فإن صاحبهما ينفك عنه ذلك فى بعض الأوقات بحيث تطرأ عليه غفلة. وأما الذى امتزج معه ذكر الروح، فإنه لا ينفك عنه أصلاً. وهذا المقام هو المعبر عنه بالفناء، ومن حصل له هذا الامتزاج، كان عارفاً بالله كاملاً، وحصل له خير الدنيا والآخرة، وعز الدنيا والآخرة، وانتهى به سفره، وطاب له عيشه.

وأما الثواب الحاصل لذاكر الله بقلبه، فمن العشرة إلى السبعين، والثواب الواقع على الذكر المذكور، وهو ذكر الروح، فمن السبعين إلى السبعمائة إلى ما لا نهاية له.

الرضا بالقضاء وحقيقة التقوى

باب الله الأعظم هو الرضا بالقضاء، فمن دخل منه وصل إلى الله، ومن لم يدخل لم يصل. وكيفيته أن ترى نفسك لا حركة لك ولا سكون، وتموت وتدخل رمسك كما ستدخله بعد حين، وترى أن المحرك لك ولغيرك فى أمر دينك أو دنياك، هو الله لا غير، والمحرك للأشياء والمسكن لها هو الله، وأن تعلم ذلك علماً يقينياً وتتخيله يومياً وليس فى قلبك غيره، وهذه هى حقيقة التقوى.

والتقوى عموماً تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

تقوى أهل البداية، التى هى فعل الأوامر واجتناب النواهى.

وتقوى المتوسطين وهى ملازمة ذكر الله بالقلب، وهى الاستقامة المتوسطة.

وتقوى أهل النهاية التى هى أن ينفى المريد مشاهدة الوسائط، فـلا يـرى ببصر قلبه محركاً ولا مسكناً إلا الله. وأهل هذا قد تيسرت لهم الأمور، ولا يحـول بينهم وبين مولاهم شئ، من أشغال الدنيا أو غيرها، وكان عندهم ديـن الله سـهل مسهل.

بلسانه يقول مثلاً: يا فلان أعطنى كذا وكذا، أو يا فلان افعل كذا وكذا، أو غير ذلك، وقلبـه لا يخاطب إلا مولاه. وإن قال مثلاً: يا فلان أنت ضربتنـى، أو أنـت أضررتنى، أو أنت نفعتنى فقلبـه يقـول لا ينفعنـى ولا يضرنـى إلا الله. وصاحب هذا المقام لو قطعت يداه لم ير قاطعهما إلا الله، فإن قلبه لا يفتر عن ذكر الله، ولا يسكن قلبه عن شهود مولاه، لفنائه عمن سواه.

ذكر المكاشفة

هذا الشهود لله يسمى فى اصطلاح القوم ذكر المكاشفة. لا يـزال بـالعبد يقوى شيئاً فشيئاً، حتى يصير كأنه شهود حِسّى بالبصر، وهذا هو الباعث لموسـى عليه السلام، حتى سمى كليم الله، لأن هذا إذا اشتد على الخواص يصير مكالمـة. وإلى هذا أشار تعالى بقوله: ﴿**فلما آتها نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعـة المباركة من الشجرة أن يا موسى إنى أنا الله رب العالمين**﴾ (القصص: ٣٠)، وقال تعالى:﴿**هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالوادى المقدس طـوى اذهـب إلـى فرعون إنه طغى**﴾ (النازعات: ١٥-١٧)، إلى غير ذلك من الآيـات. وكذلـك وقـع لجميع الرسل.

وهذا الذكر المعبر عنه **بذكر المكاشفة**، هو المعبر عنه أيضاً **بذكر الروح**، **وهو المعبر عنه بذكر الفؤاد والسر**، **وهو أعظم الأذكار**، وأعظم العبادات. فذكـر الله بهذه الحيثية مرة واحدة، أفضل من أن تجلس فى خلوة، وتذكر اسـم الجلالـة "**الله**" سبعين ألف مرة بقبلك لا بلسانك، لأن ذكر الله بالقلب أفضـل مـن ذكـره باللسان، وذكره بالروح أفضل من ذكره بالقلب. وأما الذى لم يلاحظ هذا الشـهود،

وإنما هو يلاحظ لنفسه وأفعالها، فهو دنّى المقام بالنسبة لصـــاحب هـــذا الشـــهود، وسواء كان يذكر الله بلســـانه أو بقلبه، لأنه يقول بلسانه ما ليس فى قلبه، وهذا بعيد عن الله، لأن نتيجة ذكر الله باللسان أو القلب، هو تحصيل هذا الشهود.

وهذا العبد الواقف مع شهود نفسه وأفعالها، لم تحصل لــه نتيجــة ذكــره. ولذلك ذكر أن رجلاً اسمه إجوان كان يقول بلسانه الله، والملائكة تقول عليه لعنـــة الله. وهـــذا أصابته هذه المصيبة، من حيث كون لسانه ناطق بما ليس فـــى قلبـــه. وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ بقوله: "*من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له*"، لأن الصلاة من جملة الأذكار.

وحاصله أن الذكر على ثلاث مراتب. **الأولى** منه لأهل البدايات وهو ذكر اللســـان وهذا أدنى المراتب، وهو تلفظ بالحروف. و**الثانية** الذكر بـــالقلب، وهـــو أيضاً تلفظ بالحـــروف مع حضور القلب وهو لأهل التوسط، وهـــو أفضـــل مـــن الأول. وهذان الذكران يحصل امتزاجهما للملازم لهما بحيث يكون نائماً أو ســـاهياً أو متوجهاً لأمر من الأمور، وقلبه أو لسانه يقول: "**الله. الله. الله.**" من غير شعور لصاحبها. والمرتبة **الثالثة** ذكر الروح وإن شئت قلت، ذكر الفؤاد والسر أو الهمة، وهـــذا ذكر أهل النهايات، وهو اعظم الأذكار، وهو ليس تلفظ بالحرف بـــل ذكـــر المعنى فقط. وصـــاحب هذا الذكر وإن استمر معه حتى امتزج بدمه ولحمه، فإنـــه يصير فانياً عن غير الله، ولا ينفك عنه هذا الذكر أصلاً، بخلاف امتزاج الذكريـــن المتقدمين وهما ذكر القـــلب واللسان، فإن صاحبهما يكون ذكره ممتزجـــاً معـــه، ولكنه غافل عنه، وليس له شعور به.

وهذا الذكر أيضاً الذى هو ذكر الروح، هو الذى طلبه منا مولانـــا ﷻ لا غير وإليه الإشارة بقوله ﷻ : ﴿**وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون**﴾ (الذاريات: ٥٦). فإن العبودية هى رسوخ هذا الشعور فى القلب، وهو المـــراد مـــن الصـــلاة والزكاة والصوم والحج وجميع شرائع الإسلام، وهو المراد أيضاً من سائر العبادات وأنواع التقربات، فمن حصله فقد حصل جميع الطاعات والعبادات، ومن فاته فقـــد

فاته كل خـير، وهو المقصود من الذكر، سواء كان بالقلب أو باللسان فمن حصل له هذا الشهود، فقد حصلت له نتائج ذكره، ومن فقده فقد نتائج ذكره. وإليه أشـار بعض العارفين بقوله "**الموت أفضل من الفوت**"، فإن الموت يقطعك عن الخلـق، والفوت يقطعك عن الله.

فصاحب هذا الشهود الممتزج معه لا فوت فى حقه، **والفوت** معنـاه فـوت الوقـت، ومعنى فوت الوقت هو أن يمر عليك وقت من الزمان، وأنت لـم تقـض حق الله، وحق الله ذكره. فصاحب هذا الشهود لا فوت فى حقه كمـا ذكرنـا، وإن رأيته طول عمره مشتغلاً بمباشرة الخلق، ومتوجهاً بظاهر جسده لصالح معاشـه. وأذكر هاهنا قول سهل بن عبد الله حيث قال: "منذ ثلاثين سنة وأنا أكلم الله، والناس يظنون أنى أكلمهم". والغافل عن هذا الشهود قد فاته الوقت، وإن كـان فـى ذلـك الوقت حصّل أمراً من أمور الدين، مثل تحصيل علم أو نحوه، وفى هذا المعنى قال ابن عطاء الله: "حقوق فى الأوقات يمكن قضاؤها، وحقوق فى الأوقات لا يمكـن قضاؤها"، وقال: "ما فات من عمرك لا عوض له، وما حصل لك منه لا قيمة له"، وقال أيضاً: "ما من نفس تردده، إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيـد، فكيـف تقضى حق غيره فيه، وأنت لم تقض حق الله فيه".

عدم منازعة الحق ومقام الكمال

ينبغى للمريد ألا ينازع مولاه فيما قدره عليه، وليكن مثل العبـد المملـوك الراضى بأفعال سيده، وسيده يقلبه كيف يشاء، فتارة يدخله إلى بستان فيـه ثمـار وروائح طيبة، وتارة يدخله إلى مزبلة أو إلى مكان فيه أنواع النجاسات. وهو فـى جميع ذلك فرح بسيده، وليس له حظ إلاّ رضاء السيد، فهذا أولى وأحـق برضـاء السيد.

فكذلك المريد إن استمرت به أوقات طيبة، كان له فيها حضـور وأذكـار وشهود وأنـوار، فهو فرح بمولاه الذى صيره إلى ذلك، وإن استمرت به أوقـات

كان عليه فيها ظلمات وغفلات وشهوات وغير ذلك، فليكن أيضاً فرحاً وراضياً بمولاه الذى أقامه فى ذلك، فهذا المريد من الكروبيين عند الله.

ومقام آخر أعلى من هذا الذى ذكرنا، وهو أن يكون المريد ليس يرى بقلبه إلاَّ الله لا يرى سواه، فيكون فانياً عن نفسه، وعن غير الله على الإطلاق، وعن رضائه وعن فرحه أيضاً، قد اضمحل رسمه وفنى جسمه، ومات ودخل رمسه، وقامت قيامته، وهذا هو مقام الكمال.

وفى هذا المعنى تكلم سحنون المجنون، لما سأله رجل عن البرق وما معناه، وذلك أنه كان جالساً معه، فلمع البرق فى الجو، فقال له ذلك الرجل: يا سيدى ما هذا البرق الذى يلمع؟ فقال له **"هو"** -يعنى الله، فقال له: وما هذه السحب التى تنزل؟ فقال له: ذلك **"هو"**، فقال له وما هذا الضباب؟ فقال له: **"هو"** ذلك كله. فسمى بهذا الكلام مجنوناً، وتسميتهم له بهذا الاسم حق، لأن من تكلم بهذا الكلام يجاوز العقل ولا يدركه بل هو من جملة الجنون.

الجمع والفرق

واعلم أيها المريد أنه حيث ما كان قلبك خالياً من الجمع، فأنت عدو الله، قد جعلت معه الشريك، وجعلت معه الضد والند، وحيث كان لسانك خالياً من الفرق، فأنت ممقوت أيضاً، قد خالفت ما أمرك به مولاك، وطعنت فى جميع الرسل، وأسقطت جميع الشرائع، وكذبت جميع الكتب المنزلة على سائر الرسل، وهذا هو الكفر.

وحال الكمال هو أن تجزم بقلبك على الجمع، ولا يكن فى قلبك إلا **هو**، وتجعل فى لسانك الفرق وعلى ظاهرك ولا تتكلم إلا به، وتكون عند ذلك لك عين تنظر بها إلى الحقيقة وعين تنظر بها إلى الشريعة. وإلى هذا المعنى أشار أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى كلمة، جمع فيها كل ما ألفه المؤلفون، قال

ﷺ: "إذا أردت التى لا لومة فيها، فليكن الفرق على لسانك موجود، والجمع فى قلبك مشهود".

فاعلم أيها المريد أن الكلمة التى قالها الشاذلى، هى كلمة جامعة مانعة، ومطالعتها تغنى عن مطالعة كتاب كامل من كتب القوم، ومن سلك هذا المسلك، فليعلم أنه عارف بكيفية القوم فى بحر الحقيقة. وليس فى جميع الكتب المنزلة على الرسل إلا هذان الأمران وهما كون الفرق فى لسانك، والجمع فى قلبك، ولم يكلفنا الله إلا بهما، وإليهما يرجع المسألتان اللتان كلف بهما الخلق، وهما معرفة الله وعبادته. فمعرفة الله ترجع إلى الجمع ومحلها القلب وعبادته ترجع إلى القلب ومحلها اللسان، وظاهر العبودية العبادة، وباطنها المعرفة، وإليهما يرجع لفظ الشريعة والحقيقة، والجامع بينهما وارث لنبينا سيدنا محمد ﷺ.

وطاعة الله تعالى لها وجهان. فالوجه الأول **طاعة أرباب الظواهر**، وهى تقتضى ظاهر الشريعة. أما الوجه الثانى فهى **طاعة أرباب البواطن**، وهى تقتضى باطن الشريعة، وهى الحقيقة. وصفة هذه الطاعة عند أرباب البواطن هى الرضا بوارد القضاء، والفرح والسرور بكل ما قدره الله عليهم، وعدم المنازعة لإرادة الله. فإن قدّر الله عليهم مصيبة فى دنياهم، صارت عندهم مثل النعمة الكبيرة، ولا فرق عندهم بين الربح والخسران، ولا بين الوجود والفقد، ولا بين الذم والمدح، ولا بين الموت والحياة، ولا بين الصحة والسقم، ولا بين الضرر والنفع.

وكذلك أيضاً أحوالهم فى أمر دينهم فهم فرحون بمقادير الله عليهم من معصية وغفلة أو شهوة، ولا ينازعون فيما أراد. فإن ساقتهم تلك المقادير إلى الذكر، ذكروا الله كثيراً، وراقبوه فى أحوالهم، وكانوا فى غاية الامتثال للأوامر، وفى غاية الاجتناب للنواهى، فإنهم يكون فرحهم بمولاهم الذى تفضل عليهم بذلك. وإن ساقتهم المقادير إلى أن مرت عليهم غفلة أو شهوة أو معصية، أو ملاحظة الغير معه، فإنهم لا يحزنون من ذلك، ولا تتغير قلوبهم من أجله، بل تكون عندهم المعصية والطاعة سواء.

ولكن ينبغى لمن دخل فى هذا البحر الزاخر، وغيره فى أمواجه العظام، أن يتأدب بآداب الشريعة، بحيث ينزل كل من الطاعتين المذكورتين محلـــها. فطاعـــة الباطـــن التى هى الرضا والفرح بموارد القضاء محلها القلب، سواء قـــدر عليـــه طاعة أو معصية. وطاعة الظاهر التى هى الامتثال للأوامر، واجتناب النواهـــى؛ محلـــها ظاهر الجسد، وكل من قصر نظره عند واحـــدة منـــهما، فـــهو خـــافض. وبالجملة فالأولى يطلق عليها اسم الشـــريعة والثانية يطلق عليها اسم الحقيقة عـــن الشريعة، والكامل من جمع بينهما.

طرق تربية المريدين

واعلم أن المريدين فى تربيتهم على قسمين: قسم يتولى الله تربيتـــهم بـــلا واسطة، وقسم يجعل الله تربيتهم على يد واسطة هو الشيخ الكامل. فصار كل مـــن طلـــب الوصول إلى الله، وصدق فى طلبه، يوصله الله إليه. أما إن أراد وصولـــه إليه بغير واسطة، يسر عليه أيضاً ذلك، ويسر عليه الأسباب المتعلقة به.

غير أن المريد الذى يسلك الطريق على يد شيخ كامل، يكون فى حال سيره فى راحة وسلامة، ولا يمسه تعب ولا نصب فى حال سلوكه. بخلاف الذى تولـــى تربيته بغير واسطة، يعنى بغير شيخ، فإنه يكون فى غاية التعب والمشقة.

وإن كانت تربية الحق للعبد هى أكمل وأفضل من كل تربية، ولكن الشـــك يلازمه فى كل ما يرد عليه من جهة الحق. ومن لازمـــه الضعـــف والعجـــز، ولا يدرى بذلك الوارد أهو حق أم هو باطل، تضعف همته بسبب ذلك، ويقل عزمه.

أما من ظفر بشيخ كامل فإنه يكون فى غاية الســـلامة والأمـــان، ويكـــون بمنزلة من ركب فى سفينة معه ربان، هو المتكفل بمشقة البحر، ومشقـــة الريـــح وغيره.

كيفية النظر إلى الطاعة أو المعصية

واعلم أيها الناظر أن المريد إن كان يفرح بالوقت الذى يكـــون لـــه فيـــه حضور وأنس بمولاه، ويحزن على الوقت الذى يكون له فيه غفلة ونسيان، وعـــدم تذكر وعرفان، فهو فى غاية الجهل، وطمس البصيرة، وغاية البعد عـــن الله. ولا ينال المريد القرب التام مـــن الله ﷻ إلا إن صـــار لا يفـــرح إن صـــدرت منـــه الخصوصية ولا يحزن إن صدرت منه أوصاف البشرية، قال ﷻ: ﴿**لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**﴾ (الحديد: ٢٣). وقد قسم الصوفية وقت الإنسان على أربع مسائل وهى:

- إما أن يقضى الله على عبده فى بعض الأوقات بالطاعة والمعـــارف وأنـــواع القربات.
- ثم يقضى عليه فى بعض الأوقات بالمعاصى وجميع المخالفات.
- ثم يقضى عليه فى بعض الأوقات، ببلاء أو مصيبة فـــى مالـــه أو ولـــده، أو بمرض فى حقه، أو سائر الآفات.
- ثم يقضى عليه فى بعض الأوقات، بصحة فى بدنه وسلامة فى ماله وأهله.

هذه أربعة أحوال تتعاقب على الإنسان، فرض الله عليه فيها أربعة فرائض:

- فإن تفضل عليه بالطاعة والمعرفة، فعليه أن يرى أن تلك الطاعة تفضلاً مـــن الله عليه ولا طاقة له على فعلها، ولا قدرة له علـــى اكتســـابها، لـــولا أن الله تعالـــى هو الذى أعانه عليها.
- وحـــق الله على العبد إن قدَّر عليه معصية أو غفلة أو شهوة، أن يتوب إلى الله منها، ويعترف بعجزه عن دفع ذلك عن نفســـه، ويتحقـــق أن تلـــك المعصيـــة والجهل والمخالفـــة فهى أصله، وهو الذى يستحقها، وذلك النقص هو مقامـــه،

وهـو مسكنه وقراره، ولا خروج له منه أصـلاً، إلا أن تفضـل الله عليـه، وأدخله إلى محل ليس هو محله، وهو محل الطاعة.

- وحق الله عليه إن قدَّر عليه مصيبة فى بدنه أو ماله أو أهلـه أن يعـترف لـه بالضعف والعجز عن أن يدفع شيئاً من ذلك عن نفسه، ويلجأ إليه فـى كشـف ضره.
- وحق الله عليه فى الصحة والعافية، أن يحمده يشكره عليها، ويعترف بفضلـه عليه، حيث أنعم عليه بذلك.

فإن فعل ذلك كله صار الوقت لم يفته، قال ﷻ: ﴿**آلم، أحسب النـاس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾ (العنكبوت: ١-٣).

واعلم أيضاً أن الذى عرف قدره ومقامه الذى ذكرناه ولم يتعداه، فحق على الله أن ينصره على أعدائه وينجيه من حساده، ويعظم قدره عنـد أبنـاء جنسـه، ويكسوه ثوب الهيبة بين أقرانه.

الفصل الثانى
شرح لبعض اصطلاحات وإشارات
ومقامات وأخلاق الصوفية

الفرق بين المقام والحال

لقد كثر الاشتباه بين المقامات والأحوال واختلفت الإشارات فى ذلك من الشيوخ، وذلك لإمكان تداخلهما واشتباههما ويحتاج ذلك إلى ضابط للفرق بينهما. وقد قال الإمام السهروردى ﷺ: "إنما سُمى الحال حالاً لتحوله، والمقام مقاماً لثبوته واستقراره".

وقد يكون الشئ بعينه حالاً ثم يصير مقاماً، مثل أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة، ثم تزول الداعية بغلبة صفات النفس، ثم تعود ثم تزول، فلا يزال للعبد حال المحاسبة يتعاهده الحال، ثم يحول بظهور صفات النفس، إلى أن تتداركه المعونة من الله تعالى، ويغلب حال المحاسبة، وتنقهر النفس وتنضبط، وتتملكها المحاسبة، فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه، ويصير فى مقام المحاسبة بعد أن كان له حال المحاسبة، ثم ينازله حال المراقبة. فمتى كانت المحاسبة مقامه، يصير له من المراقبة حال، ثم يحول حال المراقبة، لتناوب السهو والغفلة فى باطن العبد إلى أن ينقشع ضباب السهو، ويتدارك الله عبده بالمعونة، فتصير المراقبة مقاماً بعد أن كانت حالاً. ولا يستقر مقام المحاسبة إلا بنازل حال المراقبة، ولا يستقر مقام المراقبة إلا بنازل حال المشاهدة، وهكذا يتقلب من حال إلى حال أعلى منه كالتحقيق بالفناء، والتخلص إلى البقاء، والترقى من عين اليقين إلى حق اليقين.

والأصل فى كل الأحوال، أنها محض مواهب لا تكتسب، لأنها غير مقدورة للعبد بكسبه، ولذلك تداولت ألسنة الشيوخ: أن المقامات مكاسب والأحوال مواهب.

وعلى الترتيب الذى درجناه كلها مواهب، إذ المكاسب محفوفة بالموهبة والمواهـب محفوفة بالكسب. فالأحوال مواجيد والمقامات طرق المواجيد. ولكن فى المقامـات ظهر الكسب وبطنت الموهبة، و في الأحوال بطن الكسـب وظـهرت الموهبـة. فالأحوال مواهب علوية سماوية، والمقامات طرقها. وقال أمير المؤمنين على بـن أبى طالب ﷺ: "سلونى عن طرق السماء فأنى أعرف بها مـن طـرق الأرض"، أشار إلى المقامات. فإن السالك لهذه الطرق يصير قلبـه سـماوياً، فـهى طـرق السـماوات. وقال بعضهم: "الحال هو الذكر الخفى". وقـال بعـض المشـايخ: "الأحوال مواريث الأعمال". وقال بعضهم: "الأحوال كالبروق".

الفناء والبقاء

قيل فى **الفناء** أن يفنى عن الحظوظ، فلا يكون له فى شئ حظ. ومعناه أن يفنى عن الأشياء كلها شغلاً، بمن فنى به. وقد قال عامر بن عبـد الله: "لا أبـالى امرأة رأيت أم حائطاً". ويكون محفوظاً فيمـا لله عليـه، مصروفـاً عـن جميـع المخالفات. **والبقاء** يعقب الفناء، وهو أن يفنى عمّا له، ويبقى بما لله، وقيل البـاقى أن تصير الأشياء كلها لله شيئاً واحداً، فتكون كل حركاته فى موافقـة الحـق، دون مخالفته، فكان فانياً عن المخالفات، باقياً فى الموافقات.

وقيل: الفناء هو الغيبة عن الأشياء، كما كان فناء موسى حين تجلى ربـه للجبل. وقال الجنيد: "الفناء استفحام -أى انمحاق واستهلاك- الكل من أوصـافك، واشتغال الكل منك بكله". وقال إبراهيم بن شيبان: "علم الفناء والبقاء يدور علـى إخلاص الوحدانية، وصحة العبودية، وما كان غير هذا فـهو المغـاليط". وسـئل الخراز: "ما علامة الفانى؟"، قال: "علامة من ادعى الفناء ذهاب حظه من الدنيـا والآخرة، إلا من الله".

وهذه الشروح بعضها إشارة إلى فناء المخالفات، وبقاء الموافقات، وهذا ما تقتضيه التوبة النصوح. وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص والأمل وهـذا

يقتضيه الزهد. وبعضها إشارة إلى زوال الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف المحمودة، وهذا يقتضيه تزكية النفس.

الفناء المطلق

وكل هذه الإشارات فيها معنى الفناء من وجه، ولكن الفناء المطلق هو ما يستولى من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد، فيغلب كون الحق سبحانه على كونه العبد.. وهو ينقسم إلى فناء ظاهر، وفناء باطن.

فأما **الفناء الظاهر** هو أن يتجلى الحق سبحانه بطريق الأفعال، ويسلب عن العبد اختياره وإرادته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلاً إلا بالحق، ثم يأخذ فى المعاملة مع الله تعالى بحسه حتى يتجرد له فعل الله فيه، ويقيض الله له من يتولاه كيف شاء وأحب.

و**الفناء الباطن** أن يكاشف تارة بالصفات، وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات، فيستولى على باطنه أمر الحق، حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس.

وليس من صورة الفناء أن يغيب إحساسه، وقد يتفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص، وليس ذلك من ضرورة الفناء على الإطلاق، وقد يتسع على الفانى الاستغراق فى الفناء فيكون محققاً بالفناء، ومعناه روحاً وقلباً، ولا يغيب عن كل ما يجرى من قول وفعل.

ويكون أقسام الفناء أن يكون فى كل فعل وقول مرجعه إلى الله تعالى، وينتظر الإذن فى كليات أموره، فيكون فى الأشياء بالله لا بنفسهِ، فتارك الاختيار منتظر لفعل الحق فان، وصاحب الانتظار لإذن الحق فى كليات أموره، راجع إلى الله بباطنه فى جزيئاتها فان. ومن ملكه الله اختياره، وأطلقه فى التصرف، يختار كيف شاء وأراد، لا منتظراً للفعل، ولا منتظراً للإذن، هو باقٍ، والباقى فى مقام لا يحجبه الحق عن الخلق، ولا الخلق عن الحق والفانى محجوب بالحق عن الخلق.

والفناء الظاهر لأرباب القلوب والأحوال، والفناء الباطن لمن أطلق عن وثاق الأحوال، فصار بالله لا بالأحوال، وخرج من القلب فصار مع مُقلّبه لا مع قلبه.

الجمع والتفرقة

قيل أصل الجمع والتفرقة قوله ﷻ: ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو**﴾ (آل عمران: ١٨)، فهذا جمع. ثم فرّق بقوله ﷻ: ﴿**والملائكة وأولوا العلم**﴾ (آل عمران: ١٨). وقوله ﷻ: ﴿**آمنا بالله**﴾ (البقرة: ١٣٦)، جمع. ثم فرّق بقوله: ﴿**وما أنزل إلينا**﴾ والجمع أصل، والتفرقة فرع. وكل جمع بلا تفرقة زندقة، وكل تفرقة بلا جمع تعطيل. وقال الجنيد ﷺ : "القرب بالوجد جمع، وغيبته في البشرية تفرقة". وقيل: جمعهم في المعرفة وفرقهم في الأحوال، والجمع اتصال لا يشاهد صاحبه إلا الحق فمتى شاهد غيره فما جمع، والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة. وعباراتهم في ذلك كثيرة، والمقصود أنهم أشاروا بالجمع إلى تجديد التوحيد، وأشاروا بالتفرقة إلى الاكتساب. فعلى هذا لا جمع إلا بتفرقة.

ويقولون فلان في عين الجمع، يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه، فإذا عاد إلى شئ من أعماله، عاد إلى التفرقة. فصحة الجمع بالتفرقة، وصحة التفرقة بالجمع. وهذا يرجع أصله إلى أن الجمع من العلم بالله، والتفرقة من العلم بأمر الله، ولا بد منهما جميعاً. قال أبو يزيد: "الجمع عين الفناء بالله، والتفرقة العبودية متصل بعضها بالبعض، وقد غلط قوم وادعوا أنهم في عين الجمع، وأشاروا إلى صرف التوحيد، وعطلوا الاكتساب، فتزندقوا. وإنما الجمع حكم الروح، والتفرقة حكم القلب. فما دام هذا التركيب باقياً، فلابد من الجمع التفرقة". وقال الواسطي: "إذا نظرت إلى نفسك فرقت، وإذا نظرت إلى ربك جمعت، وإذا كنت قائماً بغيرك فأنت بلا جمع ولا تفرقة". وقيل جمعهم بذاته في صفاته.

وقد يريدون بالجمع والتفرقة: أنه إذا أثبت لنفسه كسباً ونظراً إلى أعماله فهو فى التفرقة، وإذا أثبت الأشياء بالحق فهو فى الجمع. ومجموع الإشارات ينبئ أن الكون يفرق، والمكون يجمع. فمن أفرد المكون جمع، ومن نظر إلى الكون فرّق. فالتفرقة عبودية، والجمع توحيد. فإذا أثبت طاعته نظراً إلى كسبه فرّق، وإذا أثبتها بالله جمع، وإذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع، ويمكن أن يقال رؤية الأفعال تفرقة، ورؤية الصفات جمع، ورؤية الذات جمع الجمع.

سئل بعضهم عن حال موسى عليه السلام فى وقت الكلام، فقال فنى موسى عن موسى، فلم يكن لموسى خبر عن موسى، ثم كلم، فكان المكلِّم والمكلَّم هو. وكيف كان موسى يطيق حمل الخطاب؟ ورد الجواب لو بإياه سمع. قال: ومعنى هذا أن الله تعالى منحه قوة، بتلك القوة سمع، ولولا تلك القوة ما قدر على السمع.

التجلى والاستتار

قال الجنيد: "إنما هو تأديب وتهذيب وتذويب". فالتأديب محل الاستتار وهو للعوام. والتهذيب للخواص وهو التجلى. والتذويب للأولياء، وهو المشاهدة.

وحاصل الإشارات فى الاستتار والتجلى، راجع إلى ظهور صفات النفس. فمنها الاستتار وهو إشارة إلى غيبة صفات النفس، بكمال قوة صفات القلب. ومنها التجلّى، ثم التجلّى قد يكون بطريق الأفعال، وقد يكون بطريق الصفات، وقد يكون بطريق الذات. والحق تعالى ألقى على الخواص موضع الاستتار رحمة منه لهم ولغيرهم. فأمّا لهم: فإنهم به يرجعون إلى مصالح النفوس. وأما غيرهم: فإنه لولا مواضع الاستتار لم ينتفع بهم، لاستغراقهم فى جمع الجمع وبروزهم لله الواحد القهار.

قال بعضهم: علامة تجلّى الحق للأسرار هو ألا يشهد السّر ما يتسلط عليه التعبير ويحويه الفهم، فمن عبّر أو فهم، هو صاحب خاطر استدلال لا ناظر

إجلال. وقال بعضهم: التجلّى رفع حجب البشرية، لا أن يتلون الحق ﷻ .
والاستتار أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب.

التّجريد والتّفريد

يشيرون إلى التجريد حين يتجرد العبد عن الأعواض فيما يفعله، لا يأتى ما يأتى به نظراً إلى الأعواض فى الدنيا والآخرة، بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب عبودية وانقياد.

أما التفريد ألا يرى نفسه فيما يأتى به، بل يرى منة الله عليه.

فالتجريد ينفى الأغبار والتفريد ينفى نفسه، لاستغراقه فى رؤية نعمة الله عليه، وغيبته عن كسبه.

الوجد والتّواجد والوجود

الوجد ما يرد على الباطن من الله تعالى، يكسبه فرحاً أو حزناً، ويغيره عن هيئته، ويتطلع إلى الله ﷻ. وهو فرجة يجدها المغلوب عليه بصفات نفسه، ينظر منها إلى الله ﷻ.

والتواجد استجلاب الوجد بالتذكر والتفكر.

والوجود اتساع فرجة الوجد، بالخروج إلى فضاء الوجدان، فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع العيان. فالوجد عرضة للزوال، والوجود ثابت ثبوت الجبال.

وقد قيل:

قد كان يطربنى وجدى فأفقدنى
عن رؤية الوجد من فى الوجد موجود

والوجد يطرب من فى الوجد راحته
والوجد عند حضور الحق مفقود

الغلبة

الغلبة وجد متلاحق، فالوجد كالبرق يبدو، والغلبة كتلاحق البرق وتواتره، يغيب عن التمييز. فالوجد ينطفئ سريعاً، والغلبة تبقى الأسرار مضيئة.

المسامرة

وهي تفرد الأرواح بخفى مناجاتها، ولطيف مناغاتها، في سر السر، بلطف إدراكها للقلب، لتفرد الروح بها، وتلزمه بها دون القلب.

السكر والصحو

السكر استيلاء سلطان الحال. والصحو العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال. قال محمد بن خفيف: "السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب". وقال الواسطي: "مقامات الواجدين أربعة: الذهول، ثم الحيرة، ثم السكر، ثم الصحو، كمن سمع بالبحر، ثم دنا منه، ثم دخل فيه، ثم أخذته الأمواج. فعلى هذا من خفي عليه أثر من سريان الحال فيه، فعليه أثر من السكر، ومن عاد كل شئ منه إلى مستقره فإنه صاح السكر. لأرباب القلوب والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب".

المحو والإثبات

المحو إزالة أوصاف النفوس. والإثبات إثباتها بما أنشأ الحق له من الوجود به، فهو بالحق لا بنفسه، بإثبات الحق إياه، مستأنفاً بعد أن محاه عن أوصافه.

قال ابن عطاء: يمحو أوصافهم، ويثبت أسرارهم.

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

علم اليقين ما كان عن طريق النظر والاستدلال. و**عين اليقين** ما كان عن طريق الكشف والنوال. و**حق اليقين** ما كان بتحقيق الانفصال عن لوثة الصلصال بورود رائد الوصال..

قال فارس: "علم اليقين لا اضطراب فيه، وعين اليقين هو العلم الذى أودعه الأسرار، والعلم إذا انفرد من نعت اليقين، كان علماً بلا شبه، وحق اليقين هو حقيقة ما يشير إليه علم اليقين وعين اليقين".

قال الجنيد: "حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك وهو أن يشاهد الغيوب، كما يشاهد المرئيات، مشاهدة عيان، ويحكم على الغيب فيخبر عنه بالصدق، كما أخبر الصدّيق حين قال لما قال له رسول الله ﷺ: ماذا أبقيت لعيالك؟ قال: الله ورسوله".

وقال بعضهم: علم اليقين حال المعرفة، وعين اليقين حال الجمع، وحق اليقين جمع الجمع بلسان التوحيد.

وقيل: اسم ورسم وعلم وعين وحق. فالاسم والرسم للعوام، والعلم علم اليقين للأولياء، والعلم علم اليقين لخواص الأولياء، وعين اليقين لخواص الأولياء، وحق اليقين للأنبياء، وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا محمد ﷺ.

الوقت

المراد بالوقت ما هو غالب على العبد، وأغلب ما على العبد وقته فإنه كالسيف يمضى العبد بحكمه ويقطع. وقد يراد بالوقت، ما يهجم على العبد لا بكسبه، فيتصرف فيه فيكون بحكمه. يقال فلان بحكم الوقت، يعنى مأخوذاً عما منه بما للحق.

الغيبة والشهود

الشهود هو الحضور وقتاً بنعت المراقبة، ووقتاً بوصف المشاهدة، فما دام العبد موصوفاً بالشهود أو الرعاية فهو حاضر، فإذا فقد حال المشاهدة والمراقبة، خرج من دائرة الحضور فهو غائب. وقد يعنون بالغيبة: الغيبة عن الأشياء بالحق، فيكون -على هذا المعنى- حاصل ذلك راجعاً إلى مقام الفناء.

الذوق والشرب والرى

فالذوق إيمان. والشرب علم. والرى حال. فالذوق لأرباب البوادى، والشرب لأرباب الطوالع واللوامع، والرى لأرباب الأحوال، وهى أن الأحوال هى التى تستقر فما لم تستقر فليست بحال، وإنما هى لوامع وطوالع. وقيل الحال لا تستقر، لأنها تحول، فإذا استقرت صارت مقاماً.

المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة

فالمحاضرة لأرباب التلوين. والمشاهدة لأرباب التمكين. والمكاشفة بينهما إلى أن تستقر المشاهدة. بالمحاضرة لأهل العلم، والمكاشفة لأهل العين، والمشاهدة لأهل الحق -أى حق اليقين.

التلوين والتمكين

التلوين لأرباب القلوب، لأنهم تحت حجب القلوب. والقلوب تخلص إلى الصفات، وللصفات تعدد بتعدد جهتها، فتظهر لأرباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات، ولا تتجاوز القلوب، وأربابها عن عالم الصفات. وأما أرباب التمكين فقد خرجوا من مشاع الأحوال، وخرقوا حجب القلوب، وباشر أرواحهم سطوع نور الذات، فارتفع التلوين لعدم التغيير فى الذات، إذ جلّ ذاته عن حلول الحوادث والتغييرات.

فلما خلصوا إلى موطن القرب من تجلى الذات، ارتفـــع عنـــهم التلويـــن، فالتلوين حينئذ يكون فى نفوسهم، لأنها فى محل القلوب لموضع طهارتها وقدســـها، والتلوين الواقع فى النفـــوس، لا يخرج صاحبه عن حـــال التمكيـــن، لأن جريـــان التلوين فى النفس، لبقاء رسم الإنسانية، وثبوت القدم فى التمكيـــــن، كشـــف حـــق الحقيقة.

وليس المعنى بالتمكين ألا يكون للعبد تغير فإنه بشر. وإنما يعنى بـــــه مـــا كوشـــف من الحقيقة لا يتوارى عنه أبدا، ولا يتناقص بل يزيد، وصاحب التلويـــن قد يتناقص الشئ فى حقه عند ظهور صفات نفسه، وتغيب عنه حقيقة فـــى بعـــض الأحوال، ويكون ثبوته على مستقر الإيمان، وتلوينه فى زوائد الأحوال.

ذكر القول فى بعض المقامات ومنازل السائر للمسالك

مقـــام التوبـــة

قال الإمام السهروردى ﷺ: التوبة هى أصل كل مقام وقوامه ومفتاح كل حال وهى أول المقامات، وهى بمثابة الأرض للبناء، فمن لا أرض له لا بناء لـــه، ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام. وقد رأيت أن المقامـــات والأحـــوال يجمعـــها ثلاثة أشياء، بعد صحة الإيمان وعقوده وشروطه، فصارت مع الإيمـــــان أربعـــة. ورأيتها فى إفادة الولادة المعنوية الحقيقية بمثابة الطبائع الأربع التـــى جعلـــها الله تعالى بإجراء سنته مفيدة للولادة الطبيعية. ومن تحقق بحقائق هذه الأربـــــع، يلـــج ملكوت السماوات، ويكاشف بالقدر والآيات، ويصير لـــه ذوق وفـــهم لكلمـــات الله المنزلات، ويحظى بجميع الأحـــوال والمقامات، وكلها من هذه الأربـــع ظـــهرت، وبها تهيأت. أحد هذه الثلاثة بعد الإيمان التوبة النصوح. والثانى الزهد فى الدنيـــا. والثـــالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله ظاهرا وباطنـــا مـــن غـــير فتـــور وقصور. ثم يستعان على تمام هذه الأربعة بأربعة أخرى بها تمامها وقوامها وهى: قلة الكلام، وقلة النوم، وقلة الطعام، والاعتزال عن الناس.

واتفق المشايخ والعلماء والزاهدون على أن هذه الأربعة بها تستقر المقامات وتستقيم الأحوال، وبها صار الأبدال أبدالاً، بتأييد الله وحسن توفيقه. وتبين بالبيـــان الواضـــح أن سائر المقامات تتدرج فى صحة هذه. ومن ظفـــر بـــها فقـــد ظفـــر بالمقامات كلهـــا. أولها بعد الإيمان التوبة، وهى فى مبدأ صحتها تفتقر إلى أحوال، وإذا صحتّ تشتمل على مقامات وأحوال، ولا بدَّ فى ابتدائها من وجـــود زاجـــر، ووجدان الزاجر حال لأنه موهبة من الله تعالى على ما تقرر أن الأحوال مواهـــب، وحال الزجر مفتاح التوبة ومبتداها.

كيف تتحقق التوبة النصوح

إذا صحت التوبة صحت الإنابة، لأن الإنابة ثانى درجة التوبة، والمنيـــب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواه، فيرجع إليه من رجوعه، ثـــم رجـــع مـــن رجـــوع رجوعه، فيبقى شبحاً بين يدى الحق لا وصف له، مســـتغرقاً فـــى عيـــن الجمع. ومخالفة النفس، ورؤية عيوب الأفعال، والمجاهدة، تتحقق بتحقيق الرعايـــة والمراقبة. قال أبو سليمان: ما استحسنتُ من نفسى عملاً فأحتسبه.

ولا تستقيم التوبة إلا بصدق المجاهدة، ولا يصدق العبد فـــى المجـــاهدة إلا بوجود الصبر، والصبر ينقسم إلى فرض وفضل. فـــالفرض كـــالصبر علـــى أداء المفترضات، والصبر على المحرمات. ومن الصبر الذى هو فضل، الصبر علـــى الفقر، والصبر عند الصدمة الأولى، وكتمان المصائب والأوجاع، وترك الشكـــوى والصبر على إخفاء الفقر والصبر على كتمان المنح والكرامـــات ورزيـــة القـــدر. وحقيقة الصبر تظهر من طمأنينة النفس، ومن إبـــاء واســـتعصاء فيـــها. والتوبـــة النصوح تُلين النفس وتخرجها عن طبيعتها وشراســـتها إلـــى الليـــن. لأن النفـــس بالمحاسبة والمراقبة تصفو، وتنطفئ نيرانها المتأججـــة بمتابعـــة الـــهوى، وتبلـــغ بطمأنينتها محل الرضا ومقامه، وتطمئن فى مجارى الأقدار. والرضا ثمرة التوبـــة النصوح، وما تخلَّف عبد عن الرضا إلا لتخلفه عن التوبة النصوح. فـــإذاً التوبـــة تجمع حال الصبر ومقامه وحال الرضا ومقامه.

والخوف والرجاء مقامان من مقامات أهل اليقين، وهما كائنان فى صلب التوبة النصوح، لأن خوفه حمله على التوبة، ولولا خوفه ما تاب، ولولا رجاؤه ما خاف. فالرجاء والخوف يتلازمان فى قلب المؤمن، ويعتدل الخوف للتائب المستقيم فى التوبة. ثم إن الخائف التائب، حيث قيد الجوارح عن المكاره واستعان بنعم الله على طاعة الله، فقد شكر المنعم، لأن كل جارحة من الجوارح نعمة، وشكرها قيدها عن المعصية واستعمالها فى الطاعة.

أثر التوبة على الباطن

وإذا صحَّت التوبة النصوح، وتزكَّت النفس، انجلت مرآة القلب، وبان قبح الدنيا فيها، فحصل الزُهد. والزاهد يتحقق فيه التوكل، لأنه لا يزهد فى الموجود، إلا لاعتماده على الموعود، والسكون إلى وعد الله ﷻ هو عين التوكل. فمن استقام فى التوبة، وزهد فى الدنيا، وحقّق هذين المقامين استدرك سائر المقامات، وتمكَّن فيها وتحقَّق بها.

وترتيب التوبة مع المراقبة، وارتباط إحداهما بالأخرى: أن يتوب العبد ثم يستقيم فى التوبة، حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئاً، ثم يرتقى من تطهير الجوارح عن المعاصى إلى تطهير الجوارح عما لا يعنى، فلا يسمح بكلمة فضول ولا حركة فضول، ثم تنتقل الرعاية والمحاسبة من الظاهر إلى الباطن، وتستولى المراقبة على الباطن، وهو تحقق بعلم القيام، يمحو خواطر المعصية عن باطنه، ثم خواطر الفضول. فإذا تمكن من رعاية الخطرات، عُصم من مخالفة الأركان والجوارح، وتستقيم توبته.

وقيل: "لا يكون المريد مريداً، حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال شيئاً، عشرين سنة". ولا يلزم من هنا وجود المعصية، ولكن الصادق والتائب النادم، إذا ابتلى بذنب تتمحى أثر الذنوب عن باطنه فى العطف ساعة، لوجود الندم فى باطنه على ذلك، والندم توبة، فلا يكتب عليه صاحب الشمال شيئاً.

وإذا تاب توبة نصوحاً، ثم زهد في الدنيا، حتى لا يهتم في غذائه لعشائه، ولا في عشائه لغذائه، ولا يرى الادخار، ولا يكون له تعلق همّ بعد، يعتبر وقد جمع في هذا الزهد والفقر. والزهد أفضل من الفقر، وهو فقر وزيادة، لأن الفقير عادم الشئ اضطراراً، والزهد تارك الشئ اختياراً، وزهده يحقق توكله، وتوكله يحقق رضاه، ورضاه يحقق الصبر، وصبره حبس النفس وصدق المجاهدة، وحبس النفس لله يحقق خوفه، وخوفه يحقق رجاءه، ويحظى بالتوبة والزهد بكل المقامات.

والزهد والتوبة، إذا اجتمعا مع صحة الإيمان، يعزز هذه الثلاثة رابع تمامها، وهو دوام العمل لله. والعمل لله أن يكون العبد لا يزال ذاكراً، أو تالياً أو مصلياً، أو مراقباً لا يشغله عن ذلك إلا واجب شرعي، أو مهم طبيعي لا بد منه، وإذا استولى العمل القلبي على القلب، مع وجود الشغل الذي أداه إليه حكم الشرع، لا يفتر باطنه عن العمل فإذا كان مع الزهد والتقوى، متمسكاً بدوام العمل، فقد أكمل الفضل. سئل سهل بن عبد الله التستري: "أي منزله إذا قام العبد بها قام مقام العبودية؟"، قال: "إذا ترك التدبير والاختيار"

فإذا تحقق العبد بالتوبة والزهد ودوام العمل لله لم يشغله وقته الحاضر عن وقته الآتي، ويصل إلى مقام ترك التدبير والاختيار حتى يصل إلى أن يملك الاختيار، فيكون اختياره من اختيار الله، لزوال هواه وموفور علمه، وانقطاع مادة الجهل عن باطنه.

معنى التوبة

أن تتوب من التوبة. قيل معناه قول رابعة: "أستغفر الله من قلة صدقي في قولي، أستغفر الله". وقال ذو النون: "توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وتوبة الأنبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ ما ناله غيرهم". سئل أبو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشئ ويتركه ثم يخطر ذلك الشئ بباله أو يراه أو يسمع به فيجد حلاوته، فقال: "الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع، وليس له حيلة، إلا أن يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوى، وينكره بقلبه، ويلزم نفسه الإنكار ولا

يفارقه، ويدعو الله أن ينسيه ذلك ويشغله بغيره من ذكره وطاعته. وإن غفل عن الإنكار طرفة عين، أخاف عليه ألا يسلم وتعمل الحلاوة فى قلبه. ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الإنكار ويحزن، فإنه لا يضره بشئ".

الورع

قال رسول الله ﷺ: "ملاك الدين الورع". وقال عمر بن الخطاب ﷺ: "لا ينبغى لمن أخذ بالتقوى، ووزن بالورع، أن يذل لصاحب دنيا". وقال يحيى بن معاذ: "الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل". وقال الخواص: "الورع دليل الخوف، والخوف دليل العرفة، والمعرفة دليل القرب". وقال الشيخ أبو محمد عبد العزيز المهداوى ﷺ وقد تكلم فى قول الصديق ﷺ "كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع فى الحرام"، قال: "اعلم أن عدد المقامات سبعون، وهى قد تحصل بضرب من الاكتساب والاجتهاد. والصديق خرج عن مقامات العامة، فلم يكن نيله منها بل من مقام وهبى، لا وصف فيه ولا مشاركة، لأن السالكين مع الأوراد، والعارفين مع الواردات، وهى موهبة. وهذا مرمى الصديقين. ومضاهاة هذه المقامات فى سورة الأحزاب، وهو قوله ﷻ **﴿إن المسلمين والمسلمات﴾** إلى قوله **﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾** (الأحزاب: ٣٥)، وهى السابعة، فالحسنة بعشر، فهى سبعون لأصحاب المقامات وهم العموم، والثامنة والصائمين، فالصديق صام عن الكل".

الصبر

قال سهل: "الصبر انتظار الفرج من الله، وهو أفضل الخدمة وأعلاها". **وقيل: "لكل شئ جوهر وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر". فالصبر عرك النفس، وبالعرك تلين. والعلم يدل، والصبر يقبل، ولا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر. والصبر والعلم متلازمان، كالروح والجسد، ومصدرهما الغريزة**

العقلية، وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما، وبانفصال أحدهما عن الآخر -أعنى العلم والصبر- ميل أحدهما عن الآخر -أعنى النفس والروح.

وقال أبو الحسن البصرى بن سالم: "هم ثلاثة: متصبر، وصابر، وصبَّار".
فالمتصبر من صبر فى الله، فمرة يصبر، ومرة يجزع. والصابر من يصبر فى الله ولله ولا يجزع ولكن يتوقع منه الشكوى، وقد يتمكن منه الجزع. وأمَّا الصبَّار فذلك الذى صبره فى الله ولله وبالله، فهو لو وقع عليه جميع البلاء لا يجزع ولا يتغير، من جهة الوجوب والحقيقة، لا من جهة الرسم والخليقة، وإشارته فى هذا ظهور حكم العلم فيه، مع ظهور صفة الطبيعة.

الشكر

قال ﷺ: "*من ابتلى فصبر، وأعطى فشكر وظلم فغفر، وظلم فاستغفر، قيل ما باله؟ قال: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون*". قال بعضهم: الشكر هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم. وقال يحيى بن معاذ الرازى: لست بشاكر ما دمت تشكر، وغاية الشكر الحيرة لتسلسل النعم إذا لكل شكر نعمة متجددة.

الخوف

قال ﷺ: "*رأس الحكمة مخافة الله*". وقال بعضهم: "ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه، لكن الخائف التارك ما يخاف أن يعذب عليه". وقال سهل: "الخوف ذكر، والرجاء أنثى، أى منهما تتولد حقائق الإيمان". وقيل: "إن ﷻ جمع للخائفين، ما فرق فى جميع المؤمنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان"، وقال ﷻ: ﴿**هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون**﴾ (الأعراف: ١٥٤).

الرجاء

قال شاه الكرمانى: "علامة الرجاء حسن الطاعة". وقيل: "الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال". وقيل: "قرب القلب من ملاطفة الرب"، قال أبو على الروز

باري: "الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطائر، وتم في طيرانه".

روى عن لقمان الحكيم عليه السلام أنه قال لابنه: خف الله خوفاً لاتأمن فيه مكروه، وارجُه أشدّ من خوفك، فقال: كيف أستطيع ذلك؟ وأنا لي قلب واحد؟ قال أما علمت أن المؤمن لذو قلبين، يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر، وهذا لأنهما من حكم الإيمان.

التوكل

قال السري: "التوكل الانخلاع من الحول والقوة". وقال سهل: "كل المقامات له وجه وقفى، إلا التوكل فإنه وجه بلا قفى". وقال ذو النون: "التوكل ترك تدبير النفس، والانخلاع من الحول والقوة"، وقال أبو بكر الوراق: "التوكل ردّ العيش إلى يوم واحد وإسقاط هَمّ غد".

قال حمدون القصَّار: "التوكل هو الاعتصام بالله"، وقال: "وليس للأقوياء اعتداد بتصحيح توكلهم، وإنما شغلهم في تغيب النفس بتقوية مراد القلب، فإذا غابت النفس انحسمت مادة الجهل، فصح التوكل والعبد غير ناظر إليه وكلما تحرك من النفوس بقية، يرد على ضميرهم سر أن الله يعلم ما تدعون من دونه من شئ، فيطلب وجود الحق في الأعيان والأكوان، ويرى الكون بالله من غير استقلال الكون في نفسه، ويصير التوكل حينئذ اضطرار، ولا يقدح في توكل مثل هذا التوكل، مثل ما يقدح في توكل الضعفاء، من وجود الأسباب والوسائط، لأنه يرى الأسباب مواتاً، لا حياة لها إلا بالوكيل". وهذا توكل خواص أهل المعرفة.

الرضا

قال رسول ﷺ: "ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً". وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "من جلس على بساط الرضا لم ينله من الله مكروه، ومن جلس على بساط السؤال، لم يرض عن الله في كل حال". وقال ابن سمعون: "الرضا بالحق

والرضا له الرضا عنه". فالرضا به مدبراً ومختاراً، والرضا له إلهاً ورباً، والرضا عنه قاسماً ومعطياً. وأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له، لم يتمنَّ أنه فى غير الحالة التى اختار الله له.

التواضع

قال الإمام السهروردى ﷺ: "لا يلبس العبد لبسه أجمل من التواضع، ومن ظفر بكنز التواضع والحكمة، فقد استراح وأراح، وما يعقلها إلا العالمون". والتواضع رعاية الاعتدال بين الكبر والضعة -أى الحقارة، فالكبر رفع الإنسان نفسه فوق قدره، والضعة مذمومة، والكبر مذموم والعزة محمودة. قال ﷻ: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ (المنافقون: ٨)، والعزة غير الكبر ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه. قال بعضهم للحسن: "ما أعظمك فى نفسك"، قال: "لست بعظيم ولكنى عزيز". فالكبر جهل الإنسان نفسه، وإنزالها فوق منزلتها. والعزة معرفة الإنسان حقيقة نفسه، وإكرامها ألا يضعها لأقسام عاجلة دنيوية.

المداراة واحتمال الأذى من الخلق

كان من مداراته عليه الصلاة والسلام أنه لا يذم طعاماً ولا ينتهر خادماً. فالمداراة من كل أحد، من الأهل والأولاد والجيران والأصحاب والخلق كافة، من أخلاق الصوفية. واحتمال الأذى يظهر جوهر النفس، قال ﷺ: "المؤمن الذى يعاشر الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذى لا يخالطهم، ولا يصبر على أذاهم". وبالمداراة قطع حِمَّة النفس، ورد طيشها ونفورها. وقد ورد: "من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يخيره فى أى الحور شاء".

الإيثار والمواساة

وهى أيضاً من أخلاق الصوفية، ويحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعاً، وقوة اليقين شرعاً، لأنهم يؤثرون بالموجود، ويصبرون عن المفقود. قال

أبو يزيد البسطامى: "ما غلبنى أحد كما غلبنى شاب من أهل بلخ، قدم علينا حاجاً، فقال يا أبا يزيد ما حد الزهد؟ قلت: إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا، فقال: هكـــذا عندنا كلاب بلخ فقلت: ما الزهد عندكم؟ قال: إذا فقدنا صبرنا، وإذا وجدنا آثرنا".

وكان أبو بكر بن أبى سعيد يقول: من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس ولا قـلب ولا ملك، فمتى نظر إلى شئ من أسبابه، قطعه ذلك عن بلوغ مقصـــده. قال ﷻ: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (الحشر: ٩)، فليس العجب وجود السخاء فى الغريزة، وهو الداعى لنفوس الصوفية للبذل والإيثار والســـخاء. وهذا أتَمّ وأكمل من الجود ففى مقابلة الجود البخل، وفى مقابلـــة الســخاء الشـح والبخل. وبنظــرة إليهما نجد أنهما يحصلان بالاكتساب بطريــق العــادة بخــلاف الجود والسخاء، إذ كانا من ضرورة الغريزة، فكل سخى جواد، وليس كــل جــواد سخياً. والحق تعالى لا يوصف بالسخاء لأن السخاء من نتائج الغرائــز، والحـــق تعالـــى منزه عن الغريزة، والجود يتطرق إليه الرياء، ويأتى به الإنسان متطلعـــاً إلى عوض من الخلق أو الحق، بمقابلة من الثناء وغيره من الخلق والثواب من الله. والسخاء لا يتطرق إليه الرياء، لأنه لا ينبع إلا من النفس الزكية المرتفعـــة عــن الأعواض دنيا وأخرى، لأن طلب العوض مشعر بالخجل، معلولاً بطلب العــوض، فالسخاء لأهل الصفاء والإيثار لأهل الأنوار.

التجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة

قال رسول ﷺ: "**رأيت قصوراً مشرفة على الجنة، فقلت: يا جبريل لمن هذه؟ فقال الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس**". وقال ســفيان: "الإحســان أن تحسن لمن أساء إليك فإن الإحسان إلى المحسن، متاجرة كنقد السوق".

البشر وطلاقة الوجه

وهى أيضاً من أخلاق الصوفية. فالصوفى بكاؤه فى خلوته، والبشر وطلاقة الوجه مع الناس. فالبشر على وجهه من آثار أنوار قلبه، والسرور إذا تمكــن مــن

القلب فاضت على الوجه آثاره، **﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾** (عبس: ٣٨)، أى مضيئة مشرقة،ومستبشرة أى فرحة، قيل أسفرت من طول ما اغبرت فى سبيل الله. ومثال فيض النور على الوجه من القلب، فيضان نور السراج على الزجاج والمشكاة، فالوجه مشكاة والقلب زجاج، والروح مصباح. فإذا تنعم القلب بلذيذ المسامرة، ظهر البشر على وجهه، **﴿تعرف فى وجوههم نضرة النعيم﴾** (المطففين: ٢٤)، أى نضارته وبريقه. فأرباب المشاهدة من الصوفية تنورت بصائرهم بنور المشاهدة وانصقلت مرايا قلوبهم، وانعكس فيها نور الجمال الأزلى على الوجوه. وإذا أشرقت الشمس على المرآة المصقولة، استنارت الجدران. **﴿سيماهم فى وجوههم من أثر السجود﴾** (الفتح: ٢٩)، فيتأثر الوجه بسجود الظلال وهى القوالب فى قول ﷻ: **﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾** (الرعد: ١٥).

السهولة ولين الجانب

ومن أخلاقهم السهولة ولين الجانب والنزول مع الناس إلى أخلاقهم وطباعهم وترك التكلف والتعسف. كان رسول ﷺ يقول: "**إنى لا أمزح ولا أقول إلا حقاً**". فالصوفية من حسن أخلاقهم المداعبة، والنزول مع الناس على حسب طباعهم، لنظرهم إلى سعة رحمة الله. فإذا خلوا وقفوا موقف الرجال، واكتسوا ملابس الأعمال والأحوال. ولا يقف فى هذا المعنى على حد الاعتدال إلا صوفى قاهر للنفس، عالم بأخلاقها وطباعها سائس لها بموفور العلم، حتى يقف فى ذلك على صراط الاعتدال، بين الإفراط التفريط.

ولا يصلح الإكثار من ذلك للمريدين المتبدئين، لقلة علمهم ومعرفتهم بالنفس. قال سعيد بن العاص لابنه: "اقتصد فى مزاحك، فالإفراط منه يذهب البهاء ويجرئ عليك السفهاء وتركه يغيظ المؤانسين، ويوحش المخالطين". وفرق بين المداعبة والمزاح، فالمداعبة ما لا يغضب جده، والمزاح ما يغضب جده.

والحق أبو حنيفة رحمه الله القهقهة بالذنب، وجعله ناقضاً للوضوء، وقال: نقيم الإثم مقام خروج الخارج.

ترك التكلف

ومن أخلاقهم ترك التكلف وذلك أن التكلف تصنع وتعمل وتحايل على النفس لأجل الناس، وذلك يباين حال الصوفية، وفى بعضه خفى منازعة الأقدار وعدم الرضا بما قسم الجبار. ويقال: "التصوف ترك التكلف". والتكلف مذموم فى جميع الأشياء، كالتكلف بالملبوس للناس، من غير نية فيه، والتكلف فى الكلام وزيادة التملق.

الإنفاق من غير إقتار

ومن أخلاقهم الأنفاق من غير إقتار وترك الادخار. وذلك أن الصوفّى يرى خزائن فضل الله، فهو بمثابة من هو مقيم على شاطئ بحر، والمقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء لقربه منه. فالصوفّى كل خباياه فى خزائن الله تعالى، لصدق توكله وثقته بربه. فالدنيا للصوفى كدار الغربة، ليس له فيها ادخار، وليس له منها استكثار.

القناعة

ومنها القناعة باليسير من الدنيا. قال ذو النون المصرى: "من قنع استراح من أهل زمانه، واستطال على أقرانه". قال بنان الحمال: "الحر عبد ما طمع والعبد حر ما قنع". وقال بعضهم: "انتقم من حرصك بالقناعة، كما تنتقم من عدوك بالقصاص". وقال يحيى بن معاذ: "من قنع بالرزق، فقد ذهب بالآخرة، وطاب عيشه". فالصوفى قوَّام على نفسه بالقسط، عالم بالطبائع.

ترك المراء والمجادلة والغضب

ومنها ترك المراء والمجادلة والغضب إلا بحق واعتماد الرفق والعلم. وذلك أن النفوس تثب وتظهر فى الممارين، والصوفى كلما رأى نفس صاحبه

ظاهرة، قابلها بالقلب، وإذا قوبلت النفس بالقلب، ذهبت الوحشة، وانطفأت الفتنـــة. قال ﷻ تعليماً لعباده: **﴿ادفع بالتى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عدواه كأنه ولى حميم﴾** (فصلت: ٣٤). ولا ينزع المراء إلا من نفوس زكية، انتزع منها الغل، قـــال أبو حفص: "كيف يبقى الغل فى قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته، واجتمعـــت على مودته، وأنست بذكره، فإن تلك القلوب صافية من هواجس النفس، وظلمـــات الطبائع، بل كحلت بنور التوفيق فصارت إخواناً"، **﴿ونزعنا ما فى صدورهم مـــن غل﴾** (الأعراف: ٤٣).

وهكذا قلوب أهل التصوف المجتمعين على الكلمة الواحدة، مـــن الالـــتزام بشروط الطريق. روى الأصمعى عن أعرابى قال: "إذا أشكل عليك أمران لا تدرى أيهما أصوب فخالف أقربهما إلى هواك، فإن أكثر ما يكون الخطـــأ مـــع متابعـــة الهوى". قيل لبعضهم: من أقهر الناس لنفسه؟ قـــال: أرضـــاهم بـــالمقدور. وقـــال بعضـــهم: "أصبحت ومالى سرور إلا مواقع القضاء". قال ﷺ: "*الغضب جمرة مـن النار، ألم تر إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، فمن وجـد ذلـك منكـم، فإن كـان قائماً فليجلس، وإن كان جالساً فليضطجع*".

التودد والتآلف والموافقة مع الإخوان

ومن أخلاقهم التودد والتآلف والموافقة مع الإخوان، وترك المخالفة. قـــال ﷺ: "*مثل المؤمنين إذا التقيا، مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى. وما التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيراً*". قال رســـول ﷺ: "*تنصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس وهم لا يخافون، وهم أولياء الله، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقيل من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: المتحابون فى الله*". وقيل: "لو تحاب الناس وتعاطوا المحبة، لاستغنوا بها عن العدالة".

شكر المحسن على الإحسان

ومن أخلاقهم شكر المحسن على الإحسان، وذلك منهم مع كمـــال توكلـــهم على ربهم وصفاء توحيدهم، وقطع النظر عن الأغيار، ورؤيتهم النعمة من المنعـــم الجبَّـــار، اقتداء برسول الله ﷺ، حيث يقول: "ما من الناس أحد أمنّ علينا في صحبته، وذات يده من ابن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً"، وقال: "ما نفعني مال كمال أبي بكر".

فالخلق حجبوا عن الله تعالى بالخلق فى المنع والعطـــاء، والصوفـــي فـــي الابتداء يفنى عن الخلق، ويرى الأشياء من الله، حيث طالع ناصيته التوحيد، وخرق الحجاب الذى منع الخلق عن حرف التوحيد، فلا يثبت للخلق منعاً ولا إعطـــاء، أو يحجـــبه الخلق عن الحق. فإذا ارتقى إلى ذروة التوحيد، شكر الخلق بعـــد شكـــر الحق، ويثبت لهم وجوداً فى المنع والعطاء بعد أن يرى المسبب أولاً، وذلك لســـعة علمه وقوة معرفته، يثبت الوسائط فلا يحجبه الخلق عن الحق، كعامة المســـلمين، ولا يحجبه الحق عن الخلق، كأرباب الإرادة والمبتدئين، فيكون شكره للحق لأنـــه المنعم والمعطى والمسبب، ويشكر الخلق لأنهم واسطة وسبب.

وهكذا نكون قد عرفنا بعض اصطلاحات وإشـــارات ومقامـــات وأخـــلاق الصـــوفية، فى نبذات سريعة خاطفة، كمن اغترف غرفة بيده، من بحـــر خضـــم، يمـــوّج بكنوز هائلة، لا نطيق حملها.. ولكن لما كان "ما لا يدرك كلـــه لا يـــترك كله" فقد اغترفنا تلك الغرفة لنهدئ بها ظمأ شوقنا إلى المعرفـــة، ونشـــوق بـــها أرواحنا إلى مدارج الكمال والأنوار.

الفصل الثالث

شرح مصطلحات دائرة بين أهل الطريقة

وقد ذكر منها الشيخ أبو الحسن الششترى فى رسالته، نحواً من مائتين وخمسين اسماً، لخصها ورتبها الشيخ عمر الجزائرى على حروف المعجم.

الألف

الاسم: حروف الاستدلال على الذات. قيل وهو الحاكم على كل حال فى الوقت من الأسماء الإلهية.

الأسماء: علامات الحقائق.

الإشارة: تكون مع القرب بحضور غير، وتكون مع البعد.

الأثر: كل ما ظهر للحواس وورد على القلب.

أنا بلا أنا ونحن بلا نحن: يريد بذلك التخلى عن الأفعال ، أى لا فاعل إلا الله.

أنا أنت وأنت أنا: هو ذهاب اسم المحبوب فى محبوبه، وغيبته فى حضوره.

وكان مجنون بنى عامر يقول عن ليلى: أنا.

الأمر: يقال على ما يوجد فى النفس من غير سبب، وقيل هو السر الوارد على النفس.

الأفعال: كل ما سوى الله تعالى.

الأزل: يعبر به عن الماضى والحاضر. وقيل القدم الذى لا أول له.

الأبد: الدوام الذى لا انقطاع له.

الأمد: لحوظ العقل الدهر، وانقطاع دونه، وعجزه عن الإحاطة به.

الانزعاج: ترك القلب إلى الله، بتأثير الوعظ والسماع فيه.

الاصطلام: نعت وارد يرد على القلب فيسكته بقوة سلطانه، وقيل هو الوله الغـــالب على القلب، وهو قريب من الهيمـــان.

الأدب: أدب الشريعة، وهو الوقوف عند رسومها. وأدب الخرقة: وهو الفناء عـــن رؤيتها مع المبالغة فيها. وأدب الحـــق: وهو موافقة الحق بالمعرفة. وقيـــل: أن تعرف ماله ومالك.

الأفراد: الرجال الخارجون عن نظر القطب، أى مجاورته وناحيته.

الأوتاد: أربعة رجال على أركان العالم، وهم فى الرتبة قبل البدلاء.

الإمامان: رجلان أحدهما عن يمين القطب، والآخر عن شماله، وقيل الـــذى عـــن يمينه نظره فى الملكوت، والذى عن شماله نظره فى الملك، وهو الذى يخلـــف القطب.

الأمناء: هم الملامتية.

الأنس: أثر مشاهدة جمال الحضرة الإلهية. وقيل الأنس جمال الجلال.

الأساة: إقامة أحكام العبودية.

الأمان: السلطان الزاجر.

الاتحاد: تصير الذاتيين واحدة.

الأنانية: من قولك أنا فهى نســـبة لها، وقيل الأنانية الحقيقة التى يضاف إليها كـــل شئ من العبد، كقولك نفسى وروحى وقلبى ويدى.

الأين: محل الاعتدال فى الأشياء.

الانتباه: إيقاظ الحق للعبد.

الإلهية: كل اسم إلهى أضيف إلى البشر.

الآلية: كل اسم إلهى أضيف إلى روحانى.

الباء

البادى: ما يبدو على القلب.

البسط: حال الرجاء فى الوقت وهو وارد يرد على القلب، يشـــير إلـــى الرحمـــة والأنس، ويرد إلى تناول المناجـــاة، وما منع منه القبض. وقيل: هو ما يســـع الأشياء، ولا يسعه شئ.

البقـــاء: رؤية العبد قيام الله تعالى على كل شئ. وقيل: هو بقاء رؤية العبد قيام الله تعالى فى قيامه لله، وقيل هو اسم لما بقى بعد فناء الشواهد وسقوطها.

البلاء: الاختبار وهو ظهور امتحان الحق للعبد.

البين: البينونة بلا نفس. قالوا: هو الذى لا تظهر عليه شهوة ولا غضب.

البدلاء: ســـبعة وهم كل من سافر عن بلد أو موضع، وتـــرك بـــه خليفـــة علـــى صورته، حتى لا يعرف أنه فقد.

البعد: الإقامة على المخالفة.

البوادة: ما يفاجأ القلب من الغيب، فيوجب فرحاً أو ترحاً.

البرزخ: العالم المشهود بين عالم المعانى والأجسام.

التّاء

التواجد: استدعاء الوجد. وقيل: إظهار حالة الوجد من غير حضور وجد.

التحقيق: رؤية الوجود بالحق.

التفرقة والفرق: الإشارة إلى الكون والخلق. وقيل مشاهدة العبودية.

التجريد: إماطة السوى والكون عن القلب. وقيل هو خلع النعلين. وقيل الانخـــلاع عن شهود الشـــواهد.

التفريد: وقوفك بالحق معك، وهو تفريد بالشهود اتصالاً.

التشبيه: الاتصاف بمكارم الأخلاق، وبصفات الروحانيين.

التخلى: قطع العلائق، وهو قطع كل ما تعلق بالقلب من غير الله. وقيـــل اختيـــار الخلوة والإعراض عن الكونيين.

التحلى: التشبه بالصادقين بالأحوال، وإظهار الأعمال.

التجلّي: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب.

التلوين والتلون: تنقل القلب في أحوال. وهو عند الأكثرين مقام ناقص وعند المحققين مقام كامل، وحال العبد به حال ازدياد.

التمكين: حال أهل الوصول.

التكلف: ذهاب العبد بملاحظة الوجود.

التلبيس: نورية تشاهد معانٍ عن موجود قائم، وهو تلبيس الحق على أهل التفرقة بما يكون، وعلى أهل الجمع برؤية الفناء.

التدلى والترقى: نزول المقربين وصعودهم.

التلقى والتولى: أخذك ما يرد عليك من الحق، ورجوعك إليك منك.

التصوف: الوقوف مع الأعمال الشرعية والخلق الإلهية. ويقال بإزاء التخلق بمكارم الأخلاق، وتجنب سفاسفها.

الجيم

الجمع: إشارة إلى الحق بلا خلق، وهو غاية مقامات السالكين.

جمع الجمع: الاستهلاك فى الله بالكلية، وفناء الإحساس بما سوى الله تعالى، ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ (الأنفال: ١٧).

الجلال: نعوت القهر من الحضرة الإلهية.

الجمال: نعوت الرحمة والأنس من الحضرة الإلهية.

الجبروت: عالم الأرواح.

الجلوة: خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية.

الحاء

الحدث: إجمال الخطاب بضرب من القهر.

الحق بالحق: الله. الله.

الحال: ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب، وشرطه أن يـزول ويعقبـه المثل بعـد المثل ترقياً إلى أن يصـفو، وقد يعقبه الضد والاختلاف، ومن قال بدوامه غلط. وقيل: الحال تغيرات الأطوار على العبد.

الحضور: حضور القلب بالحق عند غيبته عن الخـلق. وقيل: مشاهدة الحضـرة الإلهية بعد الغيبة بالحق.

الحيرة: وارد يرد يتردد بين البقاء والفناء.

الحق: هو الله ﷻ، ﴿**ذلك بأن الله هو الحق**﴾ (الحج: ٦٢)، والحق ما أوجبه علـى نفسه ﷻ، وما وجب على العبد من جانب الله ، وقد يطلق على الوجد.

الحقيقة: الحقيقة التى تقال بازاء الشريعة هى: سلب آثار أوصافك عنك بأوصافـه فإنـه الفاعل فيك منك لا أنت، ﴿**وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها**﴾ (هـود: ٥٦). وقيل: الحقيقة مشاهدة الربوبية. والحقائق فى اللغـة النسـاء، والحقيقـة المرأة. وحقيقة الحقائق هى الذات الأحدية الجامعة لجمع الحقـائق، وتسـمى حضرة الجمع، وحضرة الوجود. والحقيقة المحمدية، هى الذات مـع التعيـن الأول، وله الأسماء الحسنى كلها وهو الاسم الأعظم.

الحس: الرجوع إلى التفرقة.

الحجاب: هو السر، وهو فى اللغة الستر.

حق اليقين: ما حصل من العلم الإلهى بواسطة الشريعة. وقيل هو شـهود الحـق حقيقة فى مقام عين جمع الأحدية.

الحرية: إقامة حقيقة العبودية، فيكون العبد حراً، عما سوى الله تعالى.

الحرف: خطاب الوجود.

الحد: حيث منتهى العقل ووقوفه.

حجاب العزة: تحير العبد بما يلقى على بصيرته.

الخـــاء

الخاطر: انبعاث القلب بتحريك السر، فإذا خطر لا يلبث ويزول بخاطر آخر، قـــال ابن العـــربى ﷺ: "هو ما يرد على القلب والضمير من الخطاب ربانياً كان، أو ملكياً أو شيطانياً أو نفسانياً". وقيل: الربانى من فوق القلب، والملكى عـــن يمينه، والشيطانى عن شماله، والنفسانى من تحته.

الخصوص: الذين خصهم الله تعالى بالحقائق والأحوال.

الخلق: عالم الملك، ويقال على كل ما وجد من سبب.

الخضر وإلياس: يعبرون بالخضر عن البسط، وإلياس عن القبض.

الخلوة: محادثة السر مع الله تعالى.

الختم: علامة الحق على قلوب العارفين، فلا يلتفتون إلى الخلق، ﴿**فـــإن يشـــأ الله يختم على قلبك**﴾ (اشورى: ٢٤). والختم فى حق النفوس: الطبع والغفلة.

الـــدال

الدهش: سكرة تعدم عقل المحب من هيبة محبوبه.

الدعوى: أن تضيف النفس الفعل إليها.

الدفن والرسم: الإحاطة بالقلب والاستيلاء عليه بالمحبة، حتى يغيـــب عـــن كـــل موجود.

الدرة البيضاء: العقل الكلى. قال ﷺ: "أول ما خلق الله درة بيضاء.." -إلـــى آخر الحديث، وأول ما خلق العقل.

الـــذال

الذهاب: مغيب القلب عن حس المحسوسات بالمشاهدة.

الذات: الحقيقة الثابتة.

الذوق: أول مبادئ التجليات الإلهية.

الـراء

الرمس: عبارة عن البقاء، يعقب الذهاب، وهو فى اللغة بقية الحياة.

الرسم: ما رسم الله به المخلوقين فى سابق علمه. وقيل هو كـــون رؤيـــة القلـــب والروح مشاهدة لا يحضرها إلا المشهود.

الرمس: ذكر فى الدفن.

رب حال: هو بمعنى صـــاحب قلب على ما يذكر، غير أنه لا يثبـــت لـــه المقـــام، كثبوته لصاحب القلب.

الراجع: هو الذى ينزل عن مقامه ليكمل غيره.

الرغبة والرهبة: الرجاء والخوف.

الرعونة: الوقوف مع الطبع.

الرداء: الظهور بصفات الحق.

الرؤيا: المشاهدة بالبصر.

الـزاى

الزوائد: زيادة الإيمان بالغيب واليقين.

الزمردة الخضراء: النفس الكلية.

السين

السايح: الوارد الذى يخطر على القلب ولا يثبت.

السكر: غيبة بوارد قوى، وهو يشار به إلى سقوط التهالك فى الطرب وهـــو مـــن مقامات المحبين.

السّر: المعنى القائم على قلب العبد، فلا يعلم به إلا الحق.

وسر السر: ما يعلم به السر.

السبب: رؤية الوسائط.

السرمد: الأبد.

السالك: السائر بقلبه.

السائر: هو الذى لا يقول بنهاية، وفتح له باب الملأ الأعلى.

السير: توجه القلب للحق.

السمسمة: معرفة لا تسعها العبارة.

السوى: بكسر السين، هو الغير.

الشين

الشاهد: ما تعطيه المشاهدة من الأثر فى قلب المشاهد، فشاهدك هو خاطر قلبـــك، وقيل الشاهد الحق.

الشطح: ترجمة اللسان عن وجود يفيض من معدنه مقروناً بالدعوى.

الشفع: وجود العبودية وهو الوسائط. وقيل: الشفع الخلق، والوتر الحق.

الشريعة: الأمر بالتزام العبودية.

الشرب: أوسط التجليات، وأكملها الرى.

الشجرة: الإنسان الكامل.

الصـــاد

الصفاء: خلوص الحقائق من معارجة الطبع ورؤية الفعل.

الصحو: الرجوع إلى الإحساس بوارد قدم بعد الغيبة.

صاحب قلب: هو الواجد فى عبوديته، المؤثر فى الكون.

صاحب مقام: هو الذى اشتهر بخرق العادة.

الصفات: نعوت القلب.

الصعق: البقاء عند التجلى.

الصفة: ما أوجبت لمحله معنى، كالعالمية للعالم أوجبها العلم.

الضـــاد

الضياء: الرؤية بعين الحق.

الطـــاء

الطوالع: أنوار التوحيد، تطلع على قلوب العارفين، فتطمس غيرها.

الطارق: ما يبصره قلوب العارفين على طريق السمع، فيجدد لهم حقائقهم.

الطمس: عجز العقل، وسد باب العزة فى وجهه، ومحو البيان.

الطريق: عبارة عن مراسم الله وحدوده.

الطبع: ما سبق به العلم فى حق كل شخص.

الظـــاء

الظل: وجود الراحة خلف الحجاب.

العين

العارض: ما يعرض على القلب من الخواطر المذمومة، بإلقاء النفس والشيطان.

العقل: هو الذى يقضى بخلع الكون، وبخلعه هو فى الجملة.

عالم الملك: هو الجسوم.

العبادة: الاجتهاد فى أداء الوظائف التكليفية.

العبودية: رؤية العبد نفسه بالله.

العبودة: مشاهدة العبد نفسه من رؤية العبودية.

عين التحكيم: إظهار الولى مرتبته بأمر يراه.

علم اليقين: ما أعطاه الدليل.

عين اليقين: ما أعطاه المشاهدة والكشف.

العَّلة: تنبيه الحق لعبده.

العرش: مسند الأسماء المقيدة.

العود: ما يعيده على القلب من التجليات بإعادة الأعمال.

العنقاء: كناية عن الهيولى، لأنها لا ترى كالعنقاء، ولا توجد إلا مع الصورة فهى معقولة وتسمى الهيولى المطلقة المشتركة بين الأجسام كلها.

العقاب: القلم وهو العمل الأول.

الغين

الغيب: غيب القلب عمَّا يجرى من أحوال الخلق، لشغل الحس فيه بما ورد عليه، وقيل: هو غيبة الحق فى شهود الخلق.

الغفلة: قوة الهموم.

الغيرة: غيرة الحق لتعدى الحدود، وتطلق بإزاء كتمان الأسرار.

الغوث: هو القطب إذا لجأ الوقت إليه ولا يسمى فى غير ذلك الوقت غوثاً.

الغيب والشهادة: الملك والملكوت.

الغراب: الجسم الكلى.

الفاء

الفناء: فناء رؤية العبد لفعله، بقيام الله تعالى على ذلك، ﴿**كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ (الرحمن:٢٦). وقيل: اضمحلال ما دون الحق علماً وهو فناء الطلب فى الوجود.

الفوائد: ما يرد على القلب من المعارف عقب التوبة.

الفصل: التفرقة بين القديم والمحدث. وقيل: الفصل تمييزك من محبوبك بعد حال الاتحاد.

الفرق: سر فى التفرقة المذكورة قبل.

الفترة: خمود نار البداية.

الفتوح: حب العبادة ظاهراً والحلاوة باطناً. وجود المكاشفة البرهانية. خطاب المكافحة الوجودية.

الفقر: نهاية التصوف. وقيل: البراءة من رؤية الملك.

القاف

القادح: يكون لأهل الغفلة إذا انقشع عن قلوبهم غين الغفلة، فقدح فيها قادح الذكر، ما خوف من قدح الزناد.

القبض: حال الخوف فى الوقت، وهو وارد يرد على القلب، يشير إلى عتاب، وقد يرد على أهل المعرفة، فيمنعهم عن تناول المباحات، كالأكل والشرب والكلام.

قطع العلائق: قد مَّر فى التجلّى.

القطب: أكمل زمانه، وهو موضع نظر الله من العالم.

القرب: القيام بالطاعة.

القلم: أسلفناه فى النون.

القس: المعلم الذى يصون الحق.

القدم: ما ثبت فى علم اليقين.

الكاف

الكشف: بيان ما يتستر عن الفهم، فينكشف للعبد، كأنه رآه عياناً.

الكون: اسم لما كون بين الكاف والنون.

الكمال: نعت الحضرة الكاملة.

الكرسى: موضع النهى والأمر.

كلمة الحضرة: هى كن.

اللام

اللوائح: ما يلوح للأسرار الظاهرة، من الزيادة فى الارتقاء والصعود.

اللوامع: ما يبدو من أنواع التجلى ويتبين، مأخوذ من لمعان البرق.

اللسان: البيان عن عالم الحقائق.

اللحظ: ملاحظة القلب ما يلوح به من زوائد المنن.

اللطيفة: كل إشارة دقيقة المعنى تلوح للفهم، لا تسعها العبارة، ويقال على النفس الناطقة.

اللوح: محل التدوين والتسطير.

اللب: ما طبق من العلوم على القلوب المغلقة بالكون.

الميم

المقام: ما يقوم به العبد كالتوبة والصبر والرضاء، وغيرها من أنواع المقامات والمجاهدات. وقيل سمى مقاماً لمقام العبد فيه.

المكان: عبارة عن منزلة فى البساط، لا تكون إلا لأهل الكمال، الذين تحققوا بالمقامات والأحوال، وجاوزها بلا صفة ولا نعت.

المريد: المتجرد عن إرادته. وقيل هو الذى صح له الابتداء، ودخل فى عباد الله المنقطعين إليه. وقيل: الذى صح له الابتداء، ولم يرسم بحال ولا مقام.

المراد: المجذوب عن إرادته، مع تسهيل الأمور له، فجاوز الرسوم والمقامات بحال لا يعلمه، ولم تبق له إرادة.

المسلوب: المأخوذ بالجذب فى العالم الأول. وقيل: هو الذى كانت له حالة شريفة فسلبت.

المأخوذ: كالمسلوب إلا أنه لا يكون إلا صاحب سكر.

المشاهد: له رؤية الأشياء بدلائل التوحيد. قال القشيرى: هى وجود الحق من غير بقاء تهمة، فإذا أضحت سماء الشرف عن غيوم الستر، فشمس الشهود مشرقة عن فُرج الشرف.

المشهود: هو الحق تعالى.

الموجود: ما خرج من العدم إلى الوجود.

المنازلة: ما خرج من الوجود إلى العدم.

المناجاة: خطاب العبد للحق، والمصلى يناجى ربه.

المنازلات: الرجوع إلى المقامات، وهو قطعها للعبادة وللترجمة للمريدين. ومنازلات الأحوال: منازعة للعوالم التلبيسية.

المحادثة: خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة.

المسامرة: خطاب الحق للعارفين من عالم الملكوت والأمر.

المحو: ذهاب العبودية لقيام الله عليها بالوجود. وقيل المحو: رفع أوصاف العادة. وقيل ما شهده الحق ونفاه عنك من قبائحك. وقال القشيرى: من نفى عن أحواله الخصال الذميمة، وأتى بدلها بالأفعال والأحوال الحميدة، فهو صاحب محو وإثبات.

المقصود: الغاية لكل واقع ورد على القلب.

المعدم: ما أخرج من كنز الوجود ثم لم يثبت.

الملكوت: باطن الكون.

الملك: ظاهر الملكوت. وذكر بعضهم عن الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المبهتة للإمام أبى حامد أنه قال: "الملكوت ما يوجده الله بالأمر الأزلى، وبقى على حالة واحدة، من غير زيادة فيه أو نقصان منه، وهو الباطن فى العقول. وعالم الملك: ما ظهر للحواس وتكون بقدرة الله بعضها من بعض، وصحبه التغيير. وعالم الجبروت: ما بين العالمين، ما يشبه أن يكون فى الظاهر من عالم الملك، فجبر بالقدرة الأزلية بما هو فى عالم الملكوت."

المبتدئ: الداخل فى طريق الله.

المجذوب: الذى اختطف، وسير به على المقامات.

المسـافر: الذى عبر عن العدوة الدنيا إلى العدوة القصوى، أى خرج من الأوصاف الدنية إلى الأوصاف العلية. ويقال على السالك وهو المسافر بقلبه.

الملامتية: الذين لا يبدو على ظواهرهم مما فى بواطنهم شئ.

المجاهدة: مخالفة الهوى.

المحق: ذهاب التركيب بحسب القهر.

المحاضرة: الوقوف مع الله تعالى.

المكاشفة: أتم من المشاهدة. وقيل المشاهدة أتم، لأنها سقوط الحجاب.

المكر: حالة المسلوب، وهو إرداف النعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب. وقيل المكر فى النعم الباطنة، والاستدراج فى النعم الظاهرة.

المُخدع: بضم الميم موضع ستر المعصية عن الأفراد الواصلين.

المطالعات: توقيعات عين العارفين.

المطَّلع: بشد الطاء، النظر إلى عالم الكون بعين الحق.

المثل: الإنسان والمراد صورته التى فطر عليها، لأنه عالم صغير مثل العالم الكبير.

النون

النفَس: بفتح الفاء، روح يرسله الله على نار القلب ليطفئ شرها.

نحن بلا نحن: تقدم فى أنا بلا أنا.

النقباء: الذين يستخرجون خبايا النفس، لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر، وهم ثلاثمائة.

النجباء: المشغولون بحمل أثقال الخلق، وهم أربعون.

النزالة: الخلع التى تخص الأفراد.

النون: علم الإجمال، والقلم علم التفصيل.

النور: كل وارد إلهـي يكشف الأكوان على القلب، والظلمة ضده، ويقال الظلمة عن النظر فى الذات، لأنها لا ينكشف منها غيرها.

الهـاء

الهاجس: الخاطر الأول الربانى، وهو لا يخص أبداً، وقد يسميه سهل السبب الأول، فإذا تحقق فى النفس سمى إرادة، فإذا زاد سمى همًّا، فإذا زاد سمى عزماً. ويسمى عند التوجه للفعل قصداً، ومع الشروع فى العمل نيّة.

الهمّ: جمع الأخبار لخبر واحد.

الهجوم: سائرة على القلب بقوة الوقت من غير تمنع. وقيل: وارد يرد بقوة، طلب فى الزيادة، وبه يكون فعل صاحب الغلبة.

هو بلا هو: إشارة إلى التفريد بذاته هو.

الهيبة: أثر مشاهدة الله فى القلب.

الهمّة: جمع الهمّ بصفاء الإلهام.

الـواو

وارد: ما يرد على القلب من القبض والبسط، من غير أن يستعمله العبد ويطلق بإزاء ما يرد على القلب من كل اسم.

الواقع: ما يثبت ولا يزول، إلا بواقع آخر مثله.

الوقت: عبارة عن حالة فى زمن الحال، لا تعلق لها بالماضى ولا المستقبل.

الوجد: مصادفة القلب الصفاء بذكر كان قد فقده.

الوصول: خلع النعلين، وهو عبارة عن ورود ماء التوحيد.

الوسم: ما طبع الله به على قلوب عباده.

الوصل: إدراك الفائت.

الوطن: بلوغ المقام إلى جذب العبد.

الوتر: إشارة إلى جمع بلا ملاحظة له.

الواقف: الذى لم يفتح له باب الملكوت الأعلى، وقد يلبس عليه بالوصول.

الوحدة: جمع الجمع.

الواقعة: سائرة على القلب من خطاب أو مثال الغيب.

الورقاء: النفس الكلية. وقيل التى هى قلب العالم، وهو اللوح المحفوظ والكتاب المبين.

الياء

اليقظة: الفهم عن الله فى زجره.

اليدان: هما أسماء الله تعالى المتقابلة، كالفاعلة والقابلة. ولهذا وبخ إبليس بقوله ﷻ: ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدىَ**﴾ (ص: ٧٥). ولما كانت الحضرة الإسمائية تجمع حضرتى الوجوب والإمكان، قال بعضهم: "إن اليدين هما حضرة الوجوب والإمكان". والحق أن التقابل أعمّ من ذلك، فإن الفاعلة قد تتقابل كالجميل والجليل، واللطيف والقهار، والنافع والضار، وكذا القابلة كالآيس والهايف، والراجى والخائف، والمنتفع والمتضرر.

وفى نهاية تلك الرشفات السريعة من المصطلحات الدائرة بين أهل الطريقة، لا نملك إلا أن ندعو لكل من سلك طريق القوم، بأن يحقق الله مراده، ويسبغ عليه من أنواره، ما يجعله يتذوق نفحات تلك الأحوال والمقامات، فمن ذاق عرف، ومن سار على الدرب وصل. والله الموفق والهادى إلى الصراط المستقيم.

الفصل الرابع

الجوهر الأول من كتاب الجواهر الخمس

لسيدى محمد الغوث رضى الله تعالى عنه

أوراد الصباح

تعتبر أوراد الصباح هى خير افتتاح للجوهر الأول فى عبارة العابدين وتبدأ بهذه الطريقة:

• إذا قام العابد من النوم فعليه أن يغتسل غسل طهر، ولا يتكلم مع أحـــد، ويركـــع ركعتين، ويقرأ بعد الفاتحة فى كل ركعة، سورة الفجر ثلاث مرات، فـــإن لم يحفظها يقرأ سورة الإخلاص فهذا الحكم عام. فإذا فرغ منـــهما يقـــرأ: ﴿**والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ (يوسف: ٢١)، عشر مرات. ويسبح بهذا التسبيح "يا رزّاق ارزقنى البقاء بعد الفناء" مائة مرة، ثم يقرأ بحضور القلـــب سورة الإخلاص واحداً وأربعين مرة. فإذا توجه فى هذا الورد إلى الحق يســـتجاب له.

• ثم يقرأ من أول سورة الأنعام ثلاث آيات مع التســـمية: ﴿**الحمـــد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثـــم الذيـــن كفـــروا بربـــهم يعدلون هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون وهو الله فى السماوات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلـــم مـــا تكســـبون**﴾ (الأنعام: ١-٣).

• ثم يقرأ ﴿**فالق الإصباح وجعل الليل ســـكنا والشمس والقمـــر حســـبانا ذلك تقدير العزيز العليم**﴾ (الأنعام: ٩٦). ثم يقرأ هذا الدعاء: "الحمد لله الذى ذهـــب بالليل مظلماً بقدرته، وجاء بالنهار مبصراً مضيئاً برحمته، اللهم هذا خلـــق جديـــد

ويوم جديد، فافتحه على بطاعتك، واختم لى بمغفرتك ورضوانك، وارزقنى فيه حسنة وتقبلها منى، وذكّها وضعّفها لى. وما علمت فيه من سيئة فاغفرها لى، وتجاوز عنى، إنك غفور رحيم. اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى واجبرنى وارزقنى وعافنى وأعف عنى وأعزنى"

● ثم يصلى ركعتى السنة، ويصلى فى بيته، وينوى بهذه الطريقة: نويت أن أؤدى الركعتين سنة الفجر، ويقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون وفى الثانية سورة الإخلاص، ويقول بعد السلام: "سبحان الله وبحمده، استغفر الله وأتوب إليه" مائة مرة، لأنه ورد به الخبر عن سيد البشر أنه قال: "**من سبح بهذا التسبيح لم تكتب سيئاته**". ثم يتلو سورة ق والقرآن المجيد ولا يتكلم بعد السنة بشئ من الكلام، وإن تكلم فالأولى إعادة السنة، لأنه عمل الرسول ﷺ.

● فإذا فرغ من فرض الصبح يقعد فى مصلاه ويقرأ "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحى ويميت وهو على كل شئ قدير، حى لا يموت أبداً، ذو الجلال والإكرام، بيده الخير وهو على كل شئ قدير" عشر مرات، ويقول "لا إله الله وحده، صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وأعز جنده، فلا شئ بعده، لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون، لا إله إلا الله صاحب الوحدانية الفردانية القديمة الكريمة الأزلية الأبدية، ليس له ضد ولا ند ولا شبيه ولا شريك، محمد رسول الله بأمره ووحيه" مرة واحدة.

● ويقرأ "لا إله إلا الله الحكيم الكريم. لا إله إلا الله العلى العظيم، سبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم. والحمد الله رب العالمين" ثلاث مرات.

● ويقول مرة واحدة "لا إله إلا الله جل جلاله، لا إله إلا الله جل ثناؤه، لا إله إلا الله تقدست أسماؤه، لا إله إلا الله تعالى كبرياؤه، لا إله إلا الله إيماناً بالله، لا إله إلا الله أماناً من الله، لا إله إلا الله أمانة من عند الله، لا إله إلا الله محمد

رسول الله. اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا، وبك نحيا وبك نموت، وإليك النشور، أصبحنا وأصبح الملك لله، والعظمة لله، والقدرة لله، والكبرياء لله، والجبروت والسلطان لله، والليل والنهار وما سكن فيهما، كله لله الواحد القهار. أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين محمد ﷺ، وعلى ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين. نشهد على هذه الشهادة، ونحيا عليها، وعليها نموت، وعليها نبعث إن شاء الله تعالى".

- ويقول ثلاث مرات "سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب".
- ويقرأ سبع مرات "يا بارى النفوس بلا مثال خلا من غيره".

ويقرأ إحدى عشر مرة ﴿**فإن تولوا فقل حسبى الله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**﴾ (التوبة: ١٢٩).

- ويقرأ سبع مرات "اللهم أجرنا من النار يا مجير، يا مجير، يا مجير".
- ويقرأ سبع مرات "باسم الله خير الأسماء، باسم الله رب الأرض والسماء، باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم".
- و ثلاث مرات "سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، أستغفر الله من كل ذنب وأتوب إليه، ولا حول قوة إلا بالله العلى العظيم". ثم يقرأ "اللهم اهدنا من عندك، وأفض علينا من فضلك، وانشر علينا من رحمتك، وأنزل علينا من بركاتك، وجنبنا سخطك" مرة واحدة.
- ويقرأ ثلاث مرات "لا إله إلا الله والله أكبر، سبحان الله والحمد الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله أستغفر الله، الأول والآخر والباطن والظاهر، له الملك وله الحمد، بيده الخير وهو على كل شئ قدير".
- ويقرأ مرة واحدة "اللهم أنت خلقتنى، وأنت تهدينى، وأنت تطعمنى، وأنت تسقينى، وأنت تميتنى وأنت تحيينى، وأنت ربى لا رب لى سواك، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك واستغفرك وأتوب إليك".

• ويقرأ مرة واحدة "اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لـك بنعمتـك على، وأبوء بذنبى فاغفر لى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت يا غفور".

• ويقرأ مرة واحدة "اللهم إنى ضعيف، فقَو فى رضاك ضعفى، وخذ إلـى الخير بناصيتى، واجعل الإسلام منتهى رغبتى، وبلغنى برحمتك الذى أرجو مـن رحمتك، وأجعل لى وُداً فى صدور الذين آمنوا، وعهداً عندك يا أرحم الراحمين".

• ويقرأ ثلاث مرات "اللهم جنبنا عن منكرات الأعمال والأخلاق والأهواء والأدواء".

• وثلاث مرات "اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك فى ما لا أعلم".

• ويقرأ ثلاث مرات "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم".

• ويقرأ ثلاث مرات "ربى أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربى أن يحضرون".

• ويقرأ عشر مرات سورة "الإخلاص" مع البسملة.

• ويقرأ ثلاث وثلاثون مرة "سبحان الله"، ومثله "الحمد الله"، ومثلـه "الله أكبر"، ومرة واحدة "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمـد، يحـى ويميت وهو حى لا يموت أبداً، ذو الجلال والإكرام، بيده الخير، وهو على كل شئ قدير".

المسبعات

ويواظب على المسبعات العشر، قبل طلوع الشمس وقبل غروبـها، فإنـه عمل الأكابر، وهى:

● سورة "الفاتحة"، وأربع القواقل: **﴿قل يا أيها الكافرون..﴾**- **﴿قل هو الله أحد..﴾**- **﴿قل أعوذ برب الفلق..﴾**- **﴿قل أعوذ برب الناس..﴾**، وآية "الكرسى". كل منها سبعة مرات.

● "سبحان الله، والحمد الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول قوة إلا بالله العلى العظيم" سبع مرات

● وسبع مرات "اللهم صل على سيدنا محمد، عبدك ونبيك وحبيبك ورسولك النبى الأمى، وعلى آله وبارك وسلم"

● وسبع مرات "اللهم اغفر لى ولوالدى ولمن توالد، وارحمهما كما ربيانى صغيراً. واغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين"

● وسبع مرات "اللهم افعل بى وبهم عاجلاً وآجلاً، فى الدين والدنيا والآخرة، ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا وبهم يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم، جواد كريم، رؤوف رحيم".

● وثلاث مرات "سبحان الله الحنان المنان، سبحان الله العلى الديان، سبحان الله الشديد الأركان، سبحان الله فى كل حال ومكان، سبحان من لا يشغله شأن عن شأن، وسبحان من ذهب بالليل ويأتى بالنهار" -وإذا كان ليلاً يقول "سبحان من ذهب بالنهار ويأتى بالليل".

ومرة واحدة "سبحانك اللهم وبحمدك على حلمك بعد علمك، سبحان الله وبحمدك على عفوك بعد قدرتك، سبحان من له لطف خفى، فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد فى السماوات والأرض، وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى، ويحى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد الله رب العالمين، فلله الحمد رب السماوات والأرض، رب العالمين، له الكبرياء فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، فالحمد الله، نحمده

ونستعينه ونستغفره ونؤمن به ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده المصطفى ورسوله المجتبى، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، من يهدى الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له، نعوذ بالله من شر أنفسنا ومن سيئات أعمالنا".

صلاة الإشراق

بعد ما سبق يأتى ذكر صلاة الإشراق.. فإذا كان الذاكر مستقبلاً القبلة فى موضع الصلاة أو فى البيت، مستقبلاً إلى طلوع الشمس قدر الرمح أو الرمحين، يقرأ بعد الفاتحة مرة ﴿والشمس وضحاها..﴾، وثلاث مرات سورة "الإخلاص" ويقرأ هذا الدعاء: "الحمد الله الذى أطلع الشمس من شرقها، وجعلها ضياء ورحمة للعالمين، الحمد لله الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً، والحمد الله الذى جعلنا اليوم فى عافيته وجاء بالشمس من مطلعها، اللهم ارزقنى خير هذا اليوم، وادفع عنى شره، اللهم نور قلبى بنور هدايتك، كما نورت الأرض بنور قدرتك".

ثم يصلى اثنتى عشرة ركعة بهذا الترتيب: ركعتين، ركعتين يعقب كل منهما تسليم، شكراً لله وعبادة له، متوجهاً إلى بيت الله، ويقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة آية الكرسى، وفى الثانية بعد الفاتحة آية: **﴿آمن الرسول..﴾ إلى آخرها** (البقرة: ٢٨٦)، وآية **﴿الله نور السماوات والأرض... عليم﴾** (النور: ٣٥)، ثم يصلى على النبى ﷺ بعد السلام، ويقرأ هذا الدعاء:

"اللهم إنى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره، ولا أملك جلب ما أرجو. أصبحت مرتهناً بعملى، وأصبح أمرى بيد غيرى، فلا فقير أفقر منى. اللهم لا تشمت بى عدوى، ولا تسوء بى صديق، ولا تجعل مصيبتى فى دينى ودنياى، ولا فى الآخرة ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا مبلغ علمى، ولا تسلط على من لا

يرحمنى من الدنيا والآخرة، اللهم إنى أعوذ بك من الذنوب التى بها تزيل النعم، ومن الذنوب التى توجب بها النقم، برحمتك يا أرحم الراحمين".

صلاة الاستعاذة

ثم يصلى ركعتين صلاة الاستعاذة، ويقرأ فى الأولى بعد الفاتحة "الفلق"، والثانية "الناس"، ويصلى على النبى ﷺ، ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم إنى أعوذ بك، وباسمك الأعظم، وكلماتك التامة، من شر السامة والهامة، وأعوذ باسمك الأعظم وكلماتك التامة، من شر الشيطان الرجيم، وأعوذ باسمك الأعظم وكلماتك التامة، من شر يجرى به الليل والنهار، وأن ربى الله الذى لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا، يرانا وقبيله من حيث لا نراه، اللهم فأيسه منا كما أيسته من رحمتك، وقنّطه منّا كما قنطته من عفوك، وأبعد بيننا وبينه كما أبعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شئ قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم".

صلاة الاستخارة

صلاة الاستخارة ركعتان. يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة "الكافرون"، وفى الثانية "الإخلاص"، ويصلى على النبى ﷺ بعد السلام، ويدعو بهذا الدعاء:

"اللهم إنى استخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إنى لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتنى، ولا أتقى إلا ما وقيتنى، اللهم وفقنى لما تحب وترضى من القول والعمل فى خير وعافية، اللهم خير لى واختر لى، ولا تكلنى لاختيارى اللهم اجعل، الخير كله فى قول وعمل أريده، فى هذا اليوم والليلة".

وروى البخارى أن رسول الله ﷺ قال: "إذا أراد أحدكم أن يشرع فى حاجة، أن يصلى ركعتين بتلك النية، وبعد السلام يصلى على النبى ﷺ، ويقرأ دعاء الاستخارة: اللهم إنى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ودنياى ومعاشى وعاقبة أمرى، عاجله وآجله، فاقدره لى وييسره لى، ثم بارك لى فيه. وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وآجله، فاصرفه عنى، واصرفنى عنه، واقدر لى الخير حيث كان، ثم رضنى به".

صلاة الحب لله

صلاة الحب ركعتين. يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة سورة "الواقعة"، وفى الثانية ﴿سبح اسم ربك الأعلى..﴾، وبعد السلام يصلى على النبى، ويدعو بهذا الدعاء:

"اللهم أجعل حبك أحب الأشياء إلى وخشيتك، وخوفك أخوف الأشياء عندى، اللهم إذا أقررت عيون أهل الدنيا بدنياهم، فأقرر عينى بك وبعبادتك واقطع عنى لذائذ الدنيا بأنسك، والشوق إلى لقائك وأجعل طاعتك فى كل شئ منى يا ذا الجلال والإكرام، اللهم ارزقنى حبك، وحب من أحبك وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربنى إلى حبك، واجعل حبك أحب الأشياء لنا، ومن الماء البارد للعطشان".

صلاة شكر الوالدين

يصلى ركعتين، يقرأ فى الأولى والثانية بعد الفاتحة آية الكرسى مرة وسورة الإخلاص ثلاث مرات، وبعد السلام على النبى صلى الله عليه وسلم ويدعو

بهذا الدعاء: "يا لطيف الطف بى وبوالدى فى جميع الأحوال، كما تحب وترضى يا عليم يا قديم، واغفر لى ولوالدى، إنك على شئ قدير".

دعاء علمه النبى ﷺ لأبى بكر الصديق

ورد أن النبى ﷺ علَّم أبا بكر الصديق ﷺ هذا الدعاء وأمره بأن يقرأه صبحاً وليلاً، ووقت الفراش: "اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض رب كل شئ ومالكه، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى، ومن شر الشيطان الرجيم وشركه".

دعاء الإيمان

من قرأ دعاء الإيمان صباحاً ومساءاً، دخل الجنة على أى عمل كان، وهو هذا: "أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى روح الله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق". وبعد الفراغ إن شاء يقرأ القرآن، أو يشتغل بذكر الله تعالى ولو صلى صلاة التسابيح لكان أولى.

صلاة التسابيح

وهى أربع ركعات بسلام واحد، وفى الليل سلامان. ويكون فى كل ركعة خمسة وسبعون تسبيحة. وطريقتها أن يقول بعد تكبير الافتتاح: "سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك"، ثم يسبح خمسة عشر "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"، ثم يقرأ بعد الفاتحة سورة الإخلاص عشراً وأى شئ من القرآن، ثم يسبح عشراً، ويركع ويسبح فيه عشراً بعد قوله "سبحان ربى العظيم" ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً، ثم يدعو بهذا الدعاء: "اللهم لك ركعت، ولك خشعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعى

وبصرى ومخى وعصبى وعظمى وشعرى وبشرى، وما استقل به قدمى، لله رب العالمين"، فإذا رفع رأسه من التكبير، يقول: "سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شئ من بعد، وأنت أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت، ولا راد لما قضيت، ولا ينفع ذو الجّد منك الجد"، ثم يسبح عشراً، فإذا سجد يقول: "سبحان ربى الأعلى" ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً ويدعو بهذا الدعاء: "سجد لك سوادى وخيالى، وآمن بك فؤادى، وأقر بك لسانى وسجد وجهى الفانى لوجهك الباقى، اللهم لا تحرق وجهاً خرّ لك ساجداً" ، ثم يسبح عشراً، فإذا رفع رأسه من السجدة يجلس ويقول: "رب اغفر لى، وارحمنى واهدنى أجرنى وارزقنى وعافنى واعف عنى"، ثم يسبح عشراً، فإذا سجد الثانية يقول: "سبحان ربى الأعلى" كما مر، ويدعو: "اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهى للذى خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين رب العالمين"، ثم يسبح عشرا، فإذا قام إلى الركعة الثانية، يراعى هذا الترتيب الذى سبق ذكره، فإذا قعد أخرى، يقرأ بعد التحيات: "اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً، واعترفت بذنبى، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى، إنك الغفور الرحيم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين"، ثم يسلم.

دعاء بعد الشفع

وما يقال بعد الشفع، وفى الليل بعد الشفع الأول، يقول ثلاثاً: "سبحان الملك القدوس، سبوح قدوس، ربنا ورب الملائكة والروح". وبعد الشفع الثانى، وفى النهار يقول ثلاثاً: "سبحان ذى الملك والملكوت، سبحان ذى العزة والجبروت، سبحان الحى الذى لا يموت أبداً"، فى المرة الأولى يكرر أبداً، والثانية مرتين، وفى

الثالثــة ثلاثاً، ثم يرفع يده ويدعو: "اللهم أنت الحي يا دايم، فـــلا فنـــاء ولا زوال لملكه وبقائه".

صلاة الضحى

فإذا كان ربع النهار، يصلى اثنتى عشرة ركعة، يقرأ فى الأولى ﴿**والشمس وضحاها..**﴾، وفى الثانية ﴿**والليـــل إذا يغشـــى..**﴾، والثالثــة ﴿**والضحـــى..**﴾، والرابعة ﴿**ألم نشرح..**﴾، وفى الثمانية الباقية يقرأ آية الكرســـى مـــرة وســـورة الإخلاص ثلاثاً. وإن كان حـــافظاً القرآن يقرأ فى كل ركعة جزءاً من القـــرآن، أو ما يتيسر منه. وبعد الفراغ يصلى على النبى ﷺ، ويستغفر عشراً، ويدعـــو بـــهذا الدعـــاء مائة مرة: "اللهم اغفـــر لى وارحمنى وتب علـــى، إنـــك أنـــت التـــواب الرحيم"، ثم يدعو بهذا الدعاء مرة: "اللهم إنى أسألك علم الخائفين منـــك، وخـــوف العالمين بك، ويقين المتوكلين عليك، وتوكل الموقنين بك، وشكر الصـــابرين بـــك، وصبـــر الشاكرين لك، وإثابـــة المخبتيـــن إليـــك، واللحـــاق بالشـــهداء الأحيـــاء المرزوقين عندك". فإذا فرغ يصلى ركعات عديدة، إذا كان مجرداً، وإذا كان كاسباً يشتغل بكسبه، بعد الاستخارة، وينوى فيه نفع الغير، ومواساة الفقـــير، أو يقـــول: "اللهم بارك لى فى هذا الكسب". فإذا قرب نصف النهار، يشتغل بالقيلولة بنية إحياء الليل.

صلاة الزوال

فإذا قام من القيلولة يتوضأ، ويصلى بعد تحية الوضوء أربع ركعات، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة الإخلاص سبعين مرة، أو خمســـين، أو عشـــرة، أو ثلاثة.

صلاة الظهر

فإذا شرع فى صلاة الظهر، يصلى أربعة السنة، يقرأ فيها: ﴿**قل هو الله أحد..**﴾، و﴿**قل يا أيها الكافرون..**﴾، و﴿**قل أعوذ برب الفلق..**﴾، و﴿**قل أعوذ برب الناس..**﴾. ويستحب فى الظهر التأخير فى الصيف، والتعجيل فى الشتاء. والقراءة فيها ينبغى أن تكون من ثلاثين إلى أربعين آية. وبعد السلام يقول: "لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون". ويرفع يديه ويصلى على النبى ﷺ، ويدعو: "اللهم إنك تعلم ذنوبنا فاغفرها، وتعلم عيوبنا فاسترها، وتعلم حوائجنا فاقضها، وتعلم أمراضنا فاشفها، وتعلم مهماتنا فاكفها، ربنا توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، وصلى الله على محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين، وسلم تسليماً كثيراً، برحمتك يا أرحم الراحمين". ثم يصلى ركعتى السنة يقرأ فى الأولى: ﴿**قل يا أيها الكافرون..**﴾، وفى الثانية الإخلاص. ثم يصلى ركعتين لحفظ الإيمان، يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة: ﴿**إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض.. المحسنين**﴾ (الأعراف: ٥٤-٥٦)، وفى الثانية: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا..**﴾ إلى آخر السورة، (الكهف: ١٠٧-١١٠)، وبعد السلام يصلى على النبى ﷺ ويدعو بهذا الدعاء: "سبحان من لم يزل كما كان وكما هو الآن، سبحان من لا يزال يكون كما كان وكما هو الآن، سبحان من لا يتغير بذاته، ولا فى صفاته، ولا فى أسمائه، بحدوث الأكوان، سبحان الدائم القائم، سبحان القائم الدائم، سبحان الحى الذى لا يموت أبداً، سبحان الذى يميت الخلائق، وهو الحى الذى لا يموت، سبحان الأول المبدئ، سبحان الباقى المعز، سبحان من تسمى قبل أن يسمى،

سبحان العلى الأعلى، سبحانه وتعالى، سبحانه سبحانه سبحانه، ﴿**فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون**﴾ (يس: ٨٣)"

صلاة الخضر عليه السلام

وأيضاً يصلى عشر ركعات، صلاة الخضر، صلاة الخضر بعد الظهر، قبل العصر، يقرأ فيها ما تيسر من القرآن، فإن قرأ من الزمر إلى ﴿**إنّا فتحنا**﴾ (سورة الفتح) لكان أولى، أو من ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل**﴾ (سورة الفيل) إلى آخر القرآن، فى كل ركعة سورة، ثم يدعو بدعاء رقة الإيمان، وهو: "لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، لك آمنت يا الله، وكفرت بالجبت والطاغوت، واستمسكت بالعروة الوثقى، أشهد أن وعدك حق، ولقاءك حق، وأشهد أن الجنة حق، والنار حق، إنك أحد صمد، وتر فرد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأنك باعث من فى القبور، وأشهد أن كل معبود من دون عرشك إلى قرار الأرضيين باطل، غير وجهك الكريم، ﴿**ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين**﴾ (آل عمران: ٥٣)".

صلاة العصر

تصلى أربعة السنة، يقرأ فى الأولى ﴿**إذا زلزلت..**﴾، وفى الثانية ﴿**والعاديات..**﴾، وفى الثالثة ﴿**القارعة..**﴾، وفى الرابعة ﴿**ألهاكم التكاثر**﴾. وفى رواية فى الأولى ﴿**والعصر..**﴾ أربع مرات، وفى الثانية ﴿**والعصر..**﴾ ثلاث، وفى الثالثة ﴿**والعصر..**﴾ اثنين، وفى الرابعة ﴿**والعصر..**﴾ مرة. ويستحب فى صلاة العصر أن تؤخر إلى قبيل تغيير الشمس، وفى الغيم تعجيل العصر والعشاء. والقراءة فيها من عشرين إلى ثلاثين آية، وبعد السلام يقول مرة: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحى ويميت، وهو على كل شئ

قدير"، ويقرأ كما قرأ فى الظهر إلى قوله "ولو كره الكافرون"، ثم يرفع يديه ويصلى على النبى ﷺ ويدعو: "اللهم يا دائم الفضل على البرية، ويا باسط اليدين بالعطية، يا صاحب المواهب السنية، ويا دافع البلاء والبلية، صل على محمد خير الورى سجية، وعلى آله وصحبه البررة النقية، فاغفر لنا يا ذا الجلال العلى فى هذا العصر وهذه العشية، ربنا توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، وصلى الله على محمد وعلى آله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين وسلم تسليماً كثيراً كبيراً"، ويدعو بهذا الدعاء بعد فرض العشاء من ليلة الجمعة ثلاثاً. وبعد صلاة العصر يشتغل فى بحث العلوم واستماعه، ويستحب الإقدام على الأمور التى فيها رضا الله تعالى، ولو قرأ القرآن، أو سبح أو استغفر إلى المغرب، لكان أولى إن كان منتهياً فى العلوم، وعند الغروب يقرأ المسبعات العشر.

أدعية الأيام والأوقات

وفى يوم الخميس والجمعة وليلة السبت يدعو بعد الفرائض بهذا الدعاء: "يا جبار أجبر قلبى، يا غفار اغفر ذنبى، يا ستار استر عيبى، يا رحمن أصلحنى، يا رحيم ارحمنى، يا تواب تب على يا سلام سلمنى".

وإذا غرب طرف الشمس يقرأ: ﴿ **والليل إذا يغشى..** ﴾ إلى أن يدخل وقت صلاة المغرب، فإذا سمع الأذان يقول: "اللهم هذا إقبال ليلك، وأدبار نهارك، وأصوات دعائك، وحضور صلواتك، وشهود ملائكتك، فاغفر لى ذنوبى وتجاوز عن سيئاتى"، وكلما سمع الأذان يقول هذا. فإن كان صائماً يفطر بالتمر أو بالماء ويقول: "اللهم لك صمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وعلى رزقك أفطرت، يا واسع المغفرة اغفر لى". ثم يؤدى الفريضة، والقراءة لها ثلاث آيات إلى خمس، ويستحب فيها أن يصلى قبل بدو الكواكب، وبعد السلام يقوم ويرفع يديه ويقول: "اللهم انقلنا من ذلّ المعصية إلى عز الطاعة"، أو يقول: "اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"، ثم يصلى ركعتى السنة، يقرأ فى الأولى الكافرون، وفى

الثانية الإخلاص، وبعد السلام يقول: "مرحباً بملائكة الليل، مرحباً بالملكين الكريمين الكاتبين، اكتبا فى صحيفتى أنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن الجنة حق، والنار حق، والحوض حق، والساعة حق، والصراط حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، اللهم إنى أودعك هذه الشهادة، ليوم حاجتى إليك، اللهم احطط بها وزرى، واغفر بها ذنبى، وثقل بها ميزانى، وأوجب لى بها أمانى، وتجاوز عنى بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين" -وفى النهار قيل يدعو بهذا الدعاء ويقول "مرحباً بملائكة النهار.. إلى آخره". وبعد أداء السنة، يصلى عشرين نوافل، ستة منها للأوابين يقرأ فى الشفع الأول فى كلتيهما سورة الإخلاص ثلاث مرات، وفى الشفع الثانى فى كلتيهما سورة الإخلاص مرة، وفى الشفع الثالث فى كلتيهما يقرأ المعوذتين ثم يصلى صلاة الفردوس.

صلاة الفردوس

صلاة الفردوس ركعتين، يقرأ فى الأولى ﴿**آلم ذلك الكتاب.. ولكن لا يشعرون**﴾ (البقرة: ١-١٢)، ﴿**وإلهكم إله واحد.. يعقلون**﴾ (البقرة: ١٦٣،١٦٤)، وخمسة عشر مرة الإخلاص، وفى الثانية من آية الكرسى إلى ﴿**خالدون**﴾ (البقرة: ٢٥٥-٢٥٧)، ﴿**ولله ما فى السماوات وما فى الأرض..**﴾ إلى آخر السورة (النجم: ٣١-٦٢)، وخمسة عشر مرة الإخلاص.

صلاة الأنوار

يصلى ركعتين **صلاة النور**، يقرأ فى الأولى سورة البروج، وفى الثانية الطارق. ثم يصلى **صلاة الاستحباب** يقرأ فى الأولى سورة الزمر، وفى الثانية الواقعة. ثم يصلى **شكر الليل** يقرأ فى كل منها الكافرون خمس مرات.

وبعد السلام فى كل صلاة يدعو ثلاثاً بهذا الدعاء: "الحمد الله على حسن الصباح والحمد الله على حسن المبيت"، ومرة هذا الدعاء: "اللهم لك الحمد حمداً دائماً خالداً مع خلودك، ولك الحمد حمداً دائماً لا منتهى له دون مشيئتك، ولك الحمد حمداً دائماً، لا جزاء لقائله إلا رضاك، ولك الحمد حمداً دائماً عند كل طرفة عين وتنفس كل نفس، الحمد الله كفء حقه، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير خلقه".

صلاة لإحياء القلب

يصلى ركعتين لإحياء القلب وضياء القبر، وفى كل منها يقرأ سورة الإخلاص ستة مرات والمعوذتين مرة. ويدعو بعد السلام بهذا الدعاء: "اللهم اجعل هذه الصلاة سراجاً فى قبرى، وفى قبور جميع المؤمنين يا أرحم الراحمين".

صلاة لحفظ الإيمان

يصلى ركعتين حفظ الإيمان، ويقرأ فى كل منهما ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.. الوهاب**﴾ (آل عمران: ٨). ثم يقول خمساً: ﴿**فاطر السماوات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة.. الصالحين**﴾ (يوسف: ١٠١)، وخمساً "سبحان الله، والحمد الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"، ثم يصلى على النبى ﷺ خمساً ويدعو: "اللهم إنى أسألك إيماناً دائماً، وأسألك قلباً خاشعاً، وأسألك علماً نافعاً، وأسألك يقيناً صادقاً، وأسألك ديناً قيماً، وأسألك قلباً خاشعاً ورزقاً طيباً، وأسألك عملاً متقبلاً، وأسألك العافية من كل بلية، وأسألك حسن العافية، وأسألك تمام العافية، وأسألك الشكر على العافية وأسألك الغنى عن الناس، برحمتك يا أرحم الراحمين".

صلاة المحبة

يصلى ركعتين للمحبة، ويقرأ فيهما ما تيسر، وبعد السلام يسجد ويقول فى السجود: "سبحان الله، والحمد الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"، ثم يقعد ويرفع يده ويقول: "يا حى يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام يا أرحم الراحمين، يا إله الأولين والآخرين، يا رحمن الدنيا والآخرة، ورحيمهما، يا رب يا رب يا رب، يا الله يا الله يا الله، اغفر لى جميع ذنوبى، وتقبل صلاتى وصيامى". وإحياء ما بين العشائين أولى من إحياء الليل، إما بصلاة أو بتلاوة أو بمراقبة، إلى وقت صلاة العشاء.

صلاة العشاء

فإذا دخل وقت العشاء، يصلى أربع ركعات السنة القبلية، ويقرأ بعد الفاتحة فى الأولى آية الكرسى إلى ﴿**خالدون** ﴾ (البقرة: ٢٥٥-٢٥٧)، وفى الثانية ﴿**ولله ما فى السماوات والأرض..**﴾ إلى آخر السورة (النجم: ٣١-٦٢)، وفى الثالثة أول سورة الحديد إلى ﴿**بذات الصدور**﴾ (الحديد: ١-٦)، وفى الرابعة ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل..**﴾ إلى آخر السورة (الحشر: ٢١-٢٤).

ويستحب تأخير العشاء إلى ثلث الليل، والقراءة فيها من خمسة عشر إلى عشرين آية، وبعد السلام يقرأ مرة: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شئ قدير، لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون"، ويرفع يده ويصلى على النبى ﷺ، ثم يدعو: "اللهم تُب علينا قبل الموت، وهوّن علينا سكرات الموت، وارحمنا عند الموت، ولا تعذبنا بعد الموت، يا خالق الحياة والموت، اللهم ربنا توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين".

ثم يقوم ويصلى أربع ركعات السنة البعدية، يقرأ فى الأولى بعـــد الفاتحـــة الكافرون، وفى الثانية الإخلاص والمعوذتين مرة، وفى الثالثة آية الكرسى ثلاثـــاً، وفى الرابعة ما فى الثانية، ويسجد بعد السلام ويقول فيها أربعاً: "ســـبحان القديـــم الذى لم يزل، سبحان العليم الذى لم يجهل، سبحان الجواد الذى لا يبخل، ســـبحان الحليم الذى لم يعجل"، ويقول عشرين مرة "يا رحيم"، ويطلب حاجته، ثم يصلـــى أربع ركعات، يقرأ فى الأولى سورة يس وفى الثانية ﴿**حم..**﴾ (سورة الدخان)، وفى الثالثة ﴿**آلم تنزيل..**﴾ (سورة السجدة)، وفى الرابعة سورة الملك. ويصلى على النبى ﷺ بعد الســـلام ويقول ثلاثمائة مرة: "يا واحد يا باقى، يا أول كل شئ وآخره". فإن كان يصلى النوافل قبل الوتر، فذلك أولى.

صلاة الوتر

ويستحب فى الوتر أن يصلى آخر الليل، فإن لم يثق بالانتباه فى آخر الليل يصلى ويرقد. والأفضل فى قراءة الوتر ﴿**سبح اسم ربـــك الأعلـــى..**﴾ و﴿**إنـــا أنزلناه**﴾ فى الأولى، وفى الثانية ﴿**قل أيها الكافرون..**﴾، وفـــى الثالثـــة ســـورة الإخلاص والمعوذتين، ويرفع يديه فى التكبير، ويقنت. ويسجد بعد السلام ويقـــول فيهـــا: "سبحان الله القدوس، سبوح قدوس رب الملائكة والروح" ثلاثاً أو خمســـاً، ثم يقعد ويقرأ آية الكرسى ثم يسجد ثانياً، يسبح فيها ذلك التسبيح، ويرفـــع رأســـه ويطلب حاجته.

صلاة الشفع

ثم يصلى ركعتين شفعاً للوتر يقرأ فى الأولى ﴿**إذا زلزلت..**﴾، وفى الثانية ﴿**ألهاكم التكاثر..**﴾، وبعد السلام يقرأ أربعاً: "توكلت على الحى الـــذى لا يمـــوت سبحان الله، والحمد لله رب العالمين، يفعل الله ما يشاء بقدرته، ويحكم مـــا يريـــد بعزتـــه"، ثم يقول "سبحان الله" ثلاثاً وثلاثين، و"الحمد لله" كذلـــك، و"الله أكـــبر"

كذلك، ومرة "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كــل شئ قدير، فالحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله مــن شــرور أنفســنا وســيئات أعمالنا". وإن قرأ من الأدعية التى ذكرت فى الصبح كان أولى، وأيضاً وقت النوم.

ما يقرأ بعد صلاة الصبح

بعد صلاة الصبح يواظب على قراءة الآيات والسور، وهــى هــذه: يــس والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى ونون والقلم إلى آخر القرآن.

وإن لم يقدر فمن ﴿**إذا السماء انشقت..**﴾ إلى أم القرآن وهــى الفاتحــة والآيات: ﴿**آلم ذلك الكتاب.. المفلحون**﴾ (البقرة: ١-٥)، ﴿**وإلــهكم إلــه واحــد.. يعقلون**﴾ (البقرة: ١٦٣،١٦٤)، آية الكرسى إلى ﴿**خــالدون**﴾ (البقـرة: ٢٥٥-٢٥٧)، ﴿**ولله ما فى السماوات وما فى الأرض..**﴾ إلى آخر الســورة (النجـم: ٣١-٦٢)، ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو.. الإسلام**﴾ (آل عمران: ١٨،١٩)، ﴿**قل اللــهم مــالك الملك.. بغــير حســاب**﴾ (آل عمـران: ٢٦،٢٧)، ﴿**إن ربكــم الله.. المحســنين**﴾ (الأعراف: ٥٤-٥٦)، ﴿**لقد جاءكم رسول..**﴾ إلى آخر السورة (التوبــة: ١٢٨،١٢٩)، ﴿**قل أدعو..**﴾ إلى آخر السورة (الإسراء: ١١٠،١١١)، أول ســورة الكــهف إلــى ﴿**عجباً**﴾ (الكهف: ١-٩)، ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات..**﴾ إلى آخر السورة (البينة: ٧،٨)، ﴿**وذا النون إذ ذهب مغاضباً.. الوارثيــن**﴾ (الأنبيــاء: ٨٧-٨٩)، ﴿**فسبحان الله حين تمسون.. تخرجون**﴾ (الروم: ١٧-١٩)، ﴿**ســبحان ربــك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العــالمين**﴾ (الصافـات: ١٨٠-١٨٢)، ﴿**والصافات صفاً.. لازب**﴾ (الصافات: ١-١١)، ﴿**حم تنزيل الكتــاب.. إليه المصير**﴾ (غافر: ١-٣)، ﴿**لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق..**﴾ إلى آخــر السورة (الفتح: ٢٧-٢٩)، ﴿**معشر الجن إن استطعتم.. فلا تنتصران**﴾ (الرحمن: ٣٣-٣٥)، ﴿**سبح لله ما فى السماوات.. بذات الصدور**﴾ (الحديد: ١-٦)، ﴿**لو أنزلنا هذا**

القرآن..﴾ إلى آخر السورة (الحشر: ٢١-٢٤)، ﴿قل أوحى.. شططاً﴾ (الجن: ١-٤)، وسورة الكافرون والإخلاص والمعوذتين. ثم يدعو قائلاً: "يا أكرم من كل كريم، يا أعظم من كل عظيم، أغثنا بجودك وكركم ومد عمرنا بالعافية فى طاعتك، إنك على كل شئ قدير". وينام مستقبل القبلة على اليمين ويقول "أشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله".

الاستنجاء

فيه فرضان: إزالة النجاسة، وطهارة بالحجارة. وتحذير من العظم والأوراث وعن الذى يستنجى به مرة، وكل ما ذكر فى كتاب العبادة يلزم العمل به.

الوضوء

روى عن عبد الله بن يزيد الأنصارى أنّ رسول الله ﷺ كان يتوضأ من أربع دوائق من الماء. وقال أبو حنيفة ﷺ: لابد من مَنّ ونصف مَنّ، النصف للاستنجاء، والنصف الآخر لليدين والوجه ومسح الرأس، والنصف الثالث للرجلين فإن لم يحتج إلى الاستنجاء، فالمنّ يكفيه، وإن كان ماسحاً على الخف، فالنصف يكفيه. وسئل النبى ﷺ عن مقدار الماء للوضوء فقال: "**صاعاً والصاع أربعة أمداد، قالوا يا رسول الله: لا يكفينا هذا القدر قال: يكفيه هذا من هو أكثر شعراً منكم وأكثر طاعة ولم يكفكم**"، ولم يرخص بالزيادة، وإنما زاد أبو حنيفة لتطهير النجاسة.

ثم يصلى بعد الوضوء ركعتين سنة الوضوء يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة، سورة النبأ، وفى الثانية ﴿**والضحى..**﴾، وبعد السلام، يصلى على النبى ﷺ، ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم آت نفسى تقواها، وزكها، فأنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم أنت لى كما أحب، فاجعلنى لك كما تحب، اللهم اجعل

سريرتى خيراً من علانيتى، واجعل علانيتى صالحة لك وارزقنى حسن الاختيـار، وصحة الاعتبار، وصدق الافتقار، برحمتك يا أرحم الراحمين".

صلاة السعادات

وهى أربع ركعات يقرأ فى الأولى سورة الإخلاص عشراً بعـد الفاتحـة، وفى الثانية عشرين، وفى الثالثة ثلاثين، وفى الرابعة أربعين، ثم يصلى بعد ذلـك ركعتين، يقرأ فى كل منها سورة الإخلاص سبعين وبعد السلام يستغفر الله سـبعين مرة.

صلاة التهجد

ثم إذا كان موفقاً من الله تعالى، يصلى التهجد بهذا الترتيب: وهو أن يقول قبـل أداء ركعتى سنة الوضوء "الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثـيراً، وسـبحان الله بكرة وأصيلاً" عشراً، "سبحان الله والحمد لله.. إلخ" عشراً، و"الله أكبر ذو الملـك والملكوت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة والكمال، اللهم لك الحمد، أنت نـور السـماوات والأرض ولك الحمد، أنت بهاء السماوات والأرض، ولك الحمد أنـت رب السـماوات والأرض ولك الحمد، أنت زين السماوات والأرض ولك الحمـد، أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ومن عليهن، أنت الحق، ومنـك الحـق، ولقاؤك حـق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، اللهم لـك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وبك خاصـمت وإليك أنبت، وإليك حـاكمت، فاغفـر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنـت المقـدم وأنـت المؤخر، لا إله إلا أنت، اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاهـا، أنـت وليهـا ومولاها، اللهم اهدنى إلى أحسن الأخلاق والأعمال، فإنـه لا يـهدى إلـى أحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئاتها، فإنه لا يصرف عنى سـيئاتها إلا أنـت، أسألك مسألة البائس الفقير المسكين، وأدعوك دعـاء الفقير الذليل الخـاضع، فـلا

تجعلنى بدعائك رب شقياً، وكن بى رءوفاً رحيماً يا خير المسئولين، ويا أكرم المعطين، اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما فيه يختلفون، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك، فإنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم.

ثم يقرأ فى سنة الوضوء القراءة المذكورة، أى عمَّ والضحى كما مر فى سنة الوضوء، وبعد السلام يكثر من قول: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، عدد ما علم الله، وزنة ما علم الله، ملء ما علم الله" ثلاثاً. ويقول: "استغفر الله من كل ذنب أذنبته، عمداً أو خطأً، سراً أوعلانية، وأتوب إليه من الذى أعلم، ومن الذنب الذى لا أعلم، وأنت علام الغيوب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم" ثلاثاً. ويقول: "اللهم صلى على محمد، وعلى آل محمد، عدد ما أحاط به علمك، وجرى به قلمك ونفذت به مشيئتك" ثلاث مرات. ويقول: "اللهم اغفر لى ولوالدى، ولمن توالد منى، وارفع درجتهما فى أعلى عليين، بحق محمد وآله الطيبين الطاهرين، يا رب العالمين".

إحياء الليل

ثم يصلى ركعتين بنية إحياء الليل، ويقرأ فى الأولى آية الكرسى، وفى الثانية ﴿آمن الرسول..﴾ إلى آخر السورة (البقرة: ٢٨٦،٢٨٥). ثم يصلى اثنتى عشرة ركعة بست تسلميات، ويقرأ فى كل ركعة من القرآن شيئاً حتى يتم. وأقل التهجد أربع ركعات، وأكثره ما تيسر له، ويجلس بعد كل شفع، ويسبح ويستغفر ويصلى على النبى ﷺ. وبعد الفراغ يناجى بمناجاة الفقير إلى ربه، محمد المخاطب بخطاب الله تعالى "غوث" سبعين مرة وهى: "إلهى الذى عملت من السوء ما علمته، وأخطأت فاغفره، بحق لا إله الله محمد رسول الله، اللهم صلى على محمد، وعلى آل محمد، وبارك وسلم وصل على جميع الأنبياء والمرسلين، برحمتك يا أرحم الراحمين". ثم يصلى ركعتين، يقرأ فى الأولى سورة الإخلاص

عشرين مرة، وفى الثانية المعوذتين عشراً. وبعد السلام يستغفر الله تعالى له، ولجميع المؤمنين ويقرأ هذا الاسم على الفور: "يا غياثى عند كل كربة، ومجيبى عند كل دعوة ومعاذى عند كل شهادة، ويا رجائى حين تنقطع حيلتى"، يستجاب بإذن الله تعالى.

تحية المسجد

وأيضاً إذا دخل المسجد، فإذا كان متوضئاً يصلى ركعتين، يقرأ فى الأولى آية الكرسى، وفى الثانية سورة الإخلاص ثلاثاً. وبعد السلام يصلى على النبى ﷺ ويدعو: "اللهم إنى أسألك خير هذا المنزل، وخير ما فيه، وأعوذ بك من شر هذا المنزل، وشر ما فيه، اللهم اعصمنى بألطافك حتى لا أعصيك، وأعنى على طاعتك بتوفيقك، وجنبنى معاصيك، يا أرحم الراحمين". فإن لم يكن متوضئاً يتيمم ويقرأ آية الكرسى وسورة الإخلاص ثلاثاً. وإن كان يصلى السنن فى البيت كان أولى، وينوى بالنوافل تكميل الفرائض.

ذكر صلاة الأسبوع لمن يشاء

- **فى ليلة الجمعة:** من يصلّ بين العشائين اثنتى عشرة ركعة، ويقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة الإخلاص إحدى عشرة مرة، ويصلى بعد فرض العشاء ستة عشر، يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص والمعوذتين يجد ثواب إحياء ليلة القدر.
- يصلى **يوم الجمعة وقت الضحى:** اثنتى عشرة ركعة، ويقرأ فيها ما تيسر من القرآن. وبعد السلام يصلّى على النبى ﷺ.
- **ليلة السبت:** يصلى بين العشائين اثنتى عشرة ركعة، ويقرأ فيها ما تيسر من القرآن.. وبعد السلام يصلى على النبى ﷺ.

- يصلى **يوم السبت**: أربع ركعات، ويقرأ فيها بعد الفاتحة الكافرون ثلاثاً، وبعد السلام يقرأ آية الكرسى مرة.
- **ليلة الأحد**: يصلى عشرين ركعة، ويقرأ فى كل منها الإخلاص خمسين مرة والمعوذتين مرة. وبعد السلام يصلى على النبى ﷺ ، ويستغفر الله تعالى مائة مرة و"لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم" مائة مرة.. ثم يقول: "اللهم اغفر لى ولوالدى ولمن توالد منى ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات" مائة مرة.
- ويصلى **يوم الأحد بعد الإشراق**: أربع ركعات، ويقرأ فى كل منها بعد الفاتحة﴿**آمن الرسول..**﴾ (البقرة: ٢٨٥-٢٨٦). وأيضاً يصلى بعد الظهر أربعاً بسلامين، ويقرأ فى الأولى ﴿**ألم تنزيل..**﴾ (سورة السجدة)، وفى الثانية ﴿**تبارك الذى بيده الملك**﴾ وفى الثالثة والرابعة سورة الجمعة مرة مرة.
- **ليلة الاثنين**: يصلى أربعاً، ويقرأ فى الأولى بعد الفاتحة الإخلاص عشراً، وفى الثانية عشرين، وفى الثالثة ثلاثين، وفى الرابعة أربعين، وبعد السلام يقرأ الإخلاص والمعوذتين. ويقول بعد الصلاة: "اللهم اغفر لى ولوالدى ولمن توالد منى، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات" خمسة وسبعين مرة.
- ويصلى **يوم الاثنين بعد الإشراق**: ركعتين، ويقرأ فى كل منها بعد الفاتحة آية الكرسى والإخلاص والمعوذتين مرة مرة. وبعد السلام يقرأ الإخلاص اثنتى عشرة مرة.
- **ليلة الثلاثاء**: يصلى ركعتين، ويقرأ فيهما بعد الفاتحة الإخلاص والمعوذتين خمس عشرة مرة، وبعد السلام يصلى على النبى ﷺ، ويستغفر الله خمس عشرة مرة.

- ويصلى **يوم الثلاثاء بعد الإشراق**، وعند الانتصاف: عشر ركعات، ويقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسي مرة وسورة الإخلاص ثلاثاً.
- **ليلة الأربعاء**: يصلى ست ركعات بثلاث تسليمات، ويقرأ فى كل منها **﴿قل اللهم مالك الملك.. بغير حساب﴾** (آل عمران: ٢٦-٢٧) مرة ويقول بعد السلام: "جزى الله عنا سيدنا محمداً ما هو أهله ومستحقه ومستوجبة" سبعين مرة. وبعد العشاء يصلى ركعتين يقرأ فى الأولى الفلق عشراً، وفى الثانية الناس عشراً وبعد السلام يصلى على النبى ﷺ، ويستغفر الله تعالى.
- ويصلى **يوم الأربعاء بعد الإشراق**: اثنتى عشرة ركعة، ويقرأ فى كل منها آية الكرسى مرة وسورة الإخلاص والمعوذتين ثلاثاً.
- **ليلة الخميس**: يصلى بين العشائين ركعتين، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة آية الكرسى والقواقل خمساً، وبعد السلام يستغفر الله تعالى، خمس عشرة مرة ويدعو "اللهم اجعل ثواب هذا لوالدى، رب اغفر لى وارحمهما، كما ربيانى صغيراً".
- ويصلى **يوم الخميس** بين الظهر والعصر، ركعتين يقرأ فى الأولى آية الكرسى مائة مرة وفى الثانية الإخلاص مائة مرة. وبعد السلام يستغفر الله مائة مرة، ويصلى على النبى ﷺ مائة مرة.

ذكر أوراد الأسبوع

كل يوم يقول مائة مرة بهذا الترتيب:

يوم السبت: **"لا إله إلا أنت، سبحانك إنى كنت من الظالمين"**.

يوم الأحد: **"لا إله إلا الله، الملك الحق المبين"**.

يوم الاثنين: **"لا إله إلا الله عزيزاً جليلاً، يا عزيز يا جليل"**.

يوم الثلاثاء: **"اللهم صلى على محمد النبى الأمى، على آله وبارك وسلم"**.

يوم الأربعاء: "لا إله إلا الله" مخلصاً.

يوم الخميس: "لا إله إلا الله خالق كل شئ، وهو على كل شئ قدير".

يوم الجمعة: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليم العظيم"

ثم يصلى ركعتين، يقرأ فيهما ما تيسر من القرآن، وبعد السلام يسجد ويسأل الله فيها حاجته يستجاب.

نوع آخر منقول من سلطان الموحدين حضرة الشيخ ظهور الحق والشرع والدين، يقول لكل يوم ألف مرة ما يلى:

السبت: "يا الله يا هو".

الأحد: "يا رحمن يا رحيم".

الاثنين: "يا واحد يا أحد".

الثلاثاء: "يا فرد يا صمد".

الأربعاء: "يا حى يا قيوم".

الخميس: "يا حنان يا منان".

الجمعة: "يا ذا الجلال والإكرام".

نوع آخر: مروى عن شيخ الشيوخ الشهاب الزهر وردى. يقول كل يوم ألف مرة ما يلى:

السبت: "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

الأحد: "يا حى يا قيوم".

الاثنين: يصلى على النبى عليه السلام.

الثلاثاء: "لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم".

الأربعاء: "أستغفر الله من كل ذنب، وأتوب إليه".

الخميس: "يا الله".

الجمعة: "سبحان الله، والحمد الله، ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قـــوة إلا بالله العلى العظيم".

صلاة الأحزاب

يصلى يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر أربع ركعات. يقرأ فى كل منها بعـــد الفـــاتحة آية الكرسى، و﴿**قل اللهم مالك الملك.. بغير حساب**﴾ (آل عمـــران: ٢٦-٢٧)، والقواقل الأربعة (الكافرون، الإخلاص، الفلق، الناس)، وخمسة عشرة مـــرة "لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين". ثم يركع فيقول ذلك فى الركـــوع عشراً، وفى الاعتدال عشراً، وفى السجدة الأولى عشراً وبين السجدتين عشراً، وفى الســـجدة الثانية عشراً، فإذا رفع رأسه من السجدة الثانية ويجلس يقـــول عشـــراً، يصيـــر خمسة وسبعين مرة.. ثم ينهض إلى الركعـــة الثانيـــة ويفعـــل والثالثـــة، والرابعـــة أيضاً، فإذا جلس الأخيرة قرأ التحيات إلى عبده ورســـوله، ثـــم يســـجد ويقول فى سجوده واحداً وأربعين مرة: "يا حى يا قيوم يا غياث المستغثين أغثنـــى أغثنى أغثنى، إياك نعبد وإياك نستعين، حسبى الله وكفى بالله حســـيباً، اللهم صـــل علـــى محمد وعلى آله وبارك وسلم"، ثم يجلس ويصلى على النبـــى ﷺ، ويرفـــع يديه ويدعو بما يحفظ ثم يصلى على النبى ﷺ.

لدفع العطش

يلتقط حصاة ويقرأ: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ سبع عشر مرة، وينفث عليـــها ويحفظها فى الفم فإذا علا شرفاً يكبر.

عند لبس الجديد

يقرأ ﴿ **إنا أنزلناه..**﴾ (سورة القدر) عشراً وينفث على الماء، ويرش علـــى الثـــوب الجديد للعرس، وإذا دخلت العروس بيته، يصلى ركعتين على طرف ثوبـــها، ثـــم

يضع يده على جبهتها ويقول: يا قدوس يا طاهر من كل سوء، فلا شئ يعاده من جميع خلقه بلطفه.

صلاة الحاجة

ورد فى الخبر عن سيد البشر أنه قال ﷺ: "**إذا ضاق على أحدكم الأمر، ووقع فى يد ظالم، فليصل هذه الصلاة**". وهى أن يصلى أربع ركعات بتسليمتين فى أى وقت أراد، ويقرأ فى الأولى بعد الفاتحة ﴿**قل اللهم مالك الملك.. بغير حساب**﴾ (آل عمران: ٢٦-٢٧)، وفى الثانية ﴿**إنا أعطيناك الكوثر..**﴾، وفى الثالثة ﴿**قل يا أيها الكافرون..**﴾، وفى الرابعة ﴿**قل هو الله أحد..**﴾، وفى كل واحد منها تكون القراءة خمسة عشرة مرة، فإذا فرغ من الصلاة يدعو بالدعاء المعظم عشراً، فلم يقم من الصلاة إلا وقضى الله حاجته. والدعاء المعظم المكرم هذا: "بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، حسبنا الله ونعم الوكيل إنى مسنى الضر، وأنت أرحم الراحمين، وأفوض أمرى إلى الله، إن الله بصير بالعباد يا من ذكره شرف الذاكرين، ويا من طاعته نجاة المطيعين، ويا من رأفته ملجأ العالمين، ويا من لا يخفى عليه أنباء الملحين، برحمتك يا أرحم الراحمين".

صلاة شفاء المريض

يصلى ركعتين، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة ﴿**قل هو الله أحد..**﴾ ثلاثاً، فإذا فرغ منها يقعد فى مصلاه، ولا يتكلم مع أحد شيئاً، يسبح بهذا التسبيح ألف مرة: "يا بديع العجائب، بالخير ارحمنى إلى يوم الدين، يا بديع العجائب". فإن الله سبحانه وتعالى يهبه حياة جديدة. قوله حياة جديدة معناه أنه ببركة هذه الصلاة يعطيه ثواباً ودرجات، توازى حياة مديدة، والله أعلم.

صلاة القلب

صلاة القلب ركعتان، يقول : نويت أن أصلى لله تعالى صلاة القلب، ويقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة الإخلاص مرة ولكن يقرأ بالقلب، ولا يحرك لسانه بوجه من الوجوه، وينوى أيضاً بالقلب أيضاً، فإذا فرغ منها يسجد ويقعد ويستغفر الله تعالى سبعين مرة بحضور القلب.

صلاة المحبين

يصلى أربع ركعات بتسلمية واحدة ويقول: نويت أن أصلى لله تعالى أربع ركعات صلاة المحبين، ويقرأ فى الأولى بعد الفاتحة **"يا الله"**، وفى الثانية بعدها **"يا رحمن"**، وفى الثالثة بعدها **"يا رحيم"**، وفى الرابعة بعدها **"يا ودود"**، وكل منها مائة مرة. وبعد السلام يشتغل بما يشرح الله صدره له.

صلاة تنوير القبر

يصلى ركعتين تنوير القلب، ويقرأ فى كل منها بعد الفاتحة **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو.. الإسلام﴾** (آل عمران: ١٨،١٩) سبع مرات، وبعد السلام يقول: "يا الله الموفق" سبعين مرة.

لقضاء الحوائج

روى الشيخ خالد يونس السجاوندى أنه من أهمه شئ، أو صعب عليه أمر، ينبغى أن يكتب هذا الدعاء ويطرحه فى الماء الجارى. والدعاء المعظم هذا: "بسم الله الرحمن الرحيم، **لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم**، بسم **الله** الرحمن الرحيم الملك الحق المبين، من العبد الذليل إلى المولى الجليل، مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين". وأيضاً يصلى لقضاء الحوائج ست ركعات بثلاث تسليمات، ويقرأ ما تيسر فيها من القرآن، فإذا فرغ منها يسجد فيها ويقرأ

﴿قل يا أيها الكافرون..﴾ سبعاً، ويقرأ هذا الدعاء ثلاثاً متصلاً، ويدعـو حاجته تقضى بإذن الله، "بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اجعلنى ممن دعاك فأجبته، وآمن بك فهديته، ورغب إليك فأعطيته وتوكل عليك فكفيته، واقترب منك فأدنيته، اللهم أمدد عيشى مدّا، واجعل لى فى قلوب المؤمنين ودا، اللهم إنى أسألك الإيمان بك، وأسألك الفضل من الرزق، وأسألك العافية من البلاء، وأسألك العافية فى الدنيا والآخرة، وأسألك حسن العافية فى الدنيا والآخرة".

صلاة الجنازة

إذا حضر الجنازة يقول: "الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، يحيى ويميت وهو حى دائم لا يموت، هذا ما وعدنا الرحمن، وصدق الله ورسوله، اللهم زدنا إيماناً وتسليماً، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شئ قدير، اللهم بارك لنا فى الموت، واجعل لنا بعده خيراً". وينوى قائلاً: نويت أن أؤدى صلاة الجنازة على هذا الميت أربع تكبيرات، والدعاء للميت، والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات، اقتديت بهذا الإمام.

ويقول فى التكبيرة الأولى: "سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك وتعالى جدك، وجل ثناؤك، ولا إله غيرك، يا ربنا اغفر وارحم وأنت خير الراحمين"، وفى الثانية: "اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ربنا إنك حميد مجيد"، وفى الثالثة: "اللهم اغفر لحيّنا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، من أحييته فأحْيِه على الإسلام ومن توفيته فتوفاه على الإيمان"، والرابعة يسلم. وإن كان صغيراً يقول فى الثالثة: "اللهم اجعله لنا فرطاً واجعله أجراً وذخراً واجعله لنا شافعاً مشفعاً" -وإن كانت صغيرة يقول: اجعلها بدل اجعله.

وروى عن النبى ﷺ أنه كان يقرأ على الجنازة: "اللهم اغفر له وارحمه وتجاوز عنه، وعافه واعف عنه، وأكرم منزله ووسع مدخله، وآنس وحشته وارحم غربته، ولقنه حجته، وبرد مضجعه، ونور مهجعه، وألحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأدخله الجنة، وأبعده عن النار، برحمتك يا أرحم الراحمين".

صلاة المحرم

قال ﷺ : "إذا رأيتم هلال المحرم، فقولوا مرحباً بالسنة الجديدة والشهر الجديد، واليوم والساعة الجديدة، ومرحباً بالكاتب والشاهد والشهيد، واكتبا فى صحيفتى: بسم الله الرحمن الرحيم أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، والساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من فى القبور".

وأيضاً يصلى فى أول ليلة من ليالى المحرم ست ركعات بثلاث تسليمات، ويقرأ فى كل منها بعد الفاتحة آية الكرسى مرة وسورة الإخلاص أحد عشر مرة و"سبحان الملك القدوس، رب الملائكة والروح".

وأيضاً يصلى فى اليوم الأول منه، وقت طلوع الشمس، ركعتين يقرأ فيهما ما تيسر من القرآن، وبعد السلام يقول الكلمة الطيبة سبعاً وهى "لا إله إلا الله".

صلاة ليلة عاشوراء

مائة ركعة يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة الإخلاص ثلاثاً. فإذا فرغ منها يقول سبعين مرة: "سبحان الله، والحمد الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم". ويصوم يوم عاشوراء فكأن له ثواب سنة كلها، قال عليه السلام: "من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله".

فإذا طلعت الشمس، اغتسل ولبس ثياباً جديدة، ثم يأخذ كفاً من الماء ويمسح به رأسه ويقول: "حسبى الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى، من

اعتصم بحبل الله نجا". ثم يصلى ركعتين يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة آية الكرسى، وفى الثانية آخر سورة الحشر ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن جبل لرأيته خاشعاً..**﴾ إلى آخر السورة (الحشر: ٢١-٢٤)، وبعد السلام يصلى على النبى ﷺ ويدعو: "يا أول الأولين ويا آخر الآخرين لا إله إلا أنت، خلقت أول ما خلقت فى هذا اليوم، وتخلق آخر ما تخلق فى هذا اليوم، أعطنى فيه خير ما آتيت منه أوليائك وأنبيائك وأصفيائك، من ثواب البرايا وأممهم، ما أعطيتهم فيه من الكرامة، بحق محمد وآله وأصحابة".

وفى رواية يصلى ست ركعات أخرى، بتسليمة واحدة، يقرأ فى كل منها: الشمس، الضحى، التين، الزلزلة، الإخلاص، والمعوذتين. فإذا فرغ يسجد ويقرأ فيها ﴿**قل يا أيها الكافرون..**﴾، ثم يدعو: "اللهم اجعلنى ممن دعاك فأجبته يا أول الأولين.. الخ" كما مر سابقاً، ويدعو ما يريد، فيستجاب له بإذن الله.

وأيضاً يقرأ يوم عاشوراء: "حسبى الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير" سبعين مرة، يغفر الله تعالى ذنبه، وأيضاً يقرأ هذا الدعاء سبع مرات يوم عاشوراء: "سبحان الله ملء الميزان، ومنتهى العلم ومبلغ الرضا، زنة العرش، لا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، سبحان الله عدد الشفع والوتر وعدد كلماته التامات كلها، أسألك السلامة برحمتك يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وهو حسبى ونعم الوكيل، نعم الولى ونعم النصير، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين".

صلاة صفر

يصلى فى الليلة الأولى من بعد العشاء قبل الوتر أربع ركعات. يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة ﴿**قل أيها الكافرون..**﴾، وفى الثانية سورة الإخلاص، وفى الثالثة الفلق، وفى الرابعة الناس، يقرأ فى كل منها أحد عشرة مرة، بموافقة الأفلاك والطبائع. ويقول بعد السلام "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر،

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم" سبعين مرة، وكذلك يقول: "إياك نعبد وإياك نستعين" بعد التسبيح المذكور.

وأيضاً من يقرأ فى كل يوم من أيام صفر هذا الدعاء، حفظه الله فى تلك السنة، من الآفات والبليات إلى صفر قابل، ولم يصبه فيها بلاء قط وهو: "بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وبارك وسلم، اللهم إنى أعوذ بك فى شر هذا الشهر، من كل شدة وبلاء وبلية مما قدرت فيه، يا دهر يا ديهور يا ديهار، يا كان يا كينون يا كينان، يا أزل يا مبدى يا معيد، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا العرش المجيد، أنت تفعل ما تريد، اللهم احرس بعينك نفسى ومالى وأهلى وولدى، ودينى ودنياى التى ابتليتنى بصحبتها، بصحبة الأبرار والأخيار، برحمتك يا عزيز يا غفار، يا كريم يا ستار، برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم يا شديد القوى، يا شديد المحال، يا عزيز يا كريم، ذلّ لعزتك جميع خلقك، اكفنى واكنفنى عن جميع خلقك، يا محسن يا مجمل يا مفضل يا منيع يا مكرم، لا إله إلا أنت، برحمتك يا أرحم الراحمين".

وأيضاً قال الشيخ الكامل فريد الدين (شكر قدس الله سره العزيز): رأينا فى أوراد خوجا معين الدين (قدس الله سره العزيز) أنه ينزل فى كل سنة ثلاثمائة ألفاً وعشرون ألفاً من البليات وكلهم فى يوم الأربعاء الأخير من صفر، فيكون ذلك اليوم أصعب أيام السنة. فمن صلى فى ذلك اليوم أربع ركعات، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة ﴿**إنا أعطيناك الكوثر..**﴾ سبع عشرة مرة -لموافقة صافى حروفها- والإخلاص خمسة والمعوذتين مرة مرة، ويدعو بهذا الدعاء، حفظه الله تعالى بكرمه من جميع البلايا التى تنزل فى ذلك اليوم، ولم يحم حوله بلية من تلك البلايا، إلى تمام السنة. والدعاء المعظم المكرم هو: "بسم الله الرحمن الرحيم يا شديد القوى، ويا شديد المحال، يا من ذلّ لعزتك جميع خلقك، اكفنى واكنفنى من جميع خلقك، يا محسن، يا مجمل يا مفضل، يا منيع يا مكرم، يا لا إله إلا أنت، برحمتك يا ارحم الراحمين".

كما يكتب فى الصحفة البيضاء الصينى، الآيات المفتتحة بسلام، ويمحو ويشرب وهى:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿سلاماً قولاً من رب رحيم﴾ (يس: ٥٨)، **﴿سلام على نوح فى العالمين إنا كذلك نجزى المحسنين﴾** (الصافات ٧٩:٨٠)، **﴿سلام على موسى وهارون أنا كذلك نجزى المحسنين﴾** (الصافات: ١٢٠،١٢١)، **﴿سلام على إبراهيم إنا كذلك نجزى على المحسنين﴾** (الصافات: ١٠٩،١١٠)، **﴿سلام على إل ياسين إنا كذلك نجزى المحسنين﴾** (الصافات: ١٣٠،١٢٩)، **﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾** (الزمر: ٧٣)، **﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾** (الرعد: ٢٤)، **﴿سلام هى حتى مطلع الفجر﴾** (القدر: ٥).

صلاة ربيع الأول

يصلى الليلة الأولى بعد المغرب ركعتين، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة الإخلاص ثلاثاً، كما ورد فى الخبر، ويصلى على النبى ﷺ بعد السلام مائة مرة: "اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد وصحبه، وبارك وسلم برحمتك يا أرحم الراحمين". وأيضاً يصلى أربع ركعات فى ثالث هذا الشهر، ويقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة آية الكرسى مرة وسورة طه وسورة يس ثلاثاً، ويهدى ثوابها إلى روح الحضرة المطهرة المقدسة النبوية عليه السلام. وأيضاً يقرأ فى العاشر والثانى عشر سورة الإخلاص ثلاثمائة وستون مرة. وأيضاً يصلى ركعتين فى الحادى والعشرين، يقرأ فى كل منهما بعد الفاتحة سورة المزمل مرة ويسجد بعد الفراغ منها، ويدعو لحاجته، أى حاجة كانت ويقول بحضور قلب: "يا غفور تغفرت بالغفر والتقى، فى غفر غفرك يا غفور".

صلاة ربيع الآخر

يصلى فى الليلة الثالثة أربع ركعات، يقرأ فيها بعد الفاتحة ما تيسر من القرآن، ويقرأ بعدها يا بديع. أيضاً يصلى فى الخامس عشر من الشهر بعد الضحى أربع عشرة ركعة بسبع تسلميات، ويقرأ فيها بعد الفاتحة سورة ﴿**أقرأ باسم ربك..**﴾ سبعاً، وبعد الفراغ يقرأ ستين مرة: "يا مليك تملكت فى الملكوت والملكوت فى ملكوت ملكوتك يا مليك". فمن صلى هذه الصلاة مرة واحدة فى عمره يحصل له معنى، وكفى بالله وكيلا.

صلاة جمادى الأولى

يصلى فى الليلة الأولى ركعتين، يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة سورة الجمعة، وفى الثانية سورة المزمل. وفى اليوم الأول منه أربع ركعات، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة ﴿**إذا جاء نصر الله..**﴾ سبعاً. ويصلى فى الليلة الثالثة، وهى كليلة القدر، وجدها أكثر الصوفية، وإن لم تكن مشهورة، فينبغى أن يحى تلك الليلة بعشرين ركعة بعشر تسليمات، ويقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة القدر عشراً، فإذا فرغ منها يسبح بهذا التسبيح إلى الصبح: "يا عظيم تعظمت بالعظمة، والعظمة فى عظمة عظمتك يا عظيم". وأيضاً يحى ليلة الحادى والعشرين فإن فيها وقع لأكثر الصالحين معراج. وأيضاً يصلى فى السابع والعشرين منها ثمانى ركعات بتسليمتين، ويقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة الضحى مرة مرة. وبعد ذلك يحى تمام الشهر بتسبيح "سبوح قدوس". وتعلم عظمة هذا الشهر من العمل المذكور.

صلاة جمادى الآخرة

يصلى فى الليلة الأولى ركعتين، ويقرأ فيها ما تيسر من القرآن، ويكثر الاستغفارات أثناءها وبعد الفراغ منها. وأيضاً يصلى فى عاشره اثنتى عشر ركعة بست تسليمات، ويقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة ﴿**لإيلاف قريش**﴾، وبعد الفراغ منها يقرأ سورة يوسف بذلك يحرسه الله تعالى فى تلك السنة من ضيق اليد والمعاش ويحفظه من نكبات آخر الزمان. وأيضاً فى سلخ الشهر بعد المغرب يصلى أربع ركعات، وبعد الفراغ يشتغل بالتسبيح يكون عزيزاً فى نظر الخلائق إلى العام المقبل.

صلاة رجب

يصلى الليلة الأولى بعد المغرب عشرين ركعة بعشر تسلميات، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة الإخلاص خمساً، وبعد الفراغ يقول ثلاثمائة مرة الكلمة الطيبة وهى "لا إله إلا الله". ويصوم اليوم الأول كما قال عليه السلام: من صام يوماً واحداً من شهر رجب، سد الله عنه باباً من أبواب جهنم، ويصلى وقت الإفطار ركعتين يقرأ فى كل منهما بعد الفاتحة آية الكرسى والمعوذتين مرة مرة. ويقرأ فى كل منها بعد الفجر سورة يس فقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "***من قرأ بعد الفجر من شهر رجب ﴿يس والقرآن الحكيم..﴾ مرة واحدة، غفر الله له ذنوبه خمسين مرة، ورفع عنه عذاب القبر***".

وأيضاً يصلى صلاة سيدنا محمد أبو يس القرنى، فى الثالث والرابع والخامس، وفى رواية: فى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وفى رواية: فى الثالث والعشرين والرابع والعشرين والخامس والعشرين، سمع عنه أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه، وينوى فى الليل الصوم، ويصوم الأيام المذكورة، ويغتسل بعد الإشراق فيها، ولا يتكلم مع أحد، ويصلى

قبل الزوال اثنى عشرة ركعة بثلاث تسليمات. ويقرأ فى الأربعة الأولى منها بعد الفاتحة ما تيسر من القرآن، والأفضل سورة يس، ويقول بعد الفراغ منها سبعين مرة "لا إله إلا الله الملك الحق المبين ليس كمثله شئ وهو السميع البصير". وفى الأربعة الثانية يقرأ في كل منها بعد الفاتحة ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح..**﴾، ويقول بعد السلام: "إنك أقوى معين، واهدى دليل، بحق إياك نعبد وإياك نستعين" سبعين مرة. وفى الأربعة الثالثة يقرأ فى كل ركعة منها بعد الفاتحة سورة **الإخلاص** ثلاثاً، وبعد السلام يقرأ ﴿**ألم نشرح..**﴾ سبعين مرة، يمسح بيده اليمين الصدر، ثم يسجد ويسأل الله حاجته، أى حاجة كانت قضى الله تعالى تلك الحاجة بكرمه ومنةً.

صلاة الرغائب

يصوم أول خميس يقع فى هذا الشهر، ويصلى بعد المغرب اثنى عشرة ركعة بست تسليمات، ويقرأ فى كل منها بعد الفاتحة ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة القدر..**﴾ ثلاثاً، والإخلاص اثنى عشر. فإذا فرغ من الصلاة، يسجد لله تعالى، ويقول فيها: "سبوح قدوس، ربنا ورب الملائكة والروح" سبعين مرة، ثم يقعد ويصلى على النبى ﷺ، ويدعو بهذا الدعاء: "بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إنى صليت هذه الصلاة، التى أمر بها عبدك ورسولك وخيرتك من خلقك، شفيع الأمة، وكاشف الغمة عليه السلام، وإن كنت مقصراً فى إقامة حقائقها، غافلاً عن تقويم شرائطها كما تحب وترضى، فليس بمستطيع من عبادك أن يعبدك ويطيعك كما ينبغى لك، فإذا اعترفت بتقصيرى وقلة جهدى، وأقررت بضعفى وعجزى، فلا تحرمنى تصديق رسولك، وثواب حسن الرغبة، وصدق النية في سنة نبيّك عليه الصلاة والسلام، إنك ذو فضل ومغفرة على عبادك، وصلى الله على خير خلقك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين".

صلاة الاستفتاح

يصلى ليلة الاستفتاح، وهى الخامس عشر من رجب، عشر ركعات بخمس تسليمات، ويقرأ فى كل منها بعد الفاتحة الإخلاص ثلاثين مرة. وبعد الفراغ استغفر الله مائة مرة. ويصلى يوم الخامس عشر بعد الإشراق خمسين ركعة بخمس وعشرين تسلميه، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة، الإخلاص والمعوذتين مرة مرة، ثم يسجد ويقول فيها: "اللهم لك صليت ولك سجدت، وبك آمنت وإليك توكلت، فارحمذلى وكبوتى لوجهى وانفرادى وخشوعى وخضوعى وتضرعى وتجبرى وفقرى وفاقتى، واجعل لى فرجاً ومخرجاً من همى، برحمتك يا أركم الراحمين".

صلاة المعراج

يصلى ليلة السابع والعشرين من رجب بعد العشاء اثنتى عشرة ركعة، بثلاث تسليمات، ويقرأ فيها ما تيسر من القرآن. فإذا فرغ منها يقول مائة مرة "سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"، ومائة مرة "استغفر الله"، ومائة مرة "الصلاة على رسول الله ﷺ". ثم يقعد ويسجد لله، ويسأل الله حاجته بعد السلام، يقضى الله تلك الحاجة بإذنه تعالى.

صلاة شهر شعبان

يصلى أول ليلة اثنتى عشرة ركعة ، بثلاث تسليمات، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة الإخلاص خمس عشرة مرة، يكتب فى صحائف أعماله عشرة آلاف حسنة، تمحى عنه مثلها من السيئات. صلاة **ليلة البراءة:** وهى ليلة الخامس عشر من شهر شعبان يصلى فيها مائة ركعة، بخمسين تسلمية، ويقرأ فى كل منها بعد

الفاتحـــة سورة الإخلاص عشر. وروى عن ذى النون المصرى أنه قـــال: "مـــن يصلى ليلة البراءة اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل منها الإخلاص خمسين مرة، يجد ثواب مائة ركعة".

ويروى عن سلطان الموحدين الشيخ ظهور الحق، أنه قال: "من صلى ليلة البراءة ركعتين، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة الإخلاص خمسمائة مرة، والمعوذتين مائة مرة، يجد ثواب مائة واثنتى عشرة ركعة، وتزيد ثواب المعوذتين. ثم يســـجد بعد السلام ويدعو بهذا: "سجد لك سوادى وخيالى،وآمن بك فـــؤادى، وأقـــرَّ بـــك لسانى، وها أنا بين يديك يا عظيم كل عظيم، اغفر ذنبى العظيـــم، فإنـــه لا يغفـــر غيرك يا عظيم، اللهم سجد وجهى الفانى لوجهك الباقى، إلهى وجـــهى خـــرَّ لـــك ساجداً، أعُفِّر وجهى فى التراب لسيدى، وحق لوجه سيدى أن يســـجد لـــه". وفـــى رواية: "أعُفِّر وجهى فى التراب لوجه ســـيدى، وحق لوجه سيدى أن يسجد له". ثم يقعـــد ويصلى على النبى ﷺ ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم ارزقنى قلبـــاً نقيـــاً مـــن الشرك بريئاً، لا كافراً ولا شقياً". وأيضاً يقرأ ليلة البراءة هذه الدعوة: "اللهم يـــا ذا المـــن ولا يمن عليك، ياذا الجلال والإكرام، ياذا الطول والإنعام، لا إلـــه إلا الله، أنت ظهر اللاجئيـــن، ويا جار المستجيرين، ويا صريخ المستصرخين، ويا أمـــان الخائفين، ويا دليل الحائرين، ويا غياث المستغثين، ويا أرحم الراحمين، اللـــهم إن كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقياً أو فقيراً أو محروماً أو مقتراً على رزقـــى، فامح عنى حرمانى وتقتير رزقى، واكتبنى عندك غنياً سعيداً، موفقـــاً للخـــيرات، موسعاً على رزقى، فإنك قلت فى كتابك الكريم ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾ (الرعد: ٣٩)، إلهى بالتجلى الأعظم فى ليلة النصف من شـــهر شعبـــان الأكرم، التى يفرق فيها أمر حكيم ويبرم، اكشف عنى من البلاء ما أعلـــم ومـــالا أعلم، واغفر لى ما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم الرحيم وصلـــى الله علـــى سيدنا محمد، وسائر النبيين، وآلهم وصحبهم وسلم".

صلاة الشهر المبارك

فإذا رأى الهلال يقول: "اللهم هذا شهر رمضان، أضـــاء علينـا بـالأمن والأمان، نسألك الصحة من السقم، والفراغ من الشغل، وأعنا على الصيام والقيام، وتلاوة القرآن حتى ينقضى عنا، وقد غفرت لنا ورضيت عنا، اللـــهم هـذا شـــهر رمضان قد حضرت فسلمه لنا، وسلمنا له فى يسر منك وعافيـــة، اللـــهم ارزقنـا صيامه وقيامـــه، بقبول منا بإيمان واحتساب، اللهم ارفـــع عنـا الكسـل والفــترة والسآمة، وارزقنا فيه الخير والجد والاجتهاد، والأجر والقوة والنشاط، كما تحـــب وترضى".

صلاة التراويح

يصلى فى كل ليلة من ليالى رمضان، بعد العشاء وقبل الوتـــر: عشريـــن ركعة بعشر تسليمات، ويجلس بعد كل ركعتين منها، بمقدار ما تسبح فيـــه ثــلاث تسبيحات من التسبيحات المذكور:

- **التسبيح الأول:** "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمـــد يحيـــى ويميت، وهو حى لا يموت، ذو الجلال والإكرام، بيده الخير، وهو علـــى كــل شئ قدير".
- **التسبيح الثانى:** "سبحان الله، والحمد الله، ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حـــول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، عدد ما علم الله، وزنة ما علم الله، وملء ما علم الله".
- **التسبيح الثالث:** "ســبحان الواحد القهار، سبحان الكريم الستار، سبحان الكبير المتعال، سبحان خالق الليل والنهار، سبحان الذى لم يزل ولا يزال".

- **التسبيح الرابع:** "سبحان ذى الملك والملكوت، سبحان ذى العـــزة والعظمـــة، والهيبة والقدرة، والكبرياء والجبروت سبحان الملك الحى الذى لا يموت أبـــداً أبداً".
- **التسبيح الخامس:** "أســتغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، غافر الذنوب، ستار العيوب، علام الغيوب، مقلب القلوب، كاشف الكروب، وأتوب إليه توبـــة عبد ظالم ذليل، لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً".

ويدعو بعد كل مرة من التسبيحات الخمس بهذا: "اللهم إنى أسألك رضوانك والجنة وما فيها، وأعوذ بك من النار، يا خالق الجنة والنار، برحمتك يا عزيز يـــا غفـــار، يا كريم يا ستار، يا رحيم يا بار، اللهم أجرنا من النار، يا مجير يا مجـــير يا مجير، برحمتك يا أرحم الراحمين.

ويصلى فى السابعة والعشرين منها اثنتى عشرة ركعة، يقرأ فى كمل منها بعد الفاتحة ﴿**إنا أنزلناه..**﴾ ثلاثاً، والإخلاص عشراً. فإذا فرغ منها يقـــول مائـــة مرة: "سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بـــالله العلى العظيم".

ويصلى فى آخر ليلة من لياليه بعد الـــتراويح، عشـــر ركعـــات بخمـــس تسليمـــات، يقرأ فيها ما تيسر من القرآن، وبعد الفراغ يقول ألف مـــرة "أســتغفر الله"، ثم يسجد ويدعو بهذا: "يا حى يا قيوم، يا ذا الجلال والإكـــرام، يـــا رحمـــن الآخرة، يا أرحم الراحمين، يا إله الأولين والآخرين، اغفر لـــى ذنوبـــى، وتقبـــل صلاتى وصيامى وقيامى"، فيغفر له بإذن الله.

صلاة شوال

يصلى بعد صلاة العيد أربع ركعات، يقرأ فى الأولى منـــها بعـــد الفاتحـــة ﴿**سبح اسم ربك الأعلى..**﴾، وفى الثانية ﴿**والشمس وضحاها..**﴾، وفى الثالثـــة

﴿والضحى..﴾، وفى الرابعة ﴿ألم نشرح..﴾، مرة مرة، وبعده يقرأ سورة الإخلاص إحدى وعشرين مرة.

ويصلى فى السادس منه ست ركعات، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة ﴿والسماء والطارق..﴾، ويصلى على النبى عليه الصلاة والسلام مائة مرة بعد السلام.

ومن يقرأ فى العشر الآخر من كل يوم سورة الفاتحة خمسين مرة، يحصل له ثواب ختم القرآن، وثواب الشهداء ولا يكتب عليه فى تلك السنة شئ من الذنوب والمعاصى.

صلاة ذى القعدة

يصلى فى الليلة الأولى ثلاثين ركعة، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة ﴿إذا زلزلت الأرض..﴾، فإذا فرغ منها يقرأ ﴿عم يتساءلون..﴾.

يصلى فى التاسع منه ركعتين لترقى التجليات، يقرأ فى كل منها سورة المزمل، وبعد السلام يقرأ سورة يس ثلاثاً.

ويصلى آخر الشهر بعد الإشراق ركعتين، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة القدر ثلاثاً، وبعد السلام يصلى على النبى ﷺ وآله وصحبه إحدى عشرة مرة، ويقرأ مثل ذلك سورة الفاتحة، ثم يسجد ويسأل الله حاجته يستجاب له بإذنه تعالى.

صلاة ذى الحجة

يصلى فى الليلة الأولى ركعتين، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة سورة الكافرون مرة.

ويصلى فى العشرة الأول **ليلة الجمعة** أو يومها، ست ركعات بتسليمات ثلاث، يقرأ فى كل منها سورة الإخلاص بعد الفاتحة خمسة عشر مرة، ويقول بعد الفراغ: "يا نور تنورت بالنور، والنور فى نورك يا نور".

ويصلى فى الثامن منه ويسمى يوم التروية ست ركعات، أربع منها بتسليمة، يقرأ فى الأولى منها بعد الفاتحة ﴿**والعصر..**﴾ مرة، وفى الثانية ﴿**لإيلاف قريش..**﴾ مرة، وفى الثالثة ﴿**إذا جاء نصر الله..**﴾ مرة، وفى الرابعة سورة الإخلاص ثلاثاً، ثم يصلى ركعتين فى كل منهما بعد الفاتحة ﴿**قل هو الله أحد..**﴾ يجد ثواب التروية.

وأيضاً يصلى ليلة عرفة عشرة ركعات بخمس تسليمات، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة ﴿**لإيلاف قريش..**﴾ خمساً.

ويصلى يوم عرفة أربع ركعات، يقرأ فى كل منها بعد الفاتحة ﴿**إنا أنزلناه..**﴾ ثلاثاً وسورة الإخلاص إحدى وعشرون مرة، فإذا فرغ منها يصلى على النبى ﷺ سبعين مرة بهذه الطريقة: "اللهم صلى على محمد، وعلى آل محمد، وبارك وسلم"، ويستغفر الله بهذه الطريقة سبعين مرة: "أستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات".

ويصلى بعد العيد والخطبة أربع ركعات بتسليمه، يقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة ﴿**سبح اسم ربك الأعلى..**﴾، وفى الثانية ﴿**والشمس..**﴾، وفى الثالثة ﴿**والضحى..**﴾، وفى الرابعة الإخلاص، مرة مرة، يمحو الله تعالى من ذنوبه ما يشاء. فإذا قام من المصلى دخل بيته يصلى ركعتين، يقرأ فى كل منهما بعد الفاتحة ﴿**إنا أعطيناك الكوثر..**﴾ ثلاثاً، يجد ثواب الأضحية إذا كان مفلساً، وإذا كان غنياً يضحى ويقول إذ ذاك: "إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم هذا

فداء، ولحمها بلحمى، ودمها بدمى، وعظمها بعظمى، اللهم تقبل منى كما تقبلت من خليلك عليه السلام".

ومن يقرأ دعاء السعادة فى آخر السنة، الذى هو آخر هذا الشهر، إحدى وعشرين مرة يرى جميع أحوال الباطل فى المعاملة، وهو بين النوم واليقظة، وينبغى لصاحب الأبرار أن يقرأه كل يوم، ليطلع على ترقى مراتبه. ودعاء السعادة هو:

"بسم الله الرحمن الرحيم، يا رب أكرمنى بشهود أنوار قدسك، وأيدنى بظهور سطوات سلطان أنسك، حتى أتقلب فى سبحات معارف أسمائك، وأطلعنى على أسرار ذوات وجودك، فى معالم شهودك، لأشهد بها ما أودعته فى عوالم الملك والملكوت، وأعاين سريان سر قدرتك، فى معالم شواهد اللاهوت والناسوت، وعرفنى معرفة تامة فى حكمة عامة، حتى لا يبقى معلوم إلا وأطلع على دقائقه والرقائق المنبسطة، والموجودات المائعة، عن إدراك حقائق الإيمان وتصرف ما فى القلوب والأرواح بمهجات المحبة والوداد، والرشد الإرشاد، إنك أنت المحب والمحبوب، والطالب والمطلوب، يا مقلب القلوب، ويا كاشف الكروب، يا دليل المستجيرين ويا غياث المستغيثين، إنك أنت علام الغيوب، أنت ربى ورب كل شئ، اللهم لا تجعلنا بين الناس مضرورين، ولا عن خدمتك مغرورين مهجورين، ولا بنعمتك مستدرجين، ولا فى الدنيا مأكولين آكلين أموال الدنيا بالدين، وصلى الله على خير خلقه محمد، وآله وصحبه أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين".

الفصل الخامس
الأذكار

أهمية الذكر

اعلم أنه ينبغى لمن بلغه شئ من فضائل الأعمال، أن يعمل به ولـــو مـــرة واحدة ليكون من أهله، ولا ينبغى أن يتركه مطلقاً، بل يأتى بما تيسر منـــه لقـــول النبى ﷺ: "*إذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم*"، ويجوز ويستحب العمل فى الفضائل بالحديث الضعيف، ما لم يكن موضوعاً.

واعلم أنه كما يستحب الذكر، يستحب الجلوس فى حلق أهله، وقد تواتـــرت الأدلة على ذلك. والذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بهما، ويكون الذكـــر فى دبـــر الصلوات وغدواً وعشياً وفى المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلمـــا غـــدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى. وقيل: "إن مـــن واظـــب علـــى الأذكـــار المأثـــورة المثبتة صباحاً أو مساءاً، فى الأوقات والأحوال المختلفة ليـــلاً ونـــهاراً، كان من الذاكـــرين الله كثيراً والذاكرات". وقد أجمع العلماء علـــى جـــواز الذكـــر بالقلب واللسان، للمحدث والجنب والحائض والنفساء، وذلك فى التســـبيح والتـــهليل والتحميد والتكبير والصلاة على رسول الله ﷺ. ولكن قراءة القرآن حـــرام علـــى الجنب والحائض والنفساء، سواء قرأ قليلاً أو كثيراً، لكن يجوز لهم إجراء القـــرآن على القلب من غير لفظ.

من آداب الذكر

وينبغى أن يكون الذاكر على أكمل الصفات. فإن كان جالساً فـــى موضـــع استقبل القبلة، وجلس متذللاً متخشعاً، فى سكينة ووقار، مطرقاً رأسه، ولـــو ذكـــر على غير هذه الأحوال، جاز ولا كراهية فى حقه، لكن إن كان بغير عـــذر، كـــان

تاركاً للأفضل، وينبغى أن يكون الموضع الذى يذكر فيه خالياً نظيفاً، فإنه أعظم فى احترام الذكر والمذكور، وينبغى أن يكون فمه نظيفاً، فإن كان فيه تغير أزاله بالسواك، وإن كان فيه نجاسة أزالها بالغسل بالماء.

والذكر محبوب فى جميع الأحوال، إلا فى أحوال ورد الشرع باستثنائها، فمن ذلك: أنه يكره الذكر حالة الجلوس على قضاء الحاجة، وفى حالة الجماع وفى حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب، وفى القيام للصلاة، بل يشتغل بالقراءة. والمراد من الذكر حضور القلب فينبغى أن يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله، ويتدبر ما يذكر متأملاً ألفاظ ذكره ومعناه.

وينبغى لمن كان له وظيفة من الذكر، فى وقت من ليل أو نهار، ففاته أن يتداركها، فعليه أن يأتى بها إذا تمكن منها ولا يهملها.

من قطوف الذكر

- أحب الكلام إلى الله تعالى: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته"، و"لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شئ قدير" عشر مرات.
- **ما يقول إذا استيقظ من منامه:** "الحمد الله الذى ردّ على روحى، وعافانى فى جسدى وأذن لى بذكره".
- **ما يقول إذا لبس ثوبه:** "الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة".
- **ما يقول لصاحبه إذا رأى عليه ثوباً جديداً:** "البس جديداً، وعش حميداً، ومت شهيداً وسعيداً".

- **كيفية لباس الثوب والنعل وخلعهما:** يستحب أن يبتدئ فى لبس الثوب والنعـــل وغيرها باليمنى، وعند الخلع يخلع الأيسر ثم الأيمن، كذلك السـواك، وتقليـم الأظافر، والوضوء والأكل والغسل، فكله يفعل باليمنى، وضده باليسار.
- **ما يقول إذا خلع ثوبه لغسل أو نوم:** "باسم الله الذى لا إله إلا هو".
- **ما يقول حـال خروجه من بيته:** "بسم الله، توكلت على الله، اللّهم إنى أعـوذ بك أن أضل أو أضَل، أو أذلّ أو أذَل، أو أظلم أو أُظلم، أو أجـهل أو يجـهل علىَّ".
- **ما يقول إذا دخـل بيتـه:** "اللـهم أنى أسألك خير المولج، وخـير المخـرج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعل الله ربنا توكلنا"، ثم يسلم على أهله.
- **ما يقول إذا استيقظ من الليل وخرج من بيته:** أن ينظر إلى السـماء، ويقـرأ الآيات الخواتم من سورة آل عمران التى أولـها: ﴿**إن فـى اختـلاف الليـل والنهار..**﴾ الى آخر السورة (آل عمران: ١٩٠-٢٠٠).
- **ما يقول إذا قام من الليل يتهجد:** "اللهم لك الحمـد. أنـت قيـوم السـماوات والأرض ومن فيـهن، ولك الحمد. لك ملك السماوات والأرض ومن فيـهن، ولك الحـمد. أنت نـور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمـد. أنـت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، ومحمد حق، والساعة حق. اللّهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبـت، وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله".
- **ما يقول إذا أراد دخول الخلاء:** "اللهم إنى أعوذ بك من الخبـث والخبـائث". ويكره الذكر والكلام حال قضاء الحاجة. ويقول عند الخـروج مـن الخـلاء: "غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى".

- **ما يقول عند وضوئه:** يستحب أن يقول فى أوله: "بسم الله الرحمن الرحيـــم"، ويقول بعد الفراغ من الوضوء: "أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريـــك لـــه، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، اللّهم اجعلنى مـــن التوابيـــن واجعلنـــى مـــن المتطهرين، سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتـــوب إليك".
- **أذكار الصباح والمساء: إذا أصبح أو أمسى** قال سيد الاستغفار وهـــو: "اللـــهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عـــهدك ووعـــدك مـــا استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على، وأبـــوء بذنبـــى فاغفر لى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت". **وإذا أصبح** يقول: "اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور". **وإذا أمسى** يقول: "اللـــهم بك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور". ثم يقول **فى الحالتين**: "بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم".
- **ما يقول إذا أراد النوم أو اضطجع على فراشه:** "الله أكبر" ثلاثاً وثلاثين مرة، و"سبحان الله" ثلاثاً وثلاثين مرة، "الحمد لله" ثلاثاً وثلاثين مرة، ويضطجع على جنبه الأيمن ويقول: "اللّهم أسلمت نفسى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجـــأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجـــأ ولا منجى منك إلا إليـــك، آمنـــت بكتابك الذى أنزلت، وبنبيك الذى أرسلت".

فإن مت مت على الفطرة.. واجعلهن آخر ما تقول.

- **ما يقول إذا اســـتيقظ فى الليل وأراد النوم بعـــده:** "لا إلـــه إلا الله، وحـــده لا شريك له، له الملـــك وله الحمد، وهو على كل شئ قدير، والحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللّهم اغفـــر لـــى"، وليدع الله.

- **ما يقول إذا قلق فى فراشه ولم ينم:** "اللّهم غارت النجوم، وهـــدأت العيــون، وأنت حى قيوم، لا تأخذك سنة ولا نوم، يا حى يا قيوم، أهـــدئ ليلـــى، وأنـــم عينى".
- **ما يقول إذا فـــزع فى منامه:** "أعوذ بكلمـــات الله التامة، من غضبـــه وشـــر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون".
- **ما يقول إذا رأى فى منامـــه ما يحب أو يكره:** إذا رأى رؤيا يحبها فهى مـــن الله تعالى، فليحمد الله تعالى عليها، وليحدث بها من يحب، وإذا رأى غير ذلـــك مما يكره، فإنما هى من الشيطان فليستعذ من شرها، ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره، ثم لينفث عن شماله ثلاثاً أى يبصق وليتعوذ من الشيطان، وليتحول عن جنبه الذى كان عليه ثم يقول: "اللهم إنى أعوذ بك من عمل الشيطان وســـيئات الأحلام".
- **ما يقول إذا قصت عليه رؤيا:** من قال له: رأيت رؤيا، قال: "خـــيراً رأيـــت، وخيراً يكون، خيراً تلقاه وشراً توقاه، خيرٌ لنا، وشرٌ على أعدائنا، والحمـــد الله رب العالمين".
- **دعاء الكرب والدعاء عند الأمور المهمة:** "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إلـــه إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب الســـماوات ورب الأرض، ورب العرش الكريم، يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث، لا إله إلا أنت ســـبحانك إنـــى كنت من الظالمين".
- **ما يقول إذا راعه شئ أو فزع:** "هو الله ربى لا شريك له".
- **ما يقول إذا أصابه همَّ أو حزن:** "اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنـــا عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتى بيدك، ماضٍ فى حكمـــك، عـــدل فـــى قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته فـــى كتـــابك، أو

علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القـــرآن نور صدرى، وربيع قلبى، وجلاء حزنى، وذهاب همى".

- **ما يقول إذا وقــع فى هلكة:** "بسم الله الرحمن الرحيم ولا حــول ولا قــوة إلا بالله العظيم".
- **ما يقول إذا خاف قوماً:** "اللهم إنا نجعلك فـــى نحورهــم، ونعــوذ بــك مـــن شرورهم".
- **ما يقول إذا خاف سلطاناً:** "لا إلــه إلا الله الحليــم الحكيــم، ســبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، لا إله إلا أنت، عـــزّ جــارك، و جــلّ ثناؤك".
- **ما يقول إذا نظر إلى عدوه:** "يا مالك يوم الدين إياك أعبد وإياك أستعين".
- **ما يقول إذا عرض له الشيطان أو خافه:** "أعوذ بالله منـــك"، ثــلاث مــرات، "ألعنك بلعنة الله التامة"، ثم يؤذن آذان الصلاة.
- **ما يقول إذ غلبه أمر:** "حسبى الله ونعم الوكيل".
- **ما يقول إذا استصعب عليه أمر:** "اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً".
- **ما يقول إذا تعسرت عليه معيشته:** "بسم الله على نفسى ومالى ودينى، اللــــهم رضنى بقضائك، وبارك لى فيما قدّر لى، حتى لا أحب تعجيل ما أخــرت، ولا تأخير ما عجلت".
- **ما يقول لدفع الآفات:** يقولها العبد على ما أنعم الله به عليه من نعمة، فى أهــل ومال وولد، كى يدفع عنها الآفات: "ما شاء الله لا قوة إلا بالله".
- **ما يقول إذا أصابه نكبة:** "إنا لله وإنا إليه راجعون".

- **ما يقول إذا كان عليه دين عجز عنه**: "اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك، وأغننى بفضلك عمن سواك".
- **ما يقول من بلى بالوحشة**: إذا أخذت مضجعك قل: "أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، سبحان الملك القدوس، رب الملائكة والروح، حللت السماوات والأرض بالعزة والجبروت".
- **ما يقول من بلى بالوسوسة**: "آمنت بالله ورسوله، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أعوذ بالله السميع العليم، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شئ عليم".
- **ما يقله إذا هاجت الريح**: "اللهم إنى أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به".
- **ما يقوله إذا انقضى الكوكب**: "ما شاء الله لا قوة إلا بالله".
- **ما يقول إذا سمع الرعد**: "اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك".
- **ما يقول إذا نزل المطر**: "اللهم صيِّبا نافعاً".
- **ما يقول بعد نزول المطر**: "اللهم حوالينا ولا علينا، اللّهم على الآكام والظرّاب وبطون الأودية، ومنابت الشجر".
- **ما يقول إذا ركب سيارته**: "سبحان الذى سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون"، ثم "الحمد لله" ثلاث مرات.
- **ما يقوله إذا قرب إليه طعامه**: "اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، وقنا عذاب النار، بسم الله".

- **ما يقوله إذا فرغ من الطعام:** "الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفى ولا مودّع، ولا مستغناً عنه ربنا".
- **ما يقال للعاطس:** إذا عطس أحدكم فليحمد الله.. وعلى كل مسلم أن يقول له: "يرحمك الله".
- **التثاؤب:** إذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع.
- **ما يقول إذا أتى أهله:** "بسم الله، اللّهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا".
- **ماذا يقول إذا سمع صياح الديك ونهيق الحمار ونباح الكلب:** قال رسول الله ﷺ: "**إذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم، وإذا سمعتم صياح الديكة فأسألوا الله من فضله، وإذا سمعتم نباح الكلب فتعوذوا بالله**".
- **إذا رأى الحريق:** يكبر فإن التكبير يطفئه.
- **ما يقول عند القيام من المجلس:** "سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك".
- **ما يقول إذا غضب:** "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".
- **إذا رأى مبتلياً بمرض أو غيره:** "الحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً".
- **ما يقول إذا دخل السوق:** "لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت، وهو حى لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شئ قدير".
- **ما يقول إذا نظر فى المرآة:** "الحمد لله، اللهم كما حسنت خَلقى، فحسن خُلقى".
- **ما يقول إذا طنت أذنه:** فليذكر الرسول ﷺ وليصل عليه، وليقل: "ذكر الله بخير من ذكرنى".

- **ما يقول إذا خدلت (نَمِّلت) رجله:** اذكر احب الناس إليك وهو الرسول ﷺ "يـــا محمد ﷺ".
- **ما يقول من فى لسانه فحش:** "أستغفر الله كثيراً".
- **ما يقول لمن أزال عنه أذى:** "مسح الله عنك ما تكره".
- **ما يقول إذا رأى الباكورة من الثمر:** "اللهم بارك لنا فى ثمرنا، وبارك لنا فـــى مدينتنا، وبارك لنا فى صاعنا، وبارك لنا فى مدّنا، ثم يدعو أصغر وليـــد لـــه فيعطيه ذلك التمر".
- **ما يقول إذا رأى من نفســـه أو ولده أو ماله أو غير ذلـــك شيئـــاً فأعجبـــه، وخاف عليه من العيـــن أن تضره:** "ما شاء الله لا قوة إلا بالله، اللـــهم بـــارك فيه، حصنتك بالحى القيوم، الذى لا يموت أبداً، ودفعت عنك السوء، بلا حـــول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم".
- **ما يقول إذا رأى ما يحب:** "الحمد الله الذى بنعمته تتم الصالحات"، وإذا رأى ما يكره قال: "الحمد لله على كل حال".
- **ما يقول إذا نظر فى السماء:** ﴿**ربنا ما خلقت هذا باطلاً، سبحانك فقنا عـــذاب النار**﴾ (آل عمران: ١٩١).
- **ما يقول إذا تطير بشـــئ:** "اللهم لا يـــأتى بالحســـنات إلا أنـــت، ولا يذهـــب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله".
- **ما يقول عند دخول الحمام:** "أسأل الله ﷻ الجنة، وأستعيذ من النار".
- **من أراد ألا يضـــره ذنب:** "فليقل أعوذ بك من عذابك، يـــوم تبعـــث عبـــادك، وأعوذ بك من عاجل العذاب، ومن سوء الحساب، فإنك السريع العقاب، وإنـــك غفور رحيم، رب إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً، فاغفر لى، وتب علىّ، لا إلـــه إلا أنت، سبحانك أنى كنت من الظالمين".

- **وإذا أردت ألا يصدأ لك قلب، ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من قولك:** "سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، لا إله إلا الله، اللهم ثبت علمها فى قلبى، واغفر لى ذنبى، واغفر للمؤمنين والمؤمنات، وقل الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى".
- **وإذا أردت أن تغلب الشر كله، وتلحق الخير كله فقل:** "يا من له الأمر كله، أسألك الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله، فإنك أنت الله الذى لا إله إلا أنت، الغنى الغفور الرحيم، أسألك بالهادى محمد ﷺ إلى صراط مستقيم، صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض، ألا إلى الله تصير الأمور، أسألك مغفرة تشرح بها صدرى، وترفع بها ذكرى وتيسّر أمرى، وتنزه بها فكرى، وتقدس بها سرى، وتكشف بها ضرى، وترفع بها قدرى إنك على كل شئ قدير".
- **لضيق الحال:** "يا واسع يا عليم، يا ذا الفضل العظيم، إن تمسسنى بضر، فلا كاشف له إلا أنت، وإن تردنى بخير، فلا رادّ لفضلك، تصيب به من تشاء من عبادك، وأنت الغفور الرحيم".
- **لدفع الوسواس والخواطر الرديئة:** من أحسّ بذلك، فليضع يده اليمنى على صدره ويقول: "سبحان الملك القدوس، الخلاّق الفعّال"، سبع مرات، ثم يقول﴿**إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد، وما ذلك على الله بعزيز**﴾ (إبراهيم: ١٩،٢٠).
- **لمن كان عليه خوف من سلطان** أو طلبه أحد بغير حق، أو هاجه فزع، أو ضلت به طريق: أن يقرأ سورة "**يس**"، ثم يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، باسم الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، باسم الله الذى لا إله إلا هو ذى الجلال والإكرام، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم، اللّهم إنى أعوذ بك من شر فلان". فإنه يكفى

ذلك. واعلم أنه لو طبقت السماء طبقاً، واشتعلت الدنيا بالفتن، ثم أطـاع العبـد ربه فى نفس واحد بصدق الملجأ، نجاه الله بقدر ما أخلص.

- **إذا أردت الصدق بالقول فأكثر من قراءة:﴿إنا أنزلناه فى ليلة القـدر..﴾** وإذا أردت الإخـلاص فى جميع أحوالك فأعن على نفسك بقراءة **﴿قـل هـو الله أحد..﴾** وإن أردت السلامة فأكثر من قراءة **﴿قل أعوذ برب الناس..﴾**. وأقل الإكثار سبعون كل يوم، إلى سبعمائة.
- **ومن أراد أن يسلم من أهوال الدنيا والآخرة:** فليقرأ **﴿إذا الشمس كورت..﴾**.
- **ومن أراد أن يكفى همّ الظاهر:** فليقرأ **﴿اقرأ باسم ربك ..﴾** إلى آخرها.
- **ومن أراد أن يكفى همّ الباطن:** فليقرأ **﴿إنا أنزلناه..﴾** إلى آخرها.
- **ومن أراد أن تهون عليه المصيبة:** فليقرأ عقبها فـوراً بقلـب خـالص راض بقضـاء الله "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنى فى مصيبتـى، وأعقبنـى خيراً منها، واغفر لى بسببها وما كان من توابعها، وما اتصل بها وهو محشو فيها، وكل شئ كان قبلها وما يكون بعدها".
- **من أراد أن تنصب عليه الرحمة المطر فليقل:** "الحمد لله الذى منه بدئ الحمـد وإليه يعود كل شئ كذلك، لا إله إلا الله، اللهم اغفـر لـى شركـى وظلمـى وتقصيرى واغفر للمؤمنين والمؤمنات".

وفى خاتمة هذا الفصل

ندعو الله أن ينتفع به عباد الله الصالحون الذاكرون، وأن يشفى به صدور قـوم مؤمنين يسعون لمرضاة رب العالمين على نهج النبى الأمين، الـذى علمنـا كيف نحصن أنفسنا فى مواجهة الشيطان الرجيم، وكيف نتبع الصـراط المسـتقيم، فصل اللهم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل السادس

تذييل فيه شرح وتفصيل بعض الأمور التى يحتاج المريد إلى معرفتها من أسرار الطريق أخذت من صدور المشايخ ومكاتيبهم وارداتهم

الصبر

الصبر نور فى النفس، ينفى عنها الإحساس بالألم والمصائب التى تلحقها من ذات الله ﷻ، وذلك هو الصبر الحقيقى، الذى يكون بلا كلفة لاتساع العقل، عقل صاحبه بسعة فكره، لكون النفس مفتوحاً عليها. فعقلنا سارح فى كمالات الله تعالى التى لا نهاية لها، فإذا وقع للنفس شئ من الألم شغلت عنه بالأمور التى الفكر فيها مشغول. أما إذا كانت النفس محجوبة، فإن العقل نوره يجتمع فى النفس، ويبقى محصوراً فيها، فإذا نزل بالنفس أمر يضرها، أحست به إحساساً عظيماً، حتى إنك لو أخذت عوداً وكويت به هذا الرجل، لكان عنده بمنزلة مائة عود ولو كويت المفتوح عليه لا يحس به.

الفرح الكامل

الفرح الكامل نور فى الباطن، ينفى عن صاحبه الحقد والحسد والكبر والبخل، والعداوة مع الناس. ووجود هذا الفرح فى الذات، إذا وجده نور الإيمان نزل عليه نزول مجانسة، وتمكن من الذات على ما ينبغى، وكان بمثابة المطر النازل على الأرض الطيبة، فتتولد من ذلك أخلاق ذكية.

فتح الحواس الظاهرة

هو عبارة عن لذة، تحصل فى الحواس الظاهرة وذلك بفتح العروق التـــى فيهـــا، فتتكيف تلك العروق بما أدركته الحواس، وبهذه اللذة يكمل البســـط. ففـــى البصـــر لذة، بها يحصل الميل إلى الصور الحسنة، ومـــن ذلـــك ينشـــأ العشـــق، والانقطاع الباطنى للمنظور. وفى السمع لذة، يحصل بها الخضـــوع عنـــد ســـماع الأصوات الحسنة، وقد ينشأ عن ذلك اضطراب واهتزاز فى الذات. وهكذا ســـائر الحواس، ففى كل حاسة لذة زائدة على مطلق الإدراك. والفرق بين فتح الحـــواس الظـــاهرة، الذى هو من البسط، وبين إكمال الحواس الظاهرة، الـــذى هـــو مـــن الآدمية، أن فتـــح الحواس يزيد على كمالها بفتح العروق. فإن فتح العروق زائـــد علـــى الإدراك الذى فى كمال الحواس، وبذلك الفتـــح الحـــاصل فـــى العـــروق، والتكييف الجاذب لصاحبه، يقع الانقطاع المدرك، فترى صاحبه ينقطع مـــع كـــل نظرة إلى ما يراه، وقد تحصل له غيبة خفيفة مع ذلك الانقطاع، بخـــلاف مطلـــق الإدراك، فإنه لا يحصل معه هذا الانقطاع.

وكم من شخص يرى أموراً حسنة ولا يتأثر بها، وكم مـــن آخـــر يســـمع أصواتاً حسنة ولا تقع منه على بال. وهذا أيضاً يحدث للحواس الباطنـــة، وهـــذه النقطة دقيقة فى تفهم طبيعة التركيز فى الذكر والتأمل، وهو الانصراف الكلى للشئ انصرافاً بكلية الإنسان، فتشرب كل ذرة فى جسمه بالمعنى الذى يتأمله أو يذكـــره، ويمكن للإنســـان أن يربط بين ذلك وبين دقات القلب أو التنفس، أو يربط كما يشاء ويتراءى له.

الذوق الروحي

الروح تتذوق حلاوة العسل، لا من جرم العسل عن طريق اتصاله بلساننا، ولكن عن طريق نور العقل، الذى قامت به حقيقة تلك الحلاوة، ولا يشـــترط فيـــها

الاتصال، فهناك فى الروح سر تذوق به أنوار أفعاله تعالى. وهذا الأمر لا يخـــص محلاً من الروح دون غيره، بل هو سار فى جميع جواهرها الظـــاهرة والباطنـــة. وهذا الذوق يحصل لها من سائر حواسها، فإذا سمعت الروح لفظ العســـل، ذاقـــت النور الذى كان به العسل، فتذوق حلاوته، وإذا سمعت لفظ الجنة أو الرحمة، حصل لها ذلك الذوق، أما القرآن العزيز فأول ما تذوقه عند سماعه نور قول الذى فيه، ثم تشتغل بعد ذلك بأذواق أخرى.

وتختلف الأرواح فى مذاقاتها قوة وضعفاً، وأقوى الأرواح فيه من خـــرق ذوقها العرش والفرش، وذلك كالرسول ﷺ، فصار ذوقه للعوالم كلها ثابتـــاً لذاتـــه الظاهرة الترابية.

والأرواح مختلفة الأحجام، فروح الرسول عليه السلام تملأ الكون، ومـــع ذلك فقد انطوت عليها الذات الشريفة، واحتوت على جميع أسرارها، وإذا ســـكنت الروح فى الذات، سكن المحبة والرضا والقبول، وزال الحجاب الذى بينهما، أمدتها بصفائها الحسى والمعنوى، فيحصل فى الذات شفاء حسى، فينشأ عنه صفاء الـــدم الذى فى الذات، وذلك بأربعة أمور:

١-خفتـــه وزوال الثقـــل منه، فإنه على قدر ثقل الدم يكون خبثه، وتكـــثر معه الشهوات.

٢-صفاء رائحته، وعلامة ذلك أن تكون رائحته كرائحة العجين، أما الـــدم الخبيث، فرائحته كرائحة الحمأ المسنون.

٣-صفـــاء لونه وعلامته أن يضرب إلى الصفرة، أما الدم الخبيـــث، فإنـــه لونه يضرب إلى السواد.

٤-صفـــاء طعمه وعلامته أن يكون حلواً، أما الخبيث فإن طعمه يشبه طعم الشئ المحروق.

فإذا صفا جوهر الدم، نزعت منه حظوظ الشيطان، وانقطعت منه الشهوات وظلام المعاصى فتصفو الذات بتغذيتها منه، فإذا حصل فى الـــذات هـــذا الصفـــاء

الحســى، أمدتها الروح بالصفاء المعنوى، فتصير عارفة بربها بجميع جواهرهـــا، وإذا أحبت الروح الذات، وزال الحجاب الذى بينهما، أمدتها ببصيرة عبـــارة عــن سريان الفهم فى سائر الأجزاء، كما يسرى فى جميعها أيضاً سائر الحواس، مثـــل البصر والشم والذوق واللمس.. فالبصر يكون قائماً بجميعها، والشم كذلك، وهكـــذا سائر الحواس، حتى إنه ما من جوهر من جواهرها، إلا وقد قام به علـــم وســمع وبصر وشم وذوق ولمس، فبصرها من سائر الجهات. وكذلك بقية الحواس.

وبالجملة فما كان للروح يصير للذات، واعلم أن اطلاع الروح يكون مـــن غير ترتيب، ويحصل دفعة واحدة، ولكن اطلاع الذات يحصل على سبيل التدريـــج والترتيب، بمعنى أنها ما من شئ تتوجه إليه الروح فى العالم، إلا وتعلمه، ولكـــن علمه لا يحصل إلا بالتوجه.

نور الإيمان

يزيد بزيادة نور الأجور، وذلك لأن للأعمال أجوراً، وللأجـــور أنـــواراً، وأنـــوار تلك الأجور تنعكس إلى الذوات، فيحصل للذوات بـــها نفــع فـــى الدنيـــا بالحسنى، بأن تعظم بها أنوار إيمانهم، ونفع فى الآخرة ظاهرى، بأن تصير تلـــك الأجور نعيماً فى الجنة، يتنعم بها العاملون. فالأعمال لها أجـــور، والأجـــور لـــها أنوار، وللأنـــوار اتصال بالذات، فإن أنوار أجورها تسطع على الـــذات، فتفطـــن الذات بالذات، فيحصل لها خشوع وقشعريرة وبكاء، فيعلم صاحب البصيرة بذلـــك النور، أن العمل قُبل.

ويمكن فى هذه الدار أن يعرف الإنسان أجره، فمن أراد ذلك فليختبر قلبـــه عنـــد العمـــل، فإن لكل عمل وإن دق أجراً، ولكل أجر نوراً ساطعاً، تفطن الـــذات به لا محالة. فإن كان القلب عند العمل مشغولاً معموراً بالشواغل والقواطع فليعلـــم أن الله قد حرمه أجره، ولذلك ملأ قلبه بالشواغل، وإن كـــان القلـــب فارغـــاً مـــن

الشواغــل، منقطعاً عنها ومتوجهاً نحو الحق سبحانه فليعلم أن الله تعالى قد يجــزل له أجره.

تأثير الذكر على الدورة الدموية

حال العبد هو الغفلة فإذا نزل على قلب العبد ذكر جهنم ومخاوفها يذهــب الدم وبخاره، ولذا يصفر وجه الخائف، وإذا هرب الدم تعطل حُكْمــه الــذى ضــدّ الغفلة، فإذا انقطع ذلك الذكر، الذى هو سبب هروب الدم، رجع الدم إلى مجاريــه واستولت الغفلة على الذات. والعبد إذا استحضر ربه فى قلبه وعلم أنه تعالى هــو الذى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا مدبر غيره، ولا شريك له فى ملكه، وأنــه تعالــى لطيف بعباده، يعطيهم أكثر مما يتمنون، ويرحمهم فوق ما يظنــون، فعنــد ذلك يرضى العبد بربه وكيلا، ويتخذه فى جميع أموره دليلاً وينحاش إليه بالكليــة، وينقطــع إليه بالطوية، ويضع مقاليده وجميع ذمته فى يده ولا يعول فــى جميــع أموره إلا عليه، وعند ذلك يشاهد مالا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر علــى قلب بشر من الخيرات، أما من لا يشاهد إلا ذاته ولا يرى الأفعال صادرة إلا مــن نفسه، فهذا الذى يتعاطى الضرر، ويريد أن يطلع على الغيب، ليستكثر من الخــير، وعندئذ يكله ربه إلى نفسه، ويجعل تدميره فى تدبيره، ويبتليه بالرزايا والبلايا.

موت النفس

موت النفس هو أن تكون أفعال العبد خالصة لله تعالى. وعلامة أخــرى إذا كان العبد يجد من نفسه وسواساً، فهو آية على حياة النفس، وبقدر كــثرة حياتــها، يكثر الوسواس، فمن لا وسواس له لا نفس له.

رسوخ التوبة فى ذات العبد

سبب ذلك هو مد أغصان التوبة فى ذات العبد، وتمكــن عروقــها منــها، وبلوغها الغاية فيها، وذلك يرجع إلى محبة المؤمنين جميعاً من غير فــرق، كمــا

يبغض الكافرين جميعاً من غير فرق، والعبد لا يفرق فى محبته للمؤمنين، حتى يحب بعضاً دون بعض، إلا لدسيسة بغض فى قلبه نشأت عن حسد أو كبر، فتكون طويته خبيثة، والتوبة النصوح لا تنزل إلا بأرض طيبة، فإذا أحب المؤمنين جميعاً، فقد ارتفعت الدسائس كلها من قلبه، وهذه المحبة العامة، تكفى العبد فى محو جميع الذنوب.

أما بالنسبة للعاصى، فالذى يجب أن يتوجه إليه البغض فى العاصى، هو أفعاله، لا ذاته المؤمنة وقلبه الطاهر وإيمانه الدائم، فالأمور التى توجب محبته لازمة والذنوب التى توجب بغضه عارضة طارئة، فتكون محبته هى الساكنة فى قلوبنا وبغضه يتوجه نحو الأمور العارضة، حتى إننا نمثل ذنوبه فى أعيننا وفى أفكارنا بمنزلة أحجار مربوطة بثيابه، خارجة عن ذاته، فيحب ذاته، ونبغض الأحجار المربوطة بها. ويجب التفرقة بين بغض الأفعال الخارجة عن الذات، وبين بغض الذات.

المشاهدة

انظر إلى عالم الملك كله من مخلوقات وأشجار وبحار وجبال وكواكب ونجوم وأفلاك، واجمعه بين عينيك، حتى يكون فى مثل دور الخاتم ثم انظر إلى عالم الحق، واجمعهم بين عينيك، وافعل بهم مثل ذلك، ثم انظر إلى عالم الملائكة، ملائكة الأرض السماء والعرش، وافعل بهم مثل ذلك، ثم انظر إلى عالم الملائكة، ملائكة الأرض والسماء والعرش، وافعل بهم مثل كذلك، وهكذا بالنسبة لكافة العوالم، عالم الجنة وعالم النار. ثم انظر إلى هذا الذى جمعته بين عينيك مجموعاً، وانظر إليه نظرة واحدة، واجتهد هل تقدر على استحضار الجميع فى تلك النظرة الواحدة؟ فإنك لن تتمكن ولن تطيق ذلك! فكيف بمشاهدة الخالق سبحانه؟!! ولذلك لا تطلب المشاهدة من الله ﷻ ، حتى يكون هو الذى يعطيها لك، من غير سؤال، فإنه إن أعطاها لك أعانك عليها، وأعطاك القوة عليها قبل أن تنزل هى بك،

وإذا جعلت تسـأل منه سبحانه وتكثر منه، فإنه لا يجيب سؤالك، ولكن يخاف عليك أن يكلك إلى نفسك، فتعجز عنها.

أسماء الله الحسنى

أسماء الله الحسنى لها أنوار فإذا أردت أن تذكر الاسم، فلابد من أخذه مـن عارف، ليكون معك نور الاسم فلا يضرك. أما إذا لم يكن مع الاسم نـوره الـذى يحجـب العبد عن الشيطان، حضر الشيطان وتسبب فى ضـرر العبـد. ثـم إن العارف يعطـى الاسم للمريد بنية قد تكون إدراك الدنيا، أو بنية إدراك الآخـرة أو بنية معرفـة الله، فيسلك المريد على حسب نية شيخه. أما سبب حجـب الشيطـان عن حملة القرآن، فهو أن النبى ﷺ هو الذى بلغه، فكل قارئ للأسماء من القـرآن فشيخه هو الرسول ﷺ.

ونختم ما هو مسك الختام، فى شرح

كيفية الصلاة على النبى ﷺ

اعلم أن الصلاة على النبى ﷺ مبنية على المحبة، ومبنية على التعظيم.

الصلاة المبنية على المحبة

هى أن يستحضر الشخص فى فكره جـلالة النبى ﷺ وعظمته، وكونـه سبباً فى كل موجود، ومن نوره كل نور، وأنه رحمة مهداة للخلق، وأنـه رحمـة الأولين والآخريين، وهـداية الخلق أجمعين إنما هى منه ومن أجله، فيصلى عليـه من أجل هذه المكانة العظيمة، لا لأجل علة أخرى، ترجع إلى نفع ذاته.

الصلاة المبنية على التعظيم

هى أن يستحضر الشخص فى فكره وذهنه، مكانة الرسول ﷺ العظيمـة، وقدره الكبير وبأى شئ كانت، وكيف ينبغـى أن تكـون خصـال صاحبـها، وأن

الخلائق أجمعين عاجـــزون عن تحمل شئ من خصالها، لأنها ارتقت حقائقها فيـــه ﷺ إلى حد لا يكيف بالفكر، فضلاً عن أن يطاق تحمله بالفعل.

فإذا خرجت الصلاة من العبد على النبى ﷺ على هذا النحو، فإن أجرهـــا يكون على قدر منزلة الرسول ﷺ، وعلى قدر كرم الرب سبحانه لأنه محرك هذه الصلاة، والحاصل منها هو مجرد تلك المكانة العظيمة. أما من كانت صلاته مـــع الغفـــلة، وعمارة القلب بالشواغل، فإن الأجر عليها على قدر محركها. نفعنـــا الله بهذه الصلاة، و حقق لنا تذوقها، والعروج في مداركها، والحمد لله رب العلمين.

وبهذا تنتهى جولتنا المباركة فى ساحة الأنوار، وروضة الأرواح العطـــرة المؤمنة. ولا نملك إلا أن نردد قول الحق ﷻ: ﴿**ربنا تقبل منا إنك أنت الســـميع العليم، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتـــب علينا إنك أنت التواب الرحيم**﴾ (البقرة: ١٢٧،١٢٨).

آميـــــــن آميـــــــن يـــــــا رب العـــــــالمين..

خاتمة الكتاب

كلما وصلت إلى تلك الكلمة، أجد قلبى يعتصر حزناً، لأنها تعنى انقضاء أمتع الأوقات التى قضيتها فى رحاب العلم اللدنى، مع قلوب اصطفاها الحق بتجلياته، بعدما صارت مرآة مجلوة متشوقة لتلقى تلك التجليات، دفعها ذلك الشوق إلى كثير من المجاهدات، التى لا يقدر عليها إلا من اصطفاهم من بنى الإنسان.

ولا ينتشلنى من هذا الحزن، إلا الدعاء إلى المولى العلى القدير أن يبارك فى عمر أستاذنا الفاضل، وإمامنا الورع، الولى التقى فضيلة الدكتور حسن عباس زكى، حتى يمدنا بحصاد جولاته فى ميادين الحب الإلهى. فهو بحق رائد عصره فى هذا المجال، حيث يجول بهمة لا تفتر، وعزيمة لا تلين، يدفعه قلب يتحرق شوقاً إلى الملأ الأعلى، والفيوضات الربانية.

ويعتبر هذا الكتاب حصاد قيم، يندر توافره، لأن فيه خلاصة الخلاصة من خبرات عالمنا المتبحر فى ميادين التصوف، يلتقط الجواهر الثمينة، واللآلئ الغالية، التى تبهر البصائر بأنوارها السامية، ومعانيها الغالية وفيوضاتها الراقية.

فهو كتاب فكر وذكر ودعاء، كتاب يضع التصوف فى مكانته اللائقة به، بل يبين بأسلوب منطقى لا يقبل الجدل أو النقاش، أن التصوف هو وجه الحقيقة فى التزامات الشريعة. فإذا كانت الشريعة هى المظهر الفعلى المعبر عن تعاليم الإسلام، فإن الحقيقة التى يسعى إليها علم التصوف، هى القلب النابض بمعانى تلك التعاليم، وهى النور الساطع الذى يشع أنواره على العقل والجوارح، فيعى الإنسان بحق كل حركة يقوم بها، وكل خطوة يخطوها فى الحياة حيث يردد بكل اليقين قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين**﴾ (الأنعام: ١٦٢،١٦٣).

ويمكننا أن نقول بكل الصدق واليقين النابع من أعماق قلوبنا:

"إن التصوف يعنى بعث الروح فى شريعة الإسلام، لأنه يهدف إلى مجاهدة النفوس لصفاء القلوب من كدرات الحياة وشهواتها، ويهدف إلى عمارة القلوب، بالإخلاص والوفاء والإيثار والصبر والحب، وكل المعانى النبيلة، التى تجعل للدنيا مذاقاً خاصاً، يجعل النفوس خاشعة لذكر ربها، مطمئنة فى حياتها، ساعية إلى رفعة درجاتها، وعلو شأنها فى أخرتها."

ولا شك أن تلك المعانى هى الهدف الأساسى من دين الإسلام القيم، والتى بها يستحق الإنسان أن يكون إنساناً مستخلفاً فى الأرض، يقيم دعائم الخير، ويستنطق أسرار الكون.

ولن أتكلم كثيراً عن الكتاب، فهو يفصح عن مكنونه فى كل كلمة من كلماته. وكل ما أملكه فى هذا المقام هو التعبير عن عميق امتناننا لأستاذنا العالم د. حسن عباس زكى، أن سمح لنا أن نتجول معه فى رياض الصالحين، وأن نستمتع بهذا الكنز الثمين، من حصاد جولاته فى فكر الأولياء المتقين، النابع من قلوب عمرتها أنوار اليقين.

وندعو الله أن يمتعنا بجولات وجولات، نستزيد فيها من بركات العلوم، التى تصقل قلوبنا بنور الحق المبين، بما يسدد خطانا على الصراط المستقيم، ونعرف وجهتنا نحو رب العالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام الدعاة المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وكل من سار على دربه، واتبع هديه بإحسان إلى يوم الدين..

الفهـــــرس